من تاريخ المغرب فى القرن 17

الزاويــة الدلائيــة

ودورها الدينى والعلمى والسياسى

نوقش هذا الكتاب امام الجمهور فى 8 ابريل 1963 بكلية الآداب بالرباط فنال به المؤلف ديبلوم الدراسات العليا بدرجة حسن

تــأليـف

محمـد حـجـى

أستاذ مساعد بكلية الآداب بالرباط

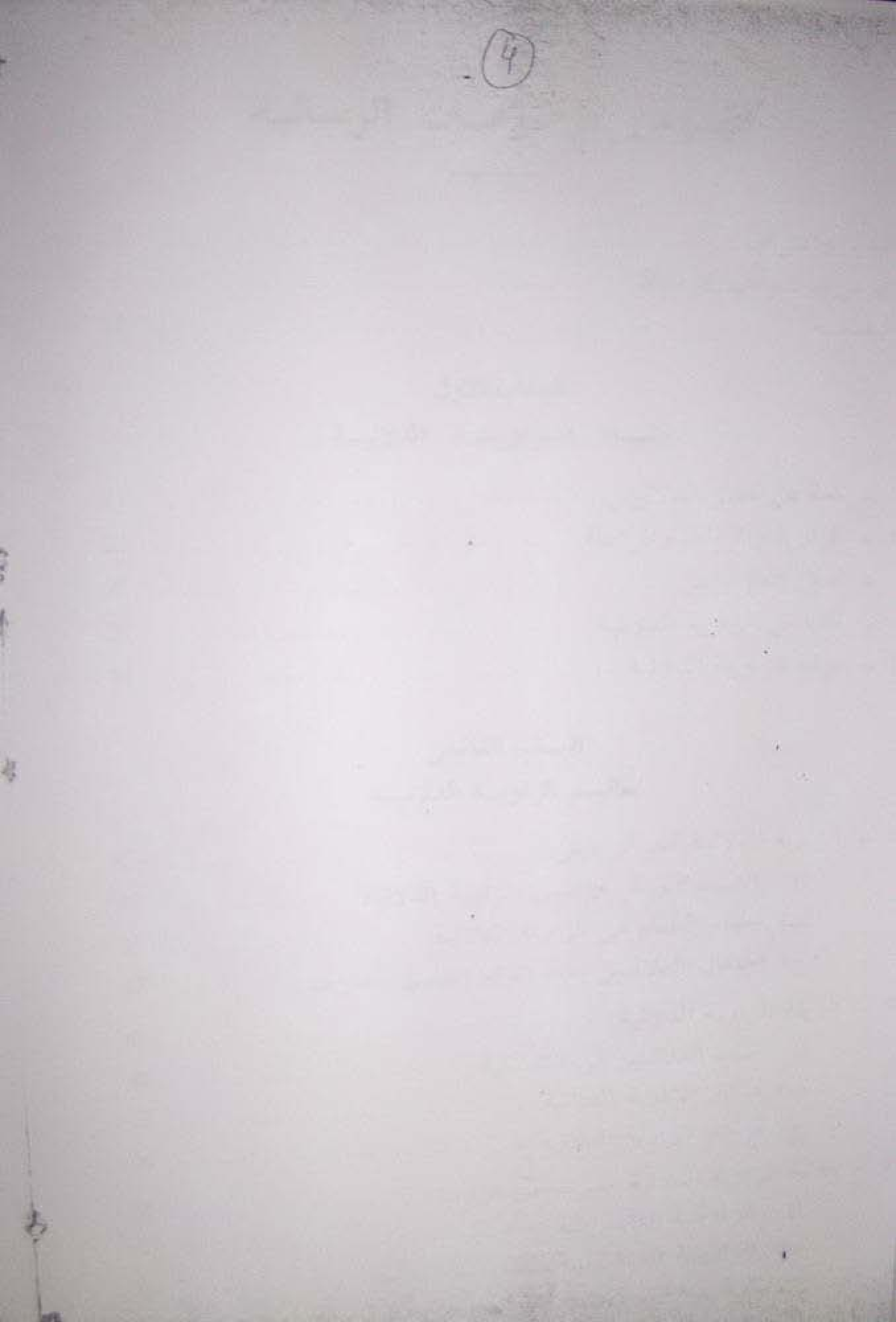
المطبعة الوطنية بالرباط

1384 - 1964

تقدير واعتراف

أرى لزاما على قبل كل شىء أن أتقدم الى أستاذى الكبير الدكتور حسن ابراهيم حسن بأخلص عبارات الشكر والامتنان لما أولانيه سيادته من عناية واهتمام ، ولما أسداه الى من معونة ثمينة وتوجيه سديد . فقد كنت أجد فيه طيلة السنتين اللتين قضيتهما فى اعداد هذه الرسالة تحت اشرافه الاستاذ الخبير المحنك الذى لايبخل على بكل ما أطلب من ارشادات ومساعدات ، والعالم المتواضع الصبور الذى يتسع صدره لاستفساراتى المتكررة ، ويفتح بابه فى وجهى باستمرار . كما أشكر كلا من الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى الذى كان أول من أوحى الى بموضوع الزاوية الدلائية وظل يمدنى بما لديه من معلومات ومراجع ، وصديقى الاستاذ محمد المنونى الذى أفدت كثيرا من خبرته الواسعة واطلاعه الكبير على خبايا المخطوطات المغربية ، والاستاذ عبد الله الرجراجى الذى وضع رهن اشارتى كل ما احتجت اليه فى بحثى من مصادر مخطوطة ومطبوعة ؛ فاليهم جميعا والى سائر العاملين فى المكتبة الوطنية، والزملاء الذين لم يبخلوا على بما لديهم من معلومات ووثائق أصدق عبارات التقدير والاعتراف بالجميل .

سلا فى 8 أبريل 1963 محمد حجي



فهرس موضوعات الرسالة

الباب الاول
نشأة الزاوية الدلائية

الباب الثانى
تعاليم الزاوية الدلائية

الباب الثالث
الزاوية الدلائية باعتبارها مركزا علميا

الباب الرابع
الدلائيون والسياسة

الباب الخامس

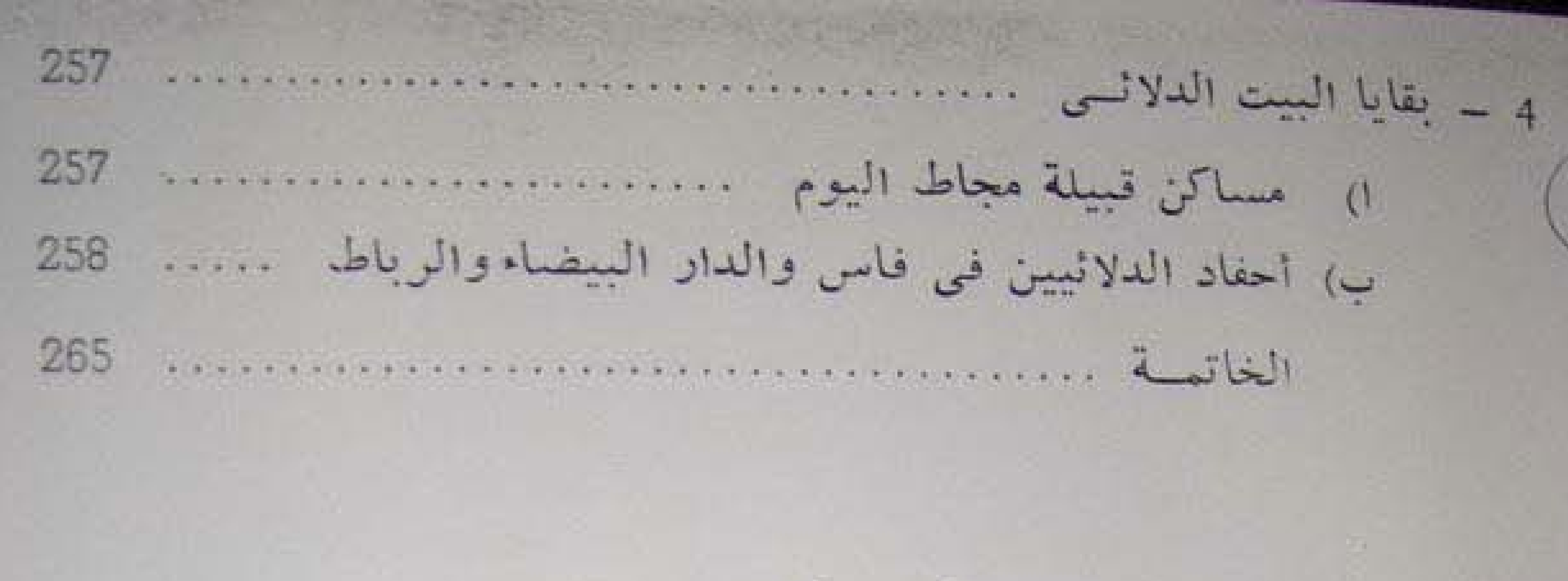
انتشار نفوذ الدلائيين السياسي

الباب السادس

نهاية الزاوية الدلائية

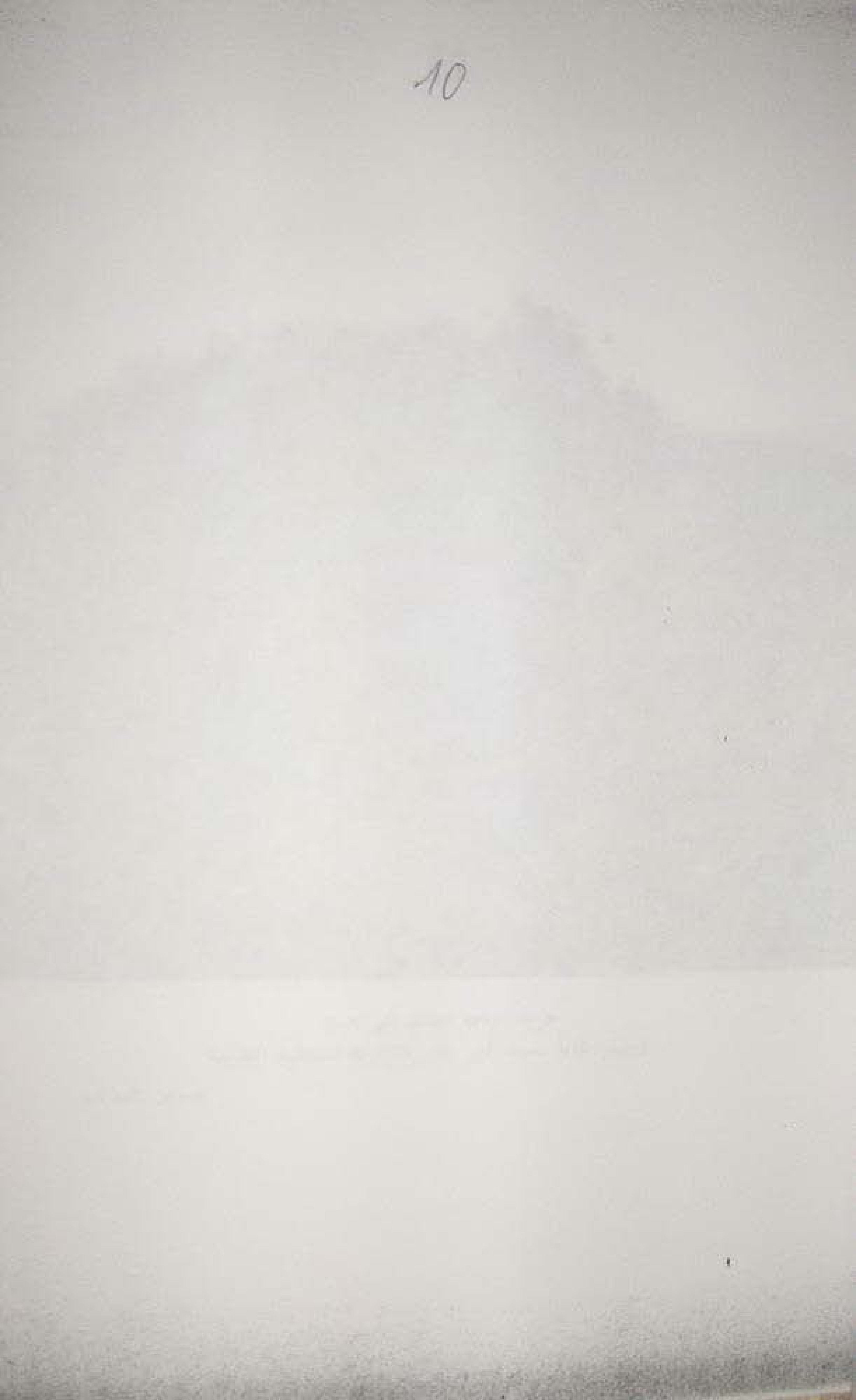
الباب السابع

أثر الدلائيين فى خارج زاويتهم



الملاحق

مصادر الرسالة

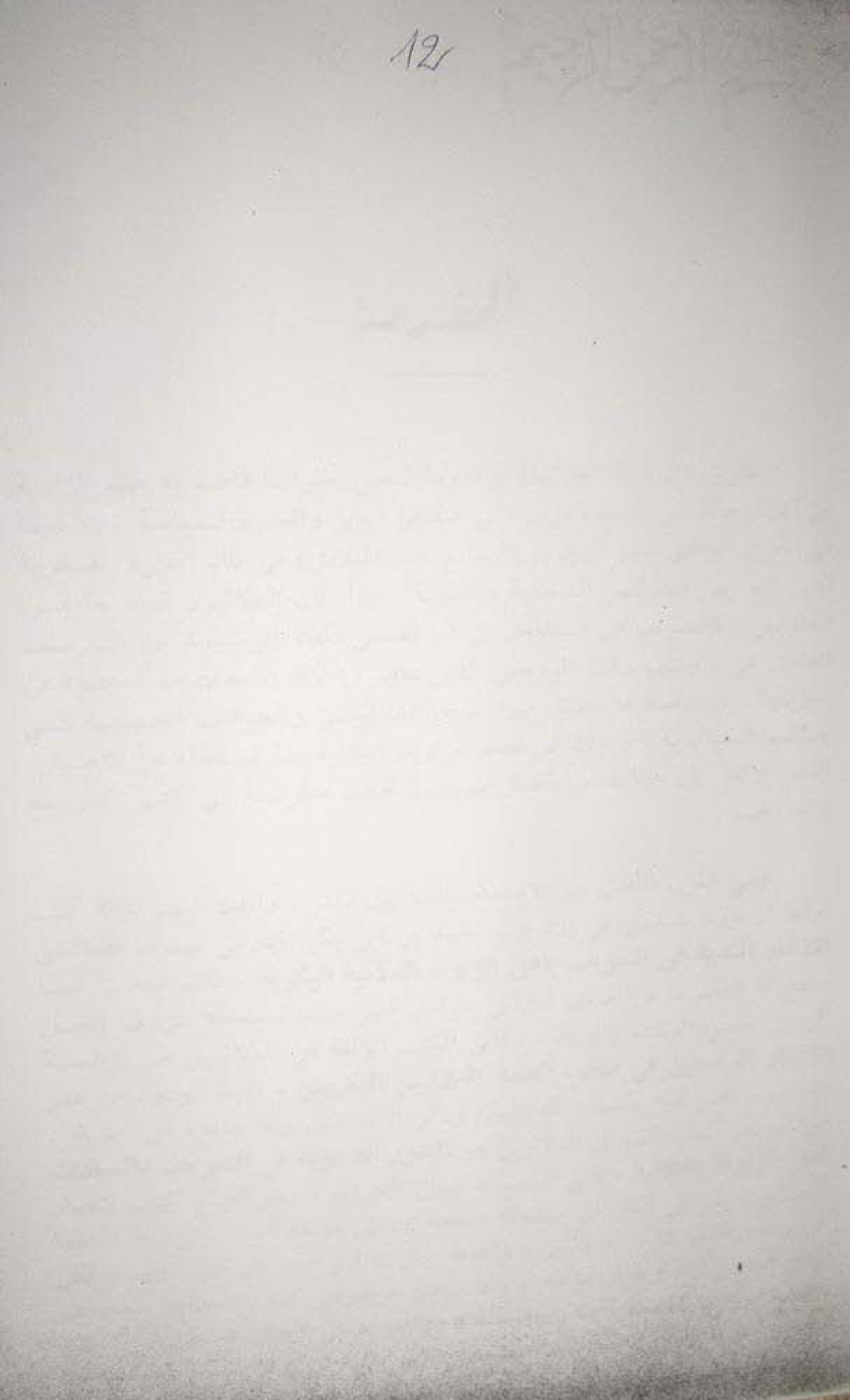


اللوحة رقم I



حرجة تواجه القادم الى الدلاء
وتستر بقايا مسجد أبى بكر بالزاوية الدلائية القديمة

تصوير المؤلف



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اخترت (الزاوية الدلائية) موضوعا لبحثي نظرا لما قامت به هذه الزاوية من أدوار هامة في تاريخ المغرب، في ميادين الدين والعلم والسياسة، ولاسيما في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) في تلك الفترة المضطربة التي تقع بين الدولتين السعدية والعلوية. ولما كان الدلائيون قد حاربوا العلويين ونافسوهم في السلطان الى أن قضى الملك الرشيد بن الشريف العلوي على زاويتهم، فان المؤرخين الذين عاصروا تلك الاحداث قد أحجموا عن تدوينها، وبخاصة ما يتعلق منها بمجد الدلائيين والجوانب الحسنة في حياتهم السياسية، وبذلك لم تحظ الزاوية الدلائية بما تستحقه من الاهتمام، اللهم الا ما كان هنالك من أخبار يسيرة جاءت متفرقة في كتب التاريخ والتراجم.

وفي القرن الماضي بدأ الاهتمام بالدلائيين يكثر، وألفت فيهم ثلاثة كتب أولها أرجوزة تشتمل على 275 بيت لمحمد بن أبي بكر اليازغي سماها **حدائق الازهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية**. تكلم فيه - كما سمح له النظم - عن أصلهم، وأتى بتراجم كثير منهم مستعملا حروف الجمل كرموز لسنى الولادة والوفاة. وثاني الكتب المؤلفة في الدلائيين هو **نزهة الاخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين البكريين**، لعبد الودود بن عمر التازي، اهتم فيه بأنساب الدلائيين وذكر الآباء منهم وما خلفوه من أبناء. على أن أهم كتاب ألف في الدلائيين هو **البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية**، لابي الربيع سليمان الحوات، وهو أجمع كتاب لاخبار الدلائيين يقع في أكثر من ستمائة صفحة استقى مؤلفه أخبار الزاوية وأهلها من والده الذي تتلمذ للدلائيين، وأحاط بكل ما قيل فيهم أو كتب عنهم. لكن عيب البدور الضاوية أن مؤلفه لم يأت ببحث موضوعي كمؤرخ محايد يستهدف الحقيقة لذاتها حسنة كانت أم قبيحة، ولا يتردد في الحكم على من يؤرخ لهم متى استلزمت نتائج البحث ذلك. وانما كان يعنيه أن يذكر محاسن الدلائيين

دون مساوئهم ، فهم جميعا عنده علماء صلحاء نزهاء الخ . وأى بشر سلم من النقص والخطأ ؟ هذا بالاضافة الى حشو الكتاب بكثير من الاساطير وكرامات الاولياء المبالغ فيها ، والسير على نهج المؤلفين القدماء فى التحلية بالالقاب الرفيعة الرتيبة التى قد تستغرق نصف صفحة أو أكثر بحيث يصعب العثور على اسم الشخص الذى يترجم له ، ثم لايفيد الباحث شيئا من عبارات الاطراء المنمقة التى تتكرر فى كل ترجمة ولا يتبدل فيها غالبا الا الترتيب والسجع .

وهكذا وجدت أن تاريخ الدلائيين قد بقى غامضا مبعثرا بالرغم عن هذه الكتب الخاصة ، فحاولت أن أكتب عن الزاوية الدلائية بحثا نزيها أذكر فيه ما للدلائيين وما عليهم ، وأحلل ـ ما استطعت ـ بعض الجوانب الغامضة فى تاريخهم ، وأعالج هذا الموضوع من نواحيه الدينية والعلمية والسياسية . وقد رجعت فى بحثى الى كثير من الكتب التى عرضت لعصر الدلائيين ، وأفدت من أكثر من مائة مرجع عربى وافرنجى ، أكثرها مخطوط ؛ منها الكتب الثلاثة المتقدمة وبخاصة البدور الضاوية التى اخترت منها مادة هامة فيما انفرد به مؤلفها من الروايات الخاصة ، أو من النقول عن بعض المصادر التى لم يتيسر الوقوف عليها . ورجعت الى المظان فى كتب التاريخ والتراجم ، والرحلات ، والتصوف ، والنوازل ، والدواوين الادبية ، أخص بالذكر منها كتاب **مباحث الانوار فى أخبار بعض الاخيار** لاحمد بن يعقوب الولالى الذى عاش طالبا فى الزاوية الدلائية فترة طويلة من حياته ، ووصفها عن حس ومشاهدة. **والمحاضرات ، والفهرست** للحسن اليوسى أشهر تلاميذ الزاوية الدلائية ، وقد أتى فى هذين الكتابين بكثير من أخبار الدلائيين وتراجم أعيانهم . كما اعتمدت على كتاب **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبى المحاسن ،** لابى حامد محمد العربى الفاسى الذى أقام هو أيضا مدة فى الزاوية الدلائية ، وتعرض فى كتابه لبعض أخبارها ، وترجم لشيخه محمد بن أبى بكر الدلائى. وكتاب **الاحيا والانتعاش فى تراجم سادات زاوية آيت عياش،** لعبدالله العياشى. وتعتبر الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما تسمى اليوم ربيبة الزاوية الدلائية، اذ كان مؤسسها محمد بن أبى بكر العياشى من تلاميذ الشيخ أبى بكر الدلائى، وهذا الاخير هو الذى هياه للمشيخة وأمره أن يتخذ زاوية فى آيت عياش بالسفح الجنوبى الشرقى للاطلس الكبير . ويشتمل كتاب الاحيا على معلومات هامة عن موقع الزاوية الدلائية القديمة ومدينة محمد الحاج التى تفرعت عنها.

ورجعت كذلك الى كتاب **الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة** لعبد العزيز بن الحسن مهدى الزياتى الذى عاش فى العصر الاول للزاوية الدلائية وذكر كثيرا من فتاوى العلماء فى موضوع الاضطرابات

التى دعت الدلائيين الى التدخل فى شئون البلاد السياسية ، ولاسيما مايتعلق منها بجهاد الرئيس محمد العياشى وحصاره الموريسكيين فى الرباط والقصبة. **ونزهة الحادى باخبار ملوك القرن الحادى ، وصفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر** ، لتلميذ الدلائيين محمد الصغير اليفرانى الذى عرض فى مواضع كثيرة من كتابيه لاخبار الزاوية الدلائية وأهلها والى كتابى **التحفة القادرية ، و تقاييد تاريخية** لعبد السلام بن عبد الله الخياط القادرى الذى يروى بواسطة عن عم والده أحمد بن عبد القادر القادرى تلميذ الدلائيين وصيرهم الذى عاش معهم فى الزاوية الى أن وقع تخريبها . وينفرد هذان الكتابان بأخبار هامة ودقيقة عن الزاوية الدلائية ؛ وعن الفترة الاخيرة لنفوذ الدلائيين فى فاس . وأفدت أيضا من كتاب **نشر المثانى لاهل القرن الحادى عشر والثانى** ، و **نشر المثانى الكبير** الخطى لمحمد بن الطيب القادرى الذى أخذ عن تلاميذ الدلائيين ، وترجم لعدد كثير من علماء هذه الاسرة وصلحائها ، وعرض فى حوادث السنين المتسلسلة لاهم الاحداث التى وقعت أيام الامارة الدلائية .

ولم أغفل ما كتبه الاجانب عن الدلائيين ، وأفدت بالخصوص من ليفى بروفنسال فى كتابه « Les Historiens des Chorfa » ومن الكونت دوكاسترى فى سلسلة وثائقه القيمة « Les sources inédites de l'Histoire du Maroc » ومما نشرته فى هذا الموضوع مجلة هسبيريس « Hespéris » ومجلة وثائق مغربية « Archives marocaines »

قسمت الموضوع الى سبعة أبواب. بحثت فى الباب الاول منها نشأة الزاوية الدلائية وأطوارها الاولى أيام الشيخ أبى بكر الدلائى ، وتحدثت فى الباب الثانى عن تعاليم الزاوية الدلائية وطريقتها الشاذلية ، وعلاقتها بغيرها من الزوايا الكبرى التى عاصرتها ولاسيما الفاسية ، والناصرية ، والعياشية . وعالجت فى الباب الثالث أهمية الزاوية الدلائية من الناحية العلمية ، وترجمت لطائفة من أشهر المتخرجين منها ، كالحسن اليوسى ، وأحمد المقرى ، والعربى الفاسى ، والاخوين العكاريين محمد وعلى وغير هؤلاء من فطاحل العلماء .

وتناولت فى الباب الرابع الناحية السياسية ، وموقف الدلائيين من الاضطرابات التى انتشرت فى المغرب على اثر وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبى . وأشرت الى علاقات الدلائيين بالملوك السعديين المتأخرين ، وبالثوار أرباب الزوايا الذين استبدوا بالاقاليم ، كابن أبى محلى السجلماسى ، وأبى زكريا الحاحى ، وأبى حسون السملالى ، والمجاهد العياشى السلاوى . وعرضت لزعامة محمد الحاج السياسية ، وتأسيسه مدينة الدلاء أو الزاوية الدلائية

الحديثة ، وبيعة أهل المغرب له ، وقيامه ببعض الاعمال الحربية الداخلية ، وجهاده ضد الاسبانيين فى حصن المعمورة المحتل . وألممت فى الباب الخامس ببعض مظاهر انتشار النفوذ السياسى للدلائيين ، فذكرت ما كان من انضواء المورسكيين فى تطوان والرباط تحت لوائهم ، وسيطرتهم على أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية ، وعلاقاتهم بالدول الاوروبية البحرية ، كهولاندا ، وأنجلترا ، وفرنسا التى عقدوا معها معاهدات ساعدت على ازدهار التجارة فى الموانىء المغربية ، وعملت على تزويد الخزينة الدلائية بأموال ضخمة من الضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات وسمحت كذلك باستجلاب العتاد الحربى الحديث من مدافع وبنادق ومسحوق البارود لتسليح الجيش النظامى الدلائى .

وأفردت الباب السادس لذكر مراحل تقهقر الدلائيين ، فعرضت لبدء انتقاض الاطراف عليهم بسبب ثورة الخضر غيلان فى الشمال ، وانهزام محمد الحاج الدلائى فى معركة (وادى بوحريرة) تلك الهزيمة التى أدت الى قيام الثورة ضد الدلائيين فى فاس وسلا والرباط وسائر بلاد الغرب ، وحصار الامير عبد الله الدلائى فى قصبة سلا . ثم ألممت بمسألة ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوى فى المغرب الشرقى ، وتمكن أمره فى الشمال والجنوب ثم زحفه الى مواطن الدلائيين وتغلبه عليهم فى معركة (بطن الرمان) أوائل عام 1079/1668 واقصائه اياهم عن الزاوية الدلائية التى أصبحت حصيدا كأن لم تغن بالامس .

أما الباب السابع فقد تناولت فيه أثر الدلائيين فى خارج زاويتهم ، والمعت الى ثورة أحمد الدلائى الكبرى ضد السلطان اسماعيل، ثم تحدثت عن مركز العلماء الدلائيين فى فاس ومكناس ، وبخاصة شيخ الجماعة الامام محمد المسناوى الدلائى الذى انتهت اليه رئاسة التدريس والتأليف والافتاء فى فاس، وكاد يكون جميع علماء المغرب فى عصره من تلاميذه . وعددت بعض مشاهير تلاميذ الدلائيين فى العاصمة العلمية ، والكتب التى ألفها الدلائيون فى مختلف الفنون ، من حديث وسيرة ، وفقه وأصول ، ولغة ونحو وصرف وبلاغة ، وأدب وأنساب . ويقع بعض هذه الكتب فى عدة مجلدات مثل **نتائج التحصيل فى شرح التسهيل** لمحمد المرابط الدلائى، وهو فى أربعة أجزاء، طبقت شهرته المغرب والمشرق ، وبيعت منه فى حياة المؤلف نسخ فى مصر بأثمان مرتفعة ، وأعجب به علماء الازهر وقرظوه . وأخيرا تكلمت على بقايا البيت الدلائى ومساكن قبيلة مجاط اليوم

انه لايكاد يخلو كتاب من الكتب التاريخية المغربية التى ألفت بعد القرن العاشر الهجرى من ذكر الدلائيين وزاويتهم ، لكنه ذكر عابر لايجاوز السطر أو السطرين ، وقد يطول صفحة أو أكثر ، ويتكرر أحيانا ليتحدث عن جزئيات خاصة ، وأحداث معينة مجردة من الاسباب والتفاصيل فى الغالب . وحتى الكتب التى ألفت فى الدلائيين لم تعن الا بجمع الاخبار والروايات على علاتها ، وكيل المديح للدلائيين جزافا . فجاءت هذه الرسالة لتأخذ (الزاوية الدلائية) موضوعا تعنى بالبحث فيه بدقة ، وتدرسه دراسة نقدية شاملة للنواحى الدينية والعلمية والسياسية ، وتعرف اخواننا المؤرخين المحدثين فى المشرق بالاسرة الدلائية المغربية حتى لايعود بعضهم يكتب كلمة (كذا) اذا ورد ذكر الدلاء والدلائيين فى النصوص القديمة التى يطلعون عليها ، وحتى يعرف (المتفلسفون منهم) ان الدلائيين هم من صميم المغاربة لايمتون بأية صلة الى مدينة (دلاية) الاندلسية .

تضع هذه الرسالة حدا للافتراضات والتخرصات حول موقع الزاوية الدلائية الذى ظل المؤرخون المغاربة والاوربيون يختلفون فيه حتى اليوم ، وتبين أن هناك زاويتين دلائيتين قديمة جبلية ، وحديثة أسست فى سفح الاطلس لتكون عاصمة الامارة الدلائية ، ما تزال أطلالهما معا ماثلة للعيان . وقد زودت الرسالة بعدة صور شمسية التقطتها بنفسى أثناء زياراتى للزاويتين أو اقتبستها من بعض الكتب . ومن ناحية أخرى عرضت لتعاليم الزاوية الدلائية ، ووضعت جدولا يوضح الشيوخ الذين أخذ عنهم الدلائيون وتسلسلهم الى الامام أبى الحسن الشاذلى ، مشيرا الى ما كان من تفاعل بين الزاوية الدلائية وغيرها من الزوايا المهمة التى عاصرتها .

وتعمل الرسالة أيضا على ابراز الزاوية الدلائية كمركز علمى هام فى الاطلس المتوسط ، كاشفة القناع عن المادة التى كانت تدرس فى هذا المركز، معرفة بالاساتذة الذين اضطلعوا فيه بالتدريس ، سواء كانوا من أبناء الزاوية أو من العلماء الطارئين عليها من فاس ومراكش وغيرهما من المراكز الثقافية المغربية الاخرى . كما تلقى الرسالة بعض الاضواء على جانب من الحياة الاجتماعية لطلبة الزاوية الدلائية وتقدم أرقاما تتعلق بالمدارس الداخلية العظيمة الملحقة بها وبالكتب التى احتوت عليها خزائنها ، اعتمادا على مصادر خطية أصيلة نادرة .

ومن الناحية السياسية تهتم الرسالة بتحليل الاحداث التى جرت للدلائيين وربطها بعضها ببعض لتكون منها وحدة متصلة يمكن وضعها فى

اطارها الحقيقى على الصعيد الوطنى . وتعرض الرسالة لاول مرة باللغة العربية الى جانب مهم من نشاط الدلائيين السياسى وهو علاقاتهم بالدول الاوربية الكبرى ، وعملهم التجارى فى أقطار الشمال الافريقى ، كما تنشر نص معاهدات ومراسلات ووثائق أخرى مما تبادله الدلائيون مع الاجانب . وأخيرا تعنى الرسالة بالنهضة العلمية التى ظهرت فى المغرب صدر الدولة العلوية مبرزة مدى اسهام الدلائين فيها ، وتأتى باحصاء أولى للكتب التى ألفها الدلائيون أو ألفها الناس فيهم ، فى جدول يشتمل على أسماء الكتب ومؤلفيها والمكتبات التى أودعت فيها .

لقد أثبت فى الهوامش تنبيها على المراجع لمن أراد مزيد التوسع ، وأتيت فى الاخير بثبت للمصادر العربية والافرنجية مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء ، وذيلت الرسالة بعدة ملاحق تشتمل على نصوص هامة لم أثبتها فى الصلب ـ لطولها ـ حتى لاتقطع تسلسل الافكار على القارىء .

وأرجو أن يكون بحثى المتواضع هذا قد أسهم بنصيب فى توضيح فترة غامضة معقدة من تاريخنا القومى ، ومهد السبيل أمام الباحثين لدراسة التراث الادبى الضخم الذى خلفه الدلائيون .

البـــاب الاول

نشـأة الـزاويـة الـدلائيـة

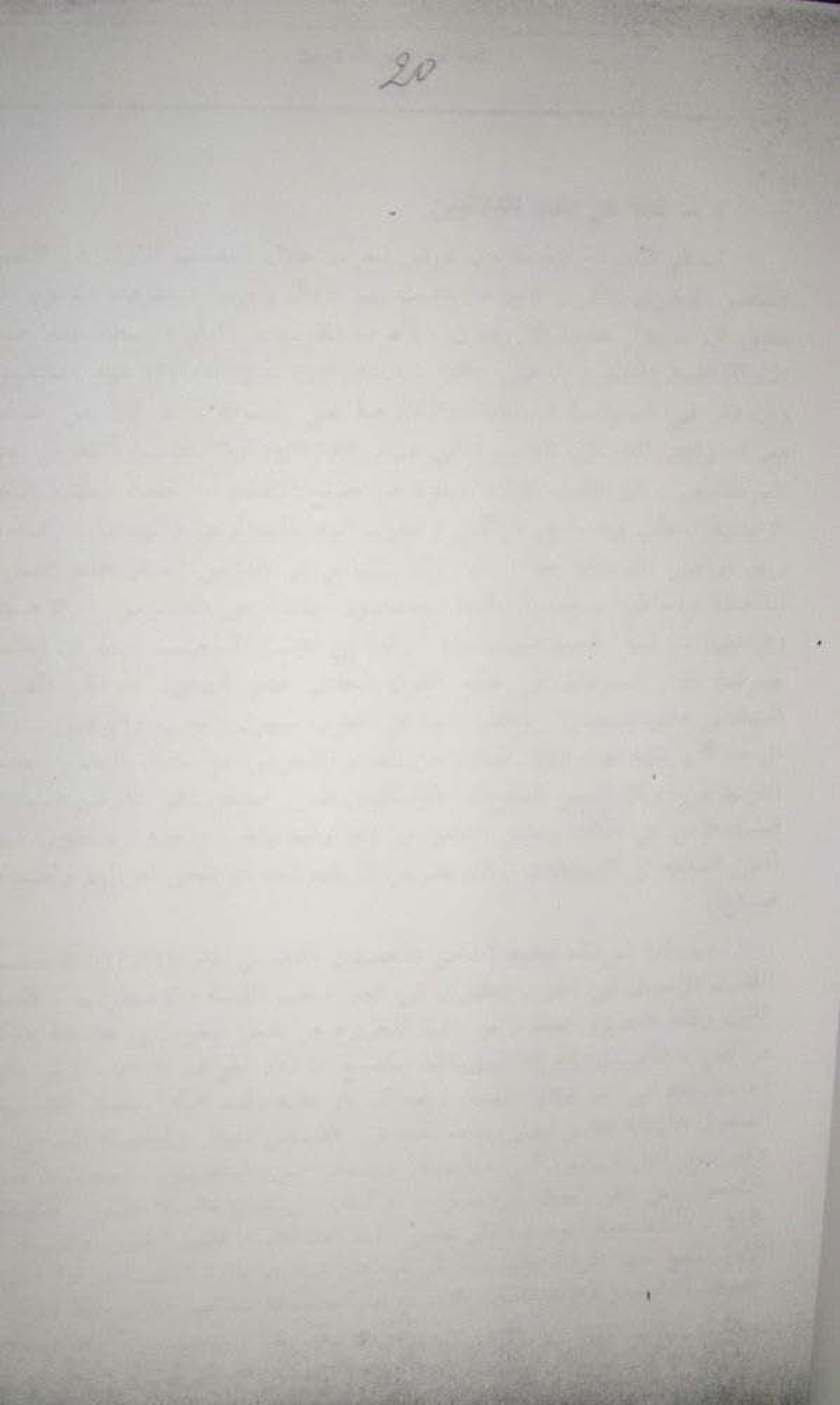
1 ـ لمحة عن عصر الدلائيين

2 ـ الزاوية والرباط والرابطة

3 ـ أصـل الـدلائييـن

4 ـ تأسيس الزاوية الدلائية

5 ـ موقع الزاوية الدلائية



1 ـ لمحة عن عصر الدلائيين

تسلم الشرفاء السعديون عرش المغرب خلال النصف الاول من القرن العاشر الهجرى (القرن 16م) فانتعشت بهم الآمال ، وبدأ استرداد الثغور التى سبق أن استولى عليها الاوربيون . وعرف المغرب فى أيام واسطة عقد هذه الدولة أحمد المنصور الذهبى (986 ـ 1578/1012 ـ 1603) (1) عهد استقرار وازدهار فى السياسة الداخلية والخارجية على السواء . اذ كان من نتائج معركة وادى المخازن الشهيرة فى عام 1578/986 والانتصار المغربى على البرتغاليين ، ان طارت للبلاد شهرة فى جميع الاقطار ، أخذت معها الدول الاجنبية تخطب ود عاهل مراكش وتتقرب اليه بالسفارات والهدايا ، رغبة فى ربط أواصر الصداقة معه ، كما تناقل الناس فى الداخل أخبار هذه المعركة الفاصلة وأحاطوا شخصية بطلها المنصور بهالة من التقدير والاجلال وازدادت منزلة أحمد المنصور رفعة فى أعين الشعب بعد أن احتلت جيوشه بلاد السودان فى مطلع القرن الحادى عشر للهجرة (أواخر القرن السادس عشر للميلاد) وتدفقت منها على المغرب سيول الذهب والرقيق . ذلك الى ما كان عليه هذا الملك العظيم من الحزم والحرص على حفظ النظام وعدم التردد فى انزال أقسى العقوبات بالمشاغبين الذين يسعون فى الارض فسادا . فساد الامن فى البلاد وعاش الناس فى دعة وطمأنينة ، وأخذوا يتنقلون من أقصى المملكة الى أقصاها دون أن يعترض طريقهم أحد أو يلحق أموالهم وأمتعتهم ضياع .

غير أنه لم تكد تخمد أنفاس المنصور الذهبى عام 1603/1012 حتى انقلبت الاحوال فى المغرب وظهرت فى الجو سحب الفتنة والاضطراب . فقد كانت وفاة المنصور فجأة وهو يتهيأ للخروج من فاس ليعود الى عاصمة ملكه مراكش ، فأصيب بالوباء الذى أخذ يكتسح اذ ذاك أطراف البلاد . ولم يكن قد بت بعد فى أمر ولاية العهد ، بعد أن ثار عليه ولده البكر محمد الشيخ المامون خليفته بفاس وولى عهده السابق ، فقبض عليه وأودعه السجن . وقد بادر أهل فاس الى مبايعة زيدان بن المنصور بمجرد ما انتهوا من دفن الملك الراحل . وكان زيدان عاملا على اقليم تادلا ، استصحبه أبوه معه الى فاس ثم استخلفه عليها قبيل وفاته . ولما بلغ خبر الوفاة والبيعة الى مراكش ثارت ثائرة أهلها ورأوا فى تصرف الفاسيين واستبدادهم بالامر دونهم استخفافا بشأنهم فبايعوا أبا فارس

1) الارقام التى تاتى بعد ذكر الملوك ، ترمز الى المدة التى ظلوا فيها متربعين على العرش .

ابن المنصور لانه كان الخليفة الرسمى لوالده بحاضرة ملكه . وبدلا من أن يسعى ذوو المكانة والنفوذ فى تلافى الامر وحل المشكل تسرع علماء فاس فأفتوا بوجوب قتال المراكشيين عملا بحديث : اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما . والتقى جيش الملكين الاخوين على ضفة نهر أم الربيع ، وكان أبو فارس لم يحضر القتال بنفسه ، وانما أناب عنه أخاه الشيخ المامون بعد اخراجه من السجن . واسفرت المعركة عن انهزام زيدان وفراره الى تلمسان ، ووجد المامون نفسه فى عزة ومنعة ، بعد أن انضم اليه جند أخيه المهزوم فقلب ظهر المجن لابى فارس وأعلن نفسه ملكا على فاس .

ظل الاخوة الثلاثة زيدان ، وأبو فارس ، والشيخ المامون يتنازعون الملك مدة طويلة ، دون أن يتم الامر لواحد منهم ، وعمت الاضطرابات أرجاء البلاد كلها ، وانتهى أمر الشيخ المامون بتسليم مدينة العرائش الى الاسبانيين عام 1610/1019 طمعا فى مساعدتهم له ، فغضب عليه الشعب وقتله فى ضواحى تطوان عام 1613/1022 . كما قتل أخوه أبو فارس خنقا قبله . وقبع زيدان أخيرا فى مراكش صارفا نظره عما وراء نهر أم الربيع ، تاركا أمر فاس وغيرها لعبد الله بن الشيخ المامون ومنافسيه من الثوار . وقد انقرض أمر السعديين فى فاس بموت عبد الملك بن الشيخ المامون فى أواخر عام 1627/1036 (1) وبقى أبناء زيدان يتوارثون امارة مراكش الى أن قتل آخرهم أبو العباس أحمد بن الشيخ بن زيدان عام 1658/1069 (2) . وعرفت هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب أواخر الدولة السعدية الى جانب المجاهد العياشى السلاوى كثيرا من أرباب الزوايا المتزعمين الذين استغلوا فرصة اضطراب الاحوال لتحقيق مطامحهم فى الحكم والرئاسة ، أمثال ابن أبى محلى السجلماسى ، وأبى زكريا الحاحى ، وأبى حسون السملالى .

---

1) تولى الشيخ المامون امارة فاس فى فترات متقطعة الى أن قتل عام 1613/1022 ، وتولى من بعده ابنه عبد الله كذلك الى أن توفى عام 1623/1032 ثم عبد الملك بن المامون الى أن توفى فى أواخر عام 1627/1036 ، وقد دخل بعد ذلك الى فاس أحمد بن زيدان السعدى وادعى الامارة فلم يتم له الامر .

2) مات زيدان بن المنصور عام 1627/1037 فتولى امارة مراكش ابنه عبد الملك الى أن قتل عام 1631/1040 ثم الوليد بن زيدان الى أن قتل عام 1636/1045 ثم محمد الشيخ بن زيدان الى أن قتل عام 1653/1063 ثم ابنه أبو العباس أحمد الى أن قتل عام 1658/1069 فانقرض بذلك أمر السعديين بالمغرب واستبد عرب الشبانات بامارة مراكش الى أن انتزع الامر من يدهم السلطان الرشيد العلوى عام 1668/1079 .

وقد شاهدت الزاوية الدلائية في بداية عهدها العصر الذهبي للسعديين ، ثم أدركت زمن الفتنة والتدهور ، غير أنها نظرا لمناعة موقعها في جبال الاطلس ولمكانة رجالها الصالحين ، استطاعت أن تحتضن الثقافة الاسلامية في عصر عصفت فيه الاضطرابات بالمراكز العلمية التقليديـة مثل فاس ومراكش . وعمرت الزاوية الدلائية زهاء قرن ظلت فيه مركز اشعاع بالعلم والدين .

2 ـ الزاوية والرباط والرابطة

لم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي الا بعد الرباط والرابطة . والرباط لغة مصدر رابط يرابط بمعنى أقام ولازم المكان . ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها . والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحو المومنين لعبادة الله وذكره ، والتفقه في أمور الدين . وجاء في القرآن الكريم: «وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل» (1) «يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» (2) وقال الرسول عليه السلام : «رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه» . وقد عرف المغرب الربط مع الفتح الاسلامي وورد ذكر «رباط ماسة» بالسوس الاقصى في أخبار عقبة بن نافع الفهري ، وموسى بن نصير ، وادريس الاول . ويذكر المؤرخون أن «رباط شاكر» المعروف اليوم بسيدي شيكر على ضفة وادي نفيس بحوز مراكش ، هو مدفن المجاهد العربي شاكر من أصحاب عقبة بن نافع وقد بنى هذا الرباط يعلى بن مصلين أحد رجال رجراجة السبعة الذين يقال انهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فأسلموا ورجعوا الى المغرب دعاة للدين الحنيف .

كان يعلى يقيم في هذا الرباط لقتال كفار برغواطة (3) ثم صار رباط شاكر «مجمعا للصالحين من قديم ولاسيما في رمضان يفدون اليه من كل حدب» (4) . كذلك أقام المسلمون رباطا آخر في شمال تامسنا ، على ضفة نهر

1) سورة الانفال ، الآية 60
2) سورة آل عمران ، الآية 200
3) برغواطة بطن من زناتة مصمودة كانوا يسكنون بلاد تامسنا فيما بين نهر أم الربيع شمالا ووادي أبي رقراق جنوبا . ولم يحسن اسلام البورغواطيين في بادىء الامر ثم كانوا من أنصار ميسرة المطغري الحقير الذي ثار على العرب عام 122 ﻫ وانتحل مذهب الخوارج الصفرية وأعلن نفسه خليفة . وبعد هلاك ميسرة تزعم احد قواد جيشه أبو صبيح طريف أمر برغواطة وأفسد عليهم دينهم . ثم خلفه ابنه صالح الذي ادعى النبوءة وشرع للبورغواطيين ديانة جديدة . وقد لقي المسلمون عنتا كبيرا من البرغواطيين خلال عدة قرون الى أن خضد شوكتهم المرابطون .
4) يوسف بن الزيات ، **التشوف** ، 26 .

أبى رقراق ، أو وادى سلا كما يسميه ابن حوقل فى كتابه **المسالك والممالك** .
وكانت مدينة سلا القديمة قد خربت فى أوائل القرن الرابع الهجرى «والناس
يسكنون ويرابطون برباط يحف بها . وربما اجتمع فى هذا المكان من المرابطين
مائة ألف انسان يزيدون وينقصون ورباطهم على برغواطة ....» (1) وتكاثرت
الربط فى المغرب ولاسيما على السواحل الى أن صارت تعد بالعشرات .

وخصص الخطيب ابن مرزوق التلمسانى المتوفى عام 1379/781 الباب
التاسع والثلاثين من كتاب **المسند الصحيح الحسن** للكلام على الربط التى
انشأها السلطان أبو الحسن المرينى (731 – 1331/752 – 1351) على
السواحل المغربية والجزائرية ، اذ كان القراصنة الاوربيون كثيرا ما ياتون
بسفنهم الى هذه السواحل ويختطفون منها أهل البوادى ليستعبدوهم فى
بلادهم. فكانت الربط التى أسسها أبو الحسن المرينى تمتد من آسفى جنوبا الى
آخر المغرب الاوسط وأول بلاد افريقية ـ تونس ـ «اذا وقعت النيران فى
أعلاها تتصل فى الليلة الواحدة أو فى بعض ليلة . وذلك فى مسافة تسير فيها
القوافل نحوا من شهرين ، وفى كل محرس منها رجال مرتبون نظار وطلاع
يكشفون البحر فلا تظهر فى البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا
والتنفير يبدو فى المحارس فأمنت السواحل فى أيامه السعيدة ....» (2) .

وتأتى الرابطة بمعنى الرباط سواء فى الاطلاق على مكان الجهاد أو مكان
العبادة ، وان كان بعضهم يسمى الجيش المقيم فى الربط رابطة . (3)
وقد سمى المؤرخون «رابطة» المكان الذى أقام فيه عبد الله بن ياسين
وجماعة من اللمتونيين الصنهاجيين فى احدى الجزر الساحلية بأقصى الجنوب
المغربى ، وذلك فى أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) .
وتلاحق الصنهاجيون برباط ابن ياسين لينقطعوا معه فيه الى عبادة الله تعالى ،
وليتعلموا منه أمور دينهم الى أن بلغ عددهم نحو ألف رجل فدعاهم لجهاد
القبائل الزائغة عن تعاليم الاسلام ، وتطور أمرهم الى أن كونوا دولة المرابطين.
وقد ذكر ابن الزيات التادلى المتوفى عام 1230/627 فى كتابه **التشوف** أحد
عشر رباطا وتسع رابطات ، أكثر أسمائها بربرية . مثل رباط (تيطنفطر)
ـ عين الفطر ـ الذى يقع على ساحل المحيط الاطلنطى جنوبى مدينة الجديدة ،

---

1) ابن حوقل ، **المسالك والممالك** ، ص 56 .
2) الخطيب ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن** ، ص 49/157 .
3) محمد بن على الدكالى ، **كتاب فى الرباطات** ، ص 2 .

على بعد نحو 11 كلم ، وهو اليوم خراب ويسمى تيط . وكرباط (تينمل) بالاطلس الكبير ، الذي هو دار المهدى بن تومرت ، ورباط (تانوتن) من بلاد دكالة ، ورباط (تاسماطت) من عمالة مراكش ، وكرابطة (آنبدور) خارج سجلماسة ، ورابطة (تامنغاطت) بالقرب من ساحل آنفا : الدار البيضاء .

أما الزاوية فهى عبارة عن مكان معد للعبادة ، وايواء الواردين المحتاجين واطعامهم . وتسمى فى الشرق خانقاة وهو لفظ أعجمى يجمع على خانقاهات أو خانقاوات أو خوانق . وقيل فى تعريف الزاوية المغربية انها : «مدرسة دينية ودار مجانية للضيافية . وهى بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير فى العصور الوسطى» (1) ولم تعرف الزاوية فى المغرب الا بعد القرن الخامس الهجرى ، وسميت فى بادىء الامر (دار الكرامة) ، كالتى بناها يعقوب المنصور الموحدى فى مراكش ، ثم أطلق اسم (دار الضيوف) على ما بناه المرينيون من الزوايا ، كالزاوية العظمى التى أسسها أبو عنان المرينى فى خارج فاس وهى التى ذكرها ابن بطوطة فى رحلته . وقد جدد الدلائيون بناءها أيام انتشار نفوذهم فى العاصمة الادريسية . فظن بعض المؤرخين أنهم مؤسسوها (2) ومن أقدم الزوايا التى حملت هذا الاسم فى المغرب زوايا الشيخ أبى محمد صالح الماجرى (631/33 – 1234) فى آسفى ، وقد تعددت زواياه حتى بلغت ستا وأربعين ، وانتشرت فيما بين المغرب ومصر ، اذ كان هذا الشيخ يشجع أصحابه على حج بيت الله الحرام ، واستكثر من اتخاذ الزوايا فى الطريق التى يسلكها ركب الحجاج ليأووا اليها فى مراحل سفرهم الطويل . وفى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) تكاثرت الزوايا فى المغرب ، ونمت حولها مدارس استقر فيها طلبة العلم ، الامر الذى حدا بملوك بنى مرين أن يشيدوا كذلك مدارس بجانب المراكز التعليمية الكبرى خصوصا جامع القرويين بفاس. وقد أفرد الخطيب ابن مرزوق التلمسانى الباب الواحد والاربعين من كتاب **المسند الصحيح الحسن** لذكر المدارس الكثيرة التى أسسها السلطان أبو الحسن المرينى (3) .

وتطور أمر الزوايا بالمغرب خلال القرن العاشر الهجرى «السادس عشر الميلادى» حيث تغلب النصارى على المسلمين فى الاندلس وساموهم سوء

1) **دائرة المعارف الاسلامية** ، العدد التاسع من المجلد العاشر ، ص 332 .
2) محمد بن على الدكالى السلوى ، **الكناشة العلمية** ، ص 278 . وقد ذكر ابن بطوطة زاوية أبى عنان فى موضعين من رحلته (الطبعة الاولى بمطبعة وادى النيل – القاهرة عام 1287هـ) فى صحيفة 22 وصحيفة 177 . وقال انها أعظم زاوية شهدها فى المغرب والمشرق تقع على غدير الحمص (وادى الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد) . ولا يوجد فى هذا الموقع اليوم الا بقايا أسوار يظن أنها اطلال تلك الزاوية العظمى .
3) الخطيب ابن مرزوق ، **المسند الصحيح الحسن** ، ص 158 وما بعدها .

العذاب ، ثم امتدت أطماعهم الى احتلال الثغور المغربية وضعفت الدولة الوطاسية عن الدفاع عن حوزة الوطن . هنالك بدأت الزوايا تتدخل فى شؤون البلاد السياسية وتدعو الى الجهاد ومقاومة الاجنبى . ووجد نداء الصوفية آذانا صاغية ، فهب الشعب يذود عن حمى البلاد وحمل السلاح معهم فقادوه فى معارك ظافرة انتهت بطرد البرتغال من الثغور التى كان يحتلها فى الجنوب ، ونصب رجال الزوايا الشريف أبا عبدالله القائم السعدى (915 ـ 1510/923 ـ 1517) ملكا على المغرب . وقد كان تأسيس الزاوية الدلائية فى عهد الدولة السعدية هذه .

3 ـ أصل الدلائيين

تطلق كلمة (الدلاء) على الارض التى أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربى للاطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا. ولفظ الدلاء عربى (جمع دلو: اناء يستقى به الماء.) استعمله بهذا المعنى ـ مقصورا وممدودا ـ كتاب عاشوا فى الزاوية الدلائية ، مثل الحسن اليوسى ، ومحمد المرابط الدلائى . واذا كان من المستغرب اطلاق هذا الاسم العربى القح على بقعة تقع فى وسط بربرى صرف فانا لاندرى كذلك لهذه التسمية سببا ولا تاريخا ، اللهم الا مايبدو من تقارب لفظى بين الدلا وتادلا ، الامر الذى يجعلنا نفترض أن الاسمين كانا مترادفين لمسمى واحد . ويؤيد هذا الافتراض أن عبد العزيز الفشتالى ـ وهو معاصر للزاوية الدلائية ـ أطلق لفظ الدلا على تادلا حينما تحدث عن توزيع المنصور الذهبى لاقاليم المملكة على أبنائه ، فقال : «... وعقد للمولى زيدان أصغرهم على الدلا ، ثم بدا له أن يديل كلا منهما بالآخر فنقل المولى أبا الحسن للدلا وعقد له على أعمالها وشفعها له ببلاد أدخسان (1) جارتها والمتاخمة لاعمالها» (2) ونحن نعلم من سائر المصادر التاريخية أن ولاية زيدان وأبى الحسن ابنى المنصور كانت شاملة لاقليم تادلا كله. ولعل الزاوية الدلائية بعد أن اشتهرت خصوصا عندما تزعمت الحركة السياسية بالمغرب اختصت باسم الدلا ، بينما بقيت السهول المجاورة لها تسمى تادلا . ونجد المؤرخ أبا القاسم الزيانى (يبرر

1) أدخسان : جبل فى الاطلس المتوسط بالقرب من خنيفرة . وهناك قلعة تدعى أيضا أدخسان.
انظر أبا القاسم الزيانى ، **الترجمانة الكبرى** ، ص 463 .

2) عبد العزيز الفشتالى ، **مناهل الصفا** ، ص 191 .

اللوحة رقم 2



1

صحن مسجد أبي بكر في الزاوية الدلائية القديمة

عن مجلة هسبريس

اللوحة رقم 3



بقايا صومعة مسجد أبي بكر في الزاوية الدلائية القديمة

تصوير المؤلف

أحيانا لفظ الدلا فيكتبه (يدلا) (1) وذلك ما نجده جاريا على ألسنة سكان تلك الناحية حتى اليوم .

ينتسب الدلائيون الى قبيلة مجاط ، احدى فروع صنهاجة التي هي جذم من البرانس الذين يرجع اليهم مع البتر جميع انساب البربر (2) . ولا عبرة بما ادعاه بعض المؤرخين المتأخرين من رفع نسب الدلائيين الى أبى بكر الصديق (3) وانما هم – بناء على انتساب الدلائيين أنفسهم – من قبيلة لمتونة الصنهاجية التي كانت تسكن بأقصى الصحراء المغربية ، وفصيلتهم القربى هي بنو الطالب ، ويقال لهم بلسان البربر (آيت يتيذر) في عداد قبائل الاطلس المتوسط . وكانت مساكن مجاط قبل انتقالهم الى الدلا على ضفاف نهر ملوية (4) العليا فيما بين تونفيت وميدلت ، ثم تفرق المجاطيون بعد ذهاب عزهم أيدى سبأ ، واستقروا في جهات مختلفة بالمغرب كما سنراه في الباب الاخير .

وأول من استوطن من المجاطيين أرض الدلاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المجاطي ، ثالث أجداد الشيخ أبى بكر مؤسس الزاوية الدلائية ، وذلك في أواخر القرن الثامن الهجرى ، بناء على القاعدة التي ذكرها ابن خلدون من أن كل مائة سنة لايسعها الا ثلاثة آباء . (5) «وكان بنو مرين يعظمون السادات الدلائيين غاية ، وربما قاموا وأجلسوا أحدهم في مكانهم» (6) .

---

1) أبو القاسم الزياني ، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاى الشريف** ، ورقة 1/5 .

2) ابن خلدون ، **العبر** (القسم الذى نشره دسلان) ج ، 1 ، ص ، 106 .

3) رفع نسب الدلائيين الى أبى بكر الصديق محمد بن أبى بكر اليازغي في **حدائق الازهار الندية** ، وعبد الودود التازى في **نزهة الاخيار المرضيين** ، وسليمان الحوات في **البدور الضاوية** .

4) ذكر الاستاذ أحمد بن قاسم المنصورى في كتابه : **تاريخ زيان** تفاصيل مهمة عن مجرى نهر ملوية اختصرها فيما يلي : نهر ملوية من الاودية العظام بالاطلس المتوسط ومنبعه من عين تسمى (عين سيت) في الاطلس الكبير ببلاد آيت يحيى مركز تونفيت في سفح جبل يسمى (توجيط) ثم يهبط ماؤها نحو الشمال ويلتقي بعيون أخرى فتتكون منها أودية صغار ، كزادى (توالت) ووادى (أنزكمير) الكل من دائرة ميدلت ، فيهبط الجميع قاصدا الشمال من تحت مدينة ميدلت على نحو 30ك غربيها . وهنا يظهر تضخم نهر ملوية ويتجه نحو (الاقصابي) على 50ك شمال ميدلت ثم مركز ميسور على 80ك من ميدلت ثم مركز أوطاط الحاج ، ومنه يدخل تراب المغرب الشرقي فيصل الى مدينة كرسيف حيث تطل عليه جبال رشيدة . ويستغل نهر ملوية من أوائل منبعه في قبائل بربرية من دائرة ميدلت كآيت يحيى ، وآيت عياش ، وآيت يزدك . . .

5) ابن خلدون ، **المقدمة** ، طبعة دار الكتاب اللبناني 1961 ، ص 304 .

6) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 1/5 .

ولا يعرف للشيخ عمر المجاطى ولا لابنه أحمد تاريخ ولادة ولا وفاة ، وانما يذكر للاول اجتهاد فى العبادة ، وللثانى علم وصلاح . أما الشيخ سعيد ابن أحمد بن عمر فقد كان حيا عام 953 هـ (1546 م) وذكر فى حقه صاحب **نزهة الفكر** (1) أنه «كان طالبا قارئا فاضلا خيرا دينا فائقا مكثرا للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مولعا بها (. . . .) وكان له عند أمراء وقته التعظيم التام ، والتوقير الكثير والاحترام ، لما كان عليه من الاشتغال بالعلم والدين ، وما سلف من العلم والصلاح فى آبائه الاقدمين ، رحمة الله عليهم أجمعين . وكانت عنده ظواهر (كذا) ملوكية من بنى مرين وبنى وطاس وغيرهم تتضمن الاحترام والتوقير والتنزيه عن الوظائف الجارية على العامة والتحرير وتتضمن قطاعات (كذا) لارضين له ببلاده واستمرت بأيدى بنيه من بعده من أولاد الشيخ سيدى أبى بكر الى أن كانت رحلتهم لتلمسان ففقدت» (2) .

وهناك ظهير للسلطان محمد الشيخ السعدى (951 – 964/1544 – 1557) يوصى بتعظيم سعيد بن أحمد الدلائى ، ويشير الى وجود ظهائر قديمة عنده ويقره على التصرف فى اقطاعاته (3) . ولا نعرف عن الشيخ محمد بن سعيد الدلائى ، الذى يدعى بلسان قومه (حمى) الا انه كان موسر الحال ، مستقيم السيرة ، سنيا تقيا ، خلف ولدين هما أبو اسحاق ابراهيم ، وأبو الجمال أبو بكر مؤسس الزاوية .

4 – تأسيس الزاوية الدلائية :

لانعرف بالضبط متى وجدت زاوية الدلاء ، غير انه يمكننا الاطمئنان الى القول بأن تأسيسها كان فى الثلث الاخير من القرن العاشر الهجرى ، حوالى عام 974هـ 1566م أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائى باشارة من شيخه أبى عمر القسطلى (4) . فقد ذكرت كتب التراجم أن هذا الشيخ كان يكرم

---

1) **نزهة الفكر فى مناقب الشيخين سيدى محمد ووالده سيدى ابى بكر** لعبدالسلام بن الطيب القادرى المتوفى عام 1110هـ أحد المصادر المهمة التى اعتمد عليها صاحب **البدور الضاوية** .

2) نقله عن **نزهة الفكر** سليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ورقة 1/7 .

3) انظر نص هذا الظهير فى ملحق رقم 1 .

4) الشيخ أبو عمر القسطلى من ذرية الشاعر الاندلسى الشهير ابن دراج القسطلى كاتب المنصور ابن أبى عامر وشاعر بلاطه . ونسبته الى قسطلة : مدينة بالاندلس يقال لها قسطلة دراج . وعد الامام ابن حزم فى **الجمهرة** أسرة هذا الشاعر من بين برابر صنهاجة . توفى الشيخ القسطلى عام 974/1566 ودفن برياض العروس بمراكش . وفى الخزانة الملكية كتاب لمؤلف مجهول يضم طائفة من كلام الشيخ القسطلى فى التصوف.

اللوحة رقم 5



منظر عام لزاوية آيت اسحاق
المبينة على انقاض الزاوية الدلائية الحديثة

تصوير المؤلف



واجهة ضريحي الشيخين الدلائيين أبي بكر ومحمد في الزاوية الدلائية القديمة

الواردين على زاويته بمراكش بحسب اقدارهم وطبقاتهم ، ويقدم لهم من صنوف الاطعمة ما لايستطيع عمله الا كبار الموسرين وأرباب الدولة . وقد أمر الشيخ القسطلي أبا بكر الدلائي باتخاذ زاوية له فى أرض الدلا يطعم فيهاالطعام على نحو ما يفعله هو بمراكش . فلم يسع أبا بكر أمام الحاح شيخه الا أن يبنى الزاوية الدلائية البكرية (1) ويفتح أبوابها فى وجه المريدين والزائرين .

ولا يقتصر مدلول الزاوية الدلائية على هذا المسجد الخاص الذى أسسه أبو بكر وانما يشمل كافة القرية القائمة حوله بدورها وأسواقها ومساجدها وسائر مرافق الحياة الضرورية لها ، وهو أمر نجد له مثيلا فى اخواتها الباقية لعصرنا الحاضر ، كزاوية سيدى حمزة بجبل العياشى قرب ميدلت، والزاوية الناصرية بتامكروت ، وزاوية آيت اسحاق التى قامت نفسها على أنقاض الزاوية الدلائية الحديثة . ولاشك فى أن الزاوية الدلائية باعتبار مدلول القرية ، لم توجد دفعة واحدة ، وانما اجتازت مراحل فى تشييد مبانيها طيلة حياة الشيخ أبى بكر الدلائى الذى «كانت له المآثر الحسان ، التى لايصدر مثلها الا عن سلطان ، كبناء القناطر ، وحفر العيون واجراء مائها ، وتوسعة الاودية وبنائها ، وشراء الرباع فى غالب البلاد وتحبيسها على الطلبة والضعفاء والمساكين ، وتشييد مبانى الزاوية حتى كانت فى عداد المدائن ، التى يكل اللسان عن وصف ما لها من المحاسن» (2) .

ولقد تفرعت عن الزاوية الدلائية هذه ، مدينة أخرى تقع جنوبيها على بعد نحو 12 كلم ، أنشأها فى سفح الجبل حفيد الشيخ أبى بكر ، السلطان محمد الحاج بن محمد الدلائى عام 1048/1638 ، فورثت عن قرية الدلاء القديمة اسم الزاوية الدلائية البكرية . وسماها بعض المؤرخين مدينة الدلاء زاوية محمد الحاج (3) أو مدينة أزغار (4) وهناك نص من القرن الحادى عشر يدل بوضوح على وجود زاويتين دلائيتين اثنتين ، احداهما عاصمة الامارة الدلائية والاخرى قرية فيها قبور الدلائيين . وذلك فقرة من رسالة (5) وجهها الفقيه

1) تدعى الزاوية البكرية ايضا نسبة لمؤسسها الشيخ أبى بكر الدلائى .

2) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 1/19 .

3) أبو القاسم الزيانى ، **الترجمانة الكبرى ، التى جمعت أخبار العالم برا وبحرا** ، ص 463 .

4) عبد الله العياشى ، **الاحيا والانتعاش ، فى تراجم سادات زاوية ايت عياش** ، ورقة 249 . وازغار كلمة بربرية تدل على البسيط من الارض .

5) هذه الرسالة طويلة تشتمل على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة . انظرها بتمامها فى **الاحيا و الانتعاش** من ورقة 247 الى ورقة 263 .

محمد بن عبد الجبار (1) الى شيخه أبى سالم العياشى صاحب الرحلة المشهورة وكان اذ ذاك غائبا بالحرمين الشريفين ، يتحدث له عن المسغبة التى حلت بالمغرب عام 1071/1661 يقول فيها : «والقرى التى حول الزاوية مدينة الدلاء ودار المغرب فى تلك الازمنة قد خربت كلها الا ما كان من ثلاث قرى . منها قرية تعرف بالدلاء وفيها قبور أولئك الملوك ..» (2)

ونجد فى شعر أبى على اليوسى تلميذ الزاوية الدلائية اشارة الى المدينتين الدلائيتين العليا والسفلى : لقد قال مرة حينما طلع الى الزاوية الدلائية القديمة :

رحلت وقد نزلت على الدلاء — وخلفت الحضيض الى العلاء
وخلفى عصبة يدرون غيبى — مغيب الغيث عن قوم ظماء
فقل لهم اذا ظمئوا استغيثوا — ببحر لايكدر بالدلاء (3)

5 ـ موقع الزاوية الدلائية :

لقد وقع إضطراب كبير فى تحديد موقع الزاوية الدلائية بسبب تخريبها وانطماس معالمها . فأشار اليها بعض مؤرخى القرن الماضى اشارات عامة غامضة ، كقولهم انها تقع على ثلاث مراحل من فاس مكتنفة بين بجانة وحسكورة وتادلا (4) وجاء الاوربيون فى مطلع هذا القرن يتحدثون عن الزاوية الدلائية وموقعها بأحاديث متضاربة (5) ثم نشر أحد جهابذة مؤرخينا فى السنة الماضية كتابا قال فيه : «لايعرف بالضبط موقع هذه الزاوية الآن ، وانما المحقق أنها كانت تقع بناحية وادى أم الربيع قريبا من تادلة . ولعلنا لانخطىء اذا عينا لها بلاد تافسنا المعروفة اليوم بالشاوية ، ومن ثم شهر بعض الدلائيين بنسب المسناوى» (6) وذكر مؤرخ مغربى كبير آخر فى مقال نشره

1) محمد بن عبد الجبار تلميذ أبى سالم العياشى ، كان شاعرا نحويا فقيها له عدة مؤلفات انظر ترجمته فى **الاحيا و الانتعاش** ، ورقة 229 .

2) عبد الله العياشى ، **الاحيا والانتعاش** ، ورقة 255 .

3) محمد بن على الدكالى السلوى ، **مجموع فيه اخبار الدلائيين** ، ص ، 25 .

4) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 5/ب .

5) H. De Castries, *Les sources Inédites de l'Histoire du Maroc,* France - Tome III, p. 574.
— Lévi Provençal, *Les Historiens des Chorfa,* p. 300.
— La Mission Scientifique du Maroc, *Villes et Tribus* - Rabat et sa région - Tome I, p. 77.
— La section Sociologique D.G.A.I. *Archives Marocaines* - Volume 28, Editorial.

6) عبد الله كنون ، **النبوغ المغربى** ، ج 1 ، ص 269 .



تصوير المؤلف

- الباب والقبة لمسجد آيت اسحاق - الزاوية الدلائية الحديثة -



مكتب قائد زاوية أيت اسحاق المبني في موقع المسجد الاعظم
في الزاوية الدلائية الحديثة

تصوير المؤلف

منذ شهور فقط، أن الزاوية الدلائية «درست معالمها لدرجة انه لم يتوصل بعد الباحثون الى تعيين المحل الذى كانت به» (1) .

والواقع أن هناك زاويتين دلائيتين ، قديمة وحديثة ما تزال أطلالهما قائمة الذات ماثلة للعيان حتى اليوم . ويعرف سكان ناحية خنيفرة الزاوية القديمة باسم (آيت يدلا) أى أهل الدلاء ، ويروى شيوخهم بالتواتر ما كان لهذه البقعة الطيبة من ماض علمي مجيد . وعندما زرت هذه الزاوية لاول مرة يوم 25 ذى الحجة 1381/30 ماى 1962 صحبة الاستاذ أحمد بن قاسم المنصورى صاحب **تاريخ زيان** (2) التف حولنا كثير من سكان الدلاء ، ومن بينهم شيخ فان يشرف على التسعين ظل يحدثنا بلهجته البربرية عن أخبار الزاوية وصلحائها وعلمائها حديثا تختلط فيه الحقائق بكثير من الاساطير .

تقع الزاوية الدلائية القديمة التى أسسها الشيخ أبو بكر الدلائى على ربوة فى سفح جبل (بوثور) بينه وبين جبل (تاغوليت) ، وتنحدر فى شرقيها شعبة (اقا ايزم) أى شعبة الاسد ، وتتفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع فى الشعاب . وفيها بقايا المسجد الذى أسسه أبو بكر الدلائى ، حيث يرى الزائر صفين من السوارى والحنايا قائمين بجهة القبلة ، والمنار المتهدم الذى لم يبق منه سوى العمود الداخلى الذى تلتف حوله الدرج على ارتفاع بضعة أمتار، وجدران القبتين المشيدتين على ضريحى الشيخين الدلائيين أبى بكر وابنه محمد، وقد نبتت أشجار التين والعليق والشوك بكثرة فى جوانب المسجد حتى غطته وجعلت التنقل فى داخله متعذرا (3) .

أما الزاوية الدلائية الحديثة التى بناها السلطان محمد الحاج الدلائى فهى التى تقوم على أنقاضها زاوية آيت اسحاق الحالية . فى الطريق التى تربط بين خنيفرة وقصبة تادلا (4) . وما تزال حتى اليوم آثار الاسوار العظيمة التى كانت تحيط بهذه المدينة ممتدة على مسافات شاسعة ، ترتفع أحيانا عن سطح الارض قليلا وتساويه أخرى أو تختفى تحت ركام التراب . وتوجد داخل هذه الاسوار المتهدمة أسوار أخرى ما تزال قائمة بأبراجها ، لعلها كانت تحيط

1) محمد الفاسى ، **مجلة البينة** ، السنة الاولى ، العدد الثانى ، يونيه 1963 ، ص 64 .
2) انظر نص قصيدة قالها الاستاذ المنصورى فى زيارتنا لاطلال الزاوية الدلائية ، فى ملحق رقم 2
3) انظر اللوحات رقم 1 – 2 – 3 – 4
4) تبعد زاوية ايت اسحاق عن خنيفرة بنحو 35 كلم، وعن قصبة تادلة بنحو 64 كلم.

بقصر السلطان محمد الحاج الدلائي وفي داخلها مسجد جدد سقفه أخيرا ، وبقايا أقواس الديوان (1) .

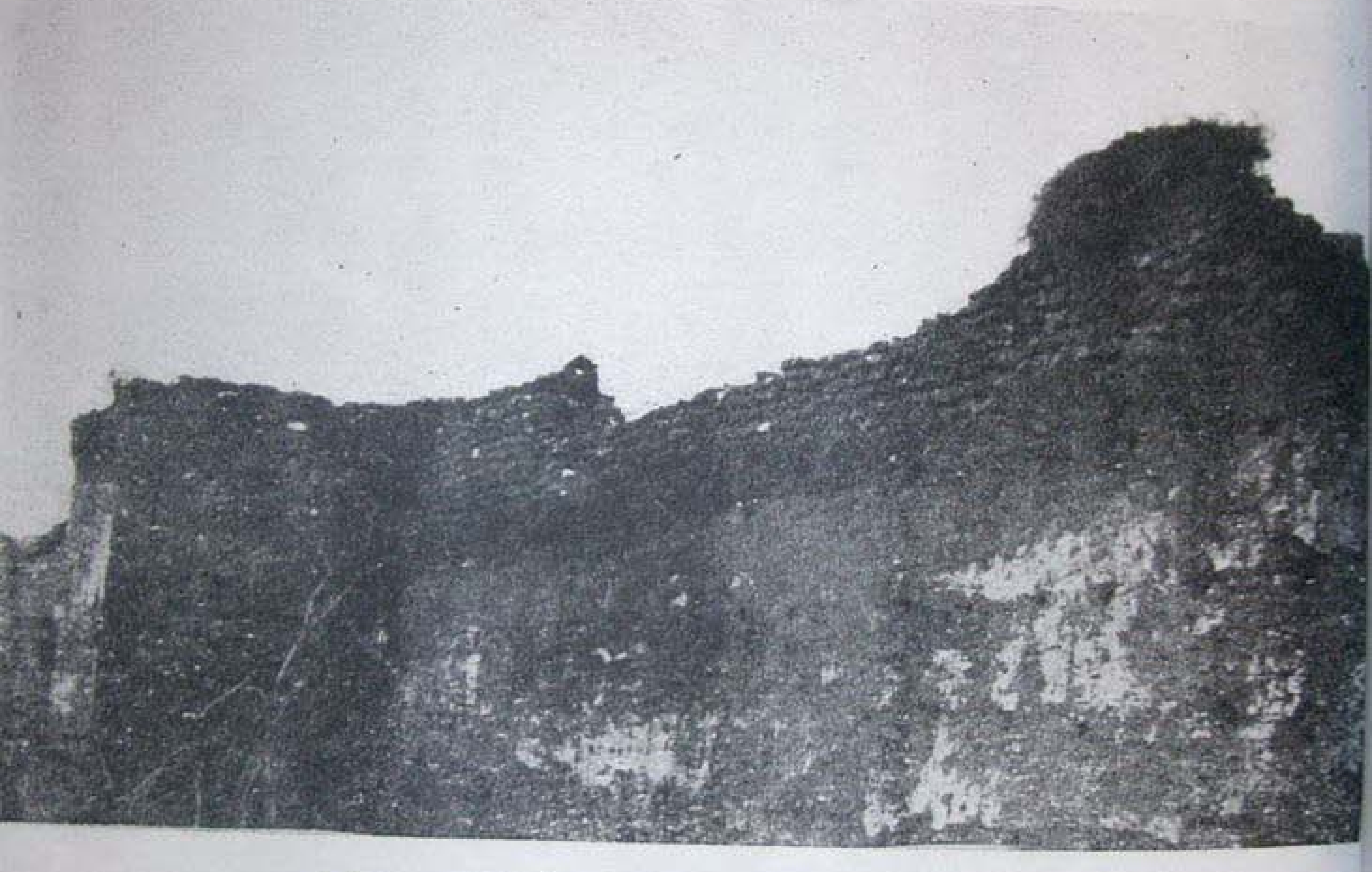
وقد نشر ر. هنري R. HENRY مقالا في مجلة هيبيريس HESPERIS سنة 1944 (2) تحت عنوان : أين كانت تقع الزاوية الدلائية ؟ تحدث فيه عن الزاويتين ووصف ما وقف عليه من آثارهما ، مضيفا الى ذلك روايات استقاها من فقيه قرية معمر وقائد آيت سخمان المكي امهاوش وغيرهما ، وأثبت ر. هنري كل ما سمعه من محدثيه دون أن يكلف نفسه عناء البحث والتحميص والرجوع الى المصادر التاريخية للتأكد من صحة تلك الروايات ، لكن صاحب المقال كان له على أي حال فضل السبق لاكتشاف موقع الزاويتين الدلائيتين ، والتنبيه الى بعض النصوص التي وردت في كتاب **الاحيا والانعاش** ، وهي تتحدث عن الزاوية الدلائية القديمة ، ومدينة محمد الحاج عاصمة امارة الدلائيين . ويمتاز هذا المقال أيضا بما وصف صاحبه من أسوار مسننة كأسوار فاس ، وقد اختفت هذه الاسوار اليوم تماما كما اختفى المسجد الاعظم ومناره الشامخ وباب مجاط الكبير الذي كان يطل على وادي أهل آزمور (آسيف نايت زمور) وقنطرته (3) وذلك بسبب تحطيم جنود الاحتلال الفرنسي هذه الآثار واستخدام أنقاضها في بناء المكاتب الادارية والثكنات العسكرية . وقد حدثني بعض شيوخ زاوية آيت اسحاق أنه شاهد هدم الفرنسيين الاسوار القديمة وغيرها مستعملين في ذلك الالغام المتفجرة . وفي أثناء هدم صومعة المسجد التي كانت قائمة وراء المكتب الحالي للقائد وبعد نقض أجزائها العليا ، سقطت دفعة واحدة على اثر تفجير لغم قوي فيها ، فغطت مساحة كبيرة من الارض وادرك حطامها أحدجنود الكوم فمزق شلوه. ولما كان جنود الفرقة الثالثة يحفرون أسس مباني الثكنات العسكرية بزاوية آيت اسحاق سنة 1941 اكتشفوا بعض القنوات التي كانت تجلب المياه الى مدينة محمد الحاج وتوزعها تحت الارض على الدور كما هو الحال بفاس .

1) انظر اللوحات أرقام 5 ـ 6 ـ 7 ـ 8

2) **Hespéris**, T. 36 - p. 49.

3) انظر اللوحة رقم 9

اللوحة رقم 8



بقايا أسوار داخلية يظن أنها كانت تحيط بقصر السلطان محمد الحاج
في الزاوية الدلائية الحديثة (زاوية آيت اسحاق)

تصوير المؤلف

بقايا قنطرة وادي أعلى آزمور (آسيف نايت زمور)
بجوار الزاوية الدلائية الحديثة

تصوير المؤلف

الباب الثاني

تعاليم الزاوية الدلائية

1 ـ الزاوية الدلائية كمركز ديني

ا) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية

ب) اطعام الطعام في الزاوية الدلائية

ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوي الشريف

2 ـ طريقة الزاوية الدلائية

ا) سند الدلائيين في الشاذلية

ب) اذكار الزاوية الدلائية

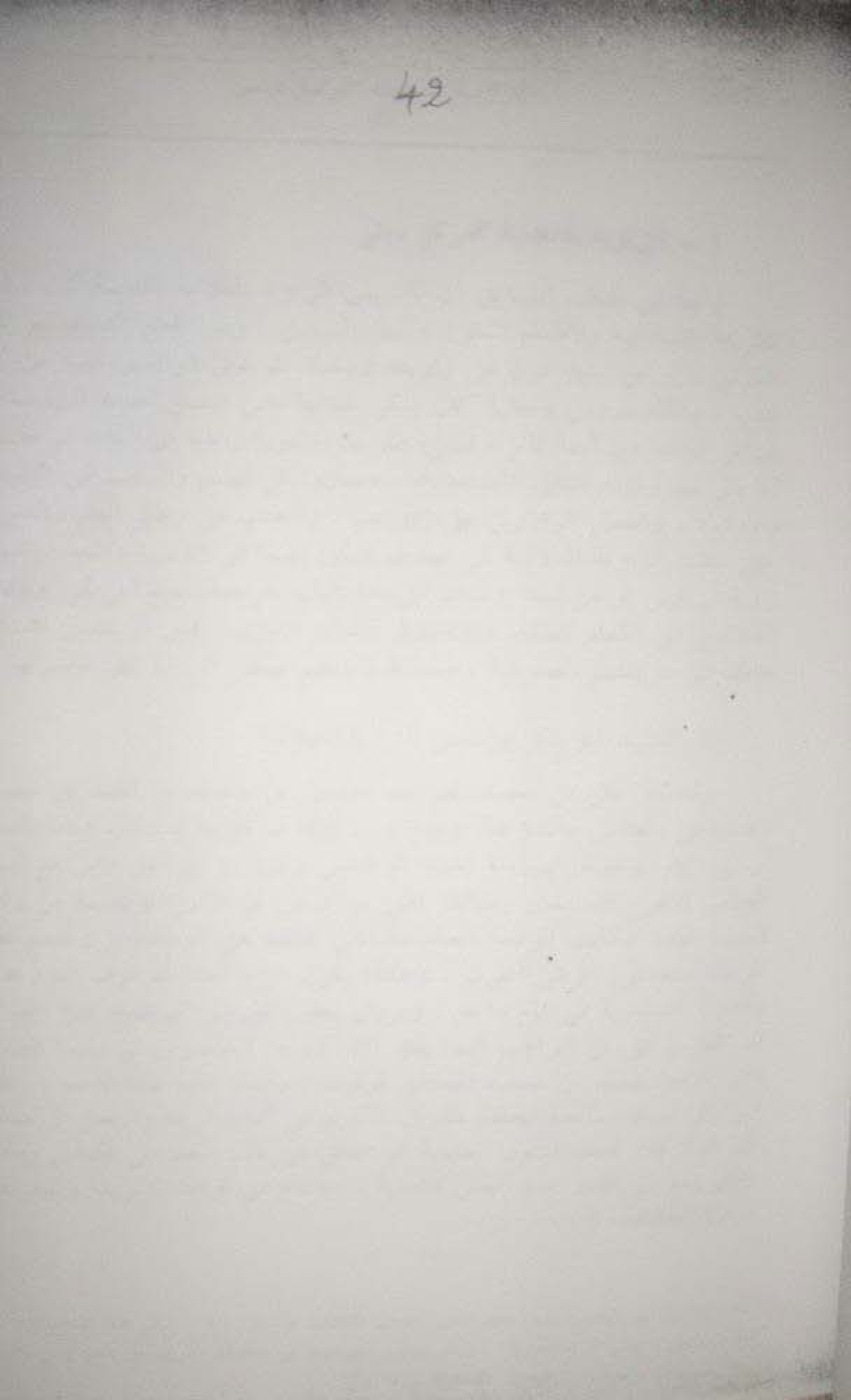
ج) مريدو الزاوية الدلائية

3 ـ علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا

ا) الزاوية الناصرية

ب) الزاوية الفاسية

ج) الزاوية العياشية



1 ـ الزاوية الدلائية كمركز ديني

رأينا في الباب السابق أن تأسيس الزاوية الدلائية القديمة كان لنشر الطريقة الشاذلية ولاطعام الفقراء وأبناء السبيل . وقد انقطع الشيخ أبو بكر الدلائي أزيد من ثلث قرن في زاويته لارشاد المريدين الوافدين عليه من كل حدب ، والقاء دروس وعظية كان يبكي خلالها حتى تبتل لحيته البيضاء ، فيتأثر الحاضرون أيما تأثر وتمتلىء قلوبهم خشوعا وانابة الى الله . ثم خلف أبا بكر بعد وفاته أبناؤه الصلحاء ، فساروا على نهج والدهم في الوعظ والارشاد ، واطعام الواردين على زاويتهم ، والحدب على رجال العلم والدين ، حتى بلغت الزاوية الدلائية في عهدهم شأوا بعيدا في الشهرة والمجد لم تبلغه زاوية من قبل أو من بعد. وسنلم في هذا الباب بترجمة الشيخ أبي بكر، وعادات الدلائيين في اطعام الطعام والاحتفال بالمولد النبوي ، قبل أن نشير اشارة خاطفة الى طريقتهم الصوفية ، وعلاقة زاويتهم ببعض الزوايا التي عاصرتها .

أ) الشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية

ولد أبو بكر بن محمد المعروف بحمي بن سعيد بن أحمد بن عمر الصنهاجي المجاطي بالدلا عام 943/36 ـ 1537 ـ تقريبا ـ وكان هذا العام يسمى (عام بوعقبة) لمقابلة أحمد الوطاسي وجيشه من أهل فاس مع أبي العباس الاعرج السعدي ومقاتلة أهل مراكش على مشرع بوعقبة من وادي العبيد بتادلا فكانت الوقعة الحاسمة التي قضت على الوطاسيين وتسنم على اثرها السعديون عرش المغرب . وهكذا يكون شيخ الدلاء قد عرف النور هو والدولة السعدية في عام واحد . ويروي بعض المؤرخين أن شيخ تادلا الصالح أبا الحسن علي بن ابراهيم البوزيدي (1) كان من الحاضرين في وليمة العقيقة التي أقامها محمد بن سعيد المجاطي لمولوده ، وأشار عليه بهذا الاسم . ونشأ أبو بكر نشأة صالحة فحفظ القرآن الكريم في كتاب قريته وارتحل الى مدشر أبي عباد (2) لتعلم المتون العلمية ثم انتقل في طلب العلم الى مكناس وفاس «حتى بلغ في أقصر مدة أقصى الامنية ، فتضلع في قواعد الشريعة وتبحر في موارد الحقيقة» (3) .

---

1) الشيخ أبو الحسن البوزيدي دفين أقرض المشهور ببسيط تادلا . توفي عام 1549/956.

2) مدشر . يعني قرية صغيرة . ويقع مدشر أبي عباد في منتصف الطريق بين الدلا وأبي الجعد.

3) سليمان الحوات . **البدور الضاوية** ورقة 1/9 .

على أن أبا بكر منذ صباه لم يكن شغوفا بالعلوم الظاهرة شغفه بصفاء الباطن وسمو الروح فأقبل على عبادة الله والتعرف على الصالحين من أوليائه وكان اتصاله بالشيخ أبى عمر القسطلى نقطة تحول فى حياته ، انصرف بعدها نهائيا عن الاشتغال بالثروة الطائلة التى خلفها له والده منقطعا الى الدعوة الى الله وارشاد العباد وهدايتهم . ويذكر المؤرخون قصة طريفة لهذا الاتصال ، وهى أن أبا بكر الدلائى سافر الى مراكش حاضرة السلطان عبد الله الغالب السعدى (965 – 1557/981 – 1574) لتجديد الظهائر القديمة المتضمنة لاحترام الدلائيين وتعظيمهم . فلما وصل الى القصبة التى هى مقر سكنى الملك وحاشيته ، جعل يتردد هل يتوجه الى البلاط أولا لقضاء ما جاء من أجله ، أم يبدأ بزيارة الشيخ أبى عمر القسطلى الذى سمع عنه كثيرا ورغب فى التعرف عليه . وبينما هو محتار فى أمره اذ خرج من باب القصبة عبد أسود من عبيد السلطان ولم يكد يراه حتى تقدم نحوه غاضبا يريد ان يضربه بعصاه وهو يقول : «أهذا موضعك ؟! أهذا موضعك ؟!» ففر أبو بكر الى الشيخ أبى عمر ونال من عنايته واهتمامه ما لم يكن له بالحسبان وأخذ عنه عهد الشاذلية وبقى يختلف الى زيارته طيلة حياته مع وفد المريدين من قبائل زعير وتادلا . وقد رأينا فى الباب السابق ان الشيخ أبا عمر القسطلى هو الذى أمر أبا بكر باتخاذ زاوية له فى الدلاء يرشد فيها المريدين ويطعم الفقراء والمساكين والطلبة والزائرين . «فكان يطعم الطعام الذى لم يعهد فى بلاده وينزل الناس منازلهم، ويعطى لكل قوم ما يناسبهم، كما كان شيخه (أبو عمر القسطلى) يفعل. فاذا لامه أحد فى التفرقة بين الناس قال له : من جعل الناس سواء ، فليس لحمقه دواء، وما قصده أحد الا أفاض عليه من سيبه ، يعطى عطاء من لايخاف الفقر :

فلو رأى من مضى بعض مكارمه   لم يذكروا فى الندى معنا ولاهرما»(4)

وبعد أن أسس أبو بكر زاويته فى الدلاء اجتهد فى تكثير العمارة من حولها فبنى الدور والدكاكين وسائر المرافق الضرورية وحبس الرباع على الطلبة والمساكين حتى صارت من أحسن المدن وأكثرها سكانا وأشهرها ذكرا، يقصدها الناس من مختلف الجهات ويلتقى فيها العلماء والطلاب الوافدون فينالون من التعظيم والاكرام ما يجعلهم يرغبون فى المقام بها أطول ما يمكنهم من الزمن وتعقد المجالس العلمية فى مسجد الدلاء الرحب . وتقوم سوق العلم

4) محمد الافرانى ، **صفوة من انتشر** ، ص 46 . والشطر الاول من البيت غير موزون ويستقيم لو كتبنا «يوما» بدلا من «بعض» . ويشير البيت الى معن بن زائدة وهرم بن سنان الجوادين العربيين المشهورين .

فيه على قدم وساق . ولما قامت الفتنة بين أبناء المنصور الذهبى ، واسود أفق المغرب وانقطعت فيه السبل وتغلب الاقوياء على الضعفاء ، وكثر السلب والنهب ، لانعدام السلطة التى تسهر على حفظ النظام ، كان الشيخ أبو بكر بما له من المنزلة الرفيعة عند القبائل البربرية يكف أيدى الجناة عن الجرائم ، وينصف المظلوم من الظالم ، ويدفع بالتى هى أحسن . وقد اتفق جميع من ترجم لشيخ الدلاء على انه كان نقى الظاهر والباطن نظيف الملابس ، شديد بياض الثياب ، جميل الهدى كثير السلام ، خافض الطرف قليل الكلام . حسن العشرة شديد المحافظة على العهد ، كريم الاخلاق داعيا الى المحبة والتسامح والتصافى ، يعقد فى زاويته مجالس للوعظ والارشاد يفتتحها دائما بقوله : «روى الحسن عن أبيه الحسن ، عن جده الحسن ، ان أحسن الحسن الخلق الحسن» (5) .

وكانت وفاة أبى بكر الدلائى يوم السبت 3 شعبان عام 1021/29 شتنبر 1612 ودفن فى مسجده فى الدلاء (6) .

ب) اطعام الطعام فى الزاوية الدلائية

كان محمد بن سعيد الدلائى موسر الحال ، كثير الحرث والماشية كما كان ابنه أبو بكر العالم الصالح محببا الى الناس ، يقبلون عليه ويلتفون حوله، وكان يجد فى سعة حال والده ووفرة أغنامه ما يقرى به ضيوفه الكثيرين ويطعم به زواره الوافدين ، حتى ضجر الوالد من كثرة ما يذبح ابنه من الماشية وما يستهلكه من مطامير الحبوب ، فلامه على الافراط فى الانفاق ونصحه بالاعتدال ، غير أن أبا بكر لم يغير من خطته واستطاع أن يقنع والده بأن عمله ليس من الاسراف فى شىء (7) وما زال كرمه ينمو ويطرد الى أن آل اليه تراث

(5) أحمد بن يعقوب الولالى ، **مباحث الانوار** ، ورقة 55 ؛
ويعنى بالحسن المذكور أولا الحسن المثنى ، وبالحسن المذكور ثانيا أباه الحسن بن على ابن أبى طالب ، وبجده الحسن الرسول الكريم ؛ ويراد به الوصف بالحسن فقط ، اذ ليس الحسن من أسمائه عليه السلام . ولم يعتمد أحد من الحفاظ سند هذا الحديث ولا متنه ولعل اختيار الشيخ أبى بكر له كان بسبب التناسق وحسن السجع زيادة على ما يدعو اليه من حسن الخلق .

(6) انظر ترجمة الشيخ أبى بكر الدلائى عند محمد الافرانى فى **الصفوة** ، ص 46 – 47 وفى **نزهة الحادى** ، ص 274 وما بعدها ، ومحمد المهدى الفاسى فى **ممتع الاسماع** ، ص 7 من كراسة 18 وما بعدها ، ومحمد القادرى فى **نشر المثانى** ، 1 : 112 .

(7) هناك أسطورة تقول بأن أبا بكر اتفق مع والده على أن ما تلده الاغنام من الذكور يذبح للاضياف ، ويترك ما تلده من الاناث فصارت الغنم بعد ذلك لاتلد الا الذكور ، أدرك أبوه عندئذ أن فى الامر سرا وسلم له الامر .

والده بعد وفاته . وأمره شيخه القسطلي بالاطعام . فجعل يصرف ثروته الواسعة في اكرام الوافدين على زاويته، تمده حقوله الشاسعة في الدلاء وفي بلاد غريس بتافيلالت بما يكفيه من الحبوب طول السنة وتعطيه قطعان الاغنام والابقار من انتاجها ما يستجيب لحاجيات مآدبه اليومية . «كان كثير الاطعام بالانواع المختلفة من الطعام ، أمرا خارجا عن الوصف ، مباينا للعادة والالف ، فكانت مراجله دائما تغلي ، وطباخه لم يزل يفرغ ويملي :

في جفان كالجوابي وقدور راسيات
هكذا يفعل دأبا بالوفود الزائرات

بل كان يطحن كل يوم خمسا وعشرين صحفة من القمح وعشرين تليسا (8) ثم كان يطعم كل انسان تارة بما اشتهاه في نفسه ، وتارة بما يناسبه مع أبناء جنسه ، فليس الحضري عنده كالبدوي ، ولا الضعيف كالقوي ...» (9)

وقد سار محمد بن أبي بكر الدلائي على نهج والده في الاطعام وتوسع عمله فيه ، فكانت له قيمات من النساء على الطعام يدفع لهن من الدقيق ومما يلزم للطبخ بقدر ما تحت أيديهن من اماء الخدمة ، ويوظف عليهن من الصحون ما يناسب ذلك . فاذا حضر وقت الاطعام دفعت كل منهن ما عندها ، وكوفئت عليه ان كان جيدا ، والا عوقبت على فساد عمليا . ويروي مترجمو محمد بن أبي بكر الدلائي عن كرمه المدهش قصصا غريبة ، ويذكرون أرقاما عالية لمن كان يجلس الى مائدته بمناسبة أو بغيرها فمن ذلك أنه كان يطعم في سنة من سني الغلاء سبعة آلاف من الفقراء كل يوم ، زيادة على الواردين عليه والمقيمين عنده من طلبة العلم وغيرهم . وأطعم في يوم واحد احتفل فيه بسابع المولد النبوي الشريف سبعين ألفا من سكان الزاوية وغيرهم من الوافدين عليها لحضور ذلك الموسم دون أن يقوم من موضعه طيلة اليوم الا للصلوات (10) .

---

8) الصحفة مكيال يقدر بثلاثة قناطير . والتليس كيس مزدوج يصنع من صوف أو شعر أو وبر لتنقل فيه الحبوب على ظهور الدواب .

9) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 15/ب .

10) أنظر تفاصيل ما كان يقدمه محمد بن أبي بكر الدلائي لضيوفه من أطعمة كثيرة، والاواني العظيمة التي يهيأ فيها الطعام ، عند سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 48/أ وما بعدها .

واستمر الحال كذلك بالزاوية الدلائية بعد وفاة محمد بن أبى بكر اذ كان لولده السلطان محمد الحاج المآثر العظيمة فى اكرام الوفود وقد خصص خمسمائة بغلة لحمل الدقيق من الارحى الى الزاوية ، واتخذ قصعا عظيمة يطعم فيها الناس .

ج) احتفال الدلائيين بعيد المولد النبوى الشريف

أدركت الزاوية الدلائية شهرة عظيمة أيام الشيخ محمد بن أبى بكر ، فكان عيد المولد الشريف مناسبة يقصدها الناس فيه سواء منهم العلماء والادباء ، والاغنياء والفقراء ، والسوقة والرؤساء ؛ فينزلون على الرحب والسعة وينالهم من حفاوة ابن أبى بكر واكرامه ما تقر به أعينهم وترتاح له أفئدتهم ويقضون فى تلك البقعة الطيبة أياما يظل المنشدون فيها يرددون القصائد والمقطعات والموشحات فى مدح الرسول الكريم ، خصوصا بردة الامام البوصيرى وهمزيته . ويقوم الشعراء بالقاء قصائد ينظمونها خصيصا لهذه المناسبة لاسيما منهم شاعر الزاوية أحمد الدغوغى (11) الذى كان يذيل مولدياته بمدح الشيخ محمد بن أبى بكر والدعاء له فيرتاح لذلك الشيخ وتطيب نفسه (12) . وقد شجع الشعراء على نظم القصائد والتفنن فى صوغها ورفعها الى محمد بن أبى بكر بهذه المناسبة ، ما كانوا يلقونه منه من جزيل الصلات ، وكريم المكافآت . وكان لايثيب منهم الا من مدح الرسول عليه السلام وأشاد بمفاخر الاسلام . فقد روى أن الاديب عمرو بن قاسم الاندلسى الرباطى (13) جاء اليه فى أحد هذه الاعياد بقصيدتين احداهما فى مدح النبى الكريم ، والاخرى فى مدح الشيخ محمد بن أبى بكر ، فلما انقضى الموسم وحضر هذا الاديب لوداعه أعطاه الشيخ صرة فيها مائة دينار بيده اليمنى ، وفلسا بيده اليسرى قائلا له : هذه الدنانير جائزتك على مدح النبى صلى الله عليه وسلم، وهذا الفلس جزاؤك على مدح محمد بن أبى بكر اذ لايستحق أن يمدح .

11) أحمد الدغوغى من موالى أهل الدلاء ، نشأ فيهم وبرع فى الادب وكان مداحا هجاء لايكاد يسلم من هجوه أحد ، ترجم له الافرانى فى **نزهة الحادى** ص 283 ولم يذكر له تاريخ وفاة .

12) انظر احدى **المولديات** التى كانت تلقى فى الزاوية الدلائية فى ملحق رقم 3 .

13) عمرو بن قاسم هذا هو جد الاديب المشهور محمد بن عمرو الرباطى الذى عارض **شمقمقية** ابن الونان . وقد ظل عمرو بن قاسم يتصل بالدلائيين ويمدحهم مدة طويلة وقد مدح السلطان محمد الحاج الدلائى بقصيدة بليغة تشتمل على 32 بيتا **مطلعها** :

يا حبذا برع البرايا وانتهى ... شمسا الى حيث السهى والمشترى

انظرها فى **كناشة** ابن على الدكالى السلاوى ، ص 270 وما بعدها .

2 ـ طريقة الزاوية الدلائية

أ) سند الدلائيين فى الشاذلية .

تعتبر الطريقة الشاذلية المتصلة بالامام أبى القاسم الجنيد (14) من أسلم الطرق الصوفية وأقربها الى السنة ، وأكثرها انتشارا بالمغرب ، حتى انها لتعتبر الطريقة الرسمية فى هذه البلاد ، الى جانب المذهب المالكى فى الفقه ، والعقائد الاشعرية فى التوحيد (15) . وقد أخذ الشيخ أبو بكر الدلائى طريقة التصوف كما تقدم عن الشيخ أبى عمر القسطلى المراكشى الذى أخذ عن الشيخ عبد الكريم الحاحى المعروف بالفلاح (16) تلميذ الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع المراكشى (17) أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن سليمان الجزولى (18).

ويتصل سند محمد بن أبى بكر الدلائى بالشيخ الجزولى من ثلاث طرق، تتجمع كلها عند الشيخ عبد العزيز التباع . فقد أخذ محمد بن أبى بكر الطريقة الصوفية على شيخه أبى عبيد محمد الشرقى (19) عن أبيه أبى القاسم الزعرى

---

14) أبو القاسم الجنيد المتوفى عام 277هـ يتصل سنده بالحسن البصرى التابعى الذى أخذ عن جماعة من الصحابة ، منهم حذيفة بن اليمان الذى خصه الرسول الكريم بعلم الخواطر وخبايا النفوس .

15) يقول عبد الواحد بن عاشر فى مقدمة رجزه **المرشد المعين** الذى يدرس فى جميع المعاهد الدينية بالمغرب :

فى عقد الاشعرى وفقه مالك   وفى طريقة الجنيد السالك

وآخر باب فى **المرشد المعين** يتعلق (بمبادىء التصوف وهوادى التعرف) .

16) توفى عبد الكريم الفلاح عام 933هـ ودفن بقبة القاضى عياض بمراكش . كان الملكان السعديان محمد وأحمد الشيخ يزورانه فى زاويته . توجد ترجمته فى : **دوحة الناشر** ، ص 24 وفى **ممتع الاسماع** ص 8 من الكراسة 5 .

17) توفى عبد العزيز التباع بمراكش عام 914 وألف فيه وفى شيخه الجزولى أبو عبد الله محمد المهدى الفاسى كتاب **ممتع الاسماع فى ذكر الجزولى والتباع** .

18) الشيخ الجزولى هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن سليمان عرف بنسبته الى جده فقيل محمد بن سليمان . شيخ الطائفة الجزولية ومؤلف كتاب **دلائل الخيرات** . كان برباط آسفى أولا ، ثم انتقل الى أفوغال حيث مات مسموما عام 870/65 ـ 1466 وقد نقله السعديون بعد ذلك الى ضريحه الحالى بمراكش ، وترجمته مفصلة فى كتاب : **ممتع الاسماع فى ذكر الجزولى والتباع** ، وفى **دائرة المعارف الاسلامية** . العدد 12 من المجلد 6 ، ص 447 وما بعدها .

19) ابو عبيد محمد الشرقى يتصل نسبه بعمر بن الخطاب ، توفى عن سن عالية عام 1010/1 ـ 1602 ودفن بجعيدان (أبو الجعد الحالية) .

عن عبد العزيز التباع ، كما أخذ عن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى (20) عن عبد الرحمن المجذوب المكناسى (21) عن أبى حفص الخطاب (22) عن عبد العزيز التباع . وأخذ محمد بن أبى بكر الدلائى أيضا عن عبد الله بن حسون السلاوى (23) عن أبى محمد الهبطى (24) عن عبد الله الغزوانى (25) عن عبد العزيز التباع ، عن الشيخ الجزولى .

أما الشيخ الجزولى فيتصل سنده بالامام أبى الحسن الشاذلى (26) عن طريق محمد بن عبد الله أمغار (27) عن أبى عثمان سعيد الهرتنانى عن عبد الرحمن الرجراجى ، عن أبى الفضل الهندى ، عن عنوس البدوى راعى الابل ،

---

20) انتقل الشيخ أبو المحاسن من القصر الكبير الى فاس فى أواخر القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حيث اتخذ زاوية عظيمة ، تخرج على يده فيها كثير من أهل الفضل والصلاح . وهو أحد المجاهدين الذين شاركوا فى معركة وادى المخازن الشهيرة توفى بفاس عام 1013/4 ــ 1605 وخصه ولده أبو حامد محمد العربى بكتاب : **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبى المحاسن** .

21) عبد الرحمن بن عياد الصنهاجى الشهير بالمجذوب ، توفى فى بلاده دكالة عام 976/68ـ1569 وحمل الى مكناسة الزيتون فدفن بها .

22) عمر الخطاب دفين زرهون ، متصوف كبير ترجم له فى جملة رجال القرن العاشر الهجرى محمد بن عسكر فى **دوحة الناشر** ص 64 ولم يذكر له تاريخ وفاة .

23) عبد الله بن حسون الخالدى . انتقل من مدشر سلاس بأحواز فاس الى مدينة سلا وأخذ عنه فيها كثير من أهل الفضل والدين وهو الذى حمل تلميذه أبا عبد الله العياشى على الجهاد ضد النصارى المحتلين للثغور المغربية وتوفى عام 1013/4 ــ 1605 .

24) عبد الله الهبطى . أصله من صنهاجة طنجة من قبيلة متنة توفى عام 963/55 ــ 1556 وقبره مشهور بزاويته بأحواز شفشاون .

25) كان عبد الله الغزوانى طالبا للعلم بفاس ، ثم سلك طريق القوم وصحب الشيخ التباع ، وأقام مدة بقبيلته بالهبط ــ ضاحية طنجة ــ ثم فاس ، وأخيرا انتقل الى مراكش حيث توفى عام 935/28 ــ 1529 ودفن بحى القصور .

26) أبو الحسن الشاذلى يتصل نسبه بالمولى ادريس بن عبد الله دفين زرهون وقد ولد بقبيلة غمارة قرب سبتة عام 593/96 ــ 1197 وتتلمذ للشيخ عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم بالقرب من تطوان . وقد أخذ عن الشاذلى خلق كثير بالمغرب والمشرق ، وكانت طريقته فى التصوف بسيطة تشتمل على اذكار جمعها فى **احزاب** . منها حزب البر ، وحزب البحر ، والحزب الكبير ... وتوفى الشاذلى بصعيد مصر فى سفره الى الحج عام 656/58 ــ 1259 أنظر ترجمة الشاذلى فى : على سالم عمار ، **أبو الحسن الشاذلى** والعربى الفاسى **مرآة المحاسن** ومحمد المهدى الفاسى **ممتع الاسماع** فى فصول متفرقة وفى:
L'Encyclopédie de l'Islam,

27) محمد بن عبد الله امغار الصغير كان يعيش فى رباط تيطنفطر جنوبى مدينة الجديدة، لقيه الجزولى بأرض دكالة وأخذ عنه . ترجم له ابن الزيات فى **التشوف** ص 190 ــ 193 ولم يذكر له تاريخ وفاة .

عن الامام أحمد القراقى ، عن أبى عبد الله المغربى (28) وأبى العباس المرسى (29) وكلاهما عن أبى الحسن الشاذلى (30) .

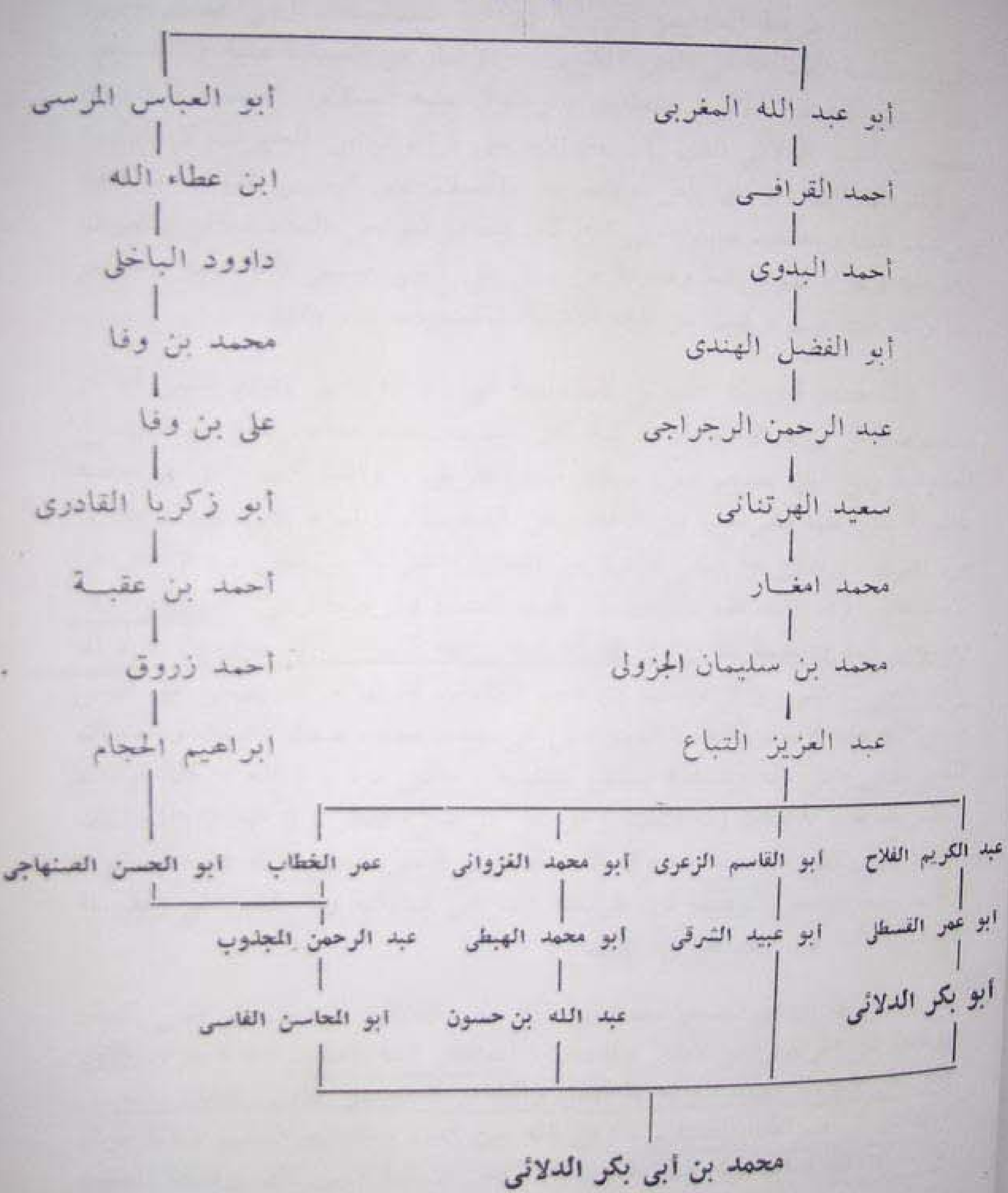
ويتصل سند الدلائيين بالامام الشاذلى أيضا من طريق الشيخ أحمد زروق . فقد أخذ محمد بن أبى بكر الدلائى عن أبى المحاسن الفاسى عن عبد الرحمن المجذوب كما سبق . ومن شيوخ عبد الرحمن المجذوب علاوة على عمر الخطاب أبو الحسن على بن أحمد الصنهاجى الملقب بالدوار . كان بهلولا مجذوبا توفى عام 941/34 – 1535 ودفن خارج باب الفتوح فى فاس . وتتلمذ أبو الحسن الصنهاجى للشيخ ابراهيم بن على الحجام من برابرة سوس الاقصى صاحب المزارة المشهورة فى جبل زرهون وقد اتصل ابراهيم الحجام بالشيخ أحمد زروق وسلك على يده طريق القوم وكانت وفاته عام 926/1520 . أما الشيخ زروق فهو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسى الفاسى ، كان من أكابر الفقهاء والمتصوفين جمع بين الحقيقة والشريعة وعرف بمحتسب الصوفية ، وألف كتبا عديدة أكثرها شروح لاحزاب الامام الشاذلى ولرسالة ابن أبى زيد القيروانى ، وتوفى بمسراتة ذات الرمال من أطراف برقة عام 899/1493 . أخذ الشيخ زروق عن أبى العباس أحمد بن عبد القادر ابن عقبة اليمنى الحضرمى ثم المصرى المتوفى عام 895/1490 صحبة نحو خمسة عشر شهرا وأدرك على يده درجة عالية . وتتلمذ ابن عقبة لابى زكريا يحيى بن أحمد القادرى الذى أخذ عن الشيخ على بن وفا المتوفى عام 807/1404 دفين القرافة الصغرى بمصر ، عن والده محمد بن وفا المتوفى عام 765/1364 عن شرف الدين داوود الباخلى ، عن تاج الدين بن عطاء الله المتوفى عام 709/1309 صاحب **الحكم** المشهورة وأخص تلاميذ الشيخ أبى العباس المرسى مريد الامام أبى الحسن الشاذلى .

---

28) نقل أبو حامد الفاسى فى كتابه **مرآة المحاسن** ص 194 عن شيخه أحمد بن يوسف الفاسى سند الجزولى الى الشاذلى كما ذكرت هنا . وقال : «ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ أحدا سوى الشيخ أبى عبد الله امغار ، واما الامام القرافى فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب الذخيرة ، والتاريخ يقبله ان كان هو المراد واما أبو عبد الله المغربى فلم نجد له ذكرا فى **لطائف المنن** .. ولاشك أنهم لم يستوفوا أصحاب الشيخ أبى الحسن، وقد تخرج به فى المغرب رجال من الصديقين والاولياء ، ثم رحل الى مصر وأخذ عنه عالم من الناس» ــ والامام القرافى ان كان هو الفقيه المالكى صاحب **أنوار البروق فى أنواء الفروق** ، و **الذخيرة** فانه توفى بمصر عام 684هـ (1285م) انظر ترجمته فى **الاعلام** للشيخ خير الدين الزركلى ، الطبعة الثانية (بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع) ج1 ص90.

29) أبو العباس أحمد بن عمر الخزرجى ، ولد ونشأ فى مرسية بالاندلس واليها نسب . وهو أشهر مريدى الشاذلى صحبه فى رحلته الى المشرق وأقام معه بالاسكندرية الى أن توفى بها عام 685/86 ــ 1287 .

30) انظر جداول اتصال الشاذلى بالجنيد من طرق متعددة فى باب مصادر تصوف الشاذلى من كتاب على سالم عمار ، **أبو الحسن الشاذلى** .



اتصال الدلائيين بالامام الشاذلي عن طريق الجزولي وزروق

ب) أذكار الزاوية الدلائية

رأينا أن طريقة الدلائيين جزولية زورقية شاذلية ، وهى تمتاز على العموم بالمحبة الصادقة فى النبى الكريم ، والاكثار من الصلاة عليه والتسليم. وقد اشتهر أجداد الدلائيين بتعلقهم بالرسول عليه السلام ، خصوصا منهم سعيد بن أحمد الدلائى الذى كان «مواظبا على قراءة دلائل الخيرات لايفارقه فى أكثر الاوقات ، وكان يأمر أولاده بها (الصلاة على النبى عليه السلام) ويرغبهم فيها ويحضهم عليها حتى انه كان يسافر لنواحى البلاد فياتى بالطرف والفواكه ويقول لهم مرغبا ومدربا من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فله كيت وكيت من تلك الاشياء المشتهيات ..» (31)

ولما تصدر أبو بكر الدلائى للمشيخة فى زاويته ، لم يلتزم تلقين أذكار مخصوصة لمن يريد الاخذ منه ، كما كان الشأن عند معاصريه من شيوخ الصوفية ومن أتى بعدهم ممن سلك هذا الطريق ، وانما كان يأمر مريديه بالتوبة بشروطها المعرفة ، من الاقلاع عن الذنوب ، والعزم على عدم ارتكابها مرة أخرى ، وتلافى ما يمكن تلافيه من الحقوق المترتبة من قبل ، والاكثار من الاستغفار . ومع ذلك فقد «كانت له وظيفة لنفسه ولمريديه وهى: أستغفر الله، وسبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وكل واحدة من هذه الكلمات يقولها مرة ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ : اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما ، مائتى مرة . لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله الملك الحق المبين سيدنا محمد رسول الله الصادق الامين صلى الله عليه وسلم . وكان يسمى ذلك بالوظيفة لان طريقته انما هى شاذلية ولا تلقين فى الطريقة الشاذلية كما قال القسطلانى» (32) .

وكانت أوراد الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى من الاذكار التى كان يوظفها على المريدين فى الليل والنهار : أستغفر الله العظيم (مائة مرة) اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى الى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم (مائة مرة) لا اله الا الله (مائة مرة) صباحا ومساء . ومن الادعية التى كان يرددها الشيخ

(31) نقله عن **نزهة الفكر** سليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ورقة 6/ب .
(32) سليمان الحوات . **البدور الضاوية** ورقة 20/I .

محمد بن أبى بكر كثيرا فى الزاوية الدلائية : اللهم لا مانع لما أعطيته ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . اللهم اختم بالسعادة آجالنا ، واقرن بالعافية غدونا وآصالنا ، واجعل الى جنتك مصيرنا ومآلنا ، وتقبل بفضلك أعمالنا ، واجبر برحمتك أحوالنا ، واجعل فى طاعتك أشغالنا ، الاهنا ، قطرة من بحار جودك تكفينا ، وغرفة من بحار احسانك تغنينا ، فها نحن أسارى الذنوب بين يديك واقفون وعلى ما عودتنا من فضلك واحسانك معولون ، اللهم احفظنا فى ظاهرنا وباطننا ، وعرضنا لنفحاتك القدسية ، ولا تكلنا للاصدقاء ولا تسلمنا للاعداء وكن لنا بما كنت به لاحبائك وأصفيائك (33) .

وكان الشيخ أبو بكر الدلائى يأمر مريديه أن يصلوا على النبى عليه السلام بهذه الصيغة : «اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما» . ثم لما حج محمد بن أبى بكر الدلائى واتصل فى مصر بالشيخ محمد البكرى وأخذ عنه طريقته الصوفية كان من جملة مارواه محمد عن هذا الشيخ (صلاة الفاتح لما أغلق) فجعل محمد بن أبى بكر يلقنها لمريديه فى الزاوية الدلائية بدلا من الصيغة الاولى التى كان عليها أبوه . والمعروف أن صلاة الفاتح لما أغلق هى الصيغة التى يلتزمها التيجانيون فى وردهم حتى اليوم ، بل اننا نجد الورد الذى كان يلقنه محمد بن أبى بكر الدلائى يتفق تماما والورد الذى لقنه الشيخ أحمد التيجانى لاصحابه . فكلا الوردين يشتمل على مائة من الاستغفار ، ومائة من صلاة الفاتح لما أغلق ، ومائة من الهيللة . وقد قال أحمد بن بابا العلوى الشنجيطى فى **منية المريد** عن الورد التيجانى :

أركانه استغفر الله مائة وصل مثلها على خير الفئة
وكون ذى الصلاة بالفريدة (34) مفضل برتب عديدة
وهللن مائة ولتختم بنسبة الارسال للمعظم (35)

ولاشك ان كلا من الدلائيين والتيجانيين استمدوا من البكريين شيوخ الطريقة الشاذلية بمصر .

(33) محمد بن على الدكالى السلاوى ، **الكناشة العلمية** ، ص 73 .
(34) المراد بالفريدة : صلاة الفاتح لما أغلق ، اذ كان الشيخ أحمد التيجانى يسميها (الياقوتة الفريدة) .
(35) انظر فى هذا الموضوع : محمد العربى السائح : **بغية المستفيد لشرح منية المريد** ، ص 250 وما بعدها .

وقد كتب الامام الشرقي بن أبى بكر الدلائى الى شيخ الطريقة الناصرية محمد بن ناصر الدرعي يسأله أن يرشده الى أذكار يتلوها فى الليل والنهار فأجابه ابن ناصر برسالة جاء فيها :

«.. فاذا أصبحت واذا أمسيت فاتل هذه الادعية سبعا سبعا : اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تدرأ بها عنا كل شر باطن وظاهر ، انك أنت الله القوى القاهر . اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة تجلب بها الى كل خير باطن وظاهر ، انك أنت الله القوى القادر ، سبحان ربى الاعلى الوهاب ، اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم انى أسألك العفو والعافية ، فى دينى ودنياى وأهلى ومالى ، اللهم استر عورتى وآمن روعتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى ومن شمالى ويمينى ومن فوقى ومن تحتى أعوذ بك أن أغتال . اللهم ياحى يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ..» (36) .

ج) مريدو الزاوية الدلائية

طالت حياة أبى بكر الدلائى، وظل منتصبا للمشيخة أزيد من ثلث قرن، وكان ذا سند عال فى الطريقة ليس بينه وبين الامام الجزولى الا ثلاثة شيوخ ، كما كان سمح الخلق ، كريم المائدة ، فقصده الناس من كل حدب وصوب ، وامتلأت زاويته بوفود المريدين الراغبين فى الاخذ عنه وعن ابنه محمد ، والانتساب اليهما . واذا كنا لانستطيع تحديد عدد مريدى هذه الزاوية العظيمة فانه يمكننا أن نذكر بعض النابهين منهم ممن تأهل للمشيخة وانتفع به الناس، وأكثرهم من برابرة الاطلس المتوسط .

ومن أشهر مريدى الزاوية الدلائية محمد بن أبى بكر العياشى المتوفى عام 1067/1657 وهو والد الرحالة أبى سالم العياشى . أخذ محمد العياشى عن الشيخين الدلائيين أبى بكر وابنه محمد ، وطالت صحبته لهما وانتفاعه بهما حتى تهيأ للمشيخة وأذن له أبو بكر الدلائى فى ارشاد قومه وتعليمهم واطعام المحتاجين منهم . فأسس الزاوية العياشية أو الحمزاوية كما

36) محمد بن على الدكالى السلاوى ، **الكناشة العلمية** ، ص 93 .

تسمى اليوم فى السفح الجنوبى الشرقى لجبل العياشى بالاطلس الكبير (37)
وأخذ عن الشيخ أبى بكر الدلائى أيضا أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن
الدادسى المتوفى عام 1062/52 – 1653 بواويزغت من جبال تادلا . كان قوى
الحال كثير التواجد لايتمالك عند تلاوة القرآن . ولما تصدر لتربية المريدين
كان أكثر ما يحضهم على المحافظة على أداء الصلوات فى أوقاتها ، وحفظ
ألسنتهم من الغيبة والهذر . (38) :

كما تتلمذ للشيخ أبى بكر الدلائى محمد بن يعقوب الولالى المتوفى عام
1060/1650 وهو جد أحمد بن يعقوب مؤلف كتاب **مباحث الانوار** . وكان رجلا
بربريا لايخلو لسانه من ضعف فى بعض مخارج الحروف ، ومع ذلك فان
شيخه أبا بكر الدلائى كان يعجبه أن يستمع اليه وهو يتلو القرآن ، لما كان
عليه من قوة اليقين والوقوف عند حدود الله . وكان ابن يعقوب يكثر من زيارة
أبى بكر بالرغم عن بعد المسافة بين بلديهما (مسيرة ثلاثة أيام) ولم يتخذ
محمد بن يعقوب لنفسه زاوية خاصة مكتفيا بزاوية شيخه الدلائى ، وبارشاد
قومه وحملهم على الجادة أينما تيسر له ذلك (39). وتتلمذ للشيخ أبى بكر أيضا
أبو على الحسن بن على التاسكدلتى المتوفى عام 1005/96 – 1597 . ما كاد أبو
على يرجع الى قريته الجبلية بعد أخذه عن أبى بكر
الدلائى وتزوده بنصائحه حتى جد فى تبديل عوائدها الرديئة المتمكنة من
عامة أهل البلد ، وحبب اليهم العلم بعد أن كانوا لايكترثون به مكتفين بمجرد
حفظ القرآن الكريم وتلاوته . وكان قوى البنية مفتول العضلات فانكب على
العمل بجد يباشر الاشغال بنفسه لاصلاح الطرقات وتمهيدها وحفر الاماكن
الوعرة وتسهيلها ، لان بلده يقع فى جبال وعرة مكسوة بالثلوج (40). كما

(37) انظر ترجمة محمد بن أبى بكر العياشى وأخباره مع الدلائيين فى : أبى سالم العياشى **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، الصفحات الاولى . وعبد الله العياشى : **الاحيا والانتعاش** ، الفصل الاول من ورقة 16 .

(38) انظر ترجمة أبى عبد الله الدادسى فى : محمد الافرانى ، **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادى عشر** ص 83 وفى **نشر المثانى** ص 201 .

(39) ترجم أحمد بن يعقوب الولالى فى **مباحث الانوار** ورقة 41 وما بعدها لجده محمد بن يعقوب وذكر كثيرا من أخباره ، غير انه لم يشر الى تاريخ وفاته .

(40) انظر ترجمة أبى على التاسكدلتى فى : سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 23 . وتاسكدلت قرية بجبال الاطلس المتوسط جنوبى ميدلت ، تابعة اداريا لمركز تونفيت .

تتلمذ لابى بكر الدلائى من شيوخ القرى الجبلية أبو الحسن على بن ابراهيم دفين تدغة ، وأبو الحسن على بن يوسف دفين أركو وسليمان الغياثى صاحب الكاف (41) . وقد زار الحافظ أحمد بن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى المتوفى عام 1021/12 ـ 1613 الشيخ أبا بكر فى زاويته بالدلاء فى شهر محرم عام 1012/1609 وأخذ عنه ونال من اكرامه وتعظيمه ما يناسب مقامه العلمى الرفيع ؛ ولما رجع الى فاس سأله الناس عن شيخ الدلاء فقال : «أخذ الناس بالاوصاف ، وأخذ أبو بكر بالاتصاف» (42). ألف الحافظ أحمد الفاسى فى أسانيد شيخه أبى بكر الدلائى كتابا خاصا (43) . وكان محمد بن أبى بكر الدلائى يثنى كثيرا على الامام أحمد الفاسى ويصفه من بين حفاظ عصره الثلاثة بأنه (الحافظ الضابط الثقة) .

3 ـ علاقة الزاوية الدلائية بغيرها من الزوايا

تكاثرت الزوايا فى المغرب خلال القرنين العاشر والحادى عشر للهجرة (السادس عشر ـ السابع عشر للميلاد) حتى كاد عددها يفوق عدد المساجد ، واختلط فيها أمر الصالحين بمدعى الصلاح من ذوى الاغراض الفاسدة والمشعوذين ، وعسر بذلك تمييز الطيب من الخبيث . غير أن هناك بعض الزوايا التى أجمع الناس على صلاح أهلها لاستقامة سلوكهم ، وظهور نتائج أعمالهم الدينية والعلمية . وأشهر هذه الزوايا فى القرن الحادى عشر الهجرى ثلاث : الزاوية الدلائية ، والناصرية ، والفاسية ، ولم تكن هذه الزوايا بمعزل عن بعضها بالرغم عن تباين مواقعها ، ولكنها كانت تتصل عن طريق التزاور والتراسل ، والاخذ والعطاء . فكان بينها من أجل ذلك تفاعل أثمر تقاربا فى وسائل العمل وتماثلا فى النتائج . وما أشبهها فى تلك الظروف الحالكة بمنارات شامخة تشع بالايمان والعرفان فى وسط المغرب وشماله وجنوبه . «ومن المقرر عند الاشياخ أن العلم انما أحياه بالمغرب ثلاثة من الشيوخ ، سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى ، وسيدى محمد بن ناصر فى درعة ، وسيدى عبد القادر الفاسى» (44) . والى جانب هذه المراكز الدينية العظيمة كانت الزاوية العياشية ـ وهى ربيبة الزاوية الدلائية ـ تقوم بدور مماثل فى

---

(41) ذكر هؤلاء المريدين الثلاثة الاخيرين سليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ، ورقة 23/ب وقال انه لم يقف على تراجمهم . وتدغة (بضم التاء) قرية بجوار تنغير من عمالة ورزازات .

(42) أبو حامد الفاسى **مرآة المحاسن)** ، ص 153 .

(43) عبد السلام بن سودة ، **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** ، ص 327 .

(44) محمد بن أحمد الفاسى ، **المورد الهنى** ، ورقة 2/ب .

منحدرات الاطلس الكبير المطلة على أراضى تافيلالت وواحات الصحراء . على انها وان لم تبلغ ذلك الشأو البعيد فانها قامت بنصيبها فى الارشاد والتهذيب، وظلت محتفظة حتى عصرنا الحاضر بذخائر نفيسة فى مكتبتها العلمية العامرة. وقبـل أن أورد نتفـا من أخبار الزوايا الثـلاث وتعاليمها وما كان لهـا من صلة مع الزاوية الدلائية أود أن أشير اشارة عابرة الى بعض الظواهر المشتركة بينها . فقد أسست كلها فى عصر ازدهار الحركة الصوفية بالمغرب وفى زمن متقارب (أواخر القرن العاشر الهجرى) باستثناء الزاوية العياشية التى تأخر تأسيسها قليلا الى أوائل القرن الحادى عشر . بدأت بسيطة فى بيت أو مسجد صغير ثم اتسعت مبانيها الى أن صار بعضها عبارة عن مدينة أو قرية كبيرة . وكان الغرض الرئيسى لمؤسسى هذه الزوايا صوفيا محضا يرمى الى هداية الناس وتهذيب أخلاقهم بنشر تعاليم الطريقة الشاذليـة ثم تطـور نشاطهـا فأصبحت مراكز علمية هامة تشد اليها الرحال .

ا) الزاويــة الناصريــة

تقع الزاوية الناصرية بتامكروت على ضفاف وادى درعة وراء الاطلس الكبير ، بعيدة عن مركز زاكورة بنحو 22 كلم فى جنوبها الشرقى . أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الانصارى (45) عام 983/75 – 1576 . واستقر بهـا حفيده الصوفى الصالح أحمد بن ابراهيم الانصارى (46) مع شيخه عبد الله ابن حسين الرقى (47) الذى كان يلقن فيها أوراد الشاذلية . وقد جاء أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعى (48) الى زاوية تامكـروت عام 1040/30 – 1631 لاخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بن حسين . وأقام ابن ناصر فى هذه الزاوية

---

45) ابو حفص الانصارى أحد أعيان درعة وزهادها . ووالد الصالحة ميمونة الانصارية أم الشيخ أحمد بن ابراهيم الانصارى . وهو أول من نزل من أفراد قبيلته بتامكروت ، وأسس زاويتها فى التاريخ المذكور وكانت وفاة أبى حفص الانصارى عام 1010/1 – 1602 .

46) أحمد بن ابراهيم الانصارى ، الدرعى العابد الزاهد ، قتل عام 1052/1642 .

47) عبد الله بن حسين الرقى – نسبة الى الرقة : بلد على شاطئ نهر الفرات بالعراق – كان يعرف بالقباب . وهو من أكبر صلحاء درعة ، اخذ عهد الشاذلية عن الشيخ احمد بن على الحاجى الدرعى المتوفى عام 998/89 – 1590 . تلميذ الشيخ الشهير أبى القاسم الغازى الدرعى المتوفى بسجلماسة عام 981/73 – 1574 . وكانت وفاة الشيخ عبد الله ابن حسين بتامكورت عام 1045/35 – 1636 .

48) الشيخ محمد بن ناصر يتصل نسبه بجعفر بن أبى طالب . هاجر أجداده الى درعة فى صدر القرن العاشر الهجرى ، وولد محمد بن ناصر ونشأ بقرية اغلان فى درعة ، ثم انتقل الى تامكورت فى التاريخ المذكور وعمره اذ ذاك نحو 27 سنة وآلت اليه زاويتها بعد وفاة الشيخين الرقى والانصارى ، ونسبت اليه فعرفت بالزاوية الناصرية ، وبها كانت وفاته عام 1085/74 – 1675 . وخلفه فيها أبناؤه وما زالوا هناك حتى اليوم .

مدة بطلب من الشيخ عبد الله بن حسين ، وأقبل على التدريس ونشر العلم فيها ، وقصده الطلاب من مختلف جهات الصحراء . وقد تصدر أحمد الانصارى للمشيخة الصوفية بزاوية تامكروت بعد وفاة أستاذه الرقى ، غير انه لم يلبث أن مات قتيلا بيد أحد منافسيه من زعماء درعة ، فاستقل حينئذ الشيخ محمد ابن ناصر بهذه الزاوية وأصبح يشتغل فيها بتدريس العلم للطلبة وبتربية المريدين . وتحمل الشيخ ابن ناصر كثيرا من شظف العيش «وصبر فى هذه المدة غاية الصبر على معيشته وكسوته حتى كان ينام مع أهلـه على التراب ، لعدم ما يشترى به حصيرا يفرشه ، وربما افترش ليفا أو جريد نخل ..» (49)

وكان محمد بن ناصر يميل الى البساطة فى تعليمه ، ويقتصر على حل مشاكل المتون وتقريبها لاذهان الطلاب ، مجتنبا كثرة النقـول والخلافـات المتشعبة ، فانتفع به كثير من الناس . ومن أشهر تلاميذه الامام أبو علـى اليوسى والقاضى عبد الملك التجموعتى ، والرحالة أبو سالم العياشـى (50) وغيرهم . وقد حج ابن ناصر مرتين ، واشتهـر أمره بالمشرق مثلما اشتهـر بالمغرب ، وكثر أتباعه والآخذون عنه فيهما . ولم تكن له أوراد معينة يلقنها لجميع أتباعه ، وانما كان يراعى حالة المريدين ويسلك بهم سبيل التـدرج فى الاذكار . ويمكننا أن ندرك على الاجمال طريقته فى التلقين وتحرى السنة من صدر رسالة أجاب بها بعض طلبة تلمسان حين كتبوا اليه يسألونه الدخول فى زمرته ، وأن يبعث اليهم بحديث السبحة والخرقة والضيافة (51) . قال : «.. وأوصيكم بتقوى الله ولا ترجوا ولا تخشوا الا الله . وأما السبحة والضيافة والخرقة فليس عندنا فيهن رواية . وانما طريقتنا الذكر ، وهو نحو ما ذكـره

---

(49) أحمد الناصرى السلاوى ، **طلعة المشترى** ، جـ 1 ، ص 133 .

(50) ستأتى تراجمهم فى الابواب التالية .

(51) يقول بعض الصوفية ان للسبحة والخرقة والضيافة أصلا فى السنة ، ويذكرون أحاديث فى الموضوع منها ما رواه الديلمى فى **مسند الفردوس** أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «نعم المذكر السبحة» . ولجلال الدين السيوطى رسالة سماها : **المنحـة فـى استعمال السبحة** ، ذكر فيها أن جمعا من الصحابة كانت لهم سبحة ، كعائشة وأبى هريرة وأبى الدرداء ، وكذلك بعض العارفين الاولين كالجنيد ومعروف الكرخى وعبد القادر الجيلانى . ويقال أن الرسول عليه السلام كسا قرة بن هبيرة ثوبين من ثيابه لما سأله ذلك . ويروى شيوخ الصوفية لبس الخرقة بسند متصل ينتهى الى على بن أبى طالب واويس القرنى . أنظر فى هذا الموضوع : أحمد الماجرى . **المنهاج الواضـح** . ص 150 وما بعدها .

الشيخ السنوسى فى آخر شرح العقيدة الصغرى (52) فان رغبتم فى الدخول فى السلسلة ، فصححوا التوبة وشروطها وعليكم بتقوى الله والتوكل عليه فى جميع الامور ، والتأهب ليوم النشور ، والتزود لسكنى القبور . واذا فرغتم من الاذكار المأثورة بعد صلاة الصبح فقولوا : استغفر الله مائة مرة ، اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، كذلك ، لا الاه الا الله ، ألف مرة . هذا اذا كان ممن يعانى القراءة وكان ذكرا وأما المرأة فحسبها من الهيللة مائة مرة ، وان كان عاميا فليذكر الهيللة سبعة آلاف مرة ، ويزاد عند تمام كل مائة ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا هو الورد بين الصبح والصبح ..» (53) وهكذا نرى أن محمد بن ناصر كان يراعى أحوال الناس من التفرغ والاشتغال ، فيأمر الرجل العادى أكثر مما يأمر به الطالب المهتم بدروسه ، ويخفف عن المرأة كثيرا لضعفها ومسؤوليتها فى البيت . وهناك مسائل أخرى تدل على شدة تمسك شيخ الناصرية بالسنة، وتعزز ما ورد فى الرسالة من عدم اتخاذ السبحة والخرقة والضيافة لعدم رواية شىء ثابت فى شأنها . من ذلك انه ترك قراءة الفاتحة بعد الصلوات ، لنفس السبب ، واقتصر على اذان واحد يوم الجمعة ، ولم يكن يدعو فى الخطبة لأمير المومنين ، الامر الذى كاد يجر عليه شرا مستطيرا اذ بعث اليه السلطان الرشيد بن الشريف بكتيبة من الجيش للبطش به ولكن الله سلم .

واذا أردنا أن نوازن بين الطريقتين الناصرية والدلائية ، وجدنا أنهما تلتقيان فى نواح كثيرة ، فكلتاهما تتصلان بالامام الشاذلى عن طريق الشيخ أحمد زروق ، وان كان سند الدلائيين أعلى وأوسع ، لاخذهم عن شيوخ عديدين وانفرادهم بطريقة الشيخ الجزولى دون الناصريين. وتتشابه أوراد الزاويتين كثيرا ، ويأمر كل من شيخى الدلاء وتامكروت مريديه بالتوبة أولا ، والاكثار من الاستغفار ، والهيللة ، والصلاة على الرسول الكريم . ويتفق الدلائيون والناصريون فى صيغة الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، الا ان الدلائيين يزيدون فيها ثلاث كلمات هى «عبدك ونبيك ورسولك» فيقولون : اللهم صل

(52) أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسى عالم تلمسان المتوفى عام 895/89 — 1490 له كتب فى العقائد : **كبرى ووسطى وصغرى** ، **وصغرى الصغرى** . وتعرف الصغرى بـام **البراهين** وقد طبعت مرارا فى **مجموع المتون** بفاس ، ومصر . ويشير ابن ناصر فى رسالته الى قول السنوسى فى آخر **ام البراهين** عندما تحدث عن كلمتى الشهادة : «فعلى العاقل ان يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من عقائد الايمان حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه ....»

(53) أحمد الناصرى السلاوى ، **طلعة المشترى** ، جـ 1 ، ص 148 .

على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما . بينما يقولها الناصريون بدونها كما وردت في الرسالة السابقة (54) وان اختصت كل منهما بأدعية فانهما لم تفتأ متشابهتين في التزام البساطة ومراعاة السنة ، وعدم الاتيان بالعبارات الصوفية الغامضة ، والكلمات المبهمة المحتملة لكل تأويـل .

هذا ولم يتتلمذ الناصريون للدلائيين مباشرة ، غير أن الشيخ محمد بن ناصر درس العلوم اللغوية والفقهية على أبي الحسن علي بن يوسف الدرعي (55) تلميذ محمد بن أبي بكر الدلائي . وكان أبو الحسن هذا كثيرا ما يضيق ذرعا بضنك عيش تامكروت ، ويقصد شيخه ابن أبي بكر في الدلاء ، فينال من عطاياه وهداياه ما ينقلب به الى أهله مسرورا . وبعث الشيخ محمد بن ناصر مرة مع أستاذه أبي الحسن بقصيدة يمتدح فيها شيخ الزاوية الدلائية محمد ابن أبي بكر ، منها :

له يدان يد للظلم مقمعة ويد جود تفيد الناس أموالا
كأنما هاتف الحق يخاطبه انفق ولاتخش من ذي العرش اقلالا (56)

فكان لها الوقع الطيب في نفس ابن أبي بكر ، ونال أبو الحسن من معروفه فوق ما كان يعهده منه . والى ذلك كانت هناك اتصالات ومراسلات بين الناصريين والدلائيين أشرنا في الفصل السابق الى بعضها . ولعل الامام أبا علي اليوسي كان أهم صلة تربط بين الزاويتين فقد درس بتامكروت على الشيخ محمد بن ناصر وأخذ عنه عهد الشاذلية وهو ما يزال حدثا في مقتبل العمر ، ثم التحق بالزاوية الدلائية واستقر بها نهائيا تلميذا ثم أستاذا ، ولم تنقطع صلة اليوسي بشيخ تامكروت طيلة العشرين سنة التي قضاها في الدلاء . وقد امتدح اليوسي الشيخ محمد بن ناصر بقصيدة دالية بليغة يبلغ عدد أبياتها 540 . مطلعها :

(54) كانت هذه الصيغة للصلاة على النبي عليه السلام معمولا بها في الزاوية الدلائية الى أن غيرها محمد بن أبي بكر الدلائي بصلاة «الفاتح لما أغلق» بعد أخذه عن الشيخ البكري كما تقدم في الفصل السابق .

(55) أبو الحسن علي بن يوسف بن أحمد بن عبد الحليم الدرعي التامكري . الامام العالم الجليل المجتهد المتفنن في جملة من العلوم العقلية والنقلية كان جل دراسة الشيخ محمد ابن ناصر عليه . ترجم له محمد المكي الناصري في **الدرر المرصعة** ، ص 253 ولم يذكر تاريخ وفاته .

(56) في البيتين خلل في الوزن ، ويستقيم لو جعل (كف) بدلا من يد في الشطر الثاني من البيت الاول ، و (للحق خاطبه) بدلا من الحق يخاطبه في البيت الثاني .

عرج بمنعرج الهضاب الورد بين اللصاب وبين ذات الارمد
وأجز من الجزع الذى بحضيضه أجداث أصداء العشير الهمد (57)

ب) الزاوية الفاسية

الشيخ الاول لهذه الزاوية هو أبو المحاسن يوسف الفاسى . ولد ونشأ بمدينة القصر الكبير وأخذ فيها عن الشيخ عبد الرحمن بن عياد الدكالى المعروف بالمجذوب المتقدم ولازمه الى أن توفى عام 976/68 ـ 1569 ، فتصدر بعده أبو المحاسن الفاسى للمشيخة وتربية المريدين ، وانتقل الى مدينة فاس عام 988/80 ـ 1581 وسكن بدار فى أقصى الدرب الجديد من حى المخفية بعدوة الاندلس ، كان يسكن فى أعلى الدار ويجتمع المريدون فى أسفلها . ثم اشترى دورا مجاورة لها وأسس فيها مسجدا ومنارا وزاوية . وبعد مدة أمر أبو المحاسن أصحابه بتطوان «ببناء رابطة هنالك لاورادهم وأحزابهم واجتماعهم للذكر والتذكير ، فبنوها فى العيون منها وقام الرسم بها أحسن قيام ، ولم تزل الصلوات راتبة بها ورسوم الخير من تلاوة وذكر وغيرها ثابتة فيها واسم الزاوية جاريا عليها ووقف الناس عليها أوقافا» (58) .

وهكذا أسس الشيخ أبو المحاسن الفاسى فى أواخر القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) زاويتين احداهما بحى المخفية بفاس ، والاخرى بحى العيون بتطوان كان يجتمع فيهما أصحابه من المريدين . وقد رتب لهم الشيخ أورادا يقرؤونها جماعة على لسان واحد جهرا فى ثلاثة أوقات : **الاول** بعد صلاة الصبح ، ويقرؤون فيه حزب الفلاح (59) والمسبعات العشر

---

(57) اللصاب : الشعاب الضيقة . الارمد : تراب على لون الرماد . والجزع : منعطف الوادى . والاصداء جمع صدى : والمراد به هنا جسد الميت .

وتشتمل هذه القصيدة كلها على مفردات لغوية جزلة حتى يظن أنها من شعر الجاهليين . وقد جعل لها اليوسى شرحا سماه **نيل الامانى فى شرح التهانى** ، طبع بمطبعة التقدم بمصر عام 1329 .

(58) ابو حامد العربى الفاسى ، **مرآة المحاسن** ص 43 .

(59) حقيقة الحزب كما قال الشيخ زروق فى **شرح حزب البحر** للامام الشاذلى : «هو الورد المعمول به تعبدا ونحوه . وهو فى الاصطلاح مجموع اذكار وادعية وتوجهات وضعت للذكر والتذكير والتعوذ من الشر ، وطلب الخير واستنتاج المعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك ولم تكن فى الصدر الاول ولا من بعده بقريب لكن جرت على أيدى مشايخ المتصوفة» وحزب الفلاح هو من جمع الشيخ محمد بن سليمان الجزولى انظره فى ملحق 4 .

والمعشرات التسع (60) ، ووظيفة الشيخ زروق (61) والحزب الكبير (62) . و **الثاني** فى العشى . وورده المسبعات العشر ووظيفة الشيخ زروق ، الا انهم يستبدلون عبارة (أصبحت وأصبحنا وما أصبح) بقولهم (أمسيت وأمسينا وما أمسى) . **والثالث** بعد الغروب . ووظيفته حزب الفلاح ثم حسبنا الله ونعم الوكيل سبعين مرة (63) ثم صلاة الشيخ عبد السلام بن مشيش (64) .

وهنالك زاوية فاسية أخرى أسسها بحى القلقليين (65) بفاس أخو الشيخ أبى المحاسن وتلميذه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسى المشهور بالعارف بعد تأسيس زاوية المخفية بقليل . ظل أبو زيد الفاسى يسير فى زاويته على النهج الذى يسير عليه أخوه أبو المحاسن فى زاوية المخفية الى أن توفى فخلفه فيها حفيد أخيه ، عبد القادر بن على بن أبى المحاسن ، وكان من أخص تلاميذه وأقرب الناس اليه وأكثرهم استفادة منه . وقد عنى الشيخ عبد القادر الفاسى بزاوية القلقليين عناية خاصة وانكب فيها على تدريس العلوم وتربية المريدين ، ثم جدد له المولى اسماعيل بناء هذه الزاوية ووسعها على النحو الذى هى عليه الآن . وكان المريدون على عهد الشيخ عبد القادر الفاسى يجتمعون فيها للذكر مرتين فى اليوم ، فيقرؤون حزب الغداة بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وهو يشتمل على ما تقدم من حزب الفلاح والمسبعات والحزب الكبير مع زيادة ذكر لا اله الا الله خمسمائة مرة ، ثم محمد رسول الله عشر مرات ، ثم اسم الجلالة خمسمائة مرة ، ثم محمد رسول الله فى اثنائه ماتيسر ثم يقرؤون هذا الدعاء ثلاث مرات : اللهم احينا عليها يامولاى ، وامتنا عليها يا مولاى ، وأثبتنا عليها يا مولاى عند الشهادة والرجوع اليها ويختمون بلا اله الا الله مرة ، ويقرؤون الفاتحة وينصرفون وقد يقرأ بعض المريدين حزبين من

---

60) المسبعات هى عبارة عن عشر جمل من الاذكار تتلى كل منها سبع مرات ، وهى من الشعارات القديمة للصوفية ذكرها الغزالى فى **الاحياء** . والمعشرات التسع من اذكار أتباع الشيخ الجزولى تتلى كل جملة فيها عشر مرات . أنظر المسبعات والمعشرات فى ملحق رقم 4.

61) أنظر وظيفة الشيخ زروق فى : العربى الفاسى ، **مرآة المحاسن** ، ص 55 – 58

62) الحزب الكبير لابى الحسن الشاذلى وأوله على ما عند ابن عطاء الله وابن عباد والشيخ زروق «بسم الله الرحمن الرحيم . واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا فقل سلام عليكم» انظره فى : العربى الفاسى ، **مرآة المحاسن** ص 58 – 63.

63) (حسبنا الله ونعم الوكيل) سبعين مرة لم يكن يقراها المريدون فى حياة الشيخ أبى المحاسن ، وانما زادها ولده الحافظ أحمد بعد موت والده .

64) أنظرها فى ملحق رقم 4 .

65) لم يدفن الشيخ ابو المحاسن فى زاويته بالمخفية ، ولا اخوه عبد الرحمن بزاوية القلقليين، وانما دفنا خارج باب الفتوح بروضتهما المشهورة .

القرآن الكريم . ثم يجتمع المريدون فى الزاوية أيضا بعد صلاة المغرب لقراءة حزب الفلاح وحزب الشيخ عبد القادر (66) الجيلالى وصلاة الشيخ عبد السلام ابن مشيش . كما كان المنشدون كثيرا ما يختلفون الى زاوية القلقليين للترنم بالامداح النبوية والاشعار الصوفية بحضرة الشيخ عبد القادر الفاسى «ولا يستعملون شيئا من السماع حتى يقدموا قبله قراءة القرآن ، وكان يحب كلام الششترى (67) باللحون ، وكلام سيدى عبد الرحمن المجذوب وغيره ، ولا ينكر شيئا من ذلك ولا يحب آلة مع ذلك سدا للذريعة .. وكان يرخص فى الرقص ولكن لذى حال غالب ، ومع ذلك يأمر بالسكون ، وينهى عما يؤثر فى العقول من السماع ، ولا يمنع شيئا فى الفرح بالمولد النبوى من الرقص والشطح» (68) .

وهنالك صلات متينة ووشائج قربى تجمع بين الزاويتين الفاسية والدلائية منذ عهودهما الاولى ، فأبو المحاسن الفاسى هو أحد الشيوخ الاولين فى السلسلة التى تصل محمد بن أبى بكر الدلائى بالامامين أحمد زروق ومحمد بن سليمان الجزولى. وقد تتلمذ الحافظ أحمد بن أبى المحاسن الفاسى على شيخ زاوية الدلاء أبى بكر ، وخص أسانيده فى طريق القوم بتأليف سبقت الاشارة اليه . وأقام أخوه أبو حامد محمد العربى الفاسى مدة طويلة فى الزاوية الدلائية ، يدرس الحديث على الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى ، ويلقى دروسا فى

---

66) الشيخ عبد القادر بن أبى صالح الشريف الحسنى المعروف بالجيلانى المتوفى ببغداد عام 1166 - 65/561 صاحب الطريقة الجيلانية المنتشرة فى جميع البلاد الاسلامية الى أن طغت عليها الطريقة الشاذلية فى المغرب منذ القرن السابع للهجرة . وقد ازداد قدم الشاذلية رسوخا بالمغرب فى القرن التالى مع الشيخ محمد بن سليمان الجزولى الذى كان يعد أتباعه بالآلاف وأخذ عنه جل شيوخ عصره فى هذه البلاد ثم تأكد ذلك فى القرن التاسع للهجرة مع الشيخ أحمد زروق شارح أحزاب الشاذلى ومجدد طريقته فى شمال افريقيا غير ان بعض شيوخ الامام زروق يرتفع سندهم الى الشيخ عبد القادر الجيلالى ومن المعلوم أن عبد القادر الفاسى أخذ عن عم والده أبى زيد عبد الرحمن الفاسى العارف الذى يتصل سنده بالشيخين الجزولى وزروق معا ، ولعل ذلك يفسر ما نراه هنا من قراءة مريدى الزاوية الفاسية لحزب الشيخ الجيلانى ، هذا بالاضافة الى أن الشيخ عبد القادر الفاسى كان صوفيا متحررا يختار من كل ما يراه صالحا وكان كثيرا ما يستشهد بقوله تعالى : «وامر قومك يأخذوا بأحسنها» .

67) أبو الحسن على بن عبد الله النميرى الششترى شاعر أندلسى ، متصوف تنقل فى البلاد وكان يتبعه فى أسفاره ما ينيف على 400 فقير يخدمونه ، وله تآليف منها **المقاليد الوجودية فى أسرار الصوفية** وشعره وموشحاته وزجله فى غاية الحسن يوجد كثير منها فى **ديوانه** المطبوع بمصر . توفى الششترى بقرية الطينة القريبة من دمياط بمصر عام 1269/668 .

68) عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى ، **تحفة الاكابر** ، الباب الثانى عشر ، غير مرقم.

مختلف العلوم على الطلبة الى أن تخرج على يده كثير من العلماء الدلائيين على ما سياتي فى الباب الثالث ؛ وله مراسلات مع الدلائيين، ومقامة أدبية وقصائد فى مدح أستاذه محمد بن أبى بكر الدلائى . كما شد الرحلة الى المدينة الادريسية كثير من أحفاد الشيخ أبى بكر الدلائى للاخذ عن الامام عبد القادر الفاسى حفيد الشيخ أبى المحاسن خصوصا فى الوقت الذى كانت فاس خاضعة لنفوذ السلطان محمد الحاج الدلائى . ومن أشهر المتخرجين على يد الشيخ عبد القادر الفاسى الطيب بن المسناوى الدلائى مفتى الزاوية البكرية وفقيهها الكبير . وبعد النكبة التى أصابت الدلائيين كثر عدد طلبتهم فى زاوية القلقليين بفاس وكأنهم وجدوها أشبه ما تكون بزاويتهم القديمة ، ففيها تعقد المجالس العلمية وحلقات الاذكار وتنشد الاشعار والموشحات والازجال الصوفية . واذا كانت الزاويتان الفاسية والدلائية تتحدان فى سلوك نهج الشاذلية فان اذكار الزاوية الدلائية تمتاز بالبساطة والسير مع ما يناسب موقعها فى وسط البادية ومريديها من أعراب تادلا ، وبرابرة زيان ، اذ لايعقل أن يكلف هؤلاء بحفظ أحزاب الشاذلى والجزولى ووظيفة الشيخ زروق وغيرها من الاذكار المعقدة الطويلة ، بعكس الحال فى زاوية فاس التى كانت تستقبل مريدين متحضرين يتوفر جلهم على مبادىء علمية تؤهلهم لادراك الاحزاب السابقة وغيرها من المسبعات والمعشرات . ولعل هذا مما تمتاز به الطريقة الشاذلية التى لاتعين أذكارا لمريديها فى كل مكان ولا تقيدهم حتى بقراءة الاحزاب التى وضعها الشاذلى نفسه تاركة للشيوخ مجال الاختيار لما يناسب الحال ، فتعددت بذلك مظاهر هذه الطريقة واختلفت صيغ أذكار مريديها لاتجمعهم الا سنة الرسول الكريم التى هى المبدأ الاساسى الذى لايمكن المحيد عنه فى هذه الطريق .

ج) الزاوية العياشية :

تسمى الزاوية العياشية اليوم زاوية سيدى حمزة ، وتقع فى سفح جبل العياشى ، على ضفة أحد روافد وادى زيز بعيدة عن ميدلت بنحو 60 كلم جنوبا. أسسها محمد بن أبى بكر العياشى عام 1044/34 — 1635 باشارة من شيخه محمد بن أبى بكر الدلائى . «وهو الذى أذن له فى اطعام الطعام بالزاوية ، وكان (محمد بن أبى بكر العياشى) يعطى الاوراد للناس ، ويقصدونه من القبائل البعيدة» (69) ونحن وان لم نعثر على ما يبين لنا هذه الاوراد التى

(69) عبد الله العياشى ، **الاحيا والانتعاش** ، ورقة 18 .

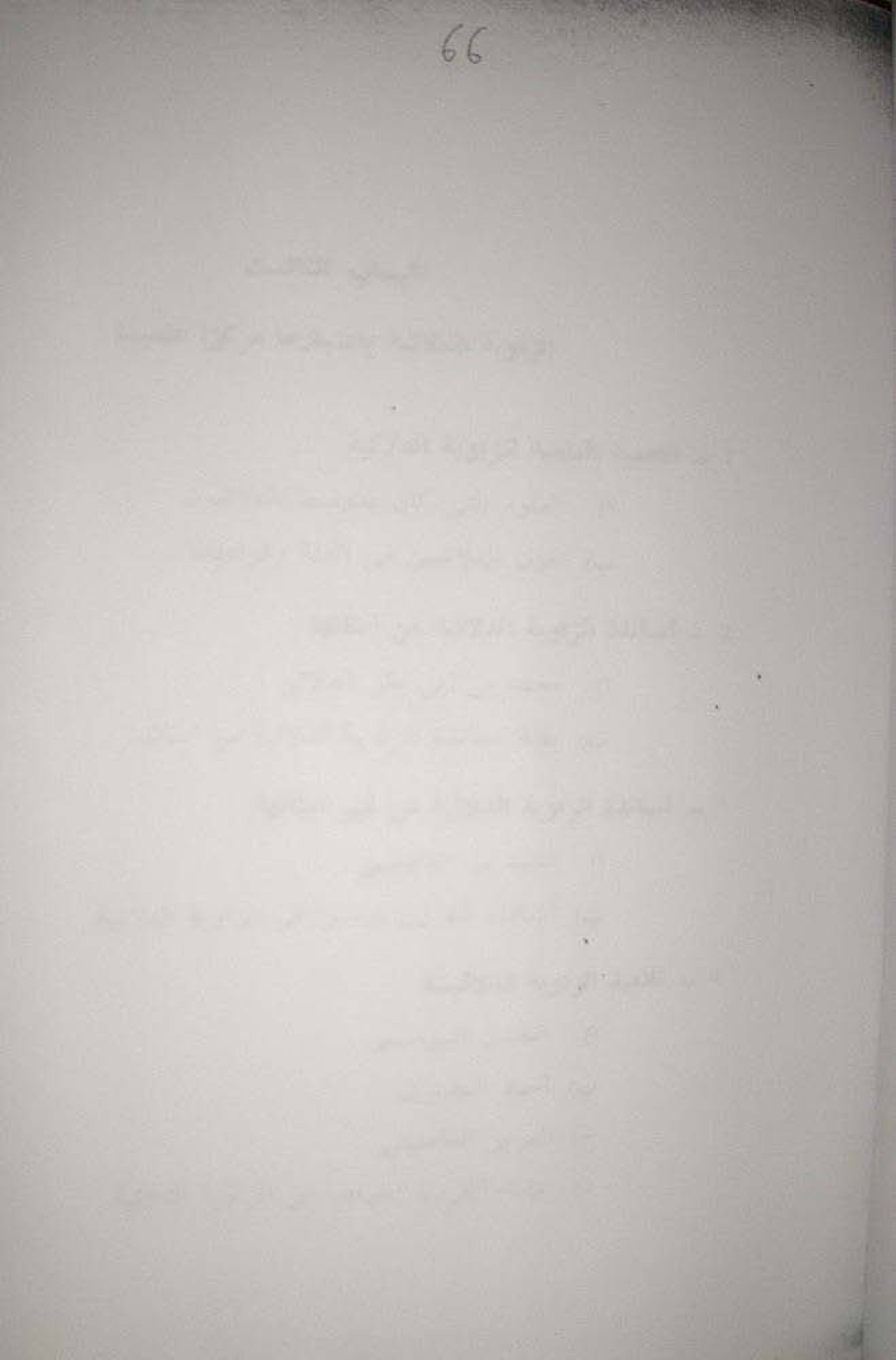
كانت تلقن فى زاوية آيت عياش ، فاننا لانشك فى أنها كانت قريبة مما يتلقاه المريدون فى زاوية الدلاء . فشيوخ ابن أبى بكر العياشى كلهم شاذليـون ، واكثر اقامته كانت فى الزاوية الدلائية ، أخذ فيها أولا عن الشيخ أبـى بكر الدلائى ، ثم عن ابنه محمد من بعده كما سبقت الاشارة الى ذلك . وقد تكاثر الواردون على الزاوية العياشية حتى ضاق مسجدها بالمصلين يوم الجمعـة ، فوسعوه ، وجددوا بناءه عام 1066/55 ـ 1656 .

ولما آل أمر الزاوية العياشية الى أبى سالم العياشى أخذ يشتغل فيهـا بتدريس العلم ، وسار على نهج والده فى الاتصال بالدلائيين وتعظيمهم ، وله معهم مساجلات أدبية شعرية ونثرية ، ومراسلات علمية ، أهمها الاسئلة التى وجهها الى مفتى الزاوية البكرية الطيب بن المسناوى الدلائى وتلقى عنها أجوبة شافية (70) ولم تنقطع صلة العياشيين بالدلائيين حتى بعد تخريب زاويـة الدلاء ، اذ نجد حمزة بن أبى سالم العياشى يأخذ العلم فى فاس عـن محمـد المسناوى الدلائى ، ويؤلف كتابا فى ترجمته (71) والى حمـزة هذا تنسـب الزاوية العياشية لان عنايته بها كانت بالغة فعمل على تنشيط الحركة العلمية فيها، وبذل كل ثروته فى اقتناء الكتب واستنساخها . وكادت الزاوية العياشية تلقى نفس المصير المحزن الذى لقيته أختها بالدلاء ، فغرب السلطان الرشيـد أهلها عنها الى فاس وتركها قاعا صفصفا كزاوية الدلاء ، وظل يصم أذنيه عن توسلات العياشيين فى الرجوع الى ديارهم ، بعد أن استوخموا حاضرة المولى ادريس ، وكانوا يسكنون أخصاصا فوق حى الفخارين داخل باب الفتـوح ، لقلة ذات يدهم وعدم تعودهم على عيش المدن . وقد رجع آل عياش الى زاويتهم باذن من السلطان اسماعيل بعيد توليه الملك فى أوائل عام 1083/1672 . وما زال جبل العياشى يحتضن حتى اليوم هذه الخزانة العلمية العظيمة وهى بحق مفخرة كبيرة لبلادنا ، وشاهد ناطق بماضيها العلمى المجيد ؛ وحبذا لو صرفت العناية الى تنظيمها وتيسير سبيل الاستفـادة منها والكشـف عن كنوزهـا الدفينـة .

---

(70) انظر نص الاسئلة وأجوبتها فى : سليمان الحوات **البدور الضاوية** ، ورقة 1/168 الـى ورقـة 1/170 .

(71) عبد السلام بن سودة ، **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** ، ص 222



الباب الثالث

الزاوية الدلائية باعتبارها مركزا علميا

1 - الاهمية العلمية للزاوية الدلائية

ا) العلوم التى كان يدرسها الدلائيون

ب) تفوق الدلائيين فى اللغة وقواعدها

2 - أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

ا) محمد بن أبى بكر الدلائى

ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

3 - أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها

ا) أحمد بن القاضى

ب) أساتذة آخرون درسوا فى الزاوية الدلائية

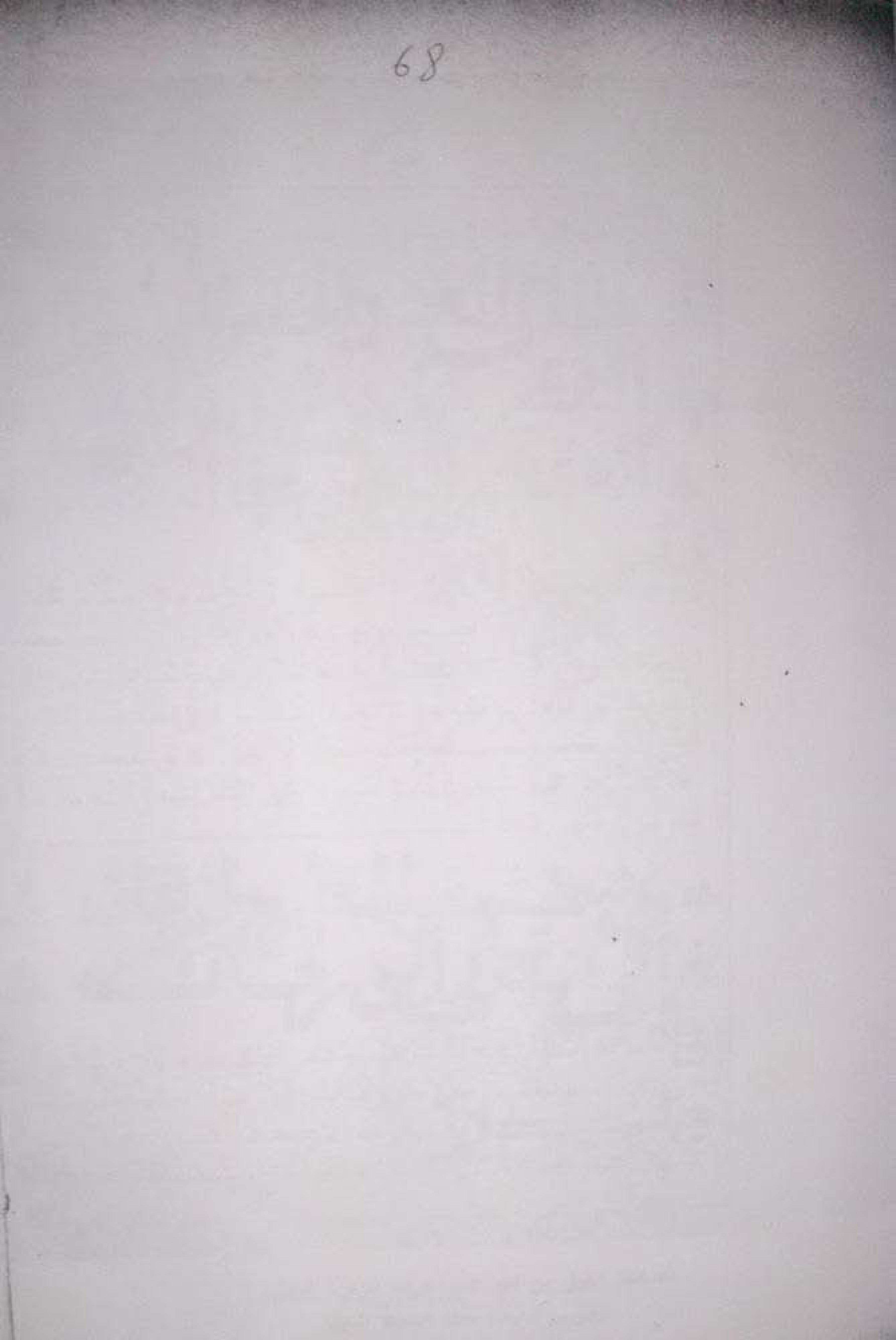
4 - تلاميذ الزاوية الدلائية

ا) الحسن اليوسى

ب) أحمد المقرى

ج) العربى الفاسى

د) علماء آخرون تخرجوا فى الزاوية الدلائية



1

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

قال العبد الفقير إلى [illegible]
الفقير محمد بن محمد بن أبي بكر
الصغير الدلائي عفا الله عنه

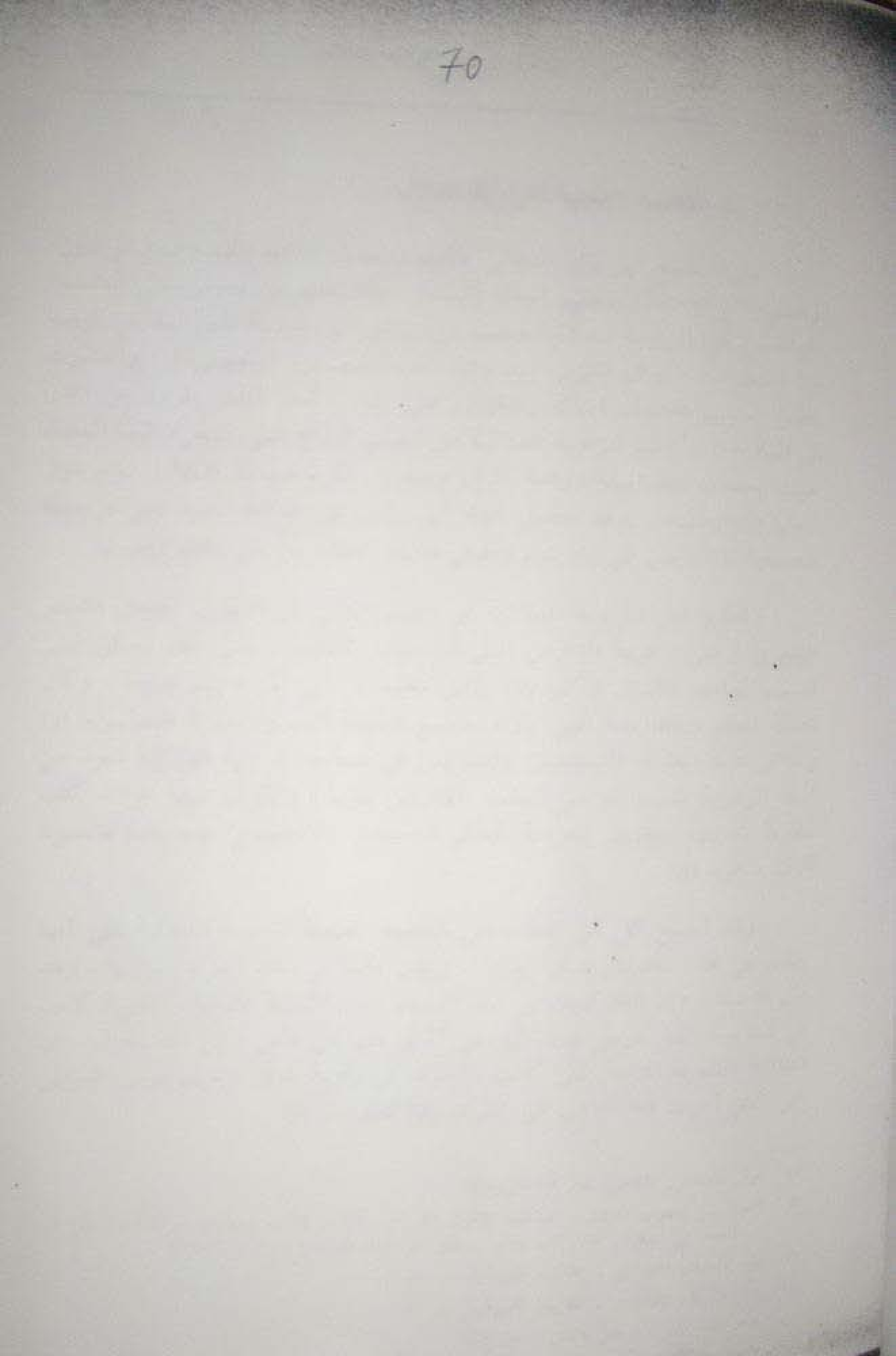
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحابته الأئمة
الصديقين وبعد فهذا [illegible] شرح حافل على ورقات
أبي المعالي إمام الحرمين [illegible]
سألنيه بعض خلطاء الإخوان وبعض [illegible]
الأعيان [illegible]
ليوم يأتي [illegible]

وسميته المعارج المرقية
إلى معاني الورقات

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعني
به [illegible] يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم
[illegible]
[illegible]

الصفحة الاولى من احد كتب خزانة الزاوية الدلائية
وهو من تاليف محمد المرابط الدلائي

عن مخطوطة الخزانة العامة بالرباط



1 ـ الاهمية العلمية للزاوية الدلائية :

عنى الشيخ أبو بكر الدلائى بالعلم والعلماء عنايته بالتصوف والمريدين، واهتم بالغ الاهتمام بتعليم أبنائه الستة . فكان منهم من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية الدلائية ومنهم من ينتقل الى مدينة فاس ليدرس فيها ولما اضطربت أحوال المغرب بعد وفاة أحمد المنصور الذهبى (1) وانتشرت الفتن بسبب اختلاف أبنائه وتنازعهم على الملك ، أخذ الناس يفرون من المدن الى البادية ؛ وكانت الزاوية الدلائية من أحسن البقاع التى يلتجىء اليها العلماء حيث يجدون الطمانينة وراحة البال وينعمون بكرم ضيافة أهلها ، فيتفرغون للعلم وتدارسه . وقد حصل أبناء أبى بكر على بضاعة علمية غير مزجاة فتصدوا للتدريس فى زاويتهم وأقبل عليهم الطلاب من كل حدب وصوب .

وتطور أمر الزاوية الدلائية فى الثلث الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى وكثرت فيها المدارس التى ازدحمت بالطلاب ، حتى كان يسكن فى البيت الواحد طالبان فأكثر (2) ينفق محمد بن أبى بكر عليهم جميعا ، وكان لطلبة العلم «بالمدرسة التى بازاء جامع الخطبة ألف وأربعمائة مسكن» (3) وتكاثر عدد العلماء المشتغلين بالتدريس فى مساجد الزاوية الدلائية سواء من أبناء الزاوية نفسها أو من العلماء الطارئين عليها ، وتكونت فيها خزانة كتب عظيمة شبهها بعضهم بخزانة الحكم المستنصر بالاندلس «وجميعها عشرة آلاف سفر» (4) .

وقد أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية الدلائية على أنها بلغت فى هذا المضمار شأوا بعيدا ، وبذت فاسا فى تلك الفترة وفاقتها ، وقد قال الاستاذ عبد الله كنون فى هذا الصدد : «ان الثقافة الادبية واللغوية كانت فى الناحية التى درس فيها اليوسى أقوى منها فى فاس ، بل اننا نقول ، ان الثقافة اللغوية المتينة التى كانت موجودة فى زاوية الدلاء ، حيث درس اليوسى هى التى أحيت ذماء الادب فى المغرب بعد عدم ..» (5)

---

1) توفى المنصور الذهبى عام 1012/1603 .
2) أحمد بن يعقوب الولالى . **مباحث الانوار** الورقات 7/أ و 25/ب و33/ب مع الاشارة الى ان أحمد بن يعقوب هذا كان طالبا يسكن فى بيت مدرسى بالزاوية الدلائية .
3) عبد السلام القادرى ، **تقاييد تاريخية** ص 11 .
4) عبد السلام القادرى ، **تقاييد تاريخية** ص 11 .
5) عبد الله كنون ، **خل وبقل** ، ص 275 .

أ) العلوم التي كان يدرسها الدلائيون

اشتغل الدلائيون بكل ما كان معروفا لعهدهم من العلوم الدينية واللغوية والادبية ، وبرز منهم علماء أفذاذ في جميع الميادين وسأشير هنا اشارة خاطفة الى كل صنف من أصناف الفنون التي كانت تدرس في الزاوية الدلائية .

القراءات

اشتهر الشرقي بن أبي بكر الدلائي من بين اخوته بالتفوق في علم القراءات وكان مختصا بتدريس هذا الفن في الزاوية الدلائية مع أنه كان مشاركا في كثير من العلوم الاخرى ومجازا من قبل شيخه أبي حامد العربي الفاسي اجازة عامة . فكان الشرقي يلقن الطلبة فن التجويد ، ويعلمهم القراءات السبع ، ويدربهم على تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة متقنة . وقد وصفه الامام أبو علي اليوسي بأنه قطب رحى المقرئين في المغرب في قصيدة يمدحه بها :

أقطب الرحى في المقرئين بذا الافق ويا نجل قطب كان في مقعد صدق
..ولم يعلموا أن لو خلا الغرب كله من الخير كان الخير يرجى من الشرقي

التفسير

كان الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي فارس هذا الميدان ، وله فيه سند عال يوصله بأكثر المؤلفين في تفسير القرآن الكريم ، عن طريق مجيزه الامام أبي عبد الله القصار (6) وغيره من شيوخه . وبذلك يروى **جامع البيان في تفسير القرآن** عن مؤلفه أبي جعفر محمد بن جرير الطبري **و تفسير الكشاف** عن جار الله محمود بن عمر الزمخشري، وتفسير **الرازي** عن مؤلفه فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، وتفسير **الثعالبي** عن أبي اسحاق محمد بن أحمد الثعالبي وتفسير **البيضاوي** عن ناصر الدين أبي محمد عبد الله بن عمر البيضاوي كما يروى بنفس الطريقة تفاسير أخرى (7) .

وكان محمد بن أبي بكر الدلائي يرجع الى هذه الكتب وغيرها ليلقى

(6) محمد بن قاسم القصار ، امام فاس في التفسير والحديث والفقه لم يؤلف كتابا بالرغم من سعة علمه ، وتوفي في طريقه الى مراكش عام 1603/1012 فحمل اليها ودفن بازاء باب روضة أبي العباس السبتي .

(7) محمد بن أبي بكر الدلائي ، **الفهرست** ، ورقة 1/4 و ب .

دروسه التفسيرية العالية فى مسجد الزاوية الدلائية بين العشائين فيحضرها العلماء والطلبة على السواء ، وينطلق فى املائه وشرحه بما يبهر عقول الحاضرين .

الحديث

يعتبر محمد بن أبى بكر الدلائى من أكبر حفاظ المغرب وأعلمهم بالسنة «مع الضبط والاتقان بحيث تصحح نسخ الكتب الستة (8) من فيه ولا سيما الصحيحان» (9) وهو يروى من طريق شيخه الامام القصار أيضا **صحيح البخارى** وبقيت الكتب الستة **وموطأ الامام مالك، ومسند الامام أحمد بن حنبل، وشفا القاضى عياض** وسائر منصفاف الحديث الشريف . وكانت مجالسه الحديثية عظيمة الشأن يحضرها الى جانب الطلبة العلماء على اختلاف طبقاتهم وحيثياتهم . ويذكر لنا أبو حامد محمد العربى الفاسى أنه حضر أحد هذه المجالس لقراءة البخارى يوم الاثنين سادس رمضان المعظم عام 1043/1634 وقد طال المجلس من قبل صلاة الظهر الى غروب الشمس عدا وقت الفريضتين(10). وناهيك بدرس يستغرق القاؤه نصف يوم ! وأعظم بشيخ يستطيع أن يملى طوال هذه الساعات فى مجلس يضم أمثال محمد العربى الفاسى ! وذلك كان دأب ابن أبى بكر دائما ، يدرس صحيح الامام البخارى ويختمه كل سنة ، ويحتفل بيوم الختم احتفالا كبيرا يحضره العلماء من البلدان البعيدة وينظم الشعراء القصائد وتقدم فيه صنوف الاطعمة (11) .

وقد كان أخوا الشيخ محمد بن أبى بكر ، عبد الكريم ومحمد الخديم الدلائيان محدثين حافظين كذلك . فأكبا بدورهما على تدريس مصطلح الحديث وكتب السنة للطلبة ، وتخرج على يدهما كثير منهم .

التوحيد والفقه والاصول

اشتغل كثير من علماء الدلاء بالتوحيد والفقه وأصوله ، وكانوا يقومون

---

(8) الكتب الستة هى صحيحا الامامين أبى عبد الله **البخارى ومسلم** القشيرى ، وسنن محمد **ابن ماجة** القزوينى ، **وأبى داوود** السجستانى ، وأبى عيسى **الترمذى** ، وأبى عبد الرحمن **النسائى** .

(9) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ورقة 51/ب

(10) نقله عن خط أبى حامد الفاسى ، سليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ورقة 103/أ

(11) انظر احدى القصائد التى قيلت فى ختم البخارى بالزاوية الدلائية فى ملحق رقم 5

على تدريسها فى زاويتهم مع الفنون الاخرى . ومن الكتب التى كانوا يعتنون بها فى هذه المادة **جمع الجوامع** لتاج الدين السبكى . و**ورقات امام الحرمين**، و**المختصر** للشيخ خليل بن اسحاق المالكى . و و **مختصر ابن الحاجب**، وعقائد الامام السنوسى لاسيما **العقيدة الكبرى** . وأشهر فقهاء الزاوية الدلائية وآخرهم هو الطيب بن المسناوى بن محمد بن أبى بكر امام المنقول والمعقول الذى كان يرجع اليه علماء عصره فيما يحدث من المشاكل الفقهية ويستفتونه فى النوازل الطارئة . وقد تقدمت الاشارة فى الباب الثانى الى الاسئلة التى وجهها اليه الرحالة أبو سالم فقيه الزاوية العياشية وأديبها وهى تتعلق بمسائل أشكل عليه أمرها بعضها فى فن الاصول من كتاب جلال الدين المحلى

التصوف

اشتهر عالمان دلائيان بتدريس التصوف وتربية الاذواق وهما الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى وأخوه عبد الرحمن . ومن كتب هذا الفن التى كانت تدرس فى الزاوية الدلائية **رسالة القشيرى** ، و **حكم ابن عطاء الله** ، و **أحزاب الشاذلى** . وألف محمد الخديم الدلائى **كتابا فى التصوف** كما ياتى فى الباب السابع .

المنطق والتوقيت

اهتم الدلائيون بدراسة هاتين المادتين وأتقنهما كثير من علمائهم وفى مقدمتهم الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى الذى أخذهما عن الامام أحمد بن القاضى . ومن الكتب التى كانت تدرس فى الزاوية الدلائية **مختصر السنوسى** فى المنطق الذى جعل له الحسن اليوسى شرحا كبيرا ، **وروضة الازهار** للجادرى فى التوقيت .

ب) تفوق الدلائيين فى اللغة وقواعدها

لعل أهم فن تفوق فيه الدلائيون وبذوا فيه معاصريهم هو قواعد اللغة العربية التى كان لها الحظ الاوفر فى حلقاتهم العلمية . وتفوق الاعاجم على العرب فى هذا الميدان ظاهرة قديمة عرفت منذ العصر الاول لجمع اللغة وتدوينها ، فابو عبيدة وأبو عبيد بن سلام ، وحماد الراوية وخلف الاحمر وغيرهم من رواة الشعر القدامى كلهم من الموالى وكذلك كان سيبويه والكسائى والفراء وابن السكيت وغيرهم من نحاة البصرة والكوفة . و **القاموس المحيط** الذى يرجع اليه اللغويون فى العربية حتى يومنا هذا هو من تاليف مجد الدين الفيروزيادى الفارسى؛ وقد اقبل الاعاجم المسلمون على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والدين ، وجدوا فى تعلمها وتعليمها لغرابتها عليهم وتفوقوا فى

ذلك على العرب الذين كانوا يعتبرون أن العربية لغتهم الاصلية ولا حاجة الى معاناة دراستها وتدوينها . ومن أشهر نحاة الدلائيين أبو العباس أحمدالحارثي ابن أبي بكر الدلائي الذي كان يداوم على اقراء **كتاب سيبويه** طول عمره ، والشاذلي بن محمد بن أبي بكر الذي كان متفرغا في دروسه لمادتي النحو واللغة، حتى قيل انه أقرأ **الفية ابن مالك** مائة مرة، و **مقامات الحريري** ثلاثين مرة يختمها كلها من أولها الى آخرها ، ومن الكتب التي كانت تدرس بالزاوية الدلائية أيضا كتابا **المغني والتوضيح** لابن هشام . و **الكامل للمبرد** ، و **الامالي** لابي علي القالي ، و **مختصر العين** لابي بكر الزبيدي ، و **الكافية** ، و **التسهيل** لابن مالك، **والكافية** ، و **الشافية** لابن الحاجب . ويعد محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي سيد قومه في هذا الباب فهو صاحب المجالس النحوية العالية التي كان يحضرها أمثال الحسن اليوسي وأحمد بن عبد القادر القادري وغيرهما من أكابر العلماء .

البلاغة والادب

يكاد يكون جميع علماء الدلاء من رجال الادب ، فهم يحسنون الانشاء والترسل ويجيدون قرض الشعر . وكان كثير منهم يلقن لطلبته دروسا أدبية في الكتب المتعارفة آنذاك مثل **المقامات الحريرية** والدواوين الشعرية . كما كان أبو عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي يقوم بتدريس كتاب **تلخيص المفتاح** للخطيب القزني . وقد ذكر أحمد بن يعقوب الولالي انه كان يدرس مع زملائه الطلبة على الامام الحسن اليوسي في الزاوية الدلائية علوم البيان ، والمنطق ، والفقه ، والاصلين ، دون أن يذكر الكتب التي كانوا يدرسونها (12) .

2 ـ أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها

عرفت الزاوية الدلائية كثيرا من العلماء الذين انتصبوا للتدريس فيها . ونجد عند المؤرخين المعاصرين للزاوية ما ينبىء عن وفرة العلماء فيها أيام ازدهارها ، غير أنه لايمكننا تحديد عدد المدرسين لعدم افصاح المصادر عن أسماء الكثيرين منهم . وسأورد هنا تراجم مختصرة لبعض من قاموا بالتدريس في الزاوية الدلائية متحدثا أولا عن العلماء الدلائيين باسطا القول قليلا في ترجمة محمد بن أبي بكر الدلائي ، ثم أتخلص لذكر العلماء الذين وفدوا من فاس ومراكش وغيرهما على الزاوية الدلائية وأقاموا فيها للتدريس وأبسط القول كذلك قليلا في ترجمة أحمد بن القاضي .

(12) مباحث الانوار ، ورقة 7/1

أ) محمد بن أبى بكر الدلائى

ابو عبد الله محمد – بفتح الميم – ابن أبى بكر بن محمد بن سعيد المجاطى الصنهاجى الدلائى ، واسطة عقد الاسرة وعالمها الكبير الذى جلب لها الشهرة «خاتمة مشايخ المغرب ، انتهت اليه رياسة الدين والدنيا واستقل بسياسة الامور الجليلة والرتب العليا . عالم حافظ دراك متوسع فى علم التفسير ومعانى الحديث وعلم الكلام حسن المشاركة فيها وفى غيرها ، رصين العقل سديد الرأى جميل المعاشرة مراع لحقوق الصحبة ، كريم النفس عالى الهمة ، فياض العطاء واسع المعروف . لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله فى ديوان مستقل ، لم يجمع منها الا ماينذر ويقل ، ولو صنف من أنواعها أصنافا ، وألف من أعدادها آلافا ..» (13)

ولد محمد بن أبى بكر بالدلاء – تقريبا – عام 1559/967 وحفظ القرآن الكريم وأتقن رسمه وتجويده فى العقد الاول من عمره ، وقرأ على والده مبادىء العربية وأحكام الدين ، ثم أخذ عن العلماء الوافدين على الزاوية البكرية فدرس على أبى العباس أحمد بن القاضى الحساب ، والتوقيت ، وما كان يعرف آنذاك بالعلوم الادبية الثمانية ، وهى اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض ، والقوافى ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب وأنسابها . ومن أهم الكتب التى قرأها محمد بن أبى بكر الدلائى على ابن القاضى **المغنى** لابن هشام ، و **الكامل** للمبرد ، و **الامالى** لابى على القالى ، و **مختصر العين** لابى بكر الزبيدى ، و **كتاب القلصادى** فى الحساب **وروضة الازهار** للجادى . وأخذ عن أبى على الحسن الدرعى ، المعروف بالدراوى الفقه والاصلين (14) والمنطق والبيان ، فى كتب **جمع الجوامع** للسبكى ، **وعقائد السنوسى** ومختصره فى المنطق . وتزوج محمد بن أبى بكر الدلائى مبكرا مصهرا الى أسرة الشرفاء الشبوكيين المعروفين بجمال الخلق والخلق والذين اشتهر منهم علماء وأدباء حظوا برتب سامية فى بلاط المرينيين ومن بعدهم . وقد ذكر ابن الاحمر (15) فى **نثير الجمان** نسب الشبوكيين وترجم لاديب منهم يسمى محمد بن يوسف ونقل عنه ذلك أحمد المقرى فى **أزهار الرياض** فقال : «وأقارب هذا الشريف لم يزالوا الى الآن ولهم مصاهرة مع ولينا الفقيه المحدث ، الحاج الرحالة البركة

(13) العربى الفاسى ، **مرآة المحاسن** ، ص 225.

(14) المراد بالاصلين ، العقائد وأصول الفقه .

(15) أبو الوليد اسماعيل بن الامير أبى الحجاج يوسف بن الاحمر المتوفى عام 1404/807 رتب كتابه **نثير الجمان** على قسمين قسم فيمن لقيه بالمغرب وقسم فيمن لقيه بالاندلس ، وخصص بابا لشعر كتاب بنى مرين .

القدوة الصالح الناصح أبى عبد الله سيدى محمد بن الولى الصالح سيدى أبى بكر بن محمد صاحب الدلاء (16) أبقى الله علاهم، وأعانهم على ما أولاهم» (17)

وقد رحل محمد بن أبى بكر الدلائى للقاء شيوخ التصوف بمختلف أنحاء المغرب والاخذ عنهم، فاتصل بمحمد بن مبارك بتاستاوت (18) وبعبد الله بن حسون بسلا، وبعبد الله الملوانى بتاغيا (19) وبأبى عبيد محمد الشرقى فى أبى الجعد وسلك على يدهم طريق القوم متدرجا فى مراقى الكمال الروحى. ثم توجه الى الحج عام 1005 فلقى بالقاهرة الشيخ محمد زين العابدين البكرى (20) ولازمه طيلة المدة التى قضاها فى مصر وأفاد منه كثيرا، ثم بعد رجوعه من الشرق سافر الى فاس وأخذ عن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى عهد الشاذلية، وحضر مجالس الامام محمد بن قاسم القصار فى التفسير والحديث والتصوف. ويطول بنا الكلام لو تعرضنا لذكر كل ما أخذه ابن أبى بكر الدلائى عن القصار، ونكتفى بالاشارة الى أنه نال منه اجازة عامة (21) وروى عنه بالسند المتسلسل المتصل بالمؤلفين أحد عشر تفسيرا للقرآن الكريم، والكتب الستة وسائر مصنفات الحديث وغير ذلك من المؤلفات التى تشتمل عليها **فهرست** الامام القصار (22). ورجع محمد بن أبى بكر فى أواخر عام 1012/1604م الى الدلاء عالما عاملا صالحا مصلحا، فتصدى للتدريس بالزاوية، الى جانب اخوته الخمسة وغيرهم من العلماء الوافدين، وأسهم بدوره فى افادة الطلاب الذين تكاثر عددهم اذذاك بالزاوية حتى ضاقت بهم بيوت المدارس.

وخلف محمد بن أبى بكر أباه بعد موته عام 1021/1612 فى القيام بشؤون الزاوية البكرية، فسار على نهجه فى اطعام الطعام، واكرام العلماء

---

(16) علق المصححون المنتدبون من قبل لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة لتحقيق كتاب **ازهار الرياض** فى الهامش (ج 1، ص 294) على كلمة (الدلا) بقولهم «كذا وردت هذه الكلمة فى الاصلين ولم نفهم المراد منها ولم نعثر على مرجع آخر لهذا الكلام المنقول عن ابن الاحمر لنعارض به هذا النص» وهكذا نرى نتيجة الاهمال الذى لحق الدلائيين مع ما كان لهم من العلم والجاه فتنكر لهم اشقاؤهم بالمغرب وانكرهم اخوانهم بالمشرق!

(17) احمد المقرى، **ازهار الرياض** ج 1 ص 294.

(18) تاستاوت قرية جبلية تقع جنوبي ولماس، فى طريق وادى زم وتبعد عنه بنحو 90 كلم.

(19) تاغيا المراد بها قرية ملوان الواقعة فى آيت حديدو فوق ميدلت. وليس المراد تاغيا المشهورة اليوم التى فيها ضريح مولاى بوعزة بين وادى زم وولماس.

(20) الشيخ ابو السرور محمد زين العابدين البكرى الصديقى شيخ الطريقة الشاذلية بمصر توفى عام 1007/1598.

(21) انظر نص الاجازة فى ملحق رقم 6

(22) توجد فهرست الامام القصار مخطوطة فى مجموع بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 71 ج

والمتعلمين ، وسعى مثله فى تهذيب الاخلاق ، وترقية الاذواق مجتهدا فى اصلاح الاحوال العامة بالانتصار للمستضعفين من قومه وجيرته ، وانصافهم من الظالمين المتغلبين عليهم من ذوى قرابتهم ، فأصابه من شرر الفتنة وعنت البغي ما جعله يبتعد عن الدلاء مدة مهاجرا الى تاغيا ، ولكنه لم يستسلم وظل ينشد العدل والامن ، مستعملا طرق الترغيب والترهيب تارة ، وملتجئا الى حد السيف أحيانا ، الى أن خضدت شوكة الفئة الباغية وسادت الطمانينة اقليم تادلا والاطلس المتوسط . وتوسع محمد بن أبى بكر كثيرا فى تشجيع العلوم بالزاوية البكرية ، وشيد بها مدارس جديدة لايواء الطلبة المتكاثرين ، ونبغ عدد غير قليل من أحفاد أبى بكر الدلائى وتخرجوا من زاويتهم علماء وأدباء وشعراء وأقبلوا بدورهم على التدريس فيها ، فقامت فى هذه القرية الجبلية النائية ، الآمنة المطمئنة سوق علمية نافقة رابحة ، فى الوقت الذى كانت فيه فاس ومراكش وغيرهما من المدن العلمية التقليدية تعانى من ضروب المحن وأهوال الفتن ألوانا ، حتى تعطلت صلاة الجمعة فى القرويين فضلا عن مجالس العلم . وظلت الزاوية الدلائية فى هذه الفترة الحالكة من تاريخ المغرب تقوم بدورها المشرف فى احتضان الثقافة العربية ، والمحافظة على التراث العلمى والدينى ، تفسح صدرها الرحب للعلماء والطلاب من مختلف الآفاق وتنفق من سعتها بغير حساب .

واذا كان محمد بن أبى بكر درس علوما كثيرة ، عقلية ونقلية كما رأينا ، فانه برز فى التفسير والحديث ، حتى كادت مجالسه العلمية تقتصر عليهما ، وكان يحفظ صحيحى البخارى ومسلم وكتب السنن وغيرها ، ويعرف الروايات المختلفة ورجال الاسانيد مع كثير من الضبط والتحرى والصدق وعدم المبالاة فى الجهر بالحق . وهو القائل عن محدثى زمانه : «حفاظ المغرب ثلاثة : حافظ ضابط ثقة ، هو أحمد بن يوسف الفاسى . وحافظ ضابط غير ثقة ، وهو أحمد المقرى ، و حافظ غير ضابط ولا ثقة وهو عبد الله بن طاهر الحسنى» (23) وقد تناول الناس هذا الحكم بالتعليق ، واشتغل به المؤرخون والمحدثون فكتبوا فى تأييده أو الرد عنه صفحات عدة فى مؤلفاتهم الى عصرنا الحاضر ، دون أن يجرؤ أحد منهم على الغض من ابن أبى بكر أو النيل من ثقته وعدالته . ويمتاز محمد

---

(23) ذكر هذه العبارة جل من ترجم لابن أبى بكر ، كالقادرى فى **نشر المثانى** ج 1 ص 165 وقد سبق التعريف بأحمد الفاسى ، وستأتى ترجمة المقرى ، أما عبد الله بن طاهر الحسنى فهو المحدث الحافظ تلميذ الامام القصار ورفيق الشيخ ابن أبى بكر الدلائى فى الطلب . توفى عام 1634/1044 ودفن فى بلاده مدغرة من أعمال سجلماسة وبنيت على ضريحه قبة . ارجع فى موضوع مقالة ابن أبى بكر الدلائى فى حفاظ زمانه الى : الكتانى ، **فهرس الفهارس** ، 1 : 296 – 300

ابن أبى بكر أيضا بفصاحة العبارة وسلاسة الاسلوب والقدرة على الانطلاق فى الحديث ، والاستمرار فى الاملاء والتقرير، حتى كان درسه أحيانا يستغرق نصف يوم ، دون أن يشعر المستمعون اليه بسأم أو ملل . ويمكننا أن نعرف قيمة هذه الدروس اذا علمنا ان ممن كان يحضرها ويستفيد منها أحمد المقرى، وأبو حامد العربى الفاسى ، وعبد الواحد بن عاشر ، ومحمد البوعنانى ، وعلى ابن عبد الواحد الانصارى السلاوى ، ومحمد المرابط ، وغيرهم من أعلام العلماء وأكابر المؤلفين . ولم يكن تكوين ابن أبى بكر من النوع العادى القاصر على مجرد الرواية والتحمل والحفظ الآلى ، وانما كان تكوينا حقيقيا أعطاه شخصية علمية مستقلة ، جعلته يكون لنفسه طريقة خاصة فى فهم الحديث ، ويرجع الى أصوله الاصيلة ، سالكا سبيل المحدثين الاولين فى انتقاد الرواية ورجالها، وتعديلهم وتجريحهم والعمل على استخراج الاحكام الفقهية من الكتاب والسنة «وقد أعطى من القدوة على اقامة الادلة ما كان يصل به الى الاستنباط من مسالك العلة فتكاملت عنده أدوات الاجتهاد ، التى يجب عليها فى تحقيق المناط وتنقيحه الاعتماد ، حتى كان لايشق له غبار فى المباحثة والمناظرة ، ولا يعبر له عباب فى المذاكرة والمحاضرة (24) » .

وقد رأينا عرضا فى البابين السابقين جوانب متعددة من شخصية هذا العالم الصالح ، وعرفنا شيئا عن كرمه ومواظبته على تدريس صحيح البخارى فى مسجد الدلاء واحتفاله بالمولد النبوى الشريف ، وسنقف على جوانب أخرى من شخصيته فى الابواب التالية ، غير انه ينبغى ألا يفوتنا هنا أن نعرض بايجاز لما كان عليه من رقة الطبع ودقة الاحساس وعمق الشعور . ومن بليغ تأثره بالمواعظ ما حكاه عنه تلميذه أحمد بن يعقوب الولالى بقوله : «حضرته يوما تقرأ بين يديه همزية البوصيرى ـ شكر الله له سعيه ـ صبيحة يوم المولد النبوى أو سابعه ، وقد بلغ من ينشدها الى حيث ذكر الصالحين وانه يحاول أن يصل اليهم وقد فاتوه مع كبر سنه (25) فجعل يبكى رحمه الله بكاء شديدا حتى بكى لبكائه من حدوه ، ثم غلبه حاله فقام يذهب

(24) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 30/ب .

(25) لعله يشير الى أبيات الهمزية التالية :

كنت فى نومة الشباب فما استيـ ـقظت الا ولمتى شمطاء
وتماديت أقتفى أثر القوم فطالت مسافة واقتفاء
فورا السائرين وهو أمامى سبل وعرة وأرض عراء

حافيا ، وما شاه الناس الى منزله ..» (26) . وقد ازداد طبع محمد بن أبى بكر الدلائى رقة فى سنيه الاخيرة وأخذ يكثر من الانصات الى السماع (27) ويتأثر به غاية التأثر فبلغ ذلك شيخه أحمد بن القاضى فكتب اليه :

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة   فمالك بعد الشيب أصبحت صابيا

فأجابه محمد بن أبى بكر بقوله :

نعم لاح برق الحسن فاختطف الحشا   فلبيتـه من بعد ما كنت آبيـا

ولما دنا أجل محمد بن أبى بكر الدلائى جمع أولاده بين يديه وكان يستشعر من بعضهم الاستشفاف الى الامارة والجاه ، وأوصاهم بعدم الانسياق مع الاهواء ، والجرى وراء الاطماع ، وقال لهم : ان الله عز وجل أخبر عن قول طالوت لقومه : «ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده» (28) وأنا أقول ولو من اغترف غرفة بيده. ولم يؤلف محمد بن أبى بكر الدلائى على ما كان عليه من علم وتحقيق الا كتابا جمع فيه **أربعين حديثا** نبويا ، رغبة فى نيل الثواب الوارد فى ذلك ، **ومسائل مختلفة** من أصول الفقه وفروعه بعث بها الى تلميذه أحمد المقرى بالمشرق ، شأنه فى ذلك شأن شيخه الامام القصار الذى لم يترك بعد وفاته الا تقاييد فى وريقات بيعت بوزنها ذهبا على ما قيل .

وتوفى محمد بن أبى بكر يوم الاربعاء 11 رجب عام 1046/10 دجنبر1636 عن سن تناهز الثمانين ، ودفن ضحى الغد الخميس قرب روضة والده بالدلاء وشيد على ضريحه الملك السعدى محمد الشيخ بن زيدان (1045 – 1063/ 1636 – 1653) قبة حسنة بعث لبنائها من مراكش وصيفه الامين مبارك السوسى مزودا بالمال والمواد اللازمة ومعه عدد من العمال والصناع «فبنيت على أحسن ما ينبغى من التنميق والتبهيج والتزويق» (29) وكتبت بأعلى مشهد الدربوز أبيات من نظم الاديب محمد بن سعيد السوسى المرغتى ، وهى :

هذا ضريح التقى والمجد والكرم   هذا الولى الوفى للعهد والذمم
هذا المحب لاهل الله قاطبة   محمد بن أبى بكر الرضى العلم

(26) أحمد بن يعقوب الولالى ، **مباحث الانوار** ، ورقة 50/أ
(27) المراد بالسماع الاشعار والموشحات والازجال التى تنشد ملحنة على حسب الطبوع الموسيقية.
(28) سورة البقرة ، الآية 247
(29) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 101/ب.

قد سار فى رجب لله عام مشوا (30) بـه الى جنـة الرضـوان والنعـم
من اجل ذا قام فى تشييـد روضتـه محمد الشيـخ مولى العرب والعجـم

وقد تهدم سقف هذه القبة ، ولم يبق منها اليوم الا جدرانها العارية من الجص، تبدو لبناتها الحمر أفقية فى الجدران ، وقائمة أو منحرفة فى أقواس الابواب الموجودة فى جهاتها الاربع . وبوسطها ساريتان مربعتان ، بينما يوجد القبر محدودبا كسائر القبورالعادية مغطى ببقايا القرميدالاخضر الذى كان يزين أعلى القبة . وقد قيلت فى مدح محمد بن أبى بكر الدلائى قصائد شعريـة وقطـع نثرية لو جمعت لكونت ديوانا أدبيا ضخما (31) .

ب) بقية أساتذة الزاوية الدلائية من أبنائها :

عبد الرحمن بن أبى بكر الدلائـى

هو أحد العلماء النابغين فى العهد الاول للزاوية الدلائية وفيها أخذ العلم عن أبى على الحسن بن أحمد الدرعى الشهير بالدراوى وأبى العباس أحمد بن محمد بن القاضى المكناسى وذلك قبل أن يرتحـل الى فاس ليأخذ عن الامـام محمد بن قاسم القصار ويدرس عليه التفسير والحديث وغيرهما وينال منه اجازة عامة . وقد رجع عبد الرحمن الى الدلاء عالما كبيـرا فتصدر للتدريـس وأقبل عليه الطلبة من أبناء الزاوية وغيرها . وكان يـدرس لهم التفسيـر ، والحديث وعلم الكلام والفقه ، وأصوله والنحو ، والتصوف . ولا نعرف الكتب التى كان يعتمد عليها عبد الرحمن الدلائى فى هذه المواد ، غير أنها فى الغالب لاتخرج عن الكتب المتداولة فى الزاوية مما أشرنا اليه فى الفصل السابق . وكان عبد الرحمن ناسكا سالكا سبيل والده فى الزهد والاعراض عن الدنيا ، وانقطع فى آخر حياته لعبادة ربه فى خلوة خارج الزاوية ، وبها توفى عـام

---

(30) عدد حروف كلمة (مشو) بحساب الجمل 1046 . اذ الشين بألف ، والميم بأربعين والـواو بستة . والتواريخ الشعرية تبنى غالبا على هذا الحساب الابجدى السهل

(31) ترجم لمحمد بن أبى بكر تلميذه أبو حامد الفاسى فى **مرآة المحاسن** ص 225 ـ 227 ومحمد الافرانى فى **الصفوة** ص 67 ـ 68 ومحمد القادرى فى **نشر المثانى** ، ج 1 ، ص 170 وما بعدها وسليمان الحوات فى **البدور الضاوية** باسهاب من ورقة 25/ب الى ورقة 101/ب ومحمد بن أحمد الفاسى ، **شرح درة التيجان** ، مخطوطة خ. ع. رقم 1432ك ص 7ـ13 والكتانى فى **فهرس الفهارس** ، ص 294 وما بعدها . واخبار محمد بن ابى بكر الدلائى متفرقة فى أكثر الكتب التى ألفت فى القرون الثلاثة الاخيرة .
ـ أنظر قصيدة مدح بها العربى الفاسى شيخه محمد بن ابى بكر فى ملحق رقم 9

1020/1611م وهو الوحيد بين اخوته الذى توفى قبل والده وبنيت عليه «قبة حفيلة مستطيلة» ما تزال جدرانها قائمة حتى اليوم (32) .

محمد المرابط الدلائى

محمد المرابط أو الصغير ابن محمد بن أبى بكر الدلائى هو أحد علماء هذه الاسرة الذين طارت شهرتهم بالمغرب والمشرق ، وتخطف الناس مؤلفاته باذلين فيها الاثمان الباهظة . وسبب شهرته بالمرابط تقشفه فى الملبس منذ صباه ، وزهده فى الدنيا واعراضه عنها . أخذ العلم بالزاوية الدلائية فقط عن أبيه وأعمامه واخوته ، وغيرهم من العلماء الوافدين على الزاوية كأبى حامد محمد العربى الفاسى ، وأبى العباس أحمد بن عمران وغيرهما .. تولى المرابط الامامة والخطبة والتدريس فى المسجد الاعظم بالزاوية البكرية ، وكانت مجالسه النحوية العالية ملتقى نجباء الطلاب أمثال الحسن اليوسى وأضرابه . وقد اشتغل محمد المرابط كذلك بالتأليف فى مختلف الفنون ، وبخاصة النحو والصرف والاصول ، كما سنرى فى الباب الاخير عند كلامنا على مؤلفات الدلائيين . أما أدب محمد المرابط فرفيع وغزير ، وجله يتسم بالطابع الدينى، ويختص بمدح الرسول الكريم . ومن ذلك قصيدته النونية التى تناهز 200 بيتا ، ومطلعها :

حى المعاهد طافح الاشجان ··· وانثر هناك لآلىء الاجفان

وخرج المرابط مع قومه من الدلاء الى فاس بعد تخريب زاويتهم ، وتابع رسالته العلمية والدينية بحاضرة المولى ادريس مقبلا على التدريس فى مساجدها متوليا أمر الخطابة بمدرستها المتوكلية (33) . ثم توجه الى الحج وأقام مدة فى مصر أحاطه أثناءها علماء القاهرة بمظاهر الاعزاز والاكرام ، ومدحه أدباؤها بقصائد تنم عن مدى اعجابهم بهذا العالم المغربى الكبير الذى سبق أن عرفوه عن طريق مؤلفاته القيمة . من ذلك قصيدة للامام أبى السرور الصيدانى ، مطلعها :

شمس الهدى من أمه نال الارب ··· فرع الكرام ذوى المكارم والحسب(34)

---

(32) ذكر ر. هنرى فى مقاله بمجلة **هيسبريس** (عام 1944 . ص 50) ان هذه القبة المستطيلة هى لفقيه الزاوية محمد بن عبد الرحمن ، وذلك بناء على رواية محلية غير صحيحة . انظر ترجمة عبد الرحمن الدلائى فى : سليمان الحوات **البدور الضاوية** ، ورقة 24/ وما بعدها .

(33) المدرسة المتوكلية هى المدرسة البوعنانية الشهيرة بحى الطالعة بفاس .

(34) انظر القصائد التى مدح بها أدباء مصر المرابط الدلائى فى : سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 34/ب وما بعدها

توفى المرابط الدلائى بفاس عام 1089/1678 (35).

أحمد الحارثى بن أبى بكر الدلائى

هو أحد نحاة الزاوية ولغوييها . قضى حياة الطلب كلها فى الدلاء آخذا عن علماء قومه ، وعن الوافدين على زاويتهم مثل أحمد ابن القاضى ، وأحمد بن عمران الفاسى ، وعلى بن عبد الواحد الانصارى السلوى ، وأبى حامد العربى الفاسى ، وقد أجازه هذا الاخير اجازة عامة (36) «وكانت له اليد الطولى فى التاريخ ، والحساب ، واللغة ، والبيان ، والادب والاصول ، والفقه والحديث» (37) ، غير أن النحو واللغة غلبا عليه ، فكان يقرىء **كتاب سبويه** طول عمره كما رأيناه فى الفصل السابق وألف فى الاصول **شرحا على مختصر ابن الحاجب**، وترك تقاييد كثيرة فى التفسير والحديث ، وتوفى بالدلاء عام 1051/1641 .

المسناوى بن محمد بن أبى بكر الدلائى

هو أبو عبد الله محمد المسناوى «الفقيه المحدث الاستاذ الكبير ، الوارد من حياض المجد منهلا يروى ويمير» (38) نشأ فى الدلاء ثم انتقل الى فاس قبل أن يبلغ الحلم ، وأكب فيها على تحصيل العلوم بجد واجتهاد آخذا عن الامام محمد القصار ، وعبد الواحد بن عاشر الانصارى وغيرهما . ولم يرجع الى الزاوية الدلائية الا وهو عالم بارع فى الفقه ، والاصلين ، والتفسير ، والحديث، وعلم الكلام ، والقراءات ، واللغة ، والنحو ، والادب ، فأخذ يلقن هذه العلوم لتلاميذ الزاوية ، وأقبل عليه طلاب العلم اقبالا كبيرا الى أن قتل غدرا خارج الزاوية عام 1059/1649 . وقيلت فيه مراث كثيرة ، منها مرثية ولده الطيب التى مطلعها :

غوائل هذا الدهر مرهوبة الفتك   فان سر فى حين فأكثره مبك (39)

---

35) ترجم لمحمد المرابط الدلائى محمد القادرى فى **نشر المثانى** ، 2 : 33. وسليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ، من ورقة 133 الى ورقة 164 . ومحمد بن جعفر الكتانى ، **سلوة الانفاس** ، (2 : 90) وما بعدها .

36) انظر نص الاجازة فى سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 102/ب

37) نفس المصدر فى نفس الورقة .

38) محمد بن الطيب القادرى ، **نشر المثانى** ، ص ، 190

39) انظر ترجمة المسناوى ومرثيته فى : سليمان الحوات**البدور الضاوية** من ورقة 123/ب الى ورقة 125/أ ومحمد القادرى ، **نشر المثانى** ، ص ، 190 .

أبو عمر بن محمد بن أبى بكر الدلائى

علامة أديب ، تم تكوينه العلمي بالزاوية الدلائية على يد علماء قومه وغيرهم ، كأحمد بن عمران وأبى حامد العربى الفاسى . كان أبو عمر عالما مشاركا فى الحديث ، والفقه ، والاصلين ، والنحو ، والبلاغة ، والادب . ودرس كل هذه الفنون بزاويتهم ، غير أنه كثيرا ما كان يدرس لتلاميذه كتب **تلخيص المفتاح ، و جمع الجوامع ، و ألفية ابن مالك** ، كما رأينا فى الفصل السابق . وله آثار نثرية وشعرية كثيرة تدل على رسوخ قدمه فى ميدان الادب . توفى أبو عمر بالزاوية الدلائية عام 1069/1658 (40)

أحمد بن محمد بن أبى بكر الدلائى

عالم أديب ، درس فى الزاوية الدلائية على علمائها المتوافرين دون أن يبرحها ، ثم اشتغل بالتدريس فيها . كان موسر الحال ، عظيم الجاه ، يتقلب فى رغد العيش وينعم بالحياة المترفة الى جانب أخيه السلطان محمد الحاج ، متخذا بطانته من أدباء الزاوية وشعرائها ، الى أن زارهم الشيخ محمد بن عبد الله السوسى (41) عام 1071 هـ/1660 فى طريقه الى حج بيت الله الحرام ، فأخذ عنه أحمد الدلائى وصلح حاله ، ورق قلبه ، وأعرض عن الدنيا وزخرفها الى أن مات بالدلاء عام 1075/1665 (42)

الطيب بن المسناوى الدلائى

«كان اماما كبيرا ، وأديبا ماهرا شهيرا ، وعالما عاملا ، وفاضلا كاملا» (43) درس فى الدلاء أولا على أبيه وأعمامه وغيرهم من العلماء المقيمين بالزاوية

---

40) توجد ترجمة أبى عمر وبعض رسائله وقصائده فى : سليمان الحوات **البدور الضاوية** ، من ورقة 128/1 الى نهاية ورقة 130/ب .

41) الشيخ محمد بن عبد الله السوسى اشتهر أمر ولايته بمراكش ، ووشى به الى السعديين فأوقفوه عن نشاطه الصوفى ، ثم توجه الى البقاع المقدسة للمجاورة فيها ، ومر فى طريقه بالزاوية الدلائية فأقام عند سلطانها محمد الحاج عشرة أيام ، وفيه ألف أحمد بن يعقوب الولالى كتابه **مباحث الانوار فى اخبار بعض الاخيار** ، وتوفى الشيخ محمد السوسى بمكة عام 1079/1668

42) ترجم لاحمد الدلائى محمد بن يعقوب الولالى فى **مباحث الانوار** ، ورقة 33/ب ، وسليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ، ورقة 165/1

43) محمد القادرى ، **نشر المثانى** ، ج 1 ، ص 264 .

كالشيخ حمدون الابار ، ومحمد بن سودة ، ومحمد العربى الفاسى وغيرهم . ثم شد الرحلة الى فاس وهى اذ ذاك خاضعة لنفوذ الدلائيين ، فأقام فيها معززا مكرما واخذ عن علمائها ، خصوصا منهم الشيخ عبد القادر الفاسى . وطال مقام الطيب الدلائى بفاس الى أن تمكن من المعارف تمكنا متينا فرجع الى الزاوية الدلائية ، وتصدر للتدريس والفتوى ، وازدحم الطلبة على حلقاته العلمية . ولم تقتصر براعته على الناحية الفقهية الدينية وانما كان الى ذلك أديبا ماهرا جيد الانشاء ، طويل النفس فى الشعر تصل احدى قصائده الى 175 بيتا مع متانة لغوية وسمو تفكير ورقة أسلوب . توفى الطيب بالدلاء عام 1077/1666. ورثاه أبو العباس أحمد بن عبد القادر التاستاوتى بقصيدة حزينة مطلعها :

اليوم آن لمدمعى أن يهمعا ولمهجتى بالوجد أن تتقطعا (44)

الشرقى بن أبى بكر الدلائى

هو أحد أعلام الدلائيين المشاركين فى مختلف الفنون ، الجامعين بين العلم والدين والادب . كانت دراسته كلها بالزاوية الدلائية على علماء قومه وغيرهم . وأجازه أبو حامد محمد العربى الفاسى اجازة عامة . واختص من بين أساتذة الزاوية كما رأينا فى الفصل السابق بتدريس علم القراءات والتجويد. وهو يتقن الى جانب ذلك اللغة ، والنحو ، والبلاغة ، والادب ، والتاريخ ، والمنطق ، والتفسير ، وألف فى السيرة والبلاغة كما سيأتى فى الباب الاخير، وترك آثارا أدبية رفيعة . وكانت وفاته بالدلاء عام 1079/1668 (45)

الشاذلى بن محمد بن أبى بكر الدلائى

وكان أعجوبة الزمان ، فى الحفظ والاتقان ، يجيد الشعر ، ويبرع فى النثر (46) قرأ فى الزاوية الدلائية وحدها على علمائها من أهله وغيرهم ، كالامام أبى حامد الفاسى ، والشيخ أبى العباس بن عمران . ونبغ فى اللغة وقواعدها وآدابها ، وكرس حياته لتدريس **ألفية ابن مالك ، ومقامات الحريرى** حتى قيل أنه أقرأ الاولى مائة مرة والثانية ثلاثين مرة كما رأينا . وقد خرج

---

44) انظر ترجمة الطيب الدلائى وبعض آثاره النثرية والشعرية وما قيل فيه من رثاء فى : سليمان الحوات **البدور الضاوية** من ورقة 167/ب الى ورقة 181/1 .

45) ترجم للشرقى محمد القادرى فى **نشر المثانى** ، ص 127، وسليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ، ورقة 104/1 . ومحمد الكتانى فى **سلوة الانفاس** ج 2 ، ص 94 وما بعدها

46) محمد القادرى ، **نشر المثانى** ، ج 2 ، ص 155 .

الشاذلي مع قومه بعد تخريب الزاوية الدلائية الى فاس ودرس بها فتخرج على يده علماء كثيرون ، منهم الاخوان القادريان عبد السلام والعربي ، وادريس المنجرة . وخلف الشاذلي أخاه محمد المرابط في الخطابة بالمدرسة البوعنانية ، وفيها كان يلقى أكثر دروسه متصدرا للافتاء وابداء النظر في المشاكل الفقهية والنوازل العويصة ، ثم تخلى عن هذه الخطة تورعا منه ، ومات بفاس عام 1691/1103 (47) .

محمد بن الشاذلي

أديب بليغ وعالم مشارك ، تكون على يد علماء الزاوية الدلائية ثم درس فيها أيام عمه السلطان محمد الحاج . وكان ميله الكبير الى علوم البلاغة والادب ، وله قلم بارع في الترسل ورقة متناهية في الشعر . ولما أخرج مع قومه من الزاوية الدلائية بقي يحن اليها طول عمره ، ويتنقل في البلدان يكتب الى والده واخوته مراسلات رفيعة طويلة يستهلها دائما بقصائد رصينة حزينة . ومما جاء في مطلع احدى رسائله :

أحمل أنفاس الصبا عبقت نشرا   تحية مشتاق تهيجه الذكرى
متى هتفت بالبان تملى شجونها   مطوقة أذكت باحشائه جمرا . .

وكانت وفاة محمد الشاذلي عام 1695/1107 (48) .

3 – أساتذة الزاوية الدلائية من غير أبنائها :

أ) أحمد بن القاضي

أبو العباس أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي نسبة الى مكناسة القبيلة البربرية الزناتية ، لا الى مدينة مكناس . وجده الاعلى موسى بن أبي العافية الذى حارب الادارسة في مستهل القرن الرابع للهجرة وأمعن في قتلهم

(47) ترجم للشاذلي : محمد القادري في **نشر المثاني** ، 2 : 155 وما بعدها وسليمان الحوات في **البدور الضاوية** ، ورقة 131 ، ومحمد بن جعفر الكتاني في **سلوة الانفاس** ، 2 : 96

(48) انظر ترجمة محمد بن الشاذلي في : محمد القادري ، **نشر المثاني** ، 2 : 160 . وسليمان الحوات في **البدور الضاوية** ورقة 230 . ومحمد بن جعفر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 2 : 89 .

وتشريدهم حتى كاد يفنيهم (49) . وولد أحمد ابن القاضي في فاس عام 1553/960 ، وتخرج على يد أكابر علمائها مثل القصار ، والسراج ، والمنجور ، ورحل الى الشرق فحج وجاور في الحرمين الشريفين مدة ، وأخذ في مصر عن الامامين سالم السنهوري (50) وبدر الدين القرافي (51) وغيرهما .

«وكان حافظا ، ضابطا ، محققا ، مؤرخا ، اخباريا ثقة ، سيال القريحة بالشعر ، حسن العبارة ، لطيف الاشارة ، مستجمعا العلوم والادب ، ماهرا في معرفة علوم الاوائل ، مشاركا في غير ذلك للأئمة الاماثل وانفرد بعلم الحساب والفرائض في وقته شرقا وغربا» (52) واتصل أحمد بن القاضي بالسلطان أحمد المنصور الذهبي ، وخدمه ونال عنده الحظوة الكاملة . «ثم ثاب له رأى في معاودة البلاد المشرقية للتطوع بحجة أخرى واستزادة العلم والتحصيل . وكانت له نية بالغة في نشر مآثر مولانا الامام أمير المؤمنين أيده الله في الافاق ، فجمع من مفاخر الدولة وفتوحها ومآثرها وأمداحها ما أمل بثه في الاقطار ونشره في المشارق لو ساعدته الاقدار ، واستأذن أمير المومنين أيده الله فأذن له ووصله ، وتوخى الطريق على البحر ، فركب السفن من ثغر تيطاون فاعترضتهم أساطيل العدو في بحر الزقاق فأسرتهم ، وحصل في ورطة عظيمة لولا ما تداركه من ألطاف الله تعالى وشمله من عناية مولانا أمير المومنين ..» (53)

وهكذا نرى ابن القاضي يقوم في رحلته الثانية هذه بمهمة علمية سياسية وطنية في آن واحد ، فيجمع الوثائق الضرورية ويسافر الى الشرق ليذيع محاسن الخليفة المنصور ، وينشر مآثر الدولة السعدية فيما قد يعقده من مجالس للتدريس ، أو يصنفه من الكتب ، لولا طالع النحس الذى أوقعه في

---

(49) نسب ابن القاضي نفسه في كتابه **جذوة الانفاس** الى موسى بن أبي العافية ، واستنكر عمله ضد الاشراف الادارسة ، وقد استشكل صاحب **سلوة الانفاس** (3 : 133) في صحة نسبة ابن القاضي الى ابن أبي العافية ، لما ذكره بعض المؤرخين من أن يوسف بن تاشفين اللمتوني استأصل شأفة ذرية ابن أبي العافية . ويظهر ان ذلك يعني قتل عدد كبير من آل ابن العافية لا استئصالهم ، اذ يصعب القضاء على جميع النسل بعد نحو قرن ونصف خصوصا وان آل أبي العافية كانت لهم مجالات واسعة للانتشار في المغربين الاقصى والاوسط ، زيادة على بلاد الاندلس التي كانت تربطهم بعرشها روابط متينة .

(50) أبو النجا سالم بن محمد السنهوري ، شيخ المالكية بمصر في وقته ، له حاشية على مختصر الشيخ خليل ، توفي عام 1016 هـ 1607 م .

(51) بدر الدين محمد بن يحيى المعروف بالقرافي ، قاضي المالكية بمصر ، شارح **مختصر الشيخ خليل** ، و **قاموس الفيروزيادى** ، و **موطا الامام مالك** . ومؤلف ذيل **ديباج ابن فرحون في طبقات المالكية** . توفي عام 1009 هـ ــ 1600 م

(52) محمد جعفر الكتاني ، **سلوة الانفاس** 3 : 134 .

(53) عبد العزيز الفشتالي ، **مناهل الصفا** ، ص 368

أيدي القرانصة الافرنج . وظل ابن القاضي في الاسر أحد عشر شهرا (54) عاني خلالها شدة عظيمة ، وبلاء كثيرا ، وصور لنا ما كان يعامل به النصارى أسراهم المسلمين من التجويع والاعراء والضرب والتكليف بما لايطاق ، مدفوعين بالتعصب الديني الاعمى وبالرغبة في الحصول على الفداء والثراء . وقد كتب ابن القاضي أيام محنته مرارا الى الخليفة أحمد المنصور يشكو له بسوء حاله ويرجو منه العمل على تخليصه من ورطته . ومما جاء في احدى قصائده الاستعطافية قوله :

وكن يا امام العدل في عون حائر　　أسير كسير ذي جناح مذلل
لقد مزقت أيدي الزمان وريده　　ودارت عليه الدائرات كجلجل
وأخنى عليه الدهر من كل وجهة　　وداست عليه النائبات بأرجل

ولما استرد أحمد بن القاضي حريته بفضل أحمد المنصور الذهبي ألف فيه كتاب **المنتقى المقصور على محاسين الخليفة المنصور** ، كما أهدى اليه كل الكتب التي ألفها بعد ذلك ، ومدحه بقصائد عديدة . وتولى ابن القاضي خطة القضاء في مدينة سلا ثم عزل فرجع الى مسقط رأسه فاس واشتغل بالتدريس.

وقد أقام ابن القاضي في الزاوية الدلائية مدة غير قصيرة يدرس العلم ويفيد الطلبة . وأخذ عنه في هذه الفترة محمد بن أبي بكر الدلائي واخوته علوم الادب والحساب والتوقيت وغيرها ، وكان لابن القاضي طريقة مفيدة في التدريس ، يقتصر على المهم من المسائل ، ولا يتوغل في التفصيلات المتشعبة العقيمة ، معتنيا باللب والجوهر ، خصوصا في الفقه الذي تكثر فيه عادة الاقوال والاحتمالات . فكان يقرىء **مختصر الشيخ خليل** ويختمه كل أربعة أشهر ، بينما لاينتهي منه غيره الا في سنوات . واشتغل في آخر عمره بتدريس **صحيح البخاري** في جامع الابارين بفاس ، فكان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد بن عاشر صاحب **المرشد المعين** ، ويحضر مجالسه الحديثية الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي ، والامام أحمد المقرى صاحب **نفح الطيب** وغيرهما من أكابر العلماء .

تآليف ابن القاضي :

ألف أحمد بن القاضي كثيرا من الكتب في الفقه ، والفرائض ، والحساب والهندسة ، والمنطق ، والتاريخ . ويذكر أصحاب التراجم أن المادة التي كان يتفوق فيها ابن القاضي على معاصريه هي الرياضيات ، غير أن كتبه في هذا

(54) أسر ابن القاضي في 24 شعبان 1586/994 وأطلق سراحه في رجب 1587/995

الفن قد ضاعت للاسف الشديد أو لم يعثر أحد عليها بعد فيما أعلم (55). وبالعكس من ذلك بقيت لنا جل الكتب التى ألفها فى التاريخ والتراجم. ولعل أهمها هو **جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** وبدأه بمقدمة تحدث فيها عن موقع المغرب فى الاقليم الرابع من الاقاليم السبعة التى رسمها حكماء اليونان القدماء. وذكر مزايا هذا الاقليم الاوسط بقوله: «وهو أعمرها، وفيه أرض بابل وجزيرة العرب، وفيه بغداد فلاعتداله اعتدله أبدان أهله، فسلموا من شقرة الروم وسواد الزنج وغلظ الترك وجفاء الجبال. وكما اعتدلوا فى الخلقة اعتدلوا فى الفطنة والذكاء والعلم» (56). وتنبه للوحدة الجغرافية لبلاد افريقية الشمالية، فقال ان أول بلاد المغرب من ناحية الشرق جبال برقة التى هى آخر أعمال مصر وأول أعمال القيروان مستدلا على ذلك بأن جبل درن (الاطلس الكبير) يمتد عبر الجزائر وتونس ولا ينتهى الا فى برقة ثم انتقل للكلام عن حكم أرض المغرب هل فتحت صلحا أو عنوة. واستعرض أقوال الفقهاء مرجحا انها «مختلطة هرب بعضهم عن بعض فمن بقى بيده شىء كان له» (57) وبعد ذلك تكلم عن قدوم ادريس الاول الى المغرب ومبايعة قبائل أوربة له، وارتياد ادريس الثانى فحص سايس الذى أسس فيه مدينة فاس يوم الخميس فاتح ربيع الاول عام 192، بدأ بعدوة الاندلس وأدارها بالسور ثم بعد سنة بنى عدوة القرويين. وقد تتبع ابن القاضى مراحل بناء المدينة بما فيها من المساجد والدور والاسواق والاسوار والابواب، وتعرض للتغييرات الطارئة على فاس عبر القرون والدول. ثم سار على النهج الذى اختطه لنفسه فى المقدمة عندما قال: «أذكر على ترتيب حروف المعجم ملوكها (فاس) وعلماءها وأعلامها، وما لهم من نظم وتآليف، ومن أخذوا عنه أو أخذ عنهم، سواء كان من الغرباء القادمين عليها أو من أهلها. الا أننى ان شاء الله تعالى أفرد فى كل حرف ترجمة للغرباء الوافدين عليها» (58).

وكتاب **المنتقى المقصور على محاسن الخليفة المنصور** هو كاسمه خاص بتمجيد الملك السعدى أحمد المنصور الذهبى، ألفه ابن القاضى بعد فكاكه من

---

(55) بعد كتابة هذه الترجمة وقفت فى الخزانة الملكية بالرباط على نسخة من كتاب **الاكسير فى صناعة التكسير** فى الهندسة لاحمد بن القاضى.

(56) النسخة الخطية من **جذوة الاقتباس** خزانة الرباط، د 2362، ورقة 3/1

(57) نفس المصدر، ورقة 3/ب وتجدر الاشارة الى أن أكثر ما ورد فى مقدمة **الجذوة** وبعض فصولها من الاخبار العامة منقول من **القرطاس** لابن أبى زرع، أو من **زهرة الآس** لابى الحسن الجزنائى أو من غيرهما. وتكمن أهمية كتاب ابن القاضى فيما اشتمل عليه من تراجم أعلام فاس والوافدين عليها.

(58) ابن القاضى، **الجذوة**، ورقة 1/2

الأسر اعترافا بجميل هذا الخليفة الذى بذل لتخليصه من أيدى الروم فدية عالية . ورتبه على مقدمة وستة وعشرين بابا وخاتمة ، تكلم فى المقدمة على نسب المنصور وحقيقة الخلافة وما يجب للسلطان على الرعية ، وتحدث فى الباب الاول عن حسن خلق المنصور وعقله وكمال خلقه ، وفى الثانى عن محافظته على التكاليف الشرعية ، وفى الثالث عن عدله فى رعيته وقيامه بالشريعة ، وفى الرابع عن تعظيمه للمولد النبوى وهكذا الى آخر الابواب ، وذكر فى الخاتمة «نكتا غريبة ، وطرفا عجيبة ، يصغى اليها المنتهى والشادى، والعاكف في ربع الادب والبادى» (59) ويظهر ابن القاضى فى خلال الكتاب أستاذا مرحا منطلقا على سجيته يمزج التاريخ بالادب ، ويستطرد القصة والخبر ، وينشد ما يستحضره من الشعر الذى يناسب الموضوع ، ويعتذر فى الباب الرابع عن عدم ايراده المولديات الكثيرة التى كانت تنشد بين يدى الخليفة المنصور لضياعها منه فى المحنة التى أصابته عندما أسره الروم فى البحر . ونجده فى المقدمة يثير انتباه القارىء الى طريقته هذه بقوله : «وقد أذكر بعض حكايات وقصائد ومقطعات أنشدتها وملح غريبة استفدتها ، ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب ، لان النظر فى فن واحد قد ترغب عنه النفوس ، بخلاف ما اذا نمق بغيره فقد يسلى العبوس .

لا يصلح النفس اذا كانت مدبرة   الا التنقل من حال الى حال (60)

أما كتاب **لقط الفرائد من حقائق الفوائد** فجعله ابن القاضى ذيلا لوفيات ابن الخطيب القسنطينى المعروف بابن قنفذ (61) وأرخ فيه لثلاثة قرون ،

---

(59) أحمد بن القاضى **المنتقى المقصور** ، ورقة 2

(60) **المنتقى المقصور** ، ورقة 1 . هذا وقد وقفت على ثلاث نسخ قديمة مبتورة من كتاب **المنتقى المقصور** ، أولاها مصورة عن مخطوط الخزانة الزيدانية بمكناس ومسجلة فى الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 1057 د. والثانية مخطوطة بالخزانة العامة أيضا تحت عدد 704 د. والثالثة مخطوطة فى الخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 1153. وبين هذه النسخ بعض اختلاف فى عناوين الابواب وترتيبها على أن أقربها الى الكمال النسخة الاولى المصورة ، وبعد المقارنة وتكميل ما أمكن تكميله من نقص فى بعضها بما تنفرد به النسخ الاخرى تبين أن الابواب المفقودة من الكتاب هى التاسع عشر ، والعشرون ، والواحد والعشرون .

(61) ابن قنفذ الخطيب القسنطينى (741 - 810/40 - 1341 - 7 - 1408) هو القاضى المحدث أحمد بن حسن بن على بن الخطيب بن قنفذ القسنطينى ، تلميذ الخطيب ابن مرزوق الجد وأستاذ ابن مرزوق الحفيد . ارتحل من قسنطينة الى المغرب وبقى فيه 18 سنة صحب خلالها الشيخ أحمد بن عاشر السلاوى وألف تآليف كثيرة منها كتاب **الوفيات** الذى ذكر فيه وفيات الصحابة والعلماء والمحدثين والمؤلفين ، ورتبه على المئتين من السنين .. وانتهى بذكر وفيات العشرة الاولى من المائة التاسعة . وهذا الكتاب هو الذى ذيله ابن القاضى **بلقط الفرائد** .

يبتدئ من أول المائة الثامنة الى آخر المائة العاشرة . وقد أهداه كذلك الى ولى نعمته الخليفة المنصور الذهبى . ولم يقتصر ابن القاضى فى لقط الفرائد على ذكر وفيات علماء الاسلام فى الشرق والغرب ، بل اهتم الى جانب ذلك باعطاء نظرة موجزة عمن يترجم لهم . فيذكر للبعض ما تولاه من المناصب خصوصا القضاء ويشير الى ما للبعض الآخر من انتاج علمى أو أدبى . ويمزج ذلك بذكر الاحداث البارزة فى السنوات التى يؤرخها سواء كانت تتعلق بالسياسة والحروب ، أو بالتشييد والعمران . فعندما تعرض مثلا للسنة الخامسة من المائة الثامنة (705) ذكر استيلاء أهل الاندلس على سبتة قبل أن يذكر وفاة شرف الدين الدمياطى وغيره . وكذلك فعل فى سنة 721 أتى بطائفة من أسماء العلماء الذين توفوا فيها ثم قال : «وبنى أبو الحسن (62) مدرسة الصهريج ، وبنى حولها سقاية ... ودارا لسكنى شيوخ جامع الاندلس ، وجلب الماء الى ذلك كله من عين خارج باب الحديد ورتب الفقهاء والاساتيذ لتدريس العلم ، وأسكنها بالطلبة ، وحبس ربعا كثيرة للنفقة عليها» (63) وكانت وفاة أحمد بن القاضى بفاس عام 1025/1616 .

(62) أبو الحسن المرينى (731 - 752/1331 - 1351) أو السلطان الاكحل كما كان يدعوه العامة ، لان أمه سودانية هو أعظم ملوك بنى مرين ، امتد نفوذه الى افريقية الشمالية كلها والاندلس ، وكانت له علاقات طيبة مع ملوك مصر والسودان وأسس كثيرا من المدارس والزوايا ، وبنى القناطر والسقايات .

(63) أحمد بن القاضى ، **لقط الفرائد** ، ص 140

جدول مؤلفات أحمد بن القاضي

الارقام الترتيبية	عنوان الكتاب	مكان الكتاب
	أ - التاريخ والتراجم	
1)	**جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الاعلام مدينة فاس**	طبع على الحجر بفاس عام 1309 هـ وتوجد منه نسخ خطية في خ. ع. (64) 2362 د
2)	**درة الحجال في أسماء الرجال** جعله ذيلا لوفيات الاعيان لابن خلكان وضمنه تواريخ الاعيان من وفاة ابن خلكان عام 681 هـ الى أوائل القرن الحادي عشر	نشره ب . س علوش بالرباط سنة 1934 .
3)	**درة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك** وهي أرجوزة ذكر فيها الملوك مرتبين حسب وفياتهم ، ومطلعها : الحمد لله الذي أبدى العبر / في دول الملوك للذي عبر	مخطوط خ. ع. 52 د
4)	**الدر المملوك المشرق بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك** وهو شرح الارجوزة السابقة	مخطوط خ. ع. 52 د
5)	**لقط الفرائد من حقائق الفوائد** ذيل به وفيات ابن قنفذ	مخطوط خ. ع. 270 ك

(64) ترمز (خ.ع) الى الخزانة العامة بالرباط - قسم الوثائق -

(6	**المنتقى المقصور على محاسن الخليفة أبى العباس المنصور**	مخطوطات خ. ع. 48 د و 764 د و 1057 د وهذا الاخير مصور عن نسخة المكتبة الزيدانية بمكناس
(7	**غنية الرائض فى طبقات أهل الحساب والفرائض**	؟
(8	**الفهرست المسماة رائد الصلاح**	كانت توجد فى فاس بخزانة الشيخ علال بن عبد الله الفاسى

الفقه و الفرائض

(9	**نيل الامل فيما به بين المالكية جرى العمل**	؟
(10	**القانون الوفى بجداول الحوفى**، فى الفرائض	؟

الحساب و الهندسة

	الاكسير فى صناعة التكسير، فى الهندسة	مخطوط الخزانة الملكية بالرباط عدد 5455
(11	**المدخل فى الهندسة**	؟
(12	**نظم تلخيص ابن البنا**	؟
(13	**الفتح النبيل بما تضمنه من أسماء العدد التنزيل**	؟
(14	**شرح منظومة فى مبادىء الهندسة**، لابن ليون التجيبى	؟

المنطق

(15	**نظم منطق السعد**	؟

ب) أساتذة آخرون درسوا فى الزاوية الدلائية

الحسن الدرعى

أبو محمد الحسن بن أحمد الدرعى المعروف بالدراوى ، العالم المعقولى ، المشارك المتبحر ، مؤلف شرح **صغرى السنوسى** فى التوحيد ، وشرح **لامية الامام المجراد السلوى** فى قواعد الجمل . اشتهر هذا العالم بالانكباب على التدريس وبذل الجهود فى افادة الطلاب ، والحرص على نفعهم ، سواء فى موطنه الاول بدرعة أو فى فاس ، أو فى الزاوية الدلائية «وكانت له اليد الطولى فى معرفة العقائد والمنطق ، وفى النحو ، والقراءات ، مع كمال التحقيق وجودة الفهم والتدقيق . أقام مدة فى الزاوية الدلائية يقرىء حتى عم النفع به هناك ..» (65)

وقد حط الحسن الدرعى رحاله فى الدلاء فى السنوات الاولى لتأسيس الزاوية ونال من حظوة أبى بكر ورعايته ما يليق بمقامه العلمى والدينى ، وأقبل عليه الطلبة يأخذون عنه وفى مقدمتهم محمد بن أبى بكر الدلائى الذى درس عليه التوحيد والفقه ، والاصول ، والمنطق ، والبيان ، وغير ذلك من منقول العلم ومعقوله ، كما أخذ عنه كثير من اخوة محمد بن أبى بكر وغيرهم وارتحل الحسن الدرعى فى أواخر أيامه الى فاس حيث وافته المنية عام 1006/97 – 1598 (66) .

أحمد بن عمران الفاسى

أبو العباس أحمد بن على بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسى ثم الفاسى العلامة المحدث الحافظ الاديب البليغ مفتى فاس ، والمدرس بجامع القرويين . كان أبوه على قاضى الجماعة وجده عبد الرحمن من شيوخ الفقه والنحو. وسبب مجيئه الى الزاوية البكرية انه أصابه عسر فى فاس وضاقت حاله بها فقصد الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى تاركا عياله وأولاده بفاس وأقام عنده يقرىء أبناءه وغيرهم من الطلبة . فأرسل ابن أبى بكر الدلائى الى أسرة الفقيه ابن عمران كثيرا من المواد الغذائية والملابس والنقود ، دون أن

---

(65) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 25/ب

(66) ترجم للحسن الدرعى محمد القادرى فى **نشر المثانى** I :44 وسليمان الحوات ، فى **البدور الضاوية** ، ورقة 25/ب

يعلمه بشىء من ذلك ، ثم غمره بالعطايا حينما أراد الرجوع الى مسقط رأسه. وكان الشيخ ابن عمران يحدث نفسه وهو فى طريقه الى فاس أنه سيأتى أهله بهذا الرزق الوفير ليبدل عسرهم يسرا ، فاذا به يجدهم فى رغد من العيش لا عهد لهم به . فلما علم بجلية الامر أسرع بالرجوع الى الزاوية الدلائية وألقى عصا التسيار بها ، واستقر مطمئن الخاطر مرتاح البال ، منقطعا للتدريس والافادة . «وحضر الشيخ محمد بن أبى بكر يوما مجلسه ، وهو غاص ببنيه وذوى قرابته ومودته فقال لهم : من أحبنى منكم فليعط لهذا الشيخ ، يعنى أبا العباس بن عمران . فأتى كل واحد من الحاضرين بما قدر عليه ، ثم بلغ ذلك النساء فأعطت كل واحدة منهن ماقدرت عليه من قرط أو سوار أو غيرهما، ثم بلغ ذلك الخبر أهل السوق وأهل البوادى فانتقلوا اليه ، فكان الرجل يأتى بالفرس وغيره مما تيسر له فيعطيه له وقامت لذلك سوق عظيمة ..» (67)

وممن أخذ عن أبى العباس بن عمران بالزاوية البكرية محمد المرابط الدلائى وأبو عمر بن محمد الدلائى المتقدمان ، والحسن اليوسى الذى أخذ عنه **كبرى الشيخ السنوسى** مع شرحها فى التوحيد (68) .

وكانت وفاة أحمد بن عمران بفاس عام 1065/1654 (69) .

حمدون الابار

أبو العباس أحمد المدعو حمدون بن محمد بن موسى الابار الفاسى العلامة الخطيب البليغ ، شيخ الجماعة بفاس ، وخطيب جامع الاندلس . كان أهله من التجار الموسرين فسلك سبيلهم أولا متجولا فى الاقطار للاتجار وكسب الاموال ثم شغف بالعلم فانصرف عن ذلك الى الدرس والتحصيل ، حتى صار اماما فى كثير من العلوم ، خصوصا النحو والفقه . وسار فى حياته العلمية سيرته فى حياته التجارية ، فجال فى البلدان ينشر العلوم ، وحل بالزاوية الدلائية مدة يدرس لطلبتها مختلف الفنون حيث أخذ عنه فيها الطيب بن المسناوى الدلائى المتقدم وغيره ، وكان أكثر ما يقرىء **مختصر الشيخ خليل** و **ألفية ابن مالك** «وتخرج به جماعة من الاعلام ، بل جل طلبة المغرب عليه انتفعوا فى

(67) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 46/ب
(68) الحسن اليوسى ، **الفهرست** ، ورقة 66/أ
(69) توجد ترجمة ابن عمران عند : محمد الافرانى ، **الصفوة** ، ص 414 ومحمد القادرى **نشر المثانى** ج 1 ص ، 211 .

المختصر وله عليه حاشية هي موجودة بأيدى الطلبة . وله فتاوى كثيرة حسنة، (70) .

توفى بفاس عام 1660/1071 .

محمد بن سودة

أبو عبد الله محمد (71) بن محمد بن أبى القاسم ابن سودة . الفقيه المشارك الذى اشتهر بالعلم والدين وقيل عنه إنه آخر قضاة العدل بفاس . أخذ عن خاله عبد الواحد بن عاشر وطبقته ، وتتلمذ له كثير من أعلام فاس ، وأقام مدة فى الزاوية الدلائية يدرس فيها للطلبة ، وأخذ عنه هناك جم غفير ، فى مقدمتهم الطيب بن المسناوى الدلائى . وتولى محمد بن سودة القضاء فى فاس بأمر من السلطان محمد الحاج الدلائى ، وكانت وفاة ابن سودة عام 1665/1076 (72) .

محمد بن سعيد المرغيثى

أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسى المرغيثى نسبة الى مرغيثة (وينطق السوسيون اليوم بالغين خاء فيقولون مرخت ومرختى) وهى احدى فروع قبيلة الاخصاص المشهورة بناحية تيزنيت . كان محمد بن سعيد موقتا حيسوبيا مدققا ، وهو صاحب النظم المشهور المسمى **بالمقنع** فى التوقيت **وشرحيه** الكبير والصغير . انتقل الى مراكش وتصدى للتدريس بمسجد المواسين مدة طويلة وقصده الناس للأخذ عنه . ثم انتقل الى الزاوية الدلائية للتدريس فيها ، وقد قال عنه تلميذه الحسن اليوسى : «حضرت عنده مجلسا واحدا فى **ألفية ابن مالك** أيام الحداثة ، ثم لقيته بالزاوية البكرية ، فجالسته مرارا ، وصافحنى عن شيخه أبى محمد عبد الله بن على بن طاهر الحسنى وقال بسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه فأفصح بالحديث ولم يفصح بالسند ...» (73) وقد عمر محمد بن سعيد طويلا وكثر الآخذون

---

(70) محمد القادرى ، **نشر المثانى** ، 228:1 انظر هناك ترجمة حمدون الابار .

(71) هناك عالمان سوديان يسمى كل منهما محمدا ، الاب والابن . لم أقف على نص يعين من درس منهما فى الزاوية الدلائية ، وقد رجحت أن يكون هو الابن نظرا لذكر اسمه مقرونا باسم حمدون الابار أثناء وجودهما فى الدلاء، وهما متعاصران وتاريخ وفاتهما متقارب . أما محمد بن سودة الاب فانه توفى عام 1606/1015

(72) انظر ترجمة ابن سودة فى: محمد القادرى ، **نشر المثانى** 256:2

(73) الحسن اليوسى ، **الفهرست** ، ورقة 1/68

عنه ، واشتهر نظمه المقنع فى جميع النواحى المغربية ووقع عليه اقبال كبير حتى اليوم . ومن تآليفه أيضا : **الاشارة الناصحة لمن طلب الولاية بالنية الصالحة** ، وكتاب **المستعان فى احكام الاذان** ، **واختصار السيرة اليعمرية** ، **والفهرست** التى ذكر فيها أشياخه وأودعها كثيرا من الفوائد والفتاوى. وكانت وفاة المرغيثى عام 1089/78 – 1679 (74) .

4 – تلاميذ الزاوية الدلائية

ظلت الزاوية البكرية كعبة الطلاب يحجون اليها من كل أصقاع المغرب طيلة قرن كامل ، ويتنافسون فى الاخذ عن علمائها المبرزين الكثيرين. ولاشك أنها عرفت خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن عددا كثيرا منهم ، لايتوفر لدينا من أسمائهم مع الاسف ، الا نزر يسير ورد ذكرهم عرضا عند من تعرض لهذه الزاوية من المؤرخين أو أصحاب التراجم . وتلاميذ الزاوية الدلائية طائفتان ، طائفة لازمت الزاوية منذ أول عهدها بطلب العلم ، الى أن تخرجت منها ثم اشتغلت بالتدريس فيها ، وهذا شأن أكثر الدلائيين المتقدمين فى الفصل السابق وبعض من سناتى على ذكرهم هنا ، مثل محمد بن عبد الرحمن الصومعى ، وابن مسعود المراكشى . وطائفة أخرى كان لها سابق دراسة فى فاس أو مراكش أو غيرهما من مراكز الثقافة ، ثم وردت على الزاوية البكرية وكرعت من حياض معارفها حتى رويت وتم تكوينها العلمى ، فاستقرت بها مشتغلة بالتعليم والافادة ، كالامام الحسن اليوسى والاخوين العكاريين محمد وعلى ، أو غادرتها بعد مدة طويلة أو قصيرة لترجع الى مساقط رؤوسها أو لتلقى عصا التسيار فى بلد آخر ، كأبى حامد الفاسى ، وأحمد المقرى ، وعبد الواحد ابن عاشر ، ومحمد ميارة وغيرهم . وسأورد فيما يلى تراجم مختصرة لمن لم يسبق التعريف بهم من تلاميذ الزاوية الدلائية .

أ) الحسن اليوسى

أبو على الحسن بن مسعود اليوسى ، من قبيلة آيت يوسى البربرية . مفخرة المغرب وأشهر من أنجبته الزاوية الدلائية من العلماء حتى ارتبط اسمه باسمها وظن البعض أنه من أبنائها . وقد تتلمذ اليوسى لكثير من العلماء

(74) انظر ترجمة المرغيثى فى : الحسن اليوسى ، **الفهرست** ورقة 1/68 – 1/69 ومحمد القادرى، **نشر المثانى** ، ج 2 ص 37 – 41 ومحمد المكى الناصرى ، **الدرر المرصعة** ، ص 15 – 17 والسيرة اليعمرية هى **نور العيون فى تلخيص سيرة الامين المامون** ، لابى الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمرى الربعى الاشبيلى المتوفى فى القاهرة عام 1334/734 اقرا مقال الاستاذ محمد المنونى، مكتبة الزاوية الحمزاوية، مجلة تطوان العدد 8 سنة 1963 ص 176 .

الدلائيين مثل محمد المرابط ، ومحمد بن عبد الرحمن ، وأبي عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي ؛ وأخذ عنه عدد وافر من أبناء الدلائيين وغيرهم من الطلبة الذين كانوا يقيمون في الزاوية الدلائية . وكان دخول اليوسي الى الزاوية الدلائية حوالى عام 1060 وهو ما يزال شابا طالبا للعلم ، فتزوج فيها فور وصوله اليها ، وانقطع عن لهو الشباب ولغوه (75) ومكث بها نحو عشرين سنة طالبا ثم أستاذا وفيها أنجب الابناء والبنات ولم يغادرها الا بعد أن أزعجه السلطان الرشيد عنها عند تخريبها . وقد انفرد اليوسي بوصف حادثة اخلاء الزاوية الدلائية وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين . يمتاز هذا العالم الكبير بقوة العارضة ، وشدة التحصيل ، وجدة الاسلوب ، فهو يسير في كتبه خصوصا **المحاضرات** ، على غير ما عهد عند معاصريه من العلماء المغاربة وانك لتجد في هذا الكتاب وغيره من مؤلفات اليوسي طريقة جديدة في الكتابة ، تذكرك بطريقة أكابر الكتاب القدامى أمثال ابن المقفع ، والمبرد وأضرابهما ، فالالفاظ جزلة متينة والاسلوب سلس منطلق لاتقيده الاسجاع وغيرها من المحسنات البديعة اللفظية الا متى أتت عفوا دون تكلف ، أو وقعت في رسائل خاصة تستدعي ذلك ؛ والمواضيع المطروقة جدية متنوعة متسلسلة يربط بينها رغم تباينها نوع من التعلق بحيث تتكامل ويستدعي بعضها البعض الاخر .

ويحدثنا اليوسي نفسه في **فهرسته** عن بعض الكتب التي درسها على أستاذه محمد المرابط الدلائي بقوله : «حضرت عنده **تلخيص المفتاح بمختصر السعد** (76) ومواضع من **الخلاصة** (77) وصدرا من تفسير القرآن **بتفسير الجلالين** (78) وأجازني في فنون العلم كلها ..» (79) ويروي لنا كذلك في

(75) الحسن اليوسي . **المحاضرات** ، ص 141 . **الفهرست** . ورقة 70/أ

(76) **تلخيص المفتاح** : في البلاغة تدارسه الناس واعتمدوه في هذا الفن منذ القرن الثامن الهجري حتى الآن لتركيزه واختصاره . ومؤلفه هو الخطيب القزويني جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الاناضولي المتوفى بدمشق عام 739/38 – 1339 . وكتاب **التلخيص** هذا هو اختصار للقسم الثالث من كتاب **مفتاح العلوم** ليوسف بن أبي بكر السكاكي المتوفى عام 626/28 – 1229 وقد شرح متن التلخيص سعد الدين التفتازاني (نسبة الى تفتازان ، قرية من أعمال خرسان) المتوفى عام 791/88 – 1389 بشرحين ، مطول ، ومختصر والى هذا الاخير يشير اليوسي .

(77) **الخلاصة** هي **الالفية** المشهورة لمحمد بن مالك الطائي الاندلسي

(78) الجلالان المشتركان في تفسير القرآن الكريم هما جلال الدين محمد بن احمد المحلي المتوفى عام 864/1459 وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى عام 911/5 – 1506

(79) الحسن اليوسي ، **الفهرست** ، ورقة 66/أ

المحاضرات حادثة أدبية طريفة وقعت له عند وصوله الى الزاوية البكرية وهي تدلنا على مدى قوة شخصيته وسرعة بديهته منذ حياته العلمية المبكرة ، اذ وجد شيخه محمدا المرابط قد ألف كتابا في الخطب الوعظية قرظها الناس وامتدحوها «فكتب كل ما قدر له من نثر ونظم فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضا ، فوقع في مكتوبي لفظة القطائف واللطائف ، فاعترض علي ورام تبكيتي وقال : انا لانعرف القطائف الا هذه المفروشات . فقلت له : ان القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة فقال هو صحيح في اللغة ، ولكن الادباء لهم الاختيار ، وعندهم الفاظ يستعملونها مخصوصة ، فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في اللغة ، فقلت له حينئذ : هذا أبو محمد الحريري (80) يقول في مقاماته :

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته   على ان منعتم في اقتطاف القطائف
على ان ما زودتم من فكاهة   ألذ من الحلوى لدى كل عارف

فتلون وجهه رحمه الله وخجل ولم يراجعني بكلمة : فلولا معرفة المقامات واستحضار هذا البيت لأخجلني عوض ما كنت أخجلته» (81) .

ونفهم من هذه المناظرة القصيرة أن اليوسي قدم الزاوية البكرية وقد حصل على نصيب لايستهان به من المعلومات ، فكان يحفظ المقامات الحريرية ويستطيع أن يدلي بدلوه مع الادباء في تقريظ كتاب لعالم كبير ، بل كان يحاج شيوخ العلم ويحجهم على حداثة سنه ، وهو أمر يذكرنا بمناظرة بديع الزمان الهمذاني لشيخ الادباء أبي بكر الخوارزمي (82) . ويظهر أن هذه الحادثة كانت عابرة لم تتلها ذيول ، فاليوسي أخذ مجلسه بين الطلبة في حلقة الشيخ المرابط العلمية ليستفيد منه طيلة مقامه بالزاوية الدلائية ، والاستاذ المرابط بدوره قدر في تلميذه النابغة نباهته وكفاءته وأحله المنزلة اللائقة بمقامه الممتاز ، ليجيزه بعد عشرين سنة من تلك المناظرة ويحليه بقوله : «الصدر الرئيس ، فارس الاملاء والتدريس ، شيخ الجماعة بالديار البكرية ، والحضرة الدلائية ذو التدقيق المعهود ، أبو الحسن بن مسعود ، صاحب النباهة الشامخة ، والنزاهة

(80) أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري ، صاحب **المقامات** المشهورة المشتملة على كثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها توفي عام 516/22 – 1123

(81) الحسن اليوسي ، **المحاضرات** ، ص 141

(82) انظر صورة هذه المناظرة الادبية الطريفة عند زكي مبارك في **النثر الفني** الطبعة الاولى بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة عام 1352 هـ – 1934 ج 2 ص 331 وما بعدها

البلاغة ، والجلالة العليا ، والهمة التى نيطت بالثريا ..» (83) وقد انتقل اليوسى بعد تخريب الزاوية الدلائية الى فاس بأمر من السلطان الرشيد ، وتصدر للتدريس فيها ، وأقبل عليه الطلبة والعلماء يأخذون عنه الا طائفة من مناقسيه فانهم تخلفوا عن مجالسه العلمية ، وفيهم يقول :

ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمى ولا عرفوا جلالة منصبى
لو أنصفوا لصبوا الى كما صبا راعى سنين الى الغمام الصيب

وليس هذا من باب الزهو والغرور وانما هو نوع من الصراحة البدوية التى يمتاز بها اليوسى ، فهو يتحدث بنعمة الله عليه ، ويعرف قيمته ومكانته العلمية ويعبر عما يجول فى خاطره بدون لبس أو تمويه . وقد ذكرنا فى الباب الثانى أبياتا أخرى مشابهة لهذه قالها اليوسى فى علماء الزاوية البكرية وطلبتها حينما انتقل منها مرة الى قرية الدلاء .

وقد حظى اليوسى بتقدير السلطان الرشيد الذى كان يحضر بعض مجالسه العلمية بالقرويين ، ويجالسه فى قصره مع خاصته ، ويحادثه بدون كلفة ، كما يذكر لنا ذلك اليوسى نفسه بقوله : «أصابنى مرة اسهال، فدخلت على السلطان رشيد بن الشريف ، وكان يكرمنى ويجلنى فرآ (كذا) تغييرا فى وجهى ، فسألنى فأخبرته فقال : وماذا صنعت من علاج ، فقلت له ، ان الطبيب يصنع لى شراب الريحان ، فتضاحك ثم قال : سبحان الله ، مالنا ولشراب الريحان ، وأين عهدته خذ سويق الشعير واخلطه بالماء ، فذلك دوواؤه..» (84) وكان السلطان الرشيد يعرف شدة تعلق اليوسى بالزاوية الدلائية وأهلها فلامه مرة على ذلك ، فأجابه اليوسى متسترا ومتقيا: «لا ناقة لى فيها ولا جمل». وظل اليوسى يتمتع بحظوته فى البلاط العلوى حتى بعدما تولى الملك السلطان اسماعيل وكان من بين العلماء الذين وافقوا على بيعته اثر وفاة أخيه الرشيد بمراكش . ولليوسى مراسلات عديدة مع هذا السلطان العظيم أخلص فيها النصح لامير المومنين ونبهه الى مواطن الضعف فى حكمه ، وخاطبه بصراحة لم يجرؤ غيره على مثلها فى جانب هذا الملك المعروف بشدة البأس وقوة البطش . ومنها رسالة مطولة فى 47 صفحة بعث بها اليوسى الى السلطان جوابا عن كتب تلقاها منه يقول فى أولها : «هذا وقد وردت على كتب سيدنا الكريمة ، ومراسمه الجليلة العظيمة ، فاذا هو قد أحسن فيها وأجاد ، وأبدا

---

(83) انظر النص الكامل لاجازة محمد المرابط لليوسى فى ملحق رقم 7

(84) الحسن اليوسى ، **المحاضرات** ، ص 67

واعاد ، وبلغ من كل فصل المراد ، وفوق المراد ، ثم رأيت أن أمر سيدنا أيده الله بالجواب عن فصول الكتاب لاينبغي أن يهمل ، ولعل فيه ان شاء الله فوائد تفصل فتحصل ..» (85) وغادر اليوسى فاسا الى مراكش حيث أقام ثلاث سنوات متصدرا للتدريس فى مساجدها ونجده فى عام 1093/1682 يتشوق للرجوع الى مسقط رأسه ويحن الى عشيرته ، وكان قد خلف الاهل فى جبال الاطلس المتوسط ، والكتب وما معها فى مكناسة ، والقبيلة فى ملوية «وجرى يوما ذكر البيتين اللذين أنشدهما سيدنا بلال رضى الله عنه ، فهاج بى الى الاوطان اشتياق ، فقلت على نحو هذا المساق :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة   بسهب الشنين أو بسهب بنى ورا
وهل تعبرن نهر العبيد ركائبى   وهل تتركن دايا وأدواؤها ورا.» (86)

وقد تحققت لليوسى أمنياته الثلاث فى الحياة ، فوفر حظه من العلم ، وكثر ماله ، وزار البقاع المقدسة (87) . وظل وفيا للزاوية الدلائية طيلة حياته يحن اليها ويذكر محاسن أهلها. ولم يرثها أحد بمثل قصيدته الرائية الشهيرة التى يبلغ عدد أبياتها 162 ، ومطلعها :

أكلف جفن العين أن ينثر الدرا   فيابى ويعتاض العقيق بها حمرا
وأساله أن يكتم الوجد ساعة   فيفشى ، وان اللوم آونة اغرا (88).

---

85) الحسن اليوسى ، **رسالة الى المولى اسماعيل** . مخطوط بالخزانة العامة بالرباط 1348 د ورقة 1/13

86) الحسن اليوسى ، **المحاضرات** . ص 126
السهب (بضم السين) من الارض : البعيد المستوى (وينطق به فى اللسان المغربى الدارج بفتح السين مرادا به هذا المعنى) وسهب الشنين ، وبنى ورا موضعان بالاطلس المتوسط . ونهر العبيد يقع فى اقليم بنى ملال وعليه سد بين الويدان المشهور ، وداى : هى مدينة الصومعة المجاورة لبنى ملال الحالية ، وكانت مشهورة بكثرة الامراض والوخم .

87) الحسن اليوسى ، **الفهرست** ، ورقة 1/64

88) شرح هذه القصيدة عالمان دلائيان فى مجلد ضخم سنتحدث عنه فى كلامنا عن مؤلفات الدلائيين ، كما شرحها محمد بن المهدى بن سودة فى 6 مجلدات ، انظر هذه القصيدة تامة فى ديوان**اليوسى** ، وفى **النبوغ المغربى** لعبد الله كنون ج 3 ، ص 277 وما بعدها. للتوسع فى ترجمة اليوسى ارجع الى محمد الافرانى ، **نزهة الحادى** ، ص 245 وما بعدها والى محمد القادرى، **نشر المثانى**، 142:2، والى الكتانى، **فهرس الفهارس**، 464:2 ، والى :
Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfa*, pp 269 - 272.
Jacques Berque, *AL YOUSSI. Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle.*

توفى اليوسى عقب رجوعه من الحج عام 1102/1690 ودفن فى قبيلته بتامزيزت قرب صفرو .

جدول مؤلفات اليوسى

وضع الاستاذ بيرك فى آخر مؤلفه عن اليوسى جدولا مفصلا لكتب اليوسى أتى فيه على أسماء 33 مؤلفا مع الاشارة الى المكتبات التى يوجد فيها بعض هذه الكتب . وقد نقلت هنا هذا الجدول وأضفت اليه 14 مؤلفا لليوسى أغفلها الاستاذ بيرك كما أشرت الى مكتبات توجد فيها كتب لليوسى لم يقف عليها . وجعلت على كل زيادة هذه العلامة ×

اسم الكتاب	المكتبات التى يوجد فيها
التوحيد	
1) **حاشية على شرح كبرى السنوسى**	مخطوط خ. ع. ك 2645 . خزانة القرويين بفاس 40 — 837 ، 40—732، فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . 222 ، 266 ، 473 ، 562 ، 1117 كلام . × وفى الخزانة الحمزاوية 69.
2) **أجوبة**	مخطوط خ. ع. ضمن مجموع 1241د (من 8 — 9)
3) * **مشرب العام والخاص من كلمة الاخلاص أو منهج الخلاص من كلمة الاخلاص**	مطبوع على الحجر بفاس عام 1327 هـ
4) **شرح صغرى السنوسى**	؟
5) **الرد على القرافى فى التفريق بين القديم والحديث فى كلام الله**	؟

* عبر بعض مترجمى اليوسى عن مشرب العام والخاص بكتاب فى الهيللة ، كالقادرى فى نشر المثانى ، والصقلى فى الصفحة الاولى من القانون المطبوع فى فاس ، وقد اختلطت كلمة (الهيللة) على الاستاذ بيرك فقرأها هيئة ، وجعل — خطأ — لليوسى مؤلفا فى التنجيم

الفقـه

6)	**شرح قول خليل : «وخصصت نية الحالف وقيدت ..»**	؟
7)	× **فقهية منظومة فى بحر الزجر** على نظام **المرشد المعين** لابن عاشر تشتمل على التوحيد ثم الطهارة فالصلاة فالزكاة فالصوم فالحج فمبدأ طريق القوم	مخطوط خ.ع 157ح ضمن مجموع من ورقة 124/1 – 131 ب 1164د . انتسخت فى حياة المؤلف عام 1099 هـ
8)	× **قواعد الاسلام من مضمون حديث النبى عليه السلام** موضوعها واجبات المكلف كالرسالة الاتية رقم 35 الا أنها أوسع منها وأطول .	نفس المجموع (من ورقة 27/1 – 42/1)

الاصـول

9)	**الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع** لتاج الدين السبكى لم يكمله وانما وصل فيه الى «اذا الفجائية» .	مكتبة خاصة

الحديث

10)	× **رسالة فى العلم النبوى** وهو رد على القاضى عبد الملك التجموعتى .	؟

المنطق

11)	**نفائس الدرر على شرح المختصر** للسنوسى	مخطوط خ.ع ضمن مجموع د 1072 (من ص 52 الى ص 195) د 451 ، 1751 ك وفى خزانة القرويين بفاس بدون رقم – وفى المكتبة الوطنية بالجزائر 2 و 1382 – وفى المكتبة الوطنية بباريز 2400 (من 104/ب – 251) .

12) **القول الفصل فى الفرق بين الخاصة والفصل أو الفرق ما بين الذاتي والعرضي**

مخطوط خ.ع 1072د (من 196 ـ 223)

13) × **شرح السلم المرونق** للاخضرى

ذكره عبد الله كنون فى النبوغ المغربى 1 : 303 .

البلاغـــة

14) **شرح تلخيص المفتاح** للقزوينـى (لم يكمل)

؟

اللغـة والادب

15) **زهر الاكم فى الامثال والحكم**

مخطوطات الخزانة العامة بالرباط 71 د ، 191 د ، 1001 د ، 1159 د ، × 596 ج ، × 178 ج ، والمكتبة الوطنية بالجزائر 80 1842 . والمكتبة الوطنية بباريز 52304 ، والقرويين بدون رقم ، وفى دار الكتب بالقاهرة 14097 ، 14842 ادب .

16) **الديوان**
– جمعه ولد اليوسى بعد وفاة والده –

طبع على الحجر بفاس ، وتوجد منه نسخ مخطوطة عديدة بالخزانة العامة بالرباط . منها واحدة جيدة ضمن مجموع عدد 32 ج ، كما توجد نسخ مخطوطة أخرى بالمكاتب الوطنية بباريس والجزائر .

17) **القصيدة الرائية فى رثاء الزاوية الدلائية** (89)
(تشتمل على 162 بيتا)

مخطوطة خ. ع. ضمن مجموع 163 د (من 98 ـ 103)

(89) ظن الاستاذ بيرك أن موضوع هذه الرائية الحكم والتصوف ، وهى فى الحقيقة فى رثاء الزاوية الدلائية وان كانت لاتخلو من اشارات صوفية ، وأمثال حكمية على طريقة زهير ابن أبى سلمى فى معلقته .

18) **القصيدة الدالية فى مدح الشيخ محمد بن ناصر** وقد عارض اليوسى بها دالية البوصيرى فى مدح الشاذلى والمرسى.	طبعت مع شرحها فى مصر عام 1291هـ و 1329 هـ وتوجد منها نسخ خطية عديدة بمكاتب القرويين والرباط والقاهرة وباريس .
19) **نيل الامانى فى شرح التهانى** وهو شرح للدالية المتقدمة	طبع بمطبعة الكوكب الشرقى بالاسكندرية عام 1291 هـ × وبمطبعة التقدم بالقاهرة عام 1329 هـ وتوجد منه نسخ خطية فى المكاتب العامة بالرباط والجزائر والقاهرة وباريس .
20) **شعر فى مدح خير البرية** أوله القصيدة الشهيرة : جد فى سيرها فلست تلام هذه طيبة وهذا المقام	× مخطوط خ.ع 774د ضمن مجموع
21) × **الرحلة** ـ كتبها ولداليوسى عندما صحب والده الى الديار المقدسة	الخزانة الملكية بالرباط 2343 .
22) **شعر فى رثاء عبد القادر الفاسى**	؟

التصوف والرد على المبتدعة

23) **شرح عقد جواهر المعانى ، فى مناقب الغوث عبد القادرالجيلانى** لاحمد بن المختار (بنخدة)	؟
24) **تاليف فى العكاكزة** الزرقة الضالة بتادلا وزمور	× مخطوط خ.ع 1224 ك ، ضمن مجموع (من 167 ـ 187).
25) × **أربعة وعشرون سؤالا** تتعلق بمصاحبة الشيخ وتادية الاوراد الخ	مخطوطة خ. ع. 612 ج (من ورقة 48/ب ـ 52 /أ)

موسوعات

(26) **القانون**	طبع على الحجر بفاس عام 1310 و 1315 هـ ، وتوجد منه نسخة خطية بالمكتبة الوطنية بباريس 5291 كما توجد نسخ خطية متعددة فى خ. ع. بالرباط
(27) **المحاضرات**	طبع على الحجر بفاس عام 1317 هـ وتوجد منه نسخ خطية بمكاتب الرباط ، وباريس والقاهرة وتوجد منه نسخة خطية هامة بخزانة العطارين بتونس انتسخت بعد وفاة اليوسى بأربع سنوات .
(28) **الفهرست**	× مخطوط خ.ع 1234 ك ضمن مجموع (من 103 — 147) .
(29) × **الكناشة العلمية** ـ تشتمل على فوائد فى التفسير والحديث والتصوف والتراجم	الخزانة الملكية بالرباط 5995

رسائل فى مواضيع مختلفة

(30) **رسالة الى السلطان اسماعيل** ينصحه ويعظه	مخطوط خ.ع 6111 د (من 1 — 4) 1348 د (من 13 ـ 36) وقد نقلها صاحب الاستقصا . 7:82 ـ 86
(31) **رسالة أخرى الى السلطان اسماعيل** يرفض فيها الذهاب الى فاس	× مخطوط خ.ع. 849ج ضمن مجموع (من ورقة 1 ـ 146)
(32) **نذب الملوك الى العدل.** فى آداب الملوك	مخطوط خ.ع 364 د ضمن مجموع (من 113 ـ 116)
(33) **رسالة فى نعيم أهل الجنة**	× مكتبة ابن غازى بمكناس
(34) **رسالة فى وصل الشعر**	؟

35) **رسالة فى واجبات المكلف** ـ رسالة صغرى ـ	× مخطوط خ.ع 612ج ، ضمن مجموع (من ص 21 ـ 27) .
36) **رسالة الى العربى وعبد السلام ابن الطيب القادريين**	؟
37) **رسالة الى المهدى الفاسى**	؟
38) × **رسالة فى نصح المومنين**	مخطوط خ.ع 1138 ك ضمن مجموع (من ص 1 ـ 31) وفى المجموع 612ج (من ورقة 1/ب ـ 15/أ)
39) × **رسالة الى الصوفيين الحاج على وأبى القاسم بن معمر**	نفس المجموع 1138ك (من ص32 ـ 39)
40) × **رسالة لبعض الاخوان تشتمل على نصائح دينية**	مخطوطة خ.ع. 612 ج (من ورقة42/أ ـ 44/ب) .
41) **شرح الطالع المنتشر** ـ لم يكمل ـ	؟
42) * تقريظ **اللمعة الخطيرة فى مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة** للمهدى الفاسى	× مخطوطة خ.ع. 1234 ك (من 100 ـ 101)
43) × رسالة صغيرة فى التصوف سماها الناسخ **مفتاح الوصول**	نفس المخطوط 612 ج (من ورقة 44/ب ـ 45/ب)
44) × **رسالة** حول من لا يحسن النحو والصرف هل يجوز له أن يفسر القرآن ، وحكم الرقص والغناء والتصفيق وضرب الغربال الخ	نفس المخطوط 612 ج (من ورقة 46/أ ـ 48/ب)

* ذكرت هذا التقريظ ـ وان كان صغيرا غير ذي أهمية ـ نظرا لكون الاستاذ بيرك أثبته فى جدوله . ولو تتبعنا آثار اليوسى من هذا النوع لاتينا بالمئات .

(4) × **الوافية فى الرسالة الآسفية** وهى نصيحة الى من فى ثغر آسفى وما حوله من الاخوان والمحبين ختمها بقصيدة ضمنها ملخص الرسالة وأمرهم بقراءتها مطلعها : عليكم بتقوى الله فى السر والجهر واخلاص ما تاتون من عمل البر	نفس المخطوط 612 ج (من ورقة 56/أ – 57/ب)
(4) × **رسالة فى النصائح** موجهة الى من بمكناسة الزيتون وأعمالها	مخطوطة خ.ع. 612 ج (من ورقة 57/ب – 64/أ)
(4) × **وصية الامام اليوسى** أوصى فيها أولاده واخوانه ، وحبس كتبه على أبنائه وطلبة العلم	المكتبة الملكية بالرباط 1577

ب) أحمد المقرى

أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرى القرشى التلمسانى ثم الفاسى . العلامة الكبير الاديب البارع والمؤلف الشهير ، صاحب كتاب **نفح الطيب** و **أزهار الرياض** وغيرهما . كان أعجوبة الزمان فى القدرة على الكتابة السجعة المنمقة ، وقرض الشعر المحلى بأنواع البديع . كما كان فقيها محدثا ، أقام مدة فى الزاوية الدلائية يدرس الحديث على محمد بن أبى بكر الدلائى وكان هذا الشيخ يعجب بقوة حافظة المقرى وسرعة ادراكه ، لكنه كان ينتقد فيه التثبت والتحرى اللازمين فى الرواية فيجرحه على طريقة المحدثين ويقول عنه : «انه حافظ ضابط غير ثقة» . ولعل ذلك من جناية الادب على المقرى ، فالادباء معروفون منذ القديم بالتساهل فى الرواية ، والتزيد فى النوادر والملح . الامر الذى يتنافى وطبيعة المحدثين ذوى التشدد فى قبول السند ، والدقة فى نقل **متن الحديث** . ويؤيد هذه النظرية ما ذكره أبو سالم العياشى فى رحلته (91) من أن المقرى كان اذا أفتى فى نازلة فسئل عنها مرة أخرى امتنع من الجواب ثانيا ، مخافة أن يكون فى

(91) نقلها عن رحلة العياشى محمد اليفرانى ، **الصفوة** ، ص 74

الثانية ما يخالف الاولى . وما أرى ذلك الا نتيجة لتصرفه الكبير وعدم تقيده بمقررات الفقهاء المدونة ، حتى انه ليوشك أن يفتى فى النازلة الواحدة بحكمين مختلفين . وبالرغم من هذا الحكم القاسى الذى أصدره فى حقه الشيخ محمد ابن أبى بكر الدلائى وسارت بذكره الركبان ، فان العلاقة ظلت طيبة بين الرجلين الى آخر حياتهما . وبقى ابن أبى بكر يثنى على المقرى فى الدلاء ويشيد بقدرته العلمية وأدبه الرفيع، والمقرى بدوره يراسل أستاذه محمد بن أبى بكر الدلائى من الشرق ويبعث اليه بنسخ مما يؤلفه هناك من الكتب ، ويطرفه بالنسخة الاصلية لقصيدة العمامة التى كتبها بجوار القبر النبوى الشريف بالمدينة ، ويقول فى مطلع رسالة وجهها اليه من مصر عام 1041 هـ :

خليى ان جئت الدلا وجرى ذكرى | لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبى بكر
نتيجة سر الاولياء محمد | معرف كليات فضل بلا نكر
فأخبره أنى لم أحل عن وداده | ولم يوهن البين الملم قوى صبرى

ثم يقول المقرى فى أثناء **الرسالة** : «فأما الشوق الى بسيدى وولیی فلا يستوفى وصفه القلم واللسان ، وحدث عن **مسند أحمد** بما شئت من طرق هى مع غرابتها حسان ...» (92) وقد وجه الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى الى المقرى فى البلاد الشرقية أسئلة مختلفة من مهمات الاصول والفروع ، وطلب منه أن يكتب على كل واحدة منها ما ظهر له من موافقة أو مخالفة ليختبر مدى تقدمه فى العلوم الدينية «فقبلها المقرى ووضعها على رأسه ، وعلم أن يومه بسببها خير من أمسه ، ثم كتب عليها ما ظهر له بقدر الامكان ، وأبرزها فى صورة تأليف حسن الوضع سماه : **اعمال الذهن والفكر ، فى المسائل المتنوعة الاجناس ، الواردة من الشيخ سيدى محمد بن أبى بكر ، بركة الزمان وبقية الناس** ، ووجهها الى شيخه بالزاوية البكرية فسر بها كثيرا» (93) .

وكان خروج المقرى من فاس بسبب اتهامه بالميل الى قبيلة شراكة فى فسادها وبغيها أيام السلطان محمد الشيخ السعدى ، فارتحل الى الشرق عام 1617/1027 وحج مرارا وجاور فى المدينة المنورة مدة ، ألف فيها كتبا عديدة وأملى الحديث بالحرمين الشريفين . ودخل الى مصر والشام ونال فيهما حظوة كبيرة ، وألف كتابه العجيب **نفح الطيب** ولكنه مع ذلك لم يصف له العيش اذ لقى عنتا كبيرا من بعض العلماء الشرقيين الذين نافسوه وشوشوا عليه . وكان المقرى قد ترك زوجه وبنته وكتبه بفاس ، وظل قلبه معلقا بذلك ، فأسرع

---

(92) انظر النص الكامل لهذه الرسالة فى ملحق رقم 8

(93) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** . انظر فيه هذا التوليف بتمامه من ورقة 64 الى ورقة 71

اليه الهرم واشتعل رأسه شيبا . وفي محاضرات اليوسي : «حدثني الرئيس الاجل أبو عبد الله محمد الحاج بن محمد أبي بكر الدلائي رحمه الله قال : لما نزلنا في طلعتنا الى الحجاز بمصر المحروسة خرج للقائنا الفقيه النبيه أبو العباس أحمد بن محمد المقري قال : وكنت أعرفه عند والدي لم يشب، فوجدته قد شاب . فقلت له : شبت يا سيدي ! فاستضحك ثم قال :

شيبتني غر ندر وفجار ... وبحار فيها اللبيب يحار» (94)

توفي أحمد المقري في مصر عام 1041/1632 (95) .

جدول مؤلفات المقري

اسم الكتاب	المكتبات التي يوجد فيها
في التاريخ والتراجم	
1) **نفح الطيب، من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**	طبع بمصر مرارا . وآخر طبعة لهذا الكتاب ظهرت عام 1367/1949 في 10 مجلدات . (مطبعة السعادة بمصر)
2) **أزهار الرياض في أخبار عياض**	طبعت منه ثلاثة أجزاء فقط بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام 1358/1939 . ضمن مطبوعات المعهد الخليفي للابحاث المغربية وتوجد نسخة خطية تامة لهذا الكتاب في الخزانة العامة بالرباط 229ك في سفرين ضخمين. كما توجد في الخزانة الملكية بالرباط ، بخط المؤلف وبها بتر .

(94) الحسن اليوسي ، **المحاضرات** ، ص 58 . والغرندر مشكولة في احدى النسخ الخطية بضم الغين وفتح الراء والدال وسكون النون . وفي **متن اللغة** : اغرنداه واغرندى عليه : علاه بالشتم والضرب والقهر . والفجار (بكسر الفاء) الطرق الواسعة بين جبلين .

(95) ترجم للمقري ، محمد الافراني في **الصفوة** ص 72 وما بعدها . ومحمد القادري في **نشر المثاني** ، 1: 157 – 160 . والمحبي في **خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر** ، ج 1 ص 302 وما بعدها . وقد ألف حبيب الجنحاني من تونس **كتابا في ترجمة المقري**

العنوان	ملاحظات
3) **روضة الآس ، العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**	تبتدىء أثناء ترجمة أحمد المنصور الذهبي . وقد طبعت بالمطبعة الملكية بالرباط عام 1383/1964 .
4) **عرف النشق ، من أخبار دمشق**	ذكره المحبي في **خلاصة الاثر** 1 : 303
5) **شرح مقدمة ابن خلدون**	ذكره صاحب كتاب **كشف الظنون** 2 : 106 .

في التوحيد

العنوان	ملاحظات
6) **حاشية على شرح أم البراهين** للشيخ السنوسي	ذكرها المحبي في **خلاصة الاثر** 1:303
7) **اضاءة الدجنة ، بعقائد أهل السنة** وهي عقيدة نظمها من بحر الرجز ودرسها في الحرمين الشريفين وسائر بلاد المشرق التي زارها . وانتسخت منها في حياة المؤلف نحو ألفي نسخة (96)	طبعت في مصر بمطبعة محمد أفندي مصطفى عام 1304 هـ بهامش شرح الشيخ عليش للعقيدة السنوية . وتوجد منها نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط 2742 ك .
8) **اتحاف المغرم المغري في شرح الصغرى** للشيخ السنوسي	الخزانة الملكية بالرباط 3544 و 5928

في الفقه

العنوان	ملاحظات
9) **قطف المهتصر في شرح المختصر** وهي حاشية على مختصر الشيخ خليل	ذكره المحبي في **خلاصة الاثر** 1 : 303

(96) لما زار محمد الحاج مصر عام 1040/1630 أعطاه المقري نسخة من هذه العقيدة بخطه ، فكانت النسخة الأصلية في المغرب ، وعنها أخذ الناس جميعا (أنظر **الدر الثمين** لمحمد ميارة ج 1 ، ص 82)

(10) **أعمال الذهن والفكر، في المسائل المتنوعة الأجناس ، الواردة من الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر ، بركة الزمان وبقية الناس .**

توجد ضمن كتاب **البدور الضاوية** بالخزانة العامة بالرباط من ورقة 64/أ الى ورقة 71/ب .

في السيرة النبوية

(11) **فتح المتعال ، في مدح النعال**

وهو كتاب جمع فيه ما ورد في النعال الشريفة من الاحاديث النبوية ، وتوسع في الشرح والاستقصاء .

توجد منه عدة نسخ خطية في الخزانة العامة بالرباط ، أحسنها في المخطوط 565ج وهو مطبوع بالهند

(12) **رجز في النعال الشريفة**

كان المقري قد جعل هذا الرجز خاتمة لكتابه السابق : **فتح المتعال** ثم أفرده في نسخة بعث بها الى الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي ، فانتشرت في المغرب .

نفس المخطوط السابق 565 ج – في الاخير –

(13) **أزهار الكمامة في شرف العمامة**

وهو رجز في موضوع العمامة النبوية أرسل المقرى النسخة التي كتبها في المدينة المنورة الى الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي . ويشتمل هذا الرجز على نحو 320 بيتا . ومطلعه :

قال الفقير المقرى المرتجي
دخول باب العفو غير المرتج
حمدا لمولى شرف العمامة
بلبس من ظلل بالغمامة

مخطوط خ.ع 984 د ضمن مجموع (من ورقة 99/ب الى ورقة 106/أ)

14) **الدر الثمين فى أسماء الهادى الامين** — ذكره المحبى فى **خلاصة الاثر** 1 : 303

فى علم الجدول وسر الاسماء

15) **نيل المرام المغتبط لطالب المخمس الخالى الوسط** — مخطوط خ.ع 2878 ك

وهو رجز فى علم الوفق وسر الاسماء مطلعه :

أحمد من وفقنا وأفهما
ما لم نكن نعلمه وألهما

مواضيع مختلفة

16) **البداة والنشأة** — ذكره المحبى فى **خلاصة الاثر** 1 : 303

وهو كتاب مملوء أدبا ونظما

17) **الغث والسمين ، والرث والثمين** — «

ج) العربى الفاسى

أبو حامد محمد العربى بن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى ، المؤرخ الاديب ، العلامة المشارك ، مؤلف كتاب **مرآة المحاسن** ، يمتاز بالجرأة النادرة فى الحق ، والدعوة الى الدفاع عن حوزة الوطن . وهو الذى أفتى بوجوب الجهاد لطرد المحتلين الاجانب من الثغور ولو مع عدم وجود الامام ، تأييدا للمجاهد العياشى السلوى . ومما ورد فى هذه الفتوى الطويلة قوله : «ولا يتوهم متوهم أن ترك مدائن المسلمين فى أيدى الكفرة يدل على عدم الوجوب ، لان ذلك من تقصير الملوك ، وهم بذلك فى محل العصيان ، لا فى محل الاقتداء بهم والاستنان ، ولا فرق فى الحكم بين ما أدركنا من أخذه كالعرائش والمعمورة وان كانت غير معمورة ، وبين ما لم ندركه كسبتة وطنجة (97) ، لان الوجوب متعلق بالمسلمين لا بقيد زمان ولا مكان .» (98)

وكانت حادثة تسليم العرائش للاسبانيين على يد الشيخ المامون السعدى طمعا منه فى نصرة طاغية النصارى ومساعدته له على استخلاص الملك من يد

---

97) كان استيلاء الاسبانيين على سبتة عام 819/1416م ، وعلى طنجة عام 841/1437 وعلى المعمورة عام 921/1515 ، وعلى العرائش عام 1019/1610 .

98) عبد العزيز الزياتى ، **الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة** 2 : 121/ب

أخيه زيدان ، وما ترتب عن ذلك من استفتاء المامون علماء فاس لتبرير فعلته الشنيعة مدعيا اضطراره لافتداء أولاده وحشمه المرهونين فى بلاد العدو بهذا الثغر الاسلامى ، كانت هذه الحادثة سببا فى خروج أبى حامد الفاسى وأخيه الحافظ أحمد من فاس فرارا بدينهما ، وامتناعا من ممالأة ذلك الامير الضال على فساده وبغيه ، وقصدا قبيلة مصمودة بناحية وزان ، حيث توفى الامام أحمد الفاسى هناك بعد نحو سنة من خروجهما (99) ، وبقى أبو حامد متنقلا فى البوادى ، وكان أكثر اقامته فى هذه الفترة بالزاوية الدلائية ، حيث أخذ عن الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى ، وسمع منه **صحيح البخارى** ، وتصدر للتدريس فتتلمذ له أكثر علماء الدلاء ، وأجاز منهم الشرقى بن أبى بكر الدلائى ، وأخاه أحمد الحارثى وغيرهما . وقد ذكر العربى الفاسى فى آخر كتابه **مرآة المحاسن** محمد بن أبى بكر الدلائى فى جملة شيوخه وخصص له ترجمة حافلة قائلا عنه : «عالم حافظ دراك ، خاتمة مشايخ المغرب انتهت اليه رياسة الدين والدنيا ، واستقل بساسة الامور الجليلة والرتب العليا» (100).

وكانت تطوان خاتمة مطاف أبى حامد ، وبها توفى عام 1052/1642 (101)

د) علماء آخرون تخرجوا فى الزاوية الدلائية

الاخـوان العكاريـان

الاخوان العكاريان محمد وعلى درسا معا بالزاوية الدلائية وتخرجا فيها على يد الامام أبى على اليوسى وغيره ، ثم قصدا مدينة فاس واشتغلا فيها بالتدريس مدة . وأخيرا رجع محمد العكارى الى مسقط رأسه بمراكش وأقام بها الى أن توفى ، بينما قصد أخوه على العدوتين واستقر بهما الى أن وافاه الاجل بمدينة الرباط . هذا ما اتفق عليه كل من تعرض لخبر هذين الشيخين، خصوصا أبا الحسن العكارى الحفيد فى كتابه **البدور الضاوية فى ذكر الشيخ واصحابه وبناء الزاوية** الذى ترجم فيه لجده على العكارى صاحب الضريح المشهور فى الرباط . لكن المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان صاحب **اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** جعل الرباطى من الاخوين العكاريين هو

(99) كان خروج الاخوين أحمد وابى حامد من فاس صبيحة يوم السبت السابع عشر من صفر عام 0120/1611 كما ذكره فى **مرآة المحاسن** ، ص 55 . وتوفى الحافظ أحمد الفاسى عام 1021/1612 .

(100) العربى الفاسى ، **مرآة المحاسن** ، ص 225 وما بعدها .

(101) ارجع فى ترجمة العربى الفاسى الى : محمد القادرى : **نشر المثانى** ، 1 : 180 – 183 . السلطان سليمن العلوى ، **عناية أولى المجد** ، ص 29 – 32 . محمد بن جعفر الكتانى ، **السلوة** ، 2 : 313 – 315 .

محمد (102) ونسب اليه كثيرا مما ذكره الناس لاخيه علي ، معبرا عن مؤلف البدور الضاوية المذكور بأنه حفيده ، ناقلا عنه بالنص فقرة طويلة لم أجدها في النسختين المحفوظتين بقسم الوثائق من الخزانة العامة بالرباط (رقم 88د و 2392ك) وان كانت بعض الاخبار التي يتحدث عنها النص المنقول موجودة في النسختين المذكورتين بعبارة أخرى . لذلك نتساءل : هل هناك كتابان في مناقب شيخ الرباط العكاري ؟ أم ان الامر يتعلق بنسخ مختلفة لكتاب واحد ؟ ويرجح الاحتمال الثاني لما ذكره المؤرخ الرباطي محمد بوجندار في كتاب **الاغتباط** من أن النسخ الموجودة من **البدور الضاوية** كلها مبتورة من الاوائل والاواخر والاثناء ، وأنها وقعت أولا في يد الفقيه الحاج محمد بن الغازي الرباطي فلفق ما عثر عليه منها وأنشأ لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما بها من البتر (103) ولعل الخزانة الزيدانية تحتوي على نسخة سالمة من ذلك البتر كله أو بعضه . غير ان تسمية شيخ الرباط محمدا العكاري سبق قلم لايحتمل الشك ولا يقبل الجدل ، اذ المتواتر عند الناس خلافه . والقصائد الكثيرة التي قيلت في رثاء شيخ الرباط تكنيه أبا الحسن أو تسميه عليا .

... فغدا مع الشيخ الشريف أبي حسن علي أوحد العصر

وفي مرثية الاديب أحمد بن محمد عمور الفاسي :

... ذخري أبو الحسن الشريف أخو الافضال والاكرام ذو العزم والخلط

واقع كذلك لامحالة عند المؤرخ ابن زيدان في قوله أن أبا الحسن العكاري مؤلف **البدور الضاوية** هو حفيد الشيخ محمد العكاري ، مع أن ترجمة العكاري الحفيد معروفة بخلاف ذلك ، بل نجده هو نفسه يترجم في كتابه **البدور الضاوية** لوالده محمد ، ولجده علي . ويذكر محمدا العكاري دفين مراكش على أنه أخو جده . وقد عد ابن زيدان من تلاميذ العكاري الرباطي القاضي عبد الله بناني وأحمد عاشور ، مع أن الاول اتصلت حياته الى حدود عام 1220/5 – 1806 والثاني الى حوالي عام 1250/34 – 1835 . والثابت في كتب التراجم أن الشيخ عبد السلام بناني جد القاضي عبد الله بناني هذا هو الذي أخذ عن الشيخ علي العكاري بالرباط .

والعكاري المراكشي هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الشريف الحسني كان أديبا خطيبا مصقعا ، استقر بالزاوية الدلائية طالبا للعلم مدة

---

102) عبد الرحمن بن زيدان ، **الاتحاف** ، ج 1 ، ص 340.

103) محمد بوجندار ، **الاغتباط** ، ورقة 1/239 .

طويلة ، ساكنا مع رفيقه ابن عبد الرحمن الصومعي في بيت واحد من بيوت مدارسها . ولما لحق به أخوه علي من مراكش ليدرس كذلك بالزاوية أقام معهما في نفس البيت . وقد حضر محمد العكاري مجالس الدلائيين في مختلف الفنون ، ولازم دروس الشيخ الحسن اليوسي آخذا عنه النحو والبيان والمنطق والفقه والاصول والتوحيد الى أن نال منه اجازة عامة . ولما حصل على ملكة علمية أخذ يدرس بالزاوية الدلائية للمبتدئين من الطلاب ، وكان من جملة الآخذين عنه فيها رفيقه محمد بن عبد الرحمن الصومعي .

وبعد تخريب الزاوية الدلائية توجه محمد العكاري الى فاس ، وأقام بها مدة يطلب العلم ، وأجازه الشيخ عبد القادر الفاسي اجازة عامة قبل أن يرجع الى مسقط رأسه بمراكش . لكنه لم يستقر به المقام طويلا حتى ورد عليه كتاب السلطان اسماعيل يأمره بالقدوم الى مكناس ليكون امامه في الصلوات ، وخطيب الجمعة والاعياد في المسجد الكائن داخل القصبة السلطانية ؛ فاستقر محمد العكاري بالعاصمة الاسماعيلية مدة اشتغل فيها علاوة على الامامة والخطبة بالتدريس وافادة الطلاب ، وتخرج على يده عدد كبير منهم . وقد ابتلى هذا العالم في أواخر حياته بالمرض المعروف (بالضيقة) فطلب من السلطان أن يأذن له في الرجوع الى مراكش «فأعفاه وتركه بعد أن كتب له عهدا كبيرا بليغا باحترام جميع من هو في جواره ، وتوقيرهم ومحاشاتهم» (104) وألح المرض على الشيخ العكاري في مراكش ، الى أن توفي ، ودفن بتربة جده الامام الشيخ التركي ، اذ هي مقبرة آل العكاري بمراكش . ولم يذكر له حفيد أخيه ولا غيره ممن ترجم له تاريخ وفاة . ولعله هو الذي توفي عام 1092/81 ـ 1682 لا أخوه شيخ الرباط على ما ذكره ابن زيدان في **الاتحاف** نقلا عن كناشة الوزير اليحمدي (105) .

وأما العكاري الرباطي فهو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحسني ، العلامة المشارك المدرس النفاع ، ورد الزاوية البكرية طالبا للعلم بعد أن صحب الشيخ محمد بن عبد الله السوسي وأخذ عنه طريقة التصوف في مراكش «فكان مع أخيه في البيت فاذا هو بحالة أخرى من التحري ومجاهدة النفس

---

(104) علي العكاري الحفيد ، **البدور الضاوية** ، ص 108 .

(105) اليحمدي هو العلامة محمد بن احمد وزير السلطان اسماعيل وأمين مكتبته ، له كناشة علمية هامة في 10 مجلدات بالخزانة الزيدانية بمكناس ، وفي الخزانة العامة بالرباط نسخة في مجلدين ضخمين بخط دقيق تحت عدد 5330 .
انظر ترجمة محمد العكاري في : علي العكاري ، **البدور الضاوية** ، في صفحات متفرقة وعباس بن ابراهيم ، **الاعلام** ، ج 4 ص 363 . وأحمد الولالي ، **مباحث الانوار** ، في صفحات متفرقة .

والوقوف على الحدود ، فكان لايغتاب أحد بين يديه ومع ذلك فهو يشاركنا فى أخذ العلوم الآلية عن الشيخ ابن مسعود مثل البيان والمنطق وأصول الفقه وغيرها كالفقه وأصول الدين» (106) وكان ذكيا حسن الادراك لايحفظ القرآن الكريم ولا المتون ، خلافا لما كان شائعا فى ذلك الوقت من تغلب الحفظ على الفهم ، فكان رفاقه الطلبة يتعجبون من حسن تحصيله بالرغم عن عدم امعانه النظر فى الشروح والحواشى ، خصوصا وقد كان يدرس معهم كتبا صعبة مثل **جمع الجوامع** فى الاصول بشرح جلال الدين المحلى ، فيطالعه مرة واحدة قبل حضور المجلس ويكفيه ذلك لتفهم الموضوع والاحاطة به . وقد أجازه مع أخيه محمد المتقدم الامام الحسن اليوسى اجازة عامة ، ذكر فيها أنهما لازما دروسه فى مختلف الفنـون . كما أجازهما الشيخ عبد القادر الفاسـى (107) وبعد تخريب الزاوية الدلائية قصد على العكارى مدينة فاس واشتغل بالتدريس فيها . ويحدثنا القاضى أبو عثمان سعيد العميرى المكناسى (108) عن هذه الفترة من حياة على العكارى بقوله : «لما دخل الشيخ على العكارى حضرة فاس حين قفل من الزاوية الدلائية ، والعلمـاء اذ ذاك متوافرين بها غاية ، وكنت حينئذ بالحضرة المذكورة بصدد تحصيل العلم ، شرع يدرس **كبرى الامـام السنوسى** (109) بجامع القرويين منها . فسمع بذلك فقهاء الحضـرة وكـان هذا الكتاب من أجل ما يتنافس فيه المتنافسون ، فاجتمعت جماعة من الفقهاء ، وجئنا قاصدين مجلسه لننظر قراءته ونختبر حالـه ، بقصد الانتقاد عليـه والامتحان له ، فحضرنا مجلسه بهذه النية ، فألفيناه جالسا وقد غص عليـه المجلس بالطلبة ، وضربوا عليه حلقة عظيمة حفيلة ، وهو يدرس بصوت فصيح جهير ، وشاشيته مائلة لاحد شقى رأسه اشارة الى تمهره ، وعدم اكتراثـه

---

(106) أحمد بن يعقوب الولالى . **مباحث الانوار** ، ورقة 1/7

(107) انظر نص اجازة الامامين الحسن اليوسى وعبد القادر الفاسى للاخوين العكاريين فـى : على العكارى ، **البدور الضاوية** ، ص 2 ـ 5

(108) سعيد بن أبى القاسم العميرى ـ بفتح العين وكسر الميم نسبة الى بنى عمير قرب تادلا المشهورين ـ كان آية فى النحو والبيان ، اختاره السلطان اسماعيل للتدريس بحضرته وولاه قضاء عاصمته . وجعل له الشورى فى مهماته ، فكان له بذلك نفوذ كبير فـى البلاط الاسماعيلى بمكناس ، حتى كان يعبر عنه بعض معاصريه بالوزير ، أخذ العميرى عن الشيخ على العكارى والحسن اليوسى وطبقتهما ، وتوفى بمكناس عام 1131/1718 .

(109) الامام السنوسى هو محمد بن يوسف عالم تلمسان وامامها الكبير ، صاحب **العقائـد الكبرى** و **الوسطى** و **الصغرى** و **صغرى الصغرى** ، وصاحب الحواشى على صحيح مسلم توفى بتلمسان عام 895/89 ـ 1490 .

بمنتقد عليه ، لمعرفته لاحكام الفن المذكور ، وكأنه تحدى بذلك الكتاب اذ ذاك ..» (110)

وبعد ذلك توجه على العكارى الى مدينة سلا ، وأقام فيها يدرس العلم بمسجدها الاعظم ، وأخذ عنه كثير من أعلامها ، كالقاضى أبى عبد الله محمد المنصورى السوسى (111) والقاضى أبى عبد الله محمد زنيبر (112) والفقيه أبى محمد عبد الله الجزار بن أحمد حجى (113) . والعلامة أحمد بن عاشر الحافى (114) والاديب محمد ملاح (115) . وكان الامير عبد الواحد بن السلطان اسماعيل (116) ساكنا بالرباط ، فلما سمع بالشيخ على العكارى قصده بسلا للاخذ عنه ، ثم طلب منه أن ينتقل الى العدوة الاخرى ، فلبى الشيخ طلبه ، ونزل معه بداره فى رباط الفتح ، وبدأ يلقى دروسه فى ضريح أبى العباس أحمد بن موسى العايدى (117) تارة وفى المسجد الاعظم تارة أخرى ، وكان

---

(110) على العكارى الحفيد ، **البدور الضاوية** ، ص 7 .

(111) محمد المنصورى السوسى قاضى سلا والمحلة البخارية . له شرح على **مختصر السنوسى** فى المنطق ، وشرح على **كبراه** ، وحواش على **العقيدة الكبرى** للسنوسى أيضا . توفى عام 1142/1729 ودفن بزاوية سيدى مغيث فى حى الطالعة بسلا .

(112) أبو عبد الله محمد زنيبر المحدث الاديب قاضى سلا . صاحب **شرح همزية البوصيرى** وقعت له محنة مع عامل سلا عبد الحق فنيش فهاجر مدة الى الرباط . كان حيا عام 1165/1752 وقبره فى سلا معروف بالقرب من ضريح الشيخ أحمد بن عاشر ، أنظر ترجمته فى : محمد بن على الدكالى ، **الاتحاف الوجيز** ، ص 105 .

(113) عبد الله الجزار حجى اشتهر بالعلم والنسك ، وكان من أخص تلاميذ الشيخ على العكارى وأحبهم اليه ، لازمه حتى بعد انتقاله الى السكنى بالعدوة الاخرى فكان يحضر معه صلاة الجمعة فى الرباط ولا تفوته مجالسه العلمية فيه . توفى عام 1122/1710 .

(114) أبو العباس أحمد بن محمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافى السلاوى صاحب **الفهرست** التى ذكر فيها علماء عصره ، ومؤلف **تحفة الزائر فى ترجمة فخر سلا ابن عاشر** الذى عرف فيه بالشيخ أحمد بن عاشر الجزيرى السلاوى . وتوفى أحمد الحافى بسلا عام 1163/49 – 1750 .

(115) أبو عبد الله محمد ملاح السلوى . قال عنه أبو الحسن العكارى الحفيد مؤلف **البدور الضاوية** انه كان يعبر النهر كل يوم ليحضر مجالس الشيخ على العكارى بالرباط ، وقد وقف له على قصائد رائقة بليغة . وكتب بعضهم فى الهامش أنه عاش الى حدود عام 1175/61 – 1762 .

(116) الامير عبد الواحد بن السلطان اسماعيل العلوى ، امه عربية من قبيلة بنى مالك الشهيرة بضواحى سوق أربعاء الغرب . وهى قبيلة المجاهد محمد العياشى السلاوى ولعل لذلك علاقة باقامة الامير بالعدوتين ولم أقف على تريخ وفاته .

(117) يوجد هذا الضريح بحى السويقة بالرباط قرب مسجد مولاى سليمان بينهما طريق ممتدة بين (البويبة) وسيدى فاتح .

يحضر هذه المجالس العلمية علماء العدوتين ، كابنه محمد العكارى (118) وأبى العباس أحمد والزهراء (119) وعامل الرباط أحمد حجى مرينو الاندلسى(120) وأخيه القاضى محمد مرينو (121) وأبى عبد الله محمد الزبدى (122) والحافظ أحمد بن عبد الله الغربى (123) وقد لقى الشيخ على العكارى السلطان اسماعيل وتحادث معه طويلا . وتختلف الروايات فى مكان هذا اللقاء وكيفيته . فيروى أبو الحسن العكارى الحفيد ـ على ما ورد فى نسخة الخزانة العامة بالرباط ـ عن الفقيه أبى يعزى بن محمد المسطاسى السلاوى تلميذ الشيخ على أن الملاقاة كانت بمدينة مكناس وزاد قائلا : «.. وأنا حاضر واقف خلف الشيخ اذ ذاك ، فحين تلاقى بالملك خضع له الملك وأهوى ليد الشيخ يريد تقبيلها ، فقال له الشيخ : لاتفعل وقل السلام عليكم . فطلب منه الدعاء بأن قال له : يا سيدى على ادع الله لى . الله يجعلنى عبدا مخلصا لله . فقال له عند ذلك : اللهم آمين . الله يجعلك يامولاى عبدا مخلصا لله . وفرح الملك بذلك فرحا شديدا، وعظمه غاية التعظيم وقال له : أردناك أن تكون امامنا فى هذا المسجد ، وكان اذ ذاك يبنى مسجد الانوار (124) بمكناسة دار مملكته . فقال له الشيخ رضى الله عنه : حتى يتم المسجد بالبناء ان شاء الله ولا يكون الا ما يحب السلطان ..» (125)

---

(118) محمد بن على العكارى العلامة المشارك لم يقرأ الا على والده ، وكتب من املاء والده تعاليق مهمة على **مختصر الشيخ خليل** ، و **الفية ابن مالك** ، و **كبرى السنوسى** ، و **سلم الاخضرى** وغير ذلك ، وتصدر بعد والده للتدريس والافتاء بالرباط . لم أقف على تاريخ وفاته

(119) أبو العباس أحمد بن يحيى والزهراء ، عالم مشارك أجازه الشيخ العكارى اجازة عامة ، وكان جده من وجهاء الاندلسيين أهل الحل والعقد بالرباط أواخر الدولة السعدية . توفى بعد عام 1110/1698 فى سفره الى الحج بعد أداء الفريضة

(120) أبو العباس أحمد حجى الاندلسي الاديب الشاعر الوشاح . كان يسرد **صحيح البخارى** على الشيخ العكارى بالمسجد الاعظم بالرباط . مات بعد عام 1135/1722 .

(121) محمد مرينو قاضى الرباط أخذ عن الامام المسناوى الدلائى فى فاس ثم عن الشيخ العكارى بالرباط . وقد خلف أخاه أحمد فى سرد **صحيح البخارى** بين يدى الشيخ العكارى ، توفى بعد عام 1143/1730

(122) محمد بن الحاج ابراهيم الزبدى الاندلسى أحد فقهاء الرباط المتخرجين على يد الشيخ العكارى ومن أكبر خواصه . ترجم له محمد بوجندار فى **الاغتباط** ورقة 57 ولم يذكر تاريخ وفاته

(123) الحافظ أحمد بن عبد الله الغربى العلامة الرحالة الذائع الصيت بالمغرب والمشرق توفى عام 1178/1704 ودفن بالزاوية المنسوبة اليه قرب ضريح مولاى ابراهيم بمدينة الرباط

(124) مسجد الانوار بمكناس هو المعروف اليوم بمسجد سوق السباط . أنظر أخباره فى **الاتحاف** 1 : 162

(125) على العكارى الحفيد ، **البدور الضاوية** ، ص 44

ويذكر ابن زيدان فى كتاب **الاتحاف** أن اللقاء بين السلطان اسماعيل والشيخ العكارى كان فى المسجد الاعظم بالرباط ، وذلك ـ على ما يظهر ـ من جملة النص الذى نقله عن **البدور الضاوية** ، قال : «.. ثم ورد السلطان الاعظم مولانا اسماعيل على رباط الفتح ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفضائله ومحاسنه . فقال له : لابد لى أن التقى معه فى هذا اليوم وآخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا . فركب السلطان وولده ، فوجدوا المترجم بالجامع الاعظم يسرد **صحيح الامام البخارى** ، وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضى سيدى عبد الله بنانى الاندلسى (126) ولما دخل السلطان صلى تحية المسجد وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر اليه . ولما تم الدرس نظر الشيخ الى القاضى وقال له : اختم الفاتحة فقال له حاشا معاذ الله والسلطان ينظر بعينه . ولما قام من مجلسه جذبه السلطان وعانقه وجلس بازائه وقال له عظنى يا ولى الله . وتذاكروا ساعة زمانية وافترقوا» (127) .

ويذكر ابن زيدان بعد ذلك أن الشيخ العكارى لما رجع الى داره بعد هذه المقابلة وجد بها مالا كثيرا أهداه اليه السلطان اسماعيل ، فبعث الى تلميذه أبى عبد الله الزبدى وقال له : خذ هذا المال وافعل به ما شئت . فاشترى الزبدى للشيخ دارا كبرى بدرب البروزى من حومة السويقة (128) مجاورة للدار الصغرى التى كان يسكنها ودفن فيها بعد مماته . ولم ينفصل السلطان عن الرباط ويتوجه الى سجلماسة ـ حسب رواية ابن زيدان ـ الا بعد أن صحب معه الشيخ العكارى وعشرة من تلاميذه من فقهاء العدوتين وذلك ليؤم به فى الصلوات الخمس ويختم معه صحيح البخارى ، ويتبرك به أنجال السلطان فى تافيلالت .

ولما استرد السلطان اسماعيل مدينة المهدية من يد الاسبان عام 1092/1681 وكان قد شارك فى هذا الفتح كثير من المجاهدين السلاويين ، منهم الشيخ أحمد حجى رفيق الشيخ على العكارى وصديقه الحميم ، طلب السلاويون من السلطان اسماعيل أن يأذن برجوع الشيخ على العكارى الى مدينتهم فوافقهم

(126) لايوجد اسم عبد الله بنانى من بين تلاميذ الشيخ على العكارى فى نسخة **البدور الضاوية** المخطوطة بخزانة الرباط ، ولم يترجم بوجندار فى **الاغتباط** الا للقاضى عبد الله بن محمد بن عبد السلام بنانى المتوفى فى حدود العشرين من القرن الثالث عشر الهجرى وقال ان جده قدم من فاس الى الرباط لنشر العلم بامر من السلطان اسماعيل

(127) عبد الرحمن بن زيدان ، **اتحاف اعلام الناس** ، ج 4 ، ص 96

(128) ما يزال حفدة الشيخ على العكارى يسكنون هذه الدار بزنقة سيدى عبو بحى السويقة فى الرباط، وهى تتصل بضريح الشيخ العكارى بواسطة ممر صغير (خراجة) موجود حتى اليوم

على ذلك وعاد العكارى من جديد الى سلا ، وسار فيها سيرته الاولى من تدريس العلم بمسجدها الاعظم وأقبل عليه طلبتها وعلماؤها اقبالا كبيرا . ولا ندرى المدة التى قضاها الشيخ على العكارى فى هذه الاقامة الثانية بسلا ، ولعلها لم تطل اذ كانت للشيخ تعلقات كثيرة بالعدوة الاخرى ، لاسيما وهو يمتلك هناك دارين صغرى وكبرى كما رأينا . فرجع الى الرباط وقضى بها آخر أيامه فى حالة مرضية من النسك والعبادة ، ونشر العلم وتعميم الافادة ، الى أن توفى عام 1706/1118 (129) .

محمد بن عبد الرحمن الصومعى

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الزمرانى التادلى الصومعى ، نسبة الى قرية الصومعة الشهيرة بتادلا (130) العلامة المشارك ، الورع الصالح ، صاحب شرح **سينية ابن باديس** (131) وشرح **همزية البوصيرى** (132) . مكث مدة طويلة فى الزاوية الدلائية مقيما فى غرفة من غرف مدارسها مع الاخوين العكاريين المتقدمين . وكان يلازم مجالس الشيخ أبى على اليوسى وغيره ، ثم

---

(129) جعل ابن زيدان وفاة الشيخ العكارى الرباطى عام 81/1092 ـ 1682 نقلا عن **كناشة الوزير اليحمدى** . وهذا من ذيول الخلط بين الاخوين العكاريين وربما كان المتوفى فى هذا التاريخ هو محمد العكارى دفين مراكش ، اذ هو أكبر من على سنا ، فيناسب عادة أن تتقدم وفاته عليه، كما انه هو الذى يستأثر باهتمام الوزير المحمدى أكثر مادام قد عاش واياه فى بلاط السلطان اسماعيل اماما وخطيبا كما تقدم فى ترجمته

(130) ما تزال قرية الصومعة قائمة حتى اليوم متصلة بمدينة بنى ملال . وقد أنجبت كثيرا من العلماء مثل عبد الرحمن بن اسماعيل الصومعى صاحب **التشوف فى رجال السادات اهل التصوف** المعروف بالتشوف الصغير . واحمد بن أبى القاسم الصومعى شيخ زاوية الصومعة أيام ازدهار الزاوية الدلائية ، وهو الذى أجاز المقرى صاحب نفح الطيب وأخرج له ستين مجلدا كلها من تصنيفه ، وكانت له خزانة علمية تحتوى على 1080 مجلدا . توفى عام 1604/1013 .

(131) أبو الحسن بن أبى القاسم بن حسن بن باديس القسنطينى ، صاحب **النفحات القدسية** وهى قصيدة سينية مطلعها :

ألا صل الى بغداد فهى منا النفس   وحدث بها عمن ثوى باطن الرمس

ذكر فيها الشيخ عبد القادر الجلانى وأشهر تلاميذه وجعل لها شرحا سماه **اللمحات الانسية** وقال محمد القادرى فى نشر المثانى (108:2) انه وقف على شرح الصومعى لهذه السينية وهو شرح عجيب جمع فيه بين الاختصار والتحقيق ، وتوفى ابن باديس عام 1385/787 م

(132) شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى المصرى المتوفى عام 696هـ ـ 1296 ، له قصيدتان شهيرتان فى مدح الرسول الكريم احداهما ميمية وتعرف **بالبردة** والاخرى **همزية** ومطلعها:

كيف ترقى رقيك الانبياء   **يا سماء ما طاولتها سماء**

ولها شروح كثيرة . ويمتاز شرح الصومعى بعدم الاطالة والاستطراد ، والاقتصار على ما لابد منه لتحليل الابيات ومعرفة ما تشير اليه من احداث فى السيرة النبوية الكريمة . ويوجد هذا الشرح فى قسم المخطوطات بالخزانة العامة بالرباط تحت عدد 232/ك . ضمن مجموع

انقطع مدة عن دروسه للالتحاق بمراكش من أجل الاتصال بالشيخ الصوفى محمد بن عبد الله السوسى وسلوك طريق القوم على يده . فاغتم اليوسى لسفره اذ كان يرى فيه استعدادا كبيرا للاستفادة من دروسه ويعده من أنجب طلابه الذين يتوسم فيهم الاهلية لتحمل الامانة العلمية . ولم تطل غيبة الصومعى فى مراكش ، فخرج منها مع شيخه ابن عبد الله السوسى راجعا الى الزاوية الدلائية عام 1660/1071 وانقطع من جديد الى دروس الامام اليوسى وغيره من العلماء الدلائيين ، الى أن تخرج عالما كبيرا ، ومصلحا ناصحا . ورجع الصومعى بعد حادثة تخريب زاوية الدلاء ، الى مسقط رأسه فى تادلا وأقبل هناك على نشر العلم بين طلبة قبيلته وغيرهم من أبناء الاقليم التادلى ، وتكاثر الآخذون عنه فيها ، وأجمع الناس على محبته وتعظيمه ، وصلحت أحوالهم بارشاده ، ثم صحب الشيخ الصوفى أحمد بن عبد الله صاحب زاوية المخفية بفاس وحج معه الى بيت الله الحرام عام 1688/1100 ، وظل يتردد اليه فى مناسبات الاعياد الدينية . ويحدثنا أحمد الولالى عن حال رفيقه الصومعى عام 1697/1109 وهو التاريخ الذى ألف فيه **مباحث الانوار** بقوله : «وهو وفقه الله تعالى الى الآن مقبل على ما يعنيه من العلم والعمل ، تخرج عليه فى العلم ناس من أصحابه ، وتهذبت بمصاحبته أخلاقهم وهو حسن العهد ، منقطع من الولاة ، لايرى غالبا الا ذاكرا أو مشتغلا بالعلم تعليما ومطالعة أو مذاكرة . وهو فيه ذو انصاف ، سليم الصدر ..» (133)

توفى محمد بن عبد الرحمن الصومعى عام 1712/1123 (134) .

أحمد بن يعقوب الولالى

أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولالى (بفتح الواو وتشديد اللام الاولى) نسبة الى بنى ولال احدى بطون قبيلة آيت عطا (بتشديد الطاء) الصنهاجية المشهورة بأقصى جبال ملوية (135) وكان أحمد بن يعقوب من أعلام زمانه علما وتدينا «يجيد التعبير عن كل ما يريد، متبحرا فى العلوم

(133) أحمد بن يعقوب الولالى ، **مباحث الانوار** ، ورقة 1/31

(134) ترجم للصومعى أحمد الولالى فى **مباحث الانوار** ، ورقة 1/31 وما بعدها ، ومحمد القادرى فى **نشر المثانى** ، 2:108 — 109 .

(135) لبنى ولال صلات وثيقة قديمة بأبناء عمومتهم المجاطيين ، وكان محمد بن يعقوب الولالى من مريدى أبى بكر الدلائى وعنه أخذ الطريقة الشاذلية كما كان ابنه محمد الولالى من تلاميذ محمد بن أبى بكر الدلائى . قضى أحمد هذا حياته كلها يطلب العلم فى الزاوية البكرية ولم تقتصر الصلات بين القبيلتين البربريتين على الناحية العلمية بل شملت الناحية الحربية أيضا ، فكان بنو ولال من أهم القبائل المناصرة للرئيس محمد الحاج الدلائى ومن أحسن العناصر التى يعتمد عليها فى ناحيتى مكناس وفاس وسهول سايس لذلك تعرض الولاليون لغارة الرشيد بن الشريف فدوخهم قبل أن يتوجه الى الدلاء .

محققا لها» (136) انقطع الى طلب العلم فى الزاوية الدلائية زمنا طويلا مقيما فى احدى مدارس الزاوية ، وقد توثقت الصلة بينه وبين محمد بن عبد الرحمن الصومعى والاخوين العكاريين المتقدمين . درس على الامام أبى على اليوسى وأضرابه مختلف الفنون من فقه ، وأصول ، ونحو ، ومنطق . ومن أهم الكتب التى درسها هناك ، **جمع الجوامع** للسبكى ، **ومختصر الشيخ خليل ، وتلخيص المفتاح** للقزوينى ، **والتسهيل** لابن مالك . ولما حل الشيخ محمد بن عبد الله السوسى بالزاوية البكرية كما تقدم ، أخذ عنه أحمد الولالى الطريقة الصوفية، فاكتمل بذلك تكوينه العقى والروحى . وبعد أفول نجم الزاوية الدلائية قصد أحمد الولالى مدينة مكناس واستقر بها متصدرا للتدريس فى قصبة الحضرة السلطانية الاسماعيلية ، وأقبل الطلبة على مجالسه العلمية المفيدة . وممن تخرج على يده من علماء مكناس أبو القاسم بن سعيد العميرى (137) والطبيب عبد القادر بن شقرون (138) . وألف أحمد بن يعقوب كتبا عديدة أغلبها شروح وحواش على الطريقة المعروفة فى عصره ، منها شرح **مختصر المنطق** للشيخ السنوسى ، وشرح **السلم المرونق** فى المنطق أيضا للاخضرى (139) وشرح **تلخيص المفتاح** ، فى البلاغة للخطيب القزوينى ، وشرح **لامية الافعال** ، فى التصريف لابن مالك ، وشرح **روضة الازهار** فى التوقيت للجادرى (140) وحاشية على شرح **المحلى** لجمع الجوامع ، فى الاصول . ولعل أهم كتبه وأفيدها جميعا هو كتاب **مباحث الانوار فى أخبار بعض الاخيار** ، الذى ألفه فى مطلع القرن الحادى عشر الهجرى للتعريف بشيخه أبى عبد الله السوسى ، وذكر فيه كثيرا ممن أخذوا عنه ، كما ترجم فيه لابيه وجده ، وشيوخهما من الدلائيين وغيرهم ، ولطائفة مهمة من العلماء الذين لقيهم أو كاتبهم . وقد خصص أحمد بن يعقوب الخاتمة لذكر من اشتهر شرفه بالمغرب ، وفى هذا

---

(136) محمد القادرى ، **نشر المثانى** 114:2

(137) أبو القاسم هذا هو ابن القاضى سعيد بن أبى القاسم العميرى المتقدم . وكان مثل أبيه فقيها تولى القضاء بمكناس وأخذ عنه كثير من العلماء . توفى عام 1178/64 - 1765

(138) عبد القادر بن العربى المنبهى المدغرى ، المعروف بابن شقرون المكناسى الفقيه النحوى الاديب الطبيب المشارك . من مؤلفاته شرح **البسط والتعريف** فى التصريف للمكودى ، و **الارجوزة الطبية** المعروفة بالشقرونية ، مات بعد عام 1140/1727

(139) عبد الرحمن بن محمد الصغير الاخضرى ، مؤلف **السلم المرونق** فى المنطق و **رسالة الحساب** و **الجوهر المكنون فى الثلاثة فنون** - المعانى والبيان والبديع - وغيرها من الكتب التعليمية المشهورة . من رجال القرن العاشر الهجرى

(140) أبو زيد عبد الرحمن بن أبى غالب الشهير بالجادرى موقت جامع القرويين بفاس ومؤلف **روضة الازهار فى علم وقت الليل والنهار** ، وهى ارجوز تشتمل على 336 بيتا يدرسها الناس ويعتمدون عليها فى هذا الفن حتى اليوم . توفى بفاس عام 839/1435

الكتاب تبدو قدرة المؤلف على التعبير وحسن الاداء فى أسلوب سليم خال من التكلف وقد تحدث فيه كثيرا عن الزاوية البكرية ، خصوصا فى المبحثين الاول والثانى وسجل من أخبارها وأوصافها ما لايوجد عند غيره من المؤرخين وكانت وفاة أحمد الولالى بمدينة مكناس عام 1715/1128 (141) .

أحمد القادرى

أبو العباس أحمد بن عبد القادر القادرى الحسنى ، الفقيه الاديب ، العلامة الصوفى صاحب **نسمة الآس فى حجة سيدنا أبى العباس** ، وهى رحلة حجازية مفيدة جدا على اختصارها ، ألفها عندما حج للمرة الثانية عام 1100/1688 صحبة الامام العارف أحمد بن عبد الله معن (142) وقد سبق للقادرى أن حج للمرة الاولى عام 1083/1672م وزار مصر حيث التقى بشيوخها وأعلامها وأقام أحمد القادرى فى الزاوية الدلائية طويلا يأخذ العلم عن محمد المرابط الدلائى والحسن اليوسى وغيرهما ، ثم أصهر الى الدلائيين فتزوج بنت الشاذلى أخى الرئيس محمد الحاج مستقرا نهائيا بالزاوية الدلائية الى أن خرج منها مع أهلها عندما خربها السلطان الرشيد، فقصد زاوية الصومعة بتادلا حزينا يبكى مجد الدلاء الغابر ، ويندب جدها العاثر ، وقد روى عنه صاحب **تحفة المعاصر** (143) عبارات مؤثرة وصف بها حادثة اخلاء الزاوية .

كان أحمد القادرى يقرض الشعر فى سهولة ويسر ، وله رجز **فيمن هاجر الى الحبشة من الصحابة** . وبحث لطيف حول قاعدة ابن خلدون فى تقدير الاجيال مع أمور تتعلق بالنسب الشريف من نسل الحسن والحسين بعد أن سأله عن ذلك شرفاء جبل العلم «فأجاب عن جميع مسائل السؤال بما ينبغى من النقل الممتع وبما هو للمستفيد مقنع ، وحقق ان قاعدة ابن خلدون ليست بمطردة ..» (144) وقد سافر القادرى مرة مع شيخه أبى على اليوسى

---

(141) ترجم لاحمد الولالى محمد بن الطيب القادرى فى **نشر المثانى** 2:114 وما بعدها . وعبد الرحمن بن زيدان فى **الاتحاف** 1:340 وما بعدها

(142) أحمد بن محمد بن عبد الله معن الاندلسى الصوفى الكبير صاحب الزاوية المعروفة فى فاس بالمخفية من عدوة الاندلس . وكان الذى اختطها هو أبوه الصالح محمد بن عبد الله فى حدود عام 1048/1638 م . ثم جدد الشيخ احمد بناءها ورفع خزانة الكتب المحبسة عليها فى مستهل القرن الثانى عشر الهجرى وكانت مجمع فقهاء فاس وعلمائها. توفى الشيخ احمد عام 1120/1708

(143) **تحفة المعاصر فى بعض صالحى تلامذة ابى عبد الله محمد بن ناصر** ، لمحمد بن عبد الله الحوات ، احدى المصادر الهامة التى اعتمد عليها سليمان الحوات فى كتاب **البدور الضاوية** . وقد نقل عبارات القادرى فى التحسر على الزاوية الدلائية فى ورقة 116

(144) محمد القادرى ، **نشر المثانى** ، ج 2 ، ص 121

ومرا بقرية آزرو ومعهما كثير من الناس فنزلوا بها واجتمع أهلها على الشيخ اليوسى دون أن يظهروا له شيئا من كرم الضيافة فلما ألح الجوع على الشيخ وأيس من قراهم عمد الى زاده وتناول منه سويقا ، فأقبلوا يشاركونه فى أكله، وكان فيهم قضاة وأعيان القرية فأنشد اليوسى أبياتا للاديب الدغوغى :

قرية لا قرى لابن السبيل بها ... تبا لها ولارجاس بها اجتمعوا
لولا أفاردها يقرون واردها ... من سؤر باردها فى ضمنه وجع
لقلت من زار آزرو زار مقبرة ... ورب مقبرة زوارها انتفعوا

فزاد أحمد القادرى على هذه الابيات مثلها وقال :

وان حللت بها فانزل بروضتها ... ولا تقم ساعة فالخير ممتنع
لقد أتيناهم يوم الخميس ضحى ... فلم ينل منهم قوت ولا شبع
قالوا القضاة أتوا ، قلت لاكرامنا ... اذا هم فى سويق الشيخ قد طعموا

وتوفى أحمد القادرى عام 1133/20 – 1721 . ودفن بقرب ضريح الشيخ أحمد اليمنى خارج باب فتوح من مدينة فاس (145) .

محمد بن مسعود المراكشى

أبو عبد الله محمد بن مسعود المراكشى الفقيه النحوى العالم الصالح . انصرفت همته منذ أول عهده بالدراسة الى تحصيل قواعد اللغة العربية ، والفقه المالكى فقرأ **ألفية ابن مالك** ، **ومختصر الشيخ خليل** أكثر من مرة بالزاوية الدلائية على علمائها حتى أحرز قصب السبق فيهما فأخذ يدرسهما بدوره لطلبة الزاوية مع كتب أخرى فى هذين الفنين وله تقاييد كثيرة وملاحظات مهمة كتبها على **مختصر خليل** . وكان فى ابتداء أمره مفتونا بمظاهر الدنيا شغوفا بزخرفها ولهوها ، يعاشر المترفين من شباب الدلائيين أولى السلطة والجاه لايكاد ينتهى من القاء دروسه وينصرف من المسجد حتى يغشى مجالس الانس والطرب . وكان محمد بن مسعود بالاضافة الى شبابه وعلمه خفيف الروح حلو النكتة شأن كثير من المراكشيين ، فتهافت عليه زملاؤه من شباب الزاوية وصادف ذلك منه ميلا ورغبة فتوثقت الصلة بينهم . ولما قدم الشيخ

(145) ترجع لاحمد القادرى ابن عمه محمد القادرى فى **نشر المثانى** 2:121 – 122 ومحمد الكتانى فى **سلوة الانفاس** 2:353

الصوفى محمد بن عبد الله السوسى من مراكش الى الزاوية البكرية اتصل به محمد بن مسعود فى جملة العلماء فأعجب باستقامة الشيخ وجده ، ولازمه طيلة الايام العشرة التى قضاها بين ظهرانيهم ، فتبدلت حاله وتطهرت روحه من أدران المادة حتى انه مزق ما كان عليه من ثياب فاخرة واستبدلها بملابس خشنة ، وانقطع عن رفاقه الامراء ، ولم يلبث أن غادر الزاوية الدلائية نهائيا فرارا من مجالس لهوه القديم وقصد قرية تمجث بتادلا حيث عاش بجوار الشيخ الصوفى على بن عبد الرحمن الدرعى (146) يدرس العلم فى زاويته ويؤم الناس فى الصلاة . ثم جرت أحداث سياسية استهدف فيها الشيخ على ابن عبد الرحمن لعسف بعض الولاة ، فغادر محمد بن مسعود هذه الزاوية الى قرية تنغملت بالقرب من مراكش وظل فيها على ديانته وعبادته واشتغاله بالتعليم والارشاد وتدريس الحديث الشريف الى أن توفى بالطاعون . ولعله الوباء الذى اجتاح المغرب عام 1090/1679م (147) .

على بن عبد الواحد الانصارى

أبو الحسن على بن عبد الواحد بن محمد بن أبى بكر الانصارى السجلماسى أصلا السلوى ثم الجزائرى ، الفقيه المحدث العالم المؤلف النفاع ، نشأ بسجلماسة وقرأ بفاس وزاوية الدلاء ورحل الى الشرق فأخذ عن علماء مصر مثل الامام الاجهورى (148) . ثم استوطن مدينة سلا ، وفيها نشر علمه وألف تآليفه العديدة ، مثل **اليواقيت الثمينة** ، وهو نظم فى قواعد المذهب ونظائر الفقه على نسق منهج الزقاق (149) **وشرح تحفة ابن عاصم** (150) **وشرح**

---

146) الشيخ أبو الحسن على بن عبد الرحمن الدرعى هو دفين تادلا بمنزله بها المسمى (تمجت) توفى بالطاعون ، ولعله وباء عام 1090/1679 م

147) أنظر ترجمة محمد بن مسعود فى : أحمد بن يعقوب الولالى ، **مباحث الانوار** ، ورقة 35 وعباس بن ابراهيم فى **الاعلام** ، 5:49

148) أبو الحسن على الاجهورى شيخ المالكية بمصر وصاحب **شرح مختصر خليل** . أدرك شهرة عظيمة بالمغرب حتى كانت توجه اليه منه الاسئلة للافتاء . توفى عام 1066/1655

149) أبو الحسن على بن قاسم بن محمد التجيبى الشهير بالزقاق . الفاسى له نظم المنهج فى أصول المذهب، **ولامية** فى أحكام فقهية جرى بها عمل فاس ، توفى عن سن عالية عام 912/1506

150) أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن عاصم ، قاضى غرناطة ، صاحب الرجز المشهور **تحفة الحكام** فى الاحكام الفقهية الذى شرحه المغاربة والمشارقة وحفظه الناس لسهولته ورقة أسلوبه . توفى عام 829 هـ - 1425 م

الاجرومية فى النحو (151) وغير ذلك .

وذكر الافرانى فى **الصفوة** (ص 135) أن على بن عبد الواحد الانصارى قرأ **صحيح البخارى** على الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى نحو احدى وعشرين مرة ، كما قرأ عليه **الشفا** للقاضى عياض (152) **والموطأ** للامام مالك بن أنس (153) ورسالة الامام القشيرى (154) وحكم ابن عطاء الله (155) .

وقد استوطن على بن عبد الواحد الجزائر فى أواخر أيامه ، وتخرج على يده هناك كثير من الاعلام . وتوفى بالطاعون عام 1054/44 — 1645 (156) .

---

(151) **الاجرومية** كتاب صغير يشتمل على مبادئ النحو ، اقبل الناس عليه كثيرا . ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن اجروم المتوفى عام 723 هـ — 1323 م

(152) القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي ، امام الحديث والفقه والادب ، دفين مراكش المتوفى عام 544 هـ — 1149 م وقد أفرده أحمد المقرى بتاليه **ازهار الرياض فى اخبار عياض** نشر منه بيت المغرب بالقاهرة 3 أجزاء

(153) الامام مالك بن أنس الاصبحي امام دار الهجرة ، وأحد أصحاب المذاهب الاربعة المشهورة توفى عام 179 هـ — 795 م

(154) عبد الكريم القشيرى من اشهر الصوفية الذين كتبوا فى الورع ومحاسبة النفس ، ويعرف كتابه **بالرسالة القشيرية** ، طبعت فى مصر مرارا ، وتوفى عام 1072/465

(155) تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى الشاذلى ، من أكبر مقاومى ابن تيمة ، الف نحو 20 كتابا أشهرها **الحكم** فى أبحاث الصوفية ، وتوفى عام 709/9 — 1310

(156) ترجم لعلى بن عبد الواحد الانصارى ، محمد الافرانى ، **الصفوة** ، ص 135 وما بعدها . ومحمد الحجوى ، **الفكر السامى** ، 4:111 — 112 ، وأخباره متفرقة فى **نفح الطيب** ، و **البدور الضاوية** ، وغيرهما .

الباب الرابع

الدلائيون والسياسة

1 ـ موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

ا) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين

ب) موقف الدلائيين من ابن أبى محلى وأبى زكريا

ج) موقف الدلائيين من أبى حسون السملالى

د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشى

2 ـ زعامة محمد الحاج السياسية

ا) من هو محمد الحاج ؟

ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم

ج) تأسيس مدينة الدلاء

د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

3 ـ أعمال محمد الحاج الحربية

ا) الحملتان الدلائيتان الاوليان (وقعة أبى عقبة)

ب) مهاجمة المجاهد العياشى

ج) غزو شرفاء سجلماسة (وقعة القاعة)

د) الجهاد ضد الاسبانيين فى المعمورة

هـ) حملات تأديبية فى بلاد زعير والحياينة

1 - موقف الدلائيين من الاضطرابات الداخلية

أ) علاقة الدلائيين بالملوك السعديين

لم يكن الدلائيون فى بادىء الامر يهتمون الا بالناحيتين الدينية والعلمية. فالشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية الدلائية كان زاهدا فى الدنيا عزوفا عنها ، لايشتغل حتى بتدبير أموره الخاصة ، ولا ينصرف عن عبادته واذكاره ، الا ليرشد مريديه ويعظهم ويذكرهم . وسار محمد بن أبى بكر الدلائى على نهج والده فى الاعراض عن الدنيا وزخرفها والانقطاع الى عبادة الله وتربية المريدين وتدريس العلم للطلبة المقيمين بالزاوية ، واكرام الوفود والاحسان الى الناس جميعا . وظل يعترف بسلطة السعديين ملوك مراكش ، حتى بعد أن مزقت الحوادث شملهم ، وبدا عجزهم وقلة كفايتهم ، وآخر من بايع منهم الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور (1040/1631 - 1045/1636) .

وعلى الرغم مما كان لمحمد بن أبى بكر الدلائى من نفوذ قوى لدى القبائل البربرية فى الاطلس المتوسط ، وما امتاز به بعض أبنائه من شجاعة وفروسية وما آتاه الله من بسطة فى العلم والمال والجاه ، على الرغم من ذلك كله لم يحاول ابن أبى بكر قط استغلال تلك الامكانيات الواسعة التى لم تتح لغيره ليدلى بدلوه فى بحر السياسة والسلطان ، وانما كان يدعو الى السمع والطاعة، والتمسك بالوحدة ولزوم الجماعة . وطالما ندد بما كان يشعر به عند بعض بنيه من الزهو وحب الرياسة . وعاش محمد بن أبى بكر الدلائى أربعا وثلاثين سنة من عهد الفوضى والاضطراب (1012 - 1603/1046 - 1636) الناتج عن تصدع السلطة المركزية وانقسامها وعجزها عن حفظ النظام فى البلاد ، خصوصا فى الاطراف والجبال . وكان برابرة الاطلس خلال هذه الفترة يلتفون حول شيخ الدلاء لما يعرفون فيه من صلاح الحال وطهارة النفس ورحابة الصدر ، ورعيا كذلك لعصبيته القوية ، اذ كان رهطه مجاط فى ذروة تلك القبائل شدة بأس وصعوبة مراس . وهكذا نجد محمد بن أبى بكر الدلائى حكما يختصم اليه قومه ، وملجأ يهرع اليه المستضعفون من جيرانه ، فلا يألو جهدا فى اصلاح ذات البين والعمل على انصاف المظلومين ، ساعيا دائما فى الخير والسداد ، داعيا الى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة . وقد عرفنا مما سبق أنه اضطر مرة الى الهجرة من الدلاء الى قرية تاغيا بناحية ميدلت عندما اشتد عناد بعض القبائل الطاغية ، وتألبت على اذايته والكيد له .

وفى هذه الظروف التى لم يبق فيها لسلطة السعديين فى جبال الاطلس وبلاد تادلا الا الاسم ، كان لابد من وجود قوة محلية فى هذه النواحى تعمل

على حفظ النظام وتأمين السبل وحماية القوافل فتكون فى الدلاء جيش قوى من فرسان مجاط وآيت اسحاق وغيرهما من القبائل البربرية بقيادة ثلاثة من إبناء الشيخ محمد بن أبى بكر ، اشتهروا بالشجاعة والاقدام وهم عبد الخالق، وعمر ، ومحمد الحاج (1) ولم تقتصر تحركات هذا الجيش على العمل فى النطاق المحلى المحدود ، بل ذهب بعيدا عن الدلاء ، فسار الى سلا وفاس لمساعدة المجاهد العياشى فى القضاء على بعض الفتن الداخلية . كما توجه الى تافيلالت لانجاد أهل قرية تابوعصامت والوقوف فى وجه الجيوش السوسية مما سنراه مفصلا فى فصل آت . وسيكون هذا الجيش الدلائى السند الاول الذى يعتمد عليه محمد الحاج بعد وفاة والده لاقامة امارة دلائية مستقلة عن نظر السعديين.

ب) موقف الدلائيين من ابن أبى محلى وأبى زكريا الحاحى

أبو محلى أو ابن أبى محلى (بفتح الميم والحاء وكسر اللام المشددة) هو ابو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسى ، كان يزعم أنه من نسل العباسيين. انتقل أبو محلى فى مقتبل العمر الى فاس لطلب العلم ، وتخلف عن المجاهدين الذين سارعوا الى لقاء العدو على وادى المخازن فارا الى البادية يحفظ المتون ويتسكع بين الخيام الى أن خمدت الفتنة وسكنت بانتصار المسلمين ، فرجع الى فاس وأقام فيها سنين عديدة الى أن تخرج منها عالما متبحرا فى اللغة والمسائل الدينية بالخصوص . وألف أبو محلى عدة كتب تحوم كلها حول البدع والمنكرات . ويمكننا أن نأخذ فكرة صغيرة عن هذا الرجل من عناوين كتبه قبل أن نقرأها ـ أنظر جدول مؤلفات أبى محلى ـ ويمتاز بشدة التحامل على المبتدعين والمنحرفين عن الدين ، فينعتهم بأقبح النعوت ، ويدعوهم بالجهلة والسفلة ، ولا يرى الا شدخ رؤوسهم بالمهراس والمدراس والمنجنيق ، وتقطيع أمعائهم بالسم الزعاف .

وقد سلك أبو محلى طريق التصوف ، وصحب الشيخ محمد بن مبارك الزعرى المتقدم ، وبقى عنده فى تستاوت نحو ثمانى عشرة سنة . وكانت تعتريه عند شيخه أحوال ، فيصيح قائلا : «أنا سلطان ! أنا سلطان !» فيقول له الشيخ : «انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا» .

---

(1) عبد الخالق الدلائى عالم أديب وبطل مغوار ، وهو أول رئيس من الدلائيين . قتله أعراب تادلا غدرا عندما كان راجعا من حركة تأديبية قام بها ضد أعراب الشاوية ببلاد تامسنا عام 1649/1059 وحمل الى الزاوية البكرية فدفن فيها . وأخوه عمر أديب شاعر وشجاع باسل كذلك درس بالزاوية البكرية وقاد الجيوش الى أن مات فى أثناء قتاله ضد الحياينة بضواحى فاس عام 1645/1055 وحمل مصبرا ، وقيل جريحا ثم مات ، ودفن بالدلاء .
أما محمد الحاج فستأتى ترجمته بشىء من التفصيل .

وبعد أن أقام أبو محلى مدة فى الزاوية الدلائية ، اتجه الى وادى الساورة فى الصحراء (2) وادعى أنه المهدى المنتظر ، وبدأ يكاتب رؤساء القبائل يأمرهم بالتمسك بالدين والسنة ، وينهاهم عن المنكرات والبدع . ولما سلم الشيخ المامون السعدى مدينة العرائش الى الاسبانيين عام ١٠١٩/١٦١٠ ، اظهر ابن أبى محلى الغضب والحمية للدين ودعا الناس للجهاد ، فاجتمعت عليه العامة ، وتقدم بهم الى سجلماسة فملكها ثم استولى على بلاد درعة ، وقصد مراكش فاقتحمها عنوة وطرد ملكها زيدان بن المنصور الذهبى . ولما دخل أبو محلى قصر الخلافة بمراكش فعل فيه ما شاء ، وولد له هناك مولود سماه زيدان . ويقال انه تزوج أم زيدان وبنى بها ، ودبت فى رأسه نشوة الملك ، ونسى ما بنى عليه أمره من الحسبة والنسك (3). وبالرغم من كون فتنة ابن أبى محلى لم تدم الا نحو ثلاث سنوات ، فانه ضرب السكة باسمه وكتب عليها : «ضرب بلكتاوة حرسها الله عام احدى (كذا) وعشرين وألف» :

باسم الله الرحمن الرحيم	
القائم بأمر اللـه	
أبو العباس الفاطمى	
العباسى أيده الله	
الملك لله الواحد القهار	نقش خليفة الله الهاشمى المجار
لا الـه الا اللـه	
محمد رسول الله	
أبو العباس المهدى	
خليفـة اللـه (4)	

ولعل لمسارعة أبى محلى الى ضرب السكة باسمه علاقة بما يذكره عنه المؤرخون من انه اشتغل بالكيمياء وتحويل المعادن «فكان صاحب حكمة لم تنقطع النار فى جيشه لتذويب الرصاص وصبغته» (5) . وقد توجه السلطان

2) وادى الساورة من جملة الاراضى التى اقتطعها الفرنسيون من المغرب أيام الحماية والحقوها بالجزائر ، وما يزال آل ابى محلى حتى اليوم فى هذه المنطقة الصحراوية .

3) أحمد الناصرى ، **الاستقصا** ، ٦ : ١٠١

4) M. Henri Lavoix, Catalogue des monnais musulmanes, P. 492.

5) مؤلف مجهول ، **تاريخ الدولة السعدية** ، ص ١٠١

الطريد زيدان الى زاوية الشيخ أبى زكريا الحاحى بجبل درن (6) ورجا منه أن يساعده على الرجوع الى عاصمة ملكه ، والقضاء على منافسه أبى محلى . فسار أبو زكريا عام 1022/1614 فى جماعة كبيرة من أتباعه الى مراكش ، حيث التقى بخصمه فى جليز خارجها . ووقعت بين الفريقين معركة حامية الوطيس أسفرت عن مقتل ابن أبى محلى الذى احتز رأسه وعلق على سور مراكش مع رؤوس جماعة من أصحابه طيلة 12 سنة .

(6) جبل درن هو عبارة عما نسميه اليوم بالاطلس الكبير

اسم الكتاب وموضوعه	المكتبة التى يوجد فيها
1) **اصليت الخريت فى قطع بلعوم العفريت** وهو كتاب ترجم فيه لنفسه وتحدث عن نسبه ونشأته الى أن قام بالثورة	توجد منه نسختان مخطوطتان بالخزانة الملكية تحت عدد 4009 و 4442
2) **مهراس رؤوس الجهلة المبتدعة ومدراس النكوس السفلة المتدعة** وقد تحدث فيه أبومحلى عن المهدوية ورد فيه على خصومها . ويقع فى 221 صفحة من الحجم المتوسط	مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط 192ك
3) **منجنيق الصخور فى الرد على أهل الفجور** أو منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور	مخطوطة خ.ع.338 (من ص 130–453)
4) **السيف البارق مع السهم الراشق**	نفس المخطوطة
5) **سم ساعة فى تقطيع امعاء مفارق الجماعة** وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة انتسخت فى حياة المؤلف عام 1017	نفس المخطوطة (من ص 2 ـ 126)
6) **القسطاس المستقيم فى معرفة الصحيح من السقيم** : تكلم فيه على العلم والعمل والخلافة	مخطوطة خ. ع. 576 ق
7) **الوضاح**	؟
8) **الهودج**	؟
9) **جواب الخروبى عن رسالته الى الشيخ أبى عمر القسطلى المراكشى**	هذه الكتب الثلاثة الاخيرة ذكرها الناصرى فى الاستقصا ج 6 ، ص 33

ولعل أهم صلة جمعت بين الدلائيين وابن أبى محلى هى الطريقة الصوفية الشاذلية ، اذ أخذ كل من محمد بن أبى بكر الدلائى وابن أبى محلى عن الشيخ محمد بن مبارك الزعرى المتقدم ، وأقاما مدة فى زاوية هذا الشيخ بتستاورت . وبعد ذلك استقر ابن أبى محلى فى الزاوية الدلائية زمانا غير قصير بدأ خلاله يحاول التظاهر بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولكنه كان يلقى معارضة قوية من شيخ الدلاء الذى لم تخف عليه نوايا صاحبه القديم ذى الشطحات والصيحات الهستيرية : «أنا سلطان ! أنا سلطان !» وتحدى ابن أبى محلى ذات يوم الشيخ محمد بن أبى بكر ، وقام فى الدلاء بتجربته الاولى فى الاتصال بالجمهور والعمل على اغوائه واستهوائه عن طريق الارشاد الدينى المزيف ، وقضى يوما فى التهريج والشعوذة ، واشتبك مع بعض الناس الذين لم تنطل عليهم حيلته ، ورجع فى المساء الى الزاوية الدلائية منهوك القوى لم يؤد الصلاة فى وقتها . فعنفه الشيخ ابن أبى بكر وقال له : «أما أنا فقد قضيت مأربى وحفظت دينى ، وانقلبت فى سلامة وصفاء ، ومن أتى منكرا فالله حسيبه ، أو نحو هذا الكلام . وأما أنت فانظر ما الذى وقعت فيه» (7) . ولم يرعو ابن أبى محلى عن غيه بل راح يضرب فى الارض باحثا عن مكان صالح لنشر دعوته الباطلة ، حتى وصل الى وادى الساورة فى الصحراء ، فأعلن مهدويته ، وكان ذلك آخر عهد له بالدلائيين الى أن قتل فى مراكش بعد نحو ثلاث سنوات .

أما أبو زكريا فهو يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحى . أسس جده سعيد زاوية تافيلالت (8) بزداغة الواقعة شمالى تارودانت على واد يسميه البربر (آسيف نتامنت) أى وادى العسل ، واشتغل فيها بتدريس العلم وتربية المريدين . ثم خلفه فيها ابنه عبد الله ، وكان مثله عالما مصلحا أرسل ابنه يحيى الى فاس ليدرس فيها ، وطالت اقامة يحيى بفاس سنين عديدة ، كان يسكن خلالها هو وابن أبى محلى بيتا واحدا فى احدى المدارس ، وحصل على نصيب وافر من العلوم الدينية والادبية ، ورجع الى قريته الجبلية عالما كبيرا ، وأديبا شاعرا (9) ليتولى أمر الزاوية بعد وفاة أبيه عبد الله عام

---

(7) اليوسى ، **المحاضرات** ، ص 91

(8) محمد المختار السوسى ، **خلال جزولة** ، جـ 2 ، ص 51 . وقد أخبرنى الاستاذ المختار السوسى أن اسم تافيلالت يطلق على أماكن متعددة فى سوس .

(9) ذكر المؤرخون أنه وقع تهاج كثير بين ابى زكريا وابى محلى أتى الناصرى فى **الاستقصا** ، 6:29 – 34 بنماذج لهذه النقائض الادبية ، كما نقل عن الافرانى أن القاضى أبا زيد السكتانى وقف على تاليف كبير مشتمل على ما وقع بين يحيى وأبى محلى من الشعر فى غرض الهجاء وغيره . وأخبرنى الاستاذ الحسن البونعمانى أن العالم السوسى أحمد الجرارى وقف فى احدى المكتبات الخاصة بسوس على كتاب أدبى ضخم بعنوان : **التحل فيما وقع بين ابى زكريا وابى محل** .

1012/1603 – 1604 . وقد سلك أبو زكريا فى بداية الامر سبيل سلفه ، فوقع عليه اقبال عظيم من قبائل جبل درن وبلاد سوس ، وامتلأت رحاب زاويته بالمريدين وطلبة العلم الذين انكبوا على دروسه واشتغلوا بانتساخ الكتب القيمة (10) وألف أبو زكريا كتابا فى العقائد ، مثلما فعل جده سعيد من قبل . وشرح العقيدتين معا وعقيدة المهدى بن تومرت العالم السوسى يبورك من رجال القرن الحادى عشر للهجرة (القرن السابع عشر للميلاد) .

وقد رأينا أن أبا زكريا استجاب لطلب الملك زيدان السعدى وقضى على خصمه ابن أبى محلى. وظل أبو زكريا مقيما بمراكش فى حين كان السلطان زيدان فى آسفى ينتظر على أحر من الجمر أوبة السوسيين الى مساقط رؤوسهم ليرجع هو الى دار ملكه . وطال به الانتظار فكتب الى أبى زكريا : «أما بعد ، فان كنت انما جئت لنصرتى وكف يد ذلك الثائر عنى ، فقد أبلغت المراد ، وشفيت الفؤاد ، وان كنت انما رمت أن تجر النار لقرصك ، وتجعل الملك من قنصك فأقر الله عينك به» (11) فاضطر أبو زكرياء الى مغادرة مراكش تحت ضغط أتباعه الذين لم يكونوا يعرفون الا أنهم أدوا واجبا دينيا فرضته عليهم بيعة السلطان التى فى أعناقهم ، وليس لهم بعد ذلك الا الرجوع الى الزاوية واستيناف حياتهم العادية فى المداشر التى طالت غيبتهم عنها واستولت فكرة الرياسة على نفس أبى زكريا بعد رجوعه من مراكش وفترت همته فى تدريس العلم وتلقين الاوراد وأخذ يراسل السلطان زيدان ويمن عليه بمناصرته ، ويتجنى كثيرا دون أن يفصح عما يجول بخاطره (12) وأخيرا أعلن أبو زكريا الثورة فى سوس ضد السلطان زيدان السعدى ، موهما أتباعه أن عمله هذا يهدف الى حماية الدين ، وجمع كلمة المسلمين ! وتقدم بهم الى تارودانت فملكها من يد أبى حسون السملالى بعد قتال شديد ، واتخذها عاصمة لامارته . ولم يستطع أبو زكريا بعد ذلك أن يوسع دائرة نفوذه شمالا ولا جنوبا واكتفى بالسيطرة على هذه المنطقة الجبلية الضيقة ، الممتدة من تارودانت الى زداغة ، الى أن وافته المنية عام 1035/1626 . فنقل الى زاوية تافيلالت بالاطلس الكبير ودفن بجوار والده وجده . وما تزال جدران ضريحهم قائمة حتى اليوم . ولا يعرف لابى زكريا اتصال بالدلائيين ، سواء أيام طلبه للعلم فى فاس ، أو تصديه للمشيخة بزدانة ، أو على عهد استبداده بتارودانت وناحيتها .

---

10) وقف الاستاذ المختار السوسى فى احدى المكتبات الخاصة بسوس على بعض المخطوطات القيمة التى انتسخت فى زاوية تافيلالت على عهد أبى زكريا . انظر **خلال جزولة** 2: 51

11) أحمد الناصرى ، **الاستقصا** ، 6: 43

12) نفس المصدر ، 6: 46

ج) موقف الدلائيين من أبى حسون

اذا كان الثائران ابن أبى محلى وأبو زكريا قد فشلت ريحهما وأفل نجمهما بسرعة ، فان أمر أبى حسون بخلاف ذلك ، اذ استطاع أن يوطد أركان امارته عشرات السنين ، ويستبد بالجنوب المغربى كله حينا ، وببعضه حينا آخر . وأبو حسون ، ويكنى أيضا أبا الحسن وبودميعة ، وصاحب الساحل ، من أحفاد الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالى (سيدى أحماد وموسى) . وهو على بن محمد بن محمد بن الشيخ أحمد بن موسى صاحب الزاوية المشهورة فى تازورالت بسوس . ولا يعرف لابى حسون باع فى العلم الا ما كان من تحلية بعض بلدييه له بالفقيه . وليس هو أول الطامعين فى الملك من الاسرة ، بل سبقه الى ذلك من بنى عمه ابراهيم والحسن فلم يتم لهما أمر . وكان قيام أبى حسون واستحواذه على بلاد سوس عام 1022/1613 ـ 1614 فاسس قريبا من زاوية جده الشيخ أحمد بن موسى مدينة حصينة سماها ايليغ (13) ، واتخذها عاصمة لامارته . وصفا له أمر بلاد سوس كلها بعد موت أبى زكريا الحاحى ، ثم امتد نفوذه الى درعة وسجلماسة حوالى عام 1040/1630 ـ 1631 فصار أمير الجنوب المغربى كله ، وتكون فى ايليغ جهاز حكومى تام ، يضم الى جانب أبى حسون الذى تلقب بالسلطان ، وزيرا يسمى محمدا (14) وقاضى الجماعة على بن محمد التيلكاتى (15) والقائد حمو بن بلا (16) وغيرهم من ذوى المسؤولية والنفوذ .

واعترفت الدول الاوربية التى لها مصالح فى المغرب بالامر الواقع ، فاخذت تفاوض أبا حسون (17) بصفته صاحب الامر فى الساحل (18) ، وتعقد معه المعاهدات التجارية ، فى نفس الوقت الذى كانت تتعامل مع السلطان

---

(13) فى سوس ثلاثة أماكن يطلق عليها ايليغ . عاصمة تازروالت هذه ، وقرية فى اداوزكرى، وقرية فى القابحة . المختار السوسى . **المعسول** ، 16 : 12

(14) وجد الاستاذ المختار السوسى اسم هذا الوزير (محمد) ضمن رسالة كتبت على غلاف مخطوط فقهى بالخزانة الازاريفية بسوس . انظر **خلال جزولة** . 2 : 89

(15) كانت وفاة القاضى على بن محمد بمدينته تيلكات عام 1043/1633 ـ 1634 . المصدر السابق ، ص 140 .

(16) سيرد اسم القائد حمو بن بلة بعد قليل . وسنرى أن الشيخ محمد بن ابى بكر الدلائى يثنى عليه ويقترح تعيينه حاكما لبلاد سجلماسة .

(17) يطلق الاوربيون على ابى حسون أسماء كثيرة ، فيدعونه : Le Marabout du Sous, Le Saint de Massa, Le Marabout du Sahel, etc..

(18) الساحل عبارة عن المنطقة الجنوبية الغربية الممتدة من أكدير الى وادى نول .

السعدى فيما يرجع الى منطقة نفوذه بمراكش وآسفي وناحيتهما ، وتتخابر مع العياشى ثم الدلائيين فى شأن سائر الثغور الواقعة شمالى نهر أم الربيع . وكانت هذه العلاقات الخارجية من أهم الاسباب التى دعمت نفوذ أبى حسون فى سوس ، اذ جعلته يفيد أرباحا طائلة من الصفقات التجارية التى كان يعقدها مع الاوربيين ، ويتزود منهم بالذخيرة الحربية لتجهيز جيش قادر على الدفاع عن الاقاليم الشاسعة التابعة لايليغ .

ولما تمكنت قدم أبى حسون فى بلاد سوس أخذت أطماعه فى التوسع تتجه نحو الشرق . وبدا يتحين الفرصة للانقضاض على درعة وسجلماسة ، ويوطد العلاقات الودية مع أعيان هذه الاقاليم ليكونوا له خير عون على تحقيق مطامحه . وفعلا استطاع أبو حسون أن يبسط نفوذه على الجنوب المغربى كله حوالى عام 1040/1630 ــ 1631 كما سبق . وكان ممن صادقهم فى سجلماسة الشريف بن على جد الملوك العلويين الحاليين . وكان للشريف عداوة متمكنة مع جيرانه بنى الزبير أهل حصن تابوعصامت . فاستعدى عليهم أبا حسون الذى قصد تافيلالت فى جمع هام من جند سوس . ولم يجد الزبيريون أمامهم الا اللجوء الى الدلائيين والاستصراخ بهم . فسارع الشيخ محمد بن أبى بكر بارسال كتيبة قوية من فرسان برابرة الاطلس المتوسط الى سجلماسة، بقيادة ابنه محمد الحاج ، وأعطاه رسالة الى أبى حسون يناشده فيها الله أن يكف عن البوعصاميين ، ويحقن دماء المسلمين . وذلك عام 1043/1633 ــ 1634 . فافترق الجمعان دون قتال . ولا ندرى أكان ذلك استجابة من سلطان سوس لنداء الواجب أو احجاما منه أمام القوة العظيمة التى وجد أمامه دون أن يحسب لها حسابا . وقد تطورت العلاقات بعد ذلك بين السوسيين والعلويين وانقلب ما كان بينهم من مودة وصفاء الى عداوة وجفاء ، وصرف أبو حسون هواه الى البوعصاميين وحالفهم قالبا ظهر المجن للعلويين ، وانتهى الامر باعتقال الشريف بن على وحبسه فى سوس عدة سنوات . وتختلف روايات المؤرخين فى سبب هذا الاعتقال ، فيذكر البعض أن أسر الشريف كان بسبب تسور ابنه محمد فى جماعة من العلويين حصن تابوعصامت على حين غرة، وتحكيمهم السيف فى رقاب الزبيريين واستيلائهم على ذخائرهم . فأخذ أبو حسون الشريف بجريرة ابنه الذى فر الى أقصى الصحراء . بينما يرى آخرون أن الشريف لم يلق عليه القبض الا لكونه تزعم حركة التمرد ضد نفوذ أبى حسون وبايعه أهل تافيلالت . وربما كان الحادثان معا سببا فى نكبة شريف سجلماسة .

وفي هذه الفترة التي قضاها جد العلويين سجينا في سوس تجدد الاحتكاك بين الدلائيين وسلطان ايليغ . ويذكر المؤرخون أنّ أبناء الشريف توجهوا الى الزاوية الدلائية ، للعمل على تخليص أبيهم من الاسر ، فكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي الى أبي حسون رسالة يعنفه فيها على سوء معاملته لاهل تافيلالت ، ويذكره بنسب الشريف وقرابته من الرسول الكريم ، طالبا منه أن يخلي سبيله ، ويتخلى له عن بلاد سجلماسة . ولكن أبا حسون ذكر في جوابه لشيخ الدلاء أن أهل تافيلالت بايعوه ، ثم نقضوا العهد وبايعوا غيره فحل له أن يحكم فيهم باجتهاده . وزاد قائلا : «وأما ما قلت من أن نترك سجلماسة للشريف المذكور كغيرها من البلاد التي بأيدي غيره ، فلا أتركها ، لانهم رضوا بي وبايعوني ورضوا به وبايعوه فان بعضهم معي وبعضهم معه ، كأهل العراق مع الحسين بن علي الذين خرجوا على يزيد بن معاوية . وانظر ما فعل بهم وبه . وأنا لم أفعل به ولا بهم شيئا من ذلك» (19).
وبالرغم من خطابات شيخ الدلاء المتعددة التي سنتحدث عنها قريبا ، وتحسن الجو بين الجانبين ، لم يطلق أبو حسون سراح أسيره الشريف ، وانما خفف من الضغط عليه ، وجعله في شبه اقامة محروسة بسوس طيلة سنين عديدة ، تسرى خلالها الشريف بجارية من سبي المغافرة فولدت له المولى اسماعيل وشقيقه المهدي (20) . واستمرت معاملة أبي حسون القاسية لسكان تافيلالت وأثقل كاهلهم بالاتاوات والمغارم ، وملأ السجون بالاعيان والاشراف ، وحاصر مناوئيه المتنعين عليه في الحصون ، وأطلق أيدي جنده في حقول الناس وبساتينهم ، يهلكون الحرث والنسل ، ووقع الاستصراخ مرة أخرى بالدلائيين فكتب محمد بن أبي بكر رسالة مطولة الى سلطان سوس يطلب منه أن يكف أذاه عن أهل تافيلالت . وخصص صدر الكتاب للتحدث عن فضل أسرة الشيخ أحمد بن موسى ومجدها وأهلية أبي حسون للامارة ، ثم تخلص لمطالبته بالرفق والاحسان فقال : «لكن المرجو منكم ، والمأمول من شملكم ، رحمة المسلمين والشفقة على الضعفاء والمساكين ، لانكم دار رحمة ، لا دار نقمة . ان كان الملك مطلوبكم فأتوه من بابه ، وتوصلوا اليه بأسبابه . ويسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا . وخذوا أموركم بسياسة ورفق ، لا بشدة

(19) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** . ورقة 92/1
(20) لم يرجع الشريف بن علي الى سجلماسة الا حوالي عام 1047/1637 ـ 1638 بعد أن افتداه الله محمد من أبي حسون بمال كثير ، على ما في أغلب الروايات .

وعنف ، واسعوا فى عمارة البلاد برحمة العباد ..» (21) وبعد ذلك عدد محمد ابن أبى بكر الدلائى ضروب العسف التى يلقاها السجلماسيون على أيدى عمال أبى حسون بقوله : «.. وأقرب الناس من أمركم فى حيرة وأعظم حسرة ، فمن أطاع ، أكثر عليه من التكاليف ما لاطاقة له به حتى ضاع ، ومن أبى وخشى ما وقع بمن قبله وعصى ، على بالعصا . الناس فى سجون حصونهم ، النساء والرجال والدواب كأنهم فى حشر ، الثمار تجنى وأهلها ينظرون نظر حسرة ، والاشجار تقطع ، وقد حرم الشرع قطع أشجار الكفار فضلا عن المسلمين» (22) .

ويتحدث الفصل التالى من الرسالة عن نقطة هامة يبدو أنها كانت تشغل بال أبى حسون وبطانته . وهى مسألة منافسة الدلائيين ومزاحمتهم له فى امتلاك البلاد . فأكد محمد بن أبى بكر الدلائى فى عبارات يتجلى فيها الصدق ، ويدعمها الرأى والمنطق ، انصرافه المطلق عن الملك وعزوفه عن الجاه والسلطان : «وبلغنا أن من لايبالى بما يقول ولا فيمن يقول يكاتبونكم بسوس أن العبد الفانى ، العاجز عن اصلاح نفسه ، يريد تافيلالت يتولى أمرها . فتأمل – أرشدك الله وسددك – أدنى تأمل ، هل لهذا الكلام وجه أو يلتفت المنصف اليه . هذه البلدة بينكم وبينها نحو ثلاثين مرحلة ، وبيننا وبينها ست مراحل . ولضعف ملك المغرب نحو ثلاثين عاما ، ما المانع لنا لو كانت لنا فيها شهوة أو رغبة . فمن بلغ أو قرب سنه الثمانين ، والتفت للملك المحدود بالسنين ، فاعدده من المجانين . حاصلها ان كانت لكم رغبة فى الملك ولابد وعلمت من نفسك القدرة على وظيفها ، من احاطتك بالعدل والرحمة لقويها وضعيفها ، فتقدم ان لم نعنك ، لم نمنعك وان كان مرادك جمع المال ، والغاء النظر عن مصالح العباد والقاء أمورهم فى زوايا الاهمال ، فانت وذلك ، فالرب عالم قدير ، رحيم بعباده قوى عزيز ..» (23)

وفى ختام الرسالة يتحدث شيخ الدلاء عما بلغه من عزم أبى حسون على استلاب زروع الزاوية الدلائية فى بلاد غريس بتافيلالت ، وينبهه الى شناعة هذا العمل ، خصوصا وان هناك روابط متينة تجمع بين الزاوية الدلائية والسملالية ، فكلتاهما تنتسبان الى الطريقة الشاذلية بواسطة الامامين الجزولى والتباع . ويتنازل فى الاخير عن زرع الزاوية فى غريس ويهبه حلالا لابى

(21) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 48/ب
(22) نفس المصدر فى نفس الورقة
(23) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 59/أ

حسون شريطة أن يكف أذاه عن المسلمين . وهذه الرسالة العجيبة غفل من التاريخ ، غير أن ماورد فيها من الاشارة الى ضعف الملك بالمغرب منذ نحو ثلاثين سنة . وتحدث شيخ الدلاء عن نفسه بأنه بلغ الثمانين أو قاربها ، يدلنا على أنها أرسلت حوالى عام 1045/1635 — 1636 . وكان لهذا الخطاب الاثر الطيب فى نفس أبى حسون بالرغم عما اشتملت عليه بعض فصوله من التقريع والتعنيف . ولعل الذى فتح قلب سلطان سوس اليه هو لهجته الصريحة التى لاتعرف المراوغة ولا الايهام . فقد اتضح لابى حسون أن الدلائيين يأخذون عليه جوره وعسفه ، وسوء معاملته للناس . ولكنهم لايزاحمونه فى الحكم والتملك ولا يعترضون سبيله اذا ما استقامت أحكامه ، بل يعدونه فى هذه الحال النصر والاعانة . وتوطدت عرى الصداقة بعد ذلك بين الدلائيين والسملاليين السوسيين ، واتصلت المواصلات الودية بينهم ، وتبادلوا الزيارات فى ايليغ والدلاء ، وتهادوا بأطيب الطعام والادام وغير ذلك (24) وشملت الاتصالات بين الزاويتين فيما شملت الناحية العلمية ، فكان أبو حسون يستنسخ الكتب القيمة من الدلاء (25) ويمكننا أن ندرك مدى الصفاء والثقة بين الجانبين اذا عرفنا أن محمد بن أبى بكر الدلائى أشار فى احدى رسائله على أبى حسون باجلاء جنوده عن تافيلالت ، وتعيين حاكم لها من ذوى الصلاح والكياسة ، هو القائد حمو بن بلة الذى سبق أن تعرف عليه فى الدلاء . وعرف فيه سعة الصدر ، وشدة الحلم ، والمبالغة فى النصح لاميره السملالى وللرعية (26) .
غير أن هذه العلاقات الطيبة بين الدلائيين والسملاليين لم تلبث أن تغيرت على اثر وفاة الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى وقيام ابنه محمد الحاج الراغب فى السيطرة على البلاد . واشتدت لهجة المراسلات المتبادلة بين ايليغ والدلاء ، فكان أبو حسون يرمى الى اقناع محمد الحاج بضرورة التخلى عن أطماعه فى الرياسة وحمله على الاعتراف بسلطة الملك السعدى صاحب مراكش — ليخلو له الجو — ثم انقطع حبل الاتصال نهائيا بين الدلائيين والسملاليين بسبب انصراف محمد الحاج الى نشر سلطته فى تادلا وبلاد المغرب ، واشتغال أبى حسون بالفتن الخطيرة القائمة ضده فى الصحراء ، تلك الفتن التى انتهت باقصائه نهائيا عن سجلماسة ودرعة حوالى عام 1050/1640 — 1641 على يد

(24) من رسالة لمحمد بن أبى بكر الدلائى الى أبى حسون ذكرها سليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ، ورقة 60/ب
(25) محمد المختار السوسى ، **خلال جزولة** ، 2 : 62
(26) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 60/أ

محمد بن الشريف . وقد انكمشت امارة أبى حسون بعد ذلك ، وعاد نفوذه مقتصرا على سوس كما بدأ . وتوفى أبو حسون عام 1659/1070 - 1960 فخلفه ابنه محمد فى امارة ايليغ ، وظل بها الى أن دكتها مدافع السلطان الرشيد بن الشريف وهدمتها على رؤوس أهلها عام 1670/1081 . ووصف الاستاذ لمختار السوسى أطلال ايليغ المهدمة فقال : «لايزال برجان الى الآن ، أما أحدهما فكان متعبدا للشريف العالم سيدى أبى بكر ابن السلطان بودميعة ، والثانى يسامت هذا شرقيا فى زاوية من زوايا السور وذكر انه مركز المدافع (الصقالة) وبين البرجين دار الامير الكبرى لايزال بعض جدرانها قائما ، وشوارع المدينة طولا وعرضا لايزال بعض آثارها واضحا وقد استفاض عند السكان اليوم مواضع الابواب فى منتهى الشوارع الرئيسية فى المدينة ، كما لايزال يظهر موضع مسجد المدينة الكبير الذى كان انهدم مع المدينة ، والمدينة المهدومة تاتى فى شمال ايليغ المحدثة التى سكنها أهلها الآن ..» (27)

د) علاقة الدلائيين بالمجاهد العياشى

المجاهد العياشى هو محمد (بفتح الميم) بن أحمد المالكى الزيانى (بفتح الزاى وتشديد الياء) العياشى السلاوى . أصله من قبيلة بنى مالك بن زغبة من العرب الهلالية المستوطنة فى بلاد الغرب ، وفصيلته القربى بنو زيان القاطنون اليوم بأحد أولاد جلول بدائرتى القنيطرة وسوق أربعاء الغرب . كان العياشى من أخص تلاميذ الشيخ عبد الله بن حسون الذى أشار عليه بالجهاد فى سبيل الله ، وبدأ يظهر على مسرح السياسة فى أوائل العقد الثانى من القرن الحادى عشر للهجرة (أوائل القرن 17 للميلاد) كمجاهد متطوع فى بلاد دكالة يرابط فيها لقتال البرتغاليين فى الجديدة . وبلغ خبر تضييقه على النصارى المحتلين وانتصاره على جيوشهم فى وقائع حربية متعددة الى بلاط السعديين بمراكش ، فكافؤوه بعمالة مدينة آزمور ، ليظل شوكة فى جنب البرتغاليين يقض مضجعهم ويبعث فى قلوبهم الرعب والهلع . وتضايق البرتغاليون كثيرا من حركات العياشى ومرابطته الدائمة حول المنطقة التى يحتلونها ، فعمدوا الى المكر والخديعة ، واشتروا ضمائر حاشية السلطان زيدان بهدايا ثمينة . ونجحت المؤامرة الدنيئة فجهز زيدان سرية قوية وجهها الى مدينة آزمور للقبض على العامل وقتله . لكن قائد السرية محمد السنوسى الذى كان على علم بجلية الامر بعث الى المجاهد العياشى خفية أن ينجو بنفسه، وافسح له المجال للخروج الى مسقط رأسه . ورجع العياشى الى سلا عام

(27) محمد المختار السوسى ، **خلال جزولة** ، ج 2 . ص 22 وما بعدها

1614/1023 – 1615 فوجد الاسبانيين قد احتلوا ثغر المعمورة (28) قبل ذلك بسنة ، وعاثوا فى ضواحيه فسادا . وكان السلويون استغاثوا بالسلطان زيدان ، ووفد جماعة منهم عليه بمراكش طلبا للنجدة والمعونة . «فصار يوعدهم (كذا) بالنصرة وهو يهزأ بهم الى أن خرجت له هدية عظيمة من عند النصارى من البريجة ودفعوها له ، ففهم أهل سلا أنه قبض حق البلاد كيف فعل أخوه الشيخ بالعرائش ، فانصرفوا راجعين الى بلادهم ، وأخذوا فى العدة والحزم والعسة على الاسوار ..» (29) وهكذا اضطر السلويون الى الاعتماد على أنفسهم فى مدافعة العدو النازل بأبواب مدينتهم ، وقدموا عليهم المجاهد محمد العياشى وبايعوه على الجهاد واقامة الحدود ، وكتبوا بذلك وثيقة أمضاها سكان المدن والقرى من بلاد تامسنا الى تازا . ووافق عليها فقهاء الوقت وقضاته . وبذلك نصب العياشى أميرا للمجاهدين فى سلا وسائر بلاد الغرب . وامتد نفوذه فشمل تطوان وأقاليم الشمال . واتسع نطاق العمل أمامه فصار ينتقل فى حركاته الجهادية بين المعمورة ، والعرائش ، وطنجة ، وسبتة ، ومليلية ، والجديدة ، ويقارع فى حملات موفقة المحتلين الاسبانيين والبرتغاليين . وجابه العياشى فى نفس الوقت صعوبات داخلية متعددة ، منها ما كان ناتجا عن التمرد المعتاد لبعض القبائل ونزوعهم الى الاغارة والسلب والنهب وقطع السبل لاثارة الشغب والاضطراب انسياقا مع تيار الاحقاد والضغائن . وكثيرا ما تعرضت فاس لغارات قبائل شراكة والحياينة ، وتوجه العياشى الى عين المكان لكف المعتدين وزجرهم . وكان بعض رؤساء قبائل الغرب ينافسون العياشى ويحسدونه على ما يتمتع به من نفوذ وشفوف ، بالرغم من وشائج القربى التى تربطهم واياه ، وقد استطاع العياشى أن يتغلب على جميع الصعاب ويسير فى خطته الجهادية قدما ، فيصول ويجول ويرعب المحتلين ويدفعهم الى أن يقبعوا وراء أسوار المدن التى يحتلونها ، ولا يبرحوها الا نادرا .

على أن هناك طائفة أخرى من خصوم العياشى كانت أعظم خطرا عليه وأكثر ضررا . وهى جماعة من الفقهاء التفعيين الذين كان يحركهم البلاط السعدى بمراكش ليفسد على العياشى خطته ، ويصرف الناس عنه بعد أن فشل فى القضاء عليه بأزمور . أخذ هؤلاء المتفقهون ينشرون بين الناس أن الجهاد لايجوز الا مع وجود الامام وباذن منه ، فتصدى لدحض هذه المزاعم

(28) ثغر المعمورة ، ويسمى أيضا المهدية وحلق سبو ، يقع شمال مدينة سلا على مصب نهر سبو

(29) مؤلف مجهول ، **تاريخ الدولة السعدية** ، ص 103

علماء ذلك العصر وفي مقدمتهم محمد العربي الفاسي الذي أصدر فتوى هامة مطولة في الموضوع ، اشتملت على خمس مسائل . ومما جاء فيها فيما يخص الامام واذنه قوله : «لايتوقف وجوب الجهاد على وجود الامام ولا على اذنه في الجملة ، وذلك شرط كمال لا شرط وجوب ومن المعلوم الواضح أن الجهاد مقصد بالنسبة الى الامامة التي هي وسيلة له ، لكونه في غالب العادة لايحصل على الكمال الا بها ، فاذا أمكن حصوله دونها لم يبق معنى لتوقفه عليها فكيف نترك المقاصد الممكنة ، لفقد الوسائل المتعذرة . ومن المعلوم في الفقه أن جماعة المسلمين تتنزل منزلة السلطان اذا عدم السلطان . وما تهذي به بعض الالسنة في هذه الازمنة من انه لايجوز الجهاد لفقد الامام واذنه ، فكلمة أوحاها شيطان الجن الى شيطان الانس وقرها في أذنه ، ثم ألقها على لسانه ، في زخارف عديانه ، اغواء للعباد ، وتثبيطا عن الجهاد . وحسبك فيمن يقول ذلك انه من أعوان الشيطان ، واخوانه الممدين في الغي والطغيان . والذي تشهد به الادلة أن الجهاد الان أعظم أجرا من الجهاد مع الامام ، لان القيام به الآن عسير ...» (30) فخرست ألسنة المشاغبين مدة ، وتبين للناس تدجيلهم وتلاعبهم بالدين ، لكنهم عاودوا الكرة مرة أخرى واستغلوا فرصة نشوب الخلاف والقتال بين العياشي والاندلسيين المقيمين في الرباط والقصبة فركزوا دعايتهم هذه المرة على أن العياشي طامع في الملك يدعو الناس للدخول في طاعته ويقاتلهم على ذلك مضفين حلة الجهاد والقداسة على خصومه الاندلسيين ، معللين مهادنة السلطان السعدي للنصارى بأنها ضرورة اقتضتها الظروف ليمون بواسطة سفنهم الحربية قصبة الرباط المحاصرة من طرف العياشي . وكان الذي تصدى للافتاء في ذلك هو أبو مهدي عيسى الكتاني قاضي الجماعة بمراكش (31) فأسهب في الكلام . ومما قاله عن العياشي : «.. ان حاصل أمر هذا الرجل المسؤول عنه انه خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه ان الله غفور رحيم . أما جهاده ورباطه وحراسته ونسكه فنعما هي ، واما مقاتلته للمسلمين وعدم اكتراثه بدمائهم واعتقاده حليتها ، ومحاصرته لسكان الثغر وافساده بلادهم التي هي في نحر العدو ، وحل نظامهم والسعي في ضعفها واخلائها من عمالها فمن الشرع والدين

30) عبد العزيز الزياتي ، **الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة** ورقة 122

31) الشيخ أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني أستاذ الحسن اليوسي صاحب **الحاشية على شرح العقيدة الصغرى** للسنوسي . وكان قاضيا بتارودانت فلما استولى أبو زكريا الحاحي على المدينة فر السكتاني منها والتحق بمراكش فسماه عبد الملك بن زيدان السعدي قاضي الجماعة . وظل في عمله الى أن توفي بمراكش عام 1630/1040 - 1631 .

والصواب فيها بمعزل ..» (32) ولسنا بصدد البحث عن تاريخ العياشي لندرس بتفصيل موقفه من مهاجري الاندلس ، ونناقش أقوال خصومه ومزاعمهم . على انه بالرغم من نبل مقصد المجاهد السلوى ، وثبوت استقامته وصلاحه باجماع كل من تعرض لاخباره من المؤرخين ، يبدو أنه اشتط قليلا فى القساوة التى عامل بها الموريسكيين وليته غض الطرف عن هفواتهم – مهما كانت عظيمة – وتركهم ولو الى حين على ما يرومون من استقلال فى مدينتهم ، وعمل على ايلافهم واجتذاب أفئدتهم ، وتعويدهم الاشتراك فى المجتمع الجديد الذى انتقلوا اليه .

وقد سبق لمحمد بن أبى بكر الدلائى أن تعرف على المجاهد محمدالعياشى فى مدينة سلا عند الشيخ عبد الله بن حسون ، فتوطدت عرى الصداقة والمحبة بين الرجلين ، وظلا يذكران طول حياتهما صفاء المنبع الصوفى الفياض الذى كرعا منه معا ، ويتبادلان فى شتى المناسبات رسائل تبدو فيها الصراحة والثقة والتقدير والاحترام . فالعياشى يذكر لصديقه الدلائى ما يعتزم القيام به من الحركات الجهادية ، ويطلعه على خططه الحربية ، ويتحدث اليه فى غير كلفة ولا احتراز عما يعترضه من صعوبات مادية معنوية . وجاء فى رسالة وجهها المجاهد العياشى الى الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى بعد الانتصار الذى كللت به احدى غزواته ضد الاسبانيين فى العرائش ، وذلك عام 1040/1631 : «وقد ورد علينا كتابكم المعظم أثير المحل لدينا ، كريم الورود علينا مهنئا بغزوة العرائش أعادها الله دار اسلام ، وقد قوى الامل فى الله سبحانه أن تكون تلك الغزوة مفتاحا لفتحها ، ومقدمة تلزم لعزائم الاسلام نتيجة نجحها . فالمسلمون نازلون الآن بعقر دارها ، ومرسلون الصواعق على أسوارها ، حتى تغرق ان شاء الله بكفارها ، ويأذن الله عز وجل ببوارها ، وتطهيرها من أدناسها وأوضارها ، وعودها الى ملك الاسلام بعد اباقها وفرارها . هذا الذى انعقدت عليه النية ، وانطوت عليه الحنية . لكن يا سيدى أين المساعد ؟ والامر لاينهض به الواحد ..» (33) وكانت الرسائل الواردة من الدلاء تحمل للعياشى من التشجيع والتأييد ما يدفع به للسير قدما فى ميدان المقاومة والجهاد والذود عن حوزة البلاد . وأخطر عقبة كانت تعترض طريق العياشى هى اختلاف القبائل وتخاذهم . خصوصا بنى عمه أعراب بلاد الغرب . ولما

---

32) عبد العزيز الزياتى ، **الجواهر المختارة** ، ورقة 126/1

33) عبد القاهر املاق ، **الخبر عن ظهور العياشى** ، ص 34 .

طرق خبر فتنتهم سمع الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي كتب الى العياشي يقول : «.. هذا وقد بلغنا وانتهى الينا أن تلكم القبائل المحيطة بسلا ، حسبما نقله الرواة حديثا صحيحا ومسلسلا ، ما قاموا بواجب شكر الله في نعمه التي أسداها اليهم ، وأسبغها عليهم ، وهي ذاتكم التي نابت عن الامة المحمدية في أداء هذا الفرض ، الذي حمدت سعيه أهل السموات وأهل الارض ، واذا كانت عادة القبائل أن يردوا أمورهم لمن فيه خصلة واحدة من شجاعة ، أو ورأى ، أو جود ، أو دين ، ويجعلوه المعول فكيف لايرده قبيلكم لمن جمع الله به وفيه هذه الخصال وزيادة ، وأحله بجهاده الرتبة العليا من الرياسة والسيادة ، وسلك بهم مسلك الطاعة ، وشيد لهم فخرا تبقى مناقبه الى قيام الساعة ، فثق بربك ، وشد يديك على الاعتصام بحبله والانتصار به وبأوليائه المومنين» (34) . وكتب الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي رسالة أخرى في نفس الموضوع الى أحد رؤساء بلاد الغرب من ذوي العصبية القبلية والسلطة الروحية ، وهو الشيخ أبو زيد عبد الرحمان العايدي من أعيان أعراب سجير (35) يحثه على نصرة المجاهد العياشي وندب القبائل الى الائتمار بأمره ودعوتهم للالتفاف حوله والعمل معه يدا واحدة . وهي رسالة طويلة مؤثرة سلك فيها شيخ الدلاء مسلكا حكيما بين اللين والشدة ، والترهيب والترغيب . وكان يعرف من مخاطبه التدين والميل الى التصوف ، فحاول أن يؤثر عليه من الناحية الروحية ، وذكر له ان للعياشي مددا من نور النبي صلعم بواسطة شيوخه عبد الله بن حسون ، وعبد العزيز التباع ، ومحمد بن سليمان الجزولي وطلب منه أن يبين ذلك لقومه : «واشرحوا لهم أصل الهداية ، فماهي الا من النبي صلى الله عليه وسلم ومن أهل المدد من نوره وكل هداية غير هذا ضلال . واستدعوا من الله بقاء هذا السيد المرابط المجاهد في سبيل الله الولي الصالح العالم الناصح العارف بالله المحقق الصوفي الرباني . أبو عبد الله سيدي محمد العياشي ـ وفر الله أنصاره ـ فله مدد من هذا النور ..» (36) وتحدث ابن أبي بكر بعد ذلك عن المسائل الثلاث التي كانت سبب الخلاف القائم بين العياشي وقبائل الغرب . وهي قطعهم للطرق ، وامتناعهم عن دفع الزكاة ، والجهاد معه في سبيل الله ، فقال : «.. أما نهي القبائل عن قطع

---

(34) عبد القاهر املاق ، **الخبر عن ظهور العياشي** ، ص 18 ـ 19 .

(35) الشيخ أبو زيد العايدي هذا هو قريب سيدي الحسن العايدي صاحب المزارة المشهورة بحي السويقة بسلا ، والمتوفى عام 1131/1718 . وهناك صلحاء آخرون من قبيلة سجير ذكر بعضهم الناصري في **الاستقصا**

(36) عبد القاهر املاق ، **الخبر عن ظهور العياشي** ص 22 ـ 23

الطريق والظلم ففيه صلاح دنياهم ومعاشهم ، وأما الآخرة فما شعروا بها ولا عرفوها . ولو عرفوها ما احتاجوا الى هذا . فالظلم يخلي الخيام ، ويعمرها بالإيتام ، وأما أمرهم بدفع الاعشار والزكوات فلانه لايتم الايمان الا بذلك . قال الله تعالى : وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة ، وقد صرفنا في مصرفها الشرعي . وأعان بها المجاهدين ، وأما دعاؤه الناس للجهاد واستنجادهم واجتماعهم عليه فان فيه قهر العدو الكافر ، وبه رد الله كيده في نحره . مات والله الاسلام . قد قطع العدو البحر ودهم المسلمين في بلادهم ، وتخطف الناس واسرهم من بين خيامهم ..» (37) وسار شيخ الدلاء في رسالته على هذا النمط متفجعا على الاسلام ، مذكرا بما جرى للمسلمين في الاندلس ، والمراحل التي قطعها العدو في امتلاك بلادهم ، الى أن أخرجهم منها نهائيا ، وأخذت أطماعه تتجه لاحتلال هذه العدوة أيضا ؛ ثم عاد فذكر فضل العياشي وجمعه لكلمة المسلمين ، ودفاعه عن بلادهم دون أن يجد منهم مؤازرا أو معينا .

ولم يقتصر تأييد الدلائيين للمجاهد العياشي على تشجيعه بالمراسلات وندب القبائل لمؤازرته ونصرته ، وانما كانوا يقدمون له الاعانات المادية ، ويبعثون اليه بالجنود المقاتلة عند الحاجة . وقد أرسل الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي أواخر عام 1623/1032 جيشا قويا بقيادة ابنه محمد الحاج (38) لمساعدة العياشي على اخماد فتنة شراكة بضواحي فاس (39) . وكان المجاهد العياشي يهادي الدلائيين بما يستطيع من التحف والطرائف اعترافا منه بالجميل . وبعث اليهم عام 1633/1043 – 1634 مع ابنه عبد الله بهدية عظيمة «اشتملت على أنواع الملف والكتان وغيرهما من الثياب الرفيعة الغالية الاثمان» (40) حتى أن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي تعجب من تلك النفائس التي امتلأت بها صناديق عديدة ، ورأى في استعمالها ترفا لايليق بصوفي زاهد مثله ، فوزعها كلها على الشرفاء والضعفاء والطلبة المقيمين بالزاوية الدلائية ، ولم يحتفظ منها لنفسه ولا لأهله بشيء .

---

37) عبد القاهر املاق ، **الخبر عن ظهور العياشي** ، ص 23

38) نفس المصدر ، ص 13

39) أصل شراكة من أعراب تلمسان ، اصطنعهم عبد الله بن الشيخ المامون السعدي سلطان فاس (1022 – 1613/1033 – 1623) واتخذ منهم جيشا خاصا يعتمد عليه . وكانوا في بادىء الامر يسكنون بعض قصبات فاس وفنادقها ثم أخرجوا من المدينة بسبب طيشهم وفسادهم . ولما توفي عبد الله بن الشيخ عاث أعراب شراكة في ضواحي فاس فسادا . وكانوا ذوي بأس شديد ، لم يتمكن العياشي من القضاء عليهم الا بمساعدة فرسان الدلاء . ومساكن شراكة اليوم في شمال فاس تابعة اداريا لقرية ابا محمد .

40) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 49

وصفوة القول أن العلاقات بين الدلائيين والمجاهدين السلاويين قامت على أساس متين من الاخلاص والوفاء . وكان الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى يولى الرئيس أبا عبد الله العياشى كثيرا من التقدير والاجلال ، ويعتبره قائما بواجب دينى ووطنى ، نيابة عن جميع المسلمين فى المغرب ، حتى انه اتخذ دعاء خاصا مع أوراده يدعو به لهذا المجاهد فيقول : «اللهم اجز عنا سيدى محمد العياشى أفضل المجازاة ، وكافئه أحسن المكافأة ، واجعل مكافأتك له كشف الحجب عن قلبه حتى تكون أقرب اليه منه اللهم لاتحرمه توجهه اليك، وانقطاعه لخدمتك . اللهم نفس كربته . وكمل رغبته ، وأجب دعوته ، وسدد رميته ، واردد له الكرة على من عداه فى الحق . انك على كل شيء قدير» (41).

وسنرى فى الفصل الرابع من هذا الباب التطورات المؤسفة التى طرأت على العلاقات بين العياشى والدلائيين الى أن أفضى الامر بهم الى العداء والقتال.

3 ـ **زعامة محمد الحاج السياسية** . (1045 ـ 1636/1079 ـ 1668)

أ) من هو محمد الحـاج ؟

محمد الحاج هو أكبر أبناء الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى . ولد فى الدلاء عام 997/1588 ـ 1589 (42) ونشأ كسائر اخوته وبنى عمه مكبا على الدرس والتحصيل فى الزاوية البكرية . ونال اجازات عامة فى مختلف الفنون الدينية والادبية من شيوخه أحمد بن القاضى ، وأحمد بن عمران السلاسى ، والعربى بن يوسف الفاسى المتقدمين . «وكان ذا وجه حسن ، وذلاقة لسان ، حسن الشارة ، بارع الفهم والعبارة ، موصوفا بالرجولة والمروءة الفائقة» (43) وتوجه محمد الحاج الى البقاع المقدسة عام 1041/1631 ـ 1632 فى موكب حافل ضم كثيرا من رجال العلم والفضل والدين ، من جهات مختلفة حتى من بلاد توات . ولقى فى رحلته الحجازية كثيرا من مظاهر العناية والتقدير ، فخطب الناس فى عرفات ، ودرس بالمدينة المنورة ، وقدم فيها خطيبا واماما ، ولدى مروره بالقاهرة خرج للقائه الامام أحمد المقرى ، فاقام عنده وعند شيخ المالكية بمصر على الاجهورى مدة كان محمد الحاج خلالها يعقد مجالس علمية بالجامع الازهر ويلقى دروسا فى التفسير والحديث وغيرهما .

---

(41) أحمد الناصرى ، **الاستقصا** ، جـ 6 . ص 91

(42) أبو القاسم الزيانى ، **الترجمان المعرب** ، ص 302 . ويجعل مؤرخون آخرون ولادة محمد الحاج عام 1000/1591 ـ 1592

(43) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 109/ب

وبدت كفاءة محمد الحاج السياسية والحربية فى حياة والده الذى كان يعتمد عليه فى المهمات ، ويرسله على رأس جيش الدلاء الى ما وراء نهر ملوية والى بلاد الغرب فيرجع ظافرا منصورا . وقد انفرد أبو القاسم الزيانى ـ فيما يذكر أخبار غريبة عن نشأة محمد الحاج ، زعم نقلها عن الشيخ اليوسى فقال عن أمير الدلاء انه كان فى ابتداء أمره طالبا صعلوكا مملقا، طرده والده لاشتغاله بما لايعنيه ومصاحبته للبطالين ، فكان يأوى الى كهف فى جبل يدلا أوقد فيه النار ذات ليلة فرأى أثر باب داخله فنقبه واستخرج منه سبعة قماقم نحاسية فى كل منها عشرة آلاف دينار مرينى «فأصلح حاله وواسى أقاربه وأصحابه . وولع بركوب الخيل ، واستركب الاقارب والاقران ، فلم تكمل عليه السنة الى أن كان يركب فى مائة من الخيل من الاولياء والمصطنعين . واشتغل بتقويم الاتباع من قبيلة مجاط وغيرهم من صنهاجة آيت أومالو (44)، وصار يشن الغارة عن من بملوية وتادلا من العرب فعلى صيته» (45) .

وأخبار الصعلكة والبطالة والاملاق تناقض ما أجمع عليه المؤرخون وأصحاب التراجم من حسن تربية أبناء الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى جميعا ، وتنافى وتأثير البئة الصالحة فى نفوس الناشئين فيها ، خصوصا ونحن نعرف ما أوتى الدلائيون من بسطة فى المال والعلم والصلاح . وكتب اليوسى بين أيدينا لم نعثر فيما قرأناه منها على هذه الاساطير ، بل بالعكس من ذلك نجد اليوسى فى المحاضرات يخصص فصلا طويلا فى نحو 18 صفحة يروى فيه مباشرة عن محمد الحاج كثيرا من الاخبار العلمية والادبية ويتحدث عنه بكامل الاجلال والتقدير .

ب) نزوع محمد الحاج الى الحكم

بمجرد وفاة الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى عام 1636/1046 ظهر نزوع محمد الحاج الى الاستقلال بالامر ، وبدأت أعناق مختلف القبائل تشرئب اليه، وأحمال أعشارهم وزكواتهم تحمل لديه . فامتلأت رحاب الدلاء بالوفود ، وتضاعف فيها عدد الاتباع والجنود ، ورأى ملك مراكش محمد الشيخ السعدى فى ذلك الاداة الفعالة للقضاء الحتمى على ما بقى له من نفوذ ، فعمل على تدارك الامر بالحكمة ، وسلك نحو هذا الرئيس الطموح سبيل المجاملة واللين . فسارع فى بادىء الامر الى بناء ضريح الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى ،

---

44) آيت أومالو ومعناها بنو الظل هم سكان شمال الاطلس . يقابلهم آيت أسمار (بتشديد الميم) اى بنو الشمس وهم سكان جنوب الاطلس

45) ابو القاسم الزيانى ، **البستان** ، ورقة 1/5

وشيد عليه قبة أنيقة بعث لاقامتها الصناع والادوات اللازمة من مراكش ، وانفق عليها بسخاء . وبعد ذلك بعث ملك مراكش قاضيه الشيخ محمد المزوارى الى الدلاء ، ليستميل اليه محمد الحاج ويحضه على الطاعة والبيعة . ولكن نصائح القاضى ومواعظه ذهبت أدراج الرياح ، فمحمد الحاج كان مصمما على أن يقبض على زمام الحكم فى المغرب ، بعد أن تأكد من اضمحلال نفوذ السعديين واستبداد الثوار عليهم فى كل مكان . ويذكر المؤرخون أن محمد الحاج اعتذر لقاضى مراكش بمسائل لم يفصحوا عنها ، ولعله أفهم مخاطبه بأن عجز السعديين فى ذلك الحين عن القيام بمهمتهم ، أفقدهم أهم أركان الخلافة الذى هو الكفاءة . فلم تعد لهم عصبية قبلية ، ولا سلطة روحية مستمدة من نسبتهم القرشية فغدا بذلك جلوسهم على العرش غير ذى موضوع . اذليس من المعقول أن تشتعل نيران الفتنة فى أرجاء البلاد وتاتى على الاخضر واليابس، وينعدم الامن ويختل النظام ، فى الوقت الذى يوجد ملك صورى قابع فى قصره لايحرك ساكنا وكأن الامر لايعنيه !

وبالرغم من فشل القاضى لم ييأس محمد الشيخ ، وكتب رسالة مطولة الى محمد الحاج وعشيرته ، حاول فيها أن يكون لبقا يجمع بين الوعد والوعيد، ويسلك سبيل اللين والتهديد ، ولكن قلم الكاتب جمع فأسهب فى اختلاق المعايب والنقائص للدلائيين ، مما يتنافى وما يتطلبه الموقف من اجتلاب قلوبهم والتودد اليهم . وقد جاء فى هذه الرسالة : «ولم تراقبوا مكر من رفعكم عن غمار عموم البرابر ، وأقعدكم فى القباب على الاسرة وفى بيوت الله على الكراسى والمنابر . عويتم علينا معشر الثوار كالذئاب من كل عراء وشعبة ، لتكون عزيمة نهوضنا اليكم معطلة صعبة ، وان لاندرى أين تميل النفوس ، ألتلك الصحارى أم الى ايليغ السوس . وهذا المغرب لايخلو ملآن من نواميس كل كاهن ومدع قرقار (46) تمسى فيه البومة خاملة وتصبح بالمخلب والمنقار» (47) واقترح محمد الشيخ فى آخر هذه الرسالة على الدلائيين أن يتنازل لهم عن قسط من الجبايات ، يكفى شؤون الزاوية وأهلها ، مقابل أن يعترفوا بسلطته ويكفوا أيديهم عما عدا ذلك ... فقال «وحتى الآن دعوناكم لعقد البيعة الواجبة لنا على كل من أطاع أو عصى ، من وجدة الى حدود السوس الاقصى ، فنزهد لكم فيما يقوم بحق تلك الزاوية وأهلها ، بشرط أن تفيقوا من سنة الغفلة وجهلها ، وان أمسكتم أقدام الانقياد عن سلوك سبيل السداد

46) القرقار : الذى يهدر كالجمل
47) أحمد الناصرى ، **الاستقصا** ، 6 : 99

وقبول سوله ، فأذنوا بحرب من الله ورسوله» (48) وقد أجاب محمد الحاج عن هذه الرسالة بأخرى بليغة من انشاء أخيه محمد المسناوى ، ظهر فيها استنكاف الدلائيين مما لمزهم به محمد الشيخ من النقائص واعتذروا عن عدم تجديد البيعة بأمرين ، أولهما ان قبائل البربر لم تعد تعترف بسلطة السعديين ، فلو بايعهم الدلائيون لانفض البربر من حولهم ونزحوا عن ساحتهم . وثانيهما قيام محمد بن الشريف فى الصحراء وتقويه ببرابرة صنهاجة وعرب دخيسة وتشوفه لامتلاك المناطق الخاضعة للدلائيين على ضفاف نهر ملوية ورباط تازا . وبعد أن ذكر الدلائيون ما هم عليه من المنعة وشدة البأس قالوا : «وحتى الآن ان قصدتم الغرب أو حصن فاس ، فلا تنالكم من جانبنا مساءة ولا بأس ، فبعد أن يكون لكم فى المدينة البيضاء الجديدة والقديمة (49) قرار ، يكون لنا بعد ذلك حكم الاختيار ، بين أن نومن لك أو نترك لك الديار ، أو نستصرخ بمن هو مثلك شريف حقيقى وسلطان ، له شغف أكثر منك فى ضبط الاوطان ، وان قنعت بحوز الحمراء من مراكش ، ورفضت عنك معاناة الهراش والتناوش ، فدعنا ومراعاة من تجارته الرئاسة ، وهمته اشتراء نفيس السياسة ، ضرغام غاب سجلماسة» (50). والرسالتان خاليتان من التاريخ ، وقدر الناصرى فى الاستقصا (51) أنهما تبودلتا خلال عام 1046 (1636 — 1637) . والظاهر أنهما كانتا فى أواخر عام 1047 أو فى أوائل 1048/1638 لانهما تتحدثان عن الضريح الذى شيده السعديون للشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى المتوفى شتاء عام 1046/1636 . وتتعذر المواصلة فى هذا الفصل ان لم نقل تنقطع بين مراكش والمنطقة الجبلية التى تقع فيها الزاوية الدلائية . وبذلك فان العمل فى بناء الضريح لم يبتدىء الا فى أواخر ذلك العام أو مطلع العام الذى يليه . ولا يمكن عادة نقل المواد اللازمة للبناء من مراكش الى الدلاء ، وتشييد القبة وزخرفتها فى أقل من سنة ، أضف الى ذلك فترة سفارة القاضى المزوار التى سبقت الاشارة اليها وعلى أى حال فان الرسالتين السابقتين كانتا آخر محاولة للتفاهم السلمى بين السعديين والدلائيين ، وسيتقابل الفريقان فى معركة حاسمة على ضفاف وادى العبيد ليقررا المصير النهائى لعلاقاتهما كما سنراه فى الفصل التالى .

(48) نفس المصدر ، ص 100
(49) المراد بالمدينة البيضاء الجديدة فاس الجديد ، وبالقديمة فاس الادريسية
(50) الناصرى ، **الاستقصا** ، جـ 6 ، ص 102
(51) ج 6 ، ص 97

ج) تأسيس مدينة الدلاء

عرفت الزاوية الدلائية القديمة فى هذه الفترة تطورا كبيرا ، فتضخم عدد سكانها حتى ضاقت بهم الابنية والاخصاص ، وامتلأت السبل المؤدية اليها على وعورتها بالواردين والصادرين . ورأى محمد الحاج أن يؤسس مدينة جديدة واسعة فى منبسط من الارض يسهل الوصول اليه . فارتاد لعاصمة امارته المكان الذى توجد فيه اليوم زاوية آيت اسحق فى سفح الاطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة وقصبة تادلا (52) وفى ذلك يقول محمد بن الطيب القادرى : «وفى عام 1048 ـ 1638 شرع أمير المومنين السلطان سيدى محمد الحاج الدلائى فى بناء قصبة الدلاء فى منتصف يوم الاحد سادس وعشرى ربيع الاول من العام ، وانتظر لذلك طالع سعيد» (53) وقد أخذت هذه المدينة الجديدة أسماء كثيرة ، فبعض المؤرخين دعاها قصبة الدلاء ، وبعضهم سماها مدينة الدلاء أو مدينة ازغار أو زاوية محمد الحاج ، والى ذلك كان يطلق عليها اسم الزاوية الدلائية أو الزاوية البكرية ، لانتقال الدلائيين الى السكنى بها وهجرة العلماء والطلبة اليها ، حتى ان الزاوية الدلائية القديمة فى عهد محمد الحاج لم تعد سوى قرية ثانوية يسكنها الفقراء والعجزة ويدفن فيها موتى الاسرة الدلائية كما سبق . واتخذ محمد الحاج لنفسه قصرا وديوانا عظيمين فى وسط المدينة الجديدة كان يحيط بهما سور داخلى ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم . (54) وأسكن معه فى العاصمة خمس قبائل بربرية من أكثر سكان الاطلس المتوسط عصبية وحمية ، وهى مجاط ، وآيت يمور ، وآيت نضير (بنى مطير) ، وكروان ، وآيت اسحاق . فاستكمل الدلائيون بذلك مظاهر الابهة والسلطان ، وتكونت لديهم أهم قوة حربية بالبلاد سيصول محمد الحاج بها ويجول ، ويمتلك أهم أقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن .

د) بيعة أهل المغرب لمحمد الحاج

لما استتب الامر لمحمد الحاج ، وقضى على خصومه ومنافسيه ، ودان له وسط المغرب وغربه وشماله ، وكثر جنده وأنصاره ، أخذ يفكر فى اضفاء صبغة شرعية على موقفه ويعمل على تنصيب نفسه ملكا على البلاد لاسيما وقد كان تدهور السعديين فى مراكش بلغ غايته ، وأصبح من السهل التخلص من

---

(52) تبعد مدينة محمد الحاج المعروفة اليوم بزاوية آيت اسحاق عن خنيفرة بـ 35 كلم ، وعن قصبة تادلا بـ 64 كلم

(53) محمد القادرى ، **نشر المثانى الكبير** ، ورقة 1/92

(54) انظر اللوحة رقم 8

القائمين في الجنوب . فطالب الناس ببيعته والتزام طاعته ، وذلك في أوائل عام I06I/I65I . «فقام أهل المغرب بدعوة سيدي محمد الحاج وأدعنوا لطاعته وامره ، وجاءته البيعات من البلدان المغربية ، وبايعه أهل فاس الادريسية والعليا بالخلافة ، وكتبوا له البيعة بجامع القرويين ، وحضرها من هو أهل لذلك من الاعيان ، والجم الغفير من أهل الديوان ، في مهل ربيع الثاني عام I06I وقدموا عليه بها للزاوية الدلائية فقرئت على منبر مسجدها ، ووضعت في صندوق مع غيرها من بيعات أهل نواحي المغرب في خزانة كتب الجامع المذكور ..» (55)

4 ـ أعمال محمد الحاج الحربية

أ) الحملتان الدلائيتان الاوليان

قضى محمد الحاج الدلائي السنتين الاوليين في اعداد العدة وتنظيم الجيش ، وتأسيس العاصمة وترتيب القبائل ، ولم يتحرك جنده الا في عام I048/I638 ، فقام في هذه السنة بحملتين كبيرتين ، على ضفاف نهر وادي العبيد وفي بسائط بلاد سائس . وقد ترأس محمد الحاج بنفسه الحملة الاولى، عندما بلغه خبر تحرك جيش محمد السعدي من مراكش في اتجاه الدلاء . والتقى الجمعان على ضفة وادي العبيد ببلاد تادلا ، في المكان المعروف بأبي عقبة على بعد نحو I2 كلم من المركز الحالي لدار ولد زيدوح . وجرت معركة حامية الوطيس اسفرت عن انهزام محمد الشيخ السعدي ورجوع جيشه مفلولا الى مراكش . وانقطع بذلك نظر السعديين نهائيا عما شمله نفوذ الدلائيين من البلاد .

وكان سبب الحملة الدلائية الثانية هو استنجاد المجاهد العياشي بمحمد الحاج ، ليساعده في القضاء على فتنة الحياينة (56) وشراكة الذين قويت شوكتهم ، وأمسوا يغيرون على الفاسيين ويسلبونهم أموالهم وأمتعتهم ، ويتخطفون أولادهم ونساءهم . وقد توجه وفد من علماء فاس وأعيانها الى المجاهد العياشي بسلا (57) ، ورجوا منه أن يخلصهم من بلاء القبيلتين المجاورتين . فأحالهم العياشي على محمد الحاج ، وبعث معهم بخطاب يشرح له

---

55) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة III/ب
وذكر خبر قيام أهل المغرب بدعوى محمد الحاج في التاريخ المذكور أيضا محمد القادري في **نشر المثاني** ، ص I96

56) الحياينة : قبيلة عربية في شمال شرق فاس ، مستقرة بين نهري سبو وورغة ، تشتمل على ثلاث عمائر كبيرة وعشائر كثيرة ـ (هامش العز والصولة ، ص I7)

57) أشار الى هذه الزيارة التي قام بها وفد علماء فاس للمجاهد العياشي بسلا محمد بن أحمد ميارة في مقدمة شرحه **للمرشد المعين** ، I : وكان ذلك في أواسط ذي الحجة عام I047/I638

الحال ويرجو منه الاغاثة والنجدة . فلبى أمير الدلاء نداء الواجب ، وأرسل الى العياشي جيشا قويا من البربر تحت امرة أحد قواده المسمى شعشوع . ويمكننا أن ندرك مدى أهمية هذا الجيش اذا عرفنا أن المجاهد العياشي استطاع به أن يقضي نهائيا على القبيلتين المتمردتين ويلاحق فلولها فى قنن الجبال ، ويفرق بقاياهما فى القبائل لتنحل عصبيتهما ، ويامن الناس شرهما ، وطالما عالج العياشى أمر الحياينة وشراكة قبل ذلك فلم يحصل على طائل .

ب) مهاجمة المجاهد العياشى

لم تطل مدة الصفاء بين الدلائيين والعياشي بعد ذلك ، اذ كان نظر محمد الحاج متجها نحو الغرب ، بعد أن تركزت قدماه فى ملوية العليا وبسائط تادلا وما والاهما من البلاد . وكان لابد له اذا أراد تحقيق مطامحه من أن يتخلص من العياشى صاحب النفوذ فى الثغور . ولا نظن حادثة الاندلسيين الا تعلة اتخذها محمد الحاج لتبرير موقفه العدائى من مجاهد سلا ، وفرصة اهتبلها للقضاء على منافسه من أجل التوسع وبسط النفوذ . وقد اتهم العياشى الاندلسيين المقيمين على الضفة اليسرى لنهر أبى رقراق بممالاة الاسبانيين على المجاهدين ، وأفتاه العلماء بجواز قتالهم ، فحاصرهم وضيق عليهم الخناق الى أن تمكن من مدينة الرباط ، وبقيت القصبة تقاوم الحصار مدة طويلة ، اذ كانت حاميتها تتألف من الموريسكيين وجنود الملك السعدى صاحب مراكش ، يشد أرزهم الاسبانيون . ومما يؤكد الاتهامات الموجهة ضد الاندلسيين ما ورد فى رسالة بعث بها دوراستان « DE RASTIN » القائم بأعمال قنصلية فرنسا فى سلا الى رئيس الوزراء ريشوليه « RICHELIEU » بتاريخ 16 يوليوز 1639 يخبره بأن سلا الجديدة (الرباط) قد سقطت فى يد العياشى ، وان الحصار قائم حول القصبة التى تموَّن بواسطة الاسبانيين (58) .

وقد أهدر العياشى دماء الاندلسيين فى الرباط والقصبة وأباح أموالهم، وفرت طائفة منهم الى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وشفع لهم عند العياشى فلم يقبل هذا الاخير الشفاعة فيهم ، وأبى الا أن يستأصل شافتهم . فكان رد محمد الحاج أن زحف بجنده على منطقة نفوذ العياشى ، فى أوائل عام 1050 / 1640 وملك مدينة مكناس ، ثم اتجه الى فاس فاعترض العياشى طريقه، ووقعت الحرب بين الصديقين القديمين ، واقتتل الجيشان المتحالفان الى عهد قريب . وكان النصر فى البداية حليف محمد الحاج ، فتقدم الى فاس وحاصرها مدة ،

58) دو كاسترى ، **مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب** ، وثائق فرنسا ، السلسلة الاولى 3:584

المناطق التي شملها نفوذ الدلائيين بالمغرب
خلال أواسط القرن 11 هـ (17 م)

ثم كر عليه العياشي فى جموع وفيرة من رجال الغرب فانهزم الدلائيون لاول مرة ورفع الحصار عن المدينة . وعرف محمد الحاج انه لايستطيع القضاء على خصمه ما دام فى عزة ومنعة بين قومه وأنصاره من قبائل الغرب ، فرأى أن يبحث عن منافسى العياشي من بين رؤساء هذه القبائل ، وفى مقدمتهم التاغى والدخيسى ، فحالفهم وجذب بواسطتهم الى جانبه طائفة مهمة من الاعراب . واغتنم محمد الحاج فرصة تغيب العياشي فى بلاد الفحص لقتال الاسبانيين فى طنجة ، فحشد جموع العرب والبربر شمال نهر سبو ، وترصد وهو على أتم أهبة وأكمل استعداد عودة خصمه من الجهاد . وفوجىء العياشى بهذا الجيش الجرار الذى اعترض طريقه ، ورأى ألا قبل له به ، فجنح الى السلم والمهادنة لكن المجاهدين الذين كانوا معه أبوا الا الدفاع عن أنفسهم ومواجهة خصومهم ، فوقعت المعركة الثالثة بين العياشي والدلائيين فى ضواحى سوق أربعاء الغرب أواخر عام 1050/1641 وكان من الطبيعى ألا يصمد المجاهدون الذين أنهكتهم الاغارات على الاسبانيين ، خصوصا وهم قلة أمام هذه الحشود المستريحة . وقتل فرس العياشي تحته فى المعركة فلجأ الى قبيلة الخلط (59) وهو لايعلم أنها انحرفت عنه فيمن انحرف من الاعراب . فلم يستقر به المقام عندهم حتى اغتالوه فى عين القصب التى تبعد عن مركز سوق أربعاء الغرب بنحو 20 كلم غربا ، واحتزوا رأسه وبعثوا به الى خصومه ، وذلك فى 9 محرم عام 1051/21 أبريل 1641 . وبموت العياشي وتفرق أنصاره خلا الجو للدلائيين وتساقطت فى أيديهم المدن والاقاليم تباعا . فملكوا فاسا بعد حصار دام ستة شهور ، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد الغرب . وقد عدد أبو القاسم الزيانى المدن والقبائل التى شملها نفوذ محمد الحاج فقال : «استولى الرئيس محمد الحاج بن الشيخ سيدى محمد بن أبى بكر الدلائى على وادى ملوية كيف جرى ، والريف ، وقبائل صنهاجة (60) والاخماس وغمارة (61) وتطوان، وقصر مصمودة (62) والبصرة (63) وقصر كتامة (64) وقبائلهم ، وبلاد ورغة

(59) الخلط قبيلة عربية مساكنها بين سوق اربعاء الغرب وعرباوة

(60) يراد بقبائل صنهاجة ما يعرف اليوم بآيت اومالو فى الاطلس المتوسط ، وتشمل زيان واشقرن وآيت شخمان وبنى مكيلد .

(61) الاخماس وغمارة من جملة قبائل جبالة . وديارهم فى ضواحى مدينتى شفشاون وتطوان

(62) قصر مصمودة ويقال له أيضا قصر المجاز والقصر الصغير يقع بين طنجة وسبتة

(63) تقع البصرة بين عرباوة ووزان . وهى الان خراب

(64) قصر كتامة ويقال له أيضا قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الشهيرة جنوبى العرائش

وتازة ، ومكناسة الزيتون ، وبنى يازغة (66) وقبائلها من الجبال» (67).

وحاول عبد الله العياشى (68) أن يثأر والده المجاهد القتيل فحشر لذلك أنصاره من قبائل الغرب ، ولقى جيش الدلائيين بقيادة محمد الحاج على ضفاف واد الطين بالقرب من مركز أحد كورت الحالى ، فى أوائل ربيع الاول عام 1053/1643 وجرى بين الفريقين قتال شديد كان التفوق فيه للدلائيين وطارد محمد الحاج أنصار العياشى فى مساكنهم ، وجاس خلال ديارهم ، فعمت الفتنة قبائل الغرب وفشا فيهم القتل والنهب .

ج) غزو شرفاء سجلماسة

بعد أن قضى محمد الحاج على منافسيه فى بلاد الغرب وجه نظره الى ما وراء نهر ملوية ، وكان يتوجس خيفة من انتشار نفوذ محمد بن الشريف فى الصحراء ، وطالما بحث محمد الحاج دون جدوى عن وسيلة تضمن له بسط سلطانه على سجلماسة (69) وتحد من طموح الشريف وأبنائه . وبالرغم من تفوق الدلائيين المطلق فى الناحية العسكرية كان يصعب عليهم أن يضايقوا آل البيت وينكلوا بهم . ولعل احجامهم عن الاساءة الى العلويين فى الوقائع الحربية العديدة التى ظهروا عليهم فيها يرجع قبل كل شىء الى ما وقر فى صدور آل أبى بكر الدلائى من حب صادق فى الجناب النبوى ، بالاضافة الى ما يفرضه عليهم الوسط السجلماسى المشبع بتعظيم الشرفاء . ولكن السياسة تعمى وتصم ، والرئاسة تدفع بصاحبها الى حيث يريد وحيث لايريد . وهكذا أكلت الغيرة صدر محمد الحاج وأعياه الصبر فزحف الى تافيلالت على رأس جيش جرار من البربر فى أوائل عام 1056/1646 ليقضى على منافسه محمد ابن الشريف . وكانت بينهما وقعة القاعة المشهورة التى أسفرت عن انتصار الدلائيين ودخول محمد الحاج الى مدينة سجلماسة ، حيث أباح للبربر أن

---

(65) نهر ورغة أحد روافد وادى سبو، يقع شمالى فاس وتقطن حوله قبائل جبالة

(66) بنى يازغة تابعة لدائرة صفرو ومن أشهر قراها المنزل

(67) أبو القاسم الزيانى ، **رسالة البلدين** ، ص 479

(68) عبد الله بن محمد العياشى عالم أديب وبطل مغوار أثنى عليه الشيخ محمد ميارة فى مقدمة شرحه للمرشد المعين (1 : 3) وحلاه بألقاب علمية عالية . كان عبد الله العضد الايمن لوالده فى الحركات الجهادية ورسوله الى الدلائيين وغيرهم . توفى عام 1073/1663 ودفن على ساحل المحيط الاطلنطيقى بالقرب من مولاى بوسلهام

(69) سجلماسة مدينة عتيقة أسسها بنو مدرار فى القرن الثانى للهجرة ، ولعبت أدوارا مهمة فى تاريخ المغرب ، وظلت آهلة بالسكان بل وعاصمة لاقليم تافيلالت الى ما بعد القرن الحادى عشر/القرن السابع عشر وما زالت أطلالها ماثلة للعيان بالقرب من الريصانى ، ويسميها الفيلاليون المدينة الكبيرة أو القديمة

يفعلوا فيها ما يشاءون ، فروعوا السكان، واستباحوا الدماء والاموال والاعراض ثم استجاب الدلائى لتوسلات أعيان تافيلالت وشفاعاتهم ، وكف أيدى الجند عن الناس ، وصالح محمد بن الشريف على اقتسام مناطق النفوذ ، فجعلوا ما دون جبل العياشى من الاقاليم الصحراوية من نصيب ابن الشريف ، وما فوق ذلك من البلاد خاصا بالدلائيين . واستثنى محمد الحاج من منطقة نفوذ الشرفاء خمسة مراكز احتفظ بها لنفسه ، لما كان له فيها من مصالح حيوية خاصة ، وهى : الشيخ مغفر فى أولاد عيسى بالرتب (70) والسيد الطيب فى قصر السوق (71) والسيد أحمد بن على العثمانى فى بنى عثمان من الخنق (72) وقصر كلميمة فى وطن غريس (73)، وآسرير فى بلد فركلة (74) غير انه لم يكد ينصرف محمد الحاج من الصحراء حتى هجم محمد بن الشريف على القصور التابعة للدلائيين واستولى عليها . وتطورت العلاقات بين الطرفين تطورا سيئا كان السبب فى القضاء النهائى على الزاوية الدلائية كما سنرى فى الباب التالى .

د) الجهاد ضد الاسبانيين فى المعمورة

لم يهتم محمد الحاج كثيرا بالجهاد ولو أن النصارى كانوا يحتلون ثغورا عديدة بجوار المراكز التى يسيطر عليها . ولعله كان مشغولا عنه بالاحداث الداخلية . فهو بالرغم من اتساع رقعة نفوذه ووفرة جنده ، لم يستطع أو لم يجرؤ على التخلص نهائيا من منافسيه بمراكش وسجلماسة وايليغ زيادة على خصومه شيعة العياشى المنبثين فى بلاد الغرب وأقاليم الشمال . على أن محمد الحاج دعا الناس للجهاد فى أواخر رجب عام 1053/1643 واشتغل نحو نصف

---

(70) أولاد عيسى قصر يقع على الضفة الغربية لوادى زيز . ويبعد عن قصر السوق بنحو 40 كلم جنوبا
والقصر فى اصطلاح أهل تافيلالت يعنى قرية صغيرة . ويطلق عليها البربر اسم اغرم (بفتح الهمزة والراء وتسكين الغين والميم) . واذا صغر القصر ولم يضم الا بضعة منازل سمى قصيرا أو تغرمت (بفتح التاء والراء وتسكين الغين والميم والتاء)

(71) قصر السوق هو مقر عمالة تافيلالت اليوم . ويبعد عن مكناس بنحو 330 كلم

(72) بنى عثمان ويعرف اليوم بآيت عثمان . عبارة عن عدة قصور تقع على بعد نحو 27 كلم من قصر السوق شمالا. ويوجد الآن مشروع بناء سد على وادى زيز يعرف بمشروع خزان آيت عثمان

(73) تقع كلميمة على ضفة نهر غريس على بعد نحو 60 كلم من قصر السوق غربا فى طريق ورزازات . ويسكنها حتى اليوم آيت مرغاد من البربر

(74) آسرير قصر واقع على ضفاف وادى فركلة . بعيد عن قصر السوق بنحو 86 كلم غربا

شهر بتهييء الحملة لكنه انصرف عنها لاسباب خاصة (75) ثم قام بغزوة كبرى ضد الاسبانيين بثغر المعمورة عام 1057/1647 بعد أن استنفر المجاهدين للحركة معه من جميع الاقاليم (76) . وكان ممن استجاب لدعوته أهل فاس ومعهم الشيخ محمد بن عبد الله معن صاحب زاوية المخفية بعدوة الاندلس ، وابنه الصالح أحمد ، فابليا البلاء الحسن فى قتال العدو . وضعف الشيخ يوما عن صعود عقبة بضواحى المعمورة لكبر سنه ، فحمله ابنه أحمد على ظهره حتى قطع به المواضع المخوفة ، وكان ذا نجد واقدام ، وحمية فى الدفاع عن حوزة الاسلام .

وقد أورد الكونت دو كاسترى (77) رواية مفصلة لحصار المعمورة تحدث باسهاب عن مراحل الهجوم والدفاع والاغاثة . وتحدد تاريخ الحصار من 10 غشت الى 3 شتنبر 1647 . وهذا التاريخ يتفق فى المبدأ تماما مع ما ذكرته المصادر العربية . فالقادرى فى **نشر المثانى** وغيره يقولون ان المسلمين خرجوا للجهاد فى المعمورة فى 7 رجب 1057 وهو يوافق 7 غشت 1647 ومن الطبيعى ألا يقع الزحف على الحصن الا بعد ثلاثة أيام من خروج المجاهدين من فاس مثلا ؛ لكن تختلف الروايتان الاسلامية والافرنجية فى مدة الحصار . فالمصادر العربية تقول ان المسلمين رجعوا الى ديارهم بعد 18 يوما بسبب تفشى المرض والموت فيهم من ماء فاسد شربوه هناك ، بينما تدعى الرواية الاخرى استمرار الحصار نحو شهر . وتؤكد انتشار الحمى حتى فى صفوف الاسبانيين . ويمكن الجمع بين الخبرين بأن انسحاب المسلمين بدأ بعد 18يوما وبقى بعض المجاهدين فى نحر العدو بضعة أيام أخرى . وبالرغم مما تمتاز به الرواية الافرنجية من دقة فى تحديد الايام والساعات للمعارك ، وذكر أسماء الضباط المشاركين فيها ، والمراسلات المتبادلة فى الموضوع بين الحامية الحاصرة وملك اسبانيا ، فانها لاتخلو من مبالغات وتهويلات . ومجمل الخبر الذى أورده دو كاسترى أن حصار المعمورة أو كما يسمونها
S. Miguel de Ultramar ou Saint-Michel d'outremer

(75) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** . ورقة 110/ب

(76) محمد القادرى ، **نشر المثانى** ، ص 189
وقد ذكر المحققان لكتاب **الاستقصا** ، فى الهامش (6:98) احتمال وقوع هذه الغزوة عام 1052 وهو خلاف الواقع لتضافر النصوص العربية والافرنجية على تحديد عام 1057/1647 تاريخا لحصار المعمورة من طرف محمد الحاج الدلائى

(77) دو كاسترى ، **مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب** ، السلسلة الاولى من وثائق فرنسا ، 3:618

بدأ بهجوم ثمانية آلاف من برابرة جبال سوس (78) جاؤوا للجهاد ومع كل واحد منهم خنجر ، وسنة « Hâche à deux tranchants » وبندقية خفيفة Escopette (79) وقد لوحظ وجود السوسيين فى الخندق (80) يومى السبت والاحد 10 و 11 غشت 1647 لكن جنود الحراسة الاسبان لم يأخذوا حذرهم ، فزحف المسلمون يوم الاثنين 13 غشت حوالى الساعة الرابعة صباحا ، وارتموا فى خندق باب سلا وبدءوا يقطعون الجسر المتحرك دون أن يشعر بهم الاسبانيون ، الى أن استيقظ القبطان أنطونيو دوباديلا « Antonio de Padilla » على اثر أصوات الطرق ، وما كاد يصيح : «الى السلاح ! الى السلاح ! أيها الاسبانيون !» حتى سقط ميتا بطلقة نارية من احدى البندقيات الخفيفة . وتراجع المسلمون من الخندق بعد أن أخذت مدافع الاسبانيين تطلق النار عليهم ، ثم كروا بسرعة وتسلقوا بسهولة البرج « SAINT JOSEPH » دون أن يدافعهم جنود الحراسة الذين أدوا ثمن اهمالهم بموت عشرة منهم وجرح اثنين آخرين . وحاول المسلمون أن يستولوا على الآبار التى تمون الحصن ، لكن الاسبانيين استماتوا فى الدفاع عنها طيلة ثلاث ليال .

وقد بعث السوسيون الى الامير عبد الله الدلائى فى سلا يخبرونه باستيلائهم على القنطرة والبرج . فأمر أن ينادى فى جميع مناطق امارته ليأتى رعاياه فى ظرف ثلاثة أيام الى مدينة سلا لجهاد النصارى فاستجاب لندائه فى الاجل المحدد جميع من كانوا يستطيعون حمل السلاح ، واجتمع أكثر من 30.000 رجل و 10.000 فرس ، علاوة على كثير من باعة المؤونة للجند . وتحرك جيش المسلمين من سلا حاملا معه ثلاث قطع من مدفعية القصبة ، اثنتان من الحديد ، ومدفع صغير من النحاس ، واحتل هذا الجيش المراكز التى كان المقاتلون البربر قد استولوا عليها ، وأخذ يوجه قذائف المدافع الى المواقع الامامية للاسبانيين ، وبقى يتقدم الى أن لم يعد يفصل بينه وبين أسوار

(78) من المعلوم أن بلاد سوس كانت خاضعة في ذلك العصر الى أبى حسون السملالى . لذلك فان البرابرة الذين تتحدث عنهم الرواية الاسبانية هم من المنطقة الخاضعة للدلائيين بالأطلس المتوسط والكبير . ولفظ «جبال سوس» فى الرواية اما أن يكون غلطا . أو باعتبار الاصطلاح القديم الذى كان معروفا عند مؤرخى القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) من أن السوس الادنى يشمل المناطق الواقعة بين وادى ملوية ووادى أم الربيع

(79) « Escopette » نوع من البنادق الخفيفة المشهورة منذ القرن الخامس عشر

(80) يبدو أن حصن المعمورة كان محاطا بخنادق دفاعية . يسمى ما يقع منها فى الناحية الجنوبية بخندق باب سلا

الحصن الا أقل من 30 قدما أمام قنطرة فاس وسلا . وكانت مقاومة الجنود الاسبانيين ضعيفة لان أغلبيتهم كانت مصابة بالحمى الثلاثية وأرسل القبطان دون فرانسيسكو ديهيريرا « DON FRANCISCO BANOS DE HERRERA » الذي كان قائما بقيادة حامية المعمورة زورقا سريعا الى اسبانيا وفيه رسالتان احداهما الى الملك والاخرى الى دوق المدينة والقلعة ، يخبرهما بحالة الحصار ويطلب الاغاثة والنجدة بأسرع ما يمكن . وبمجرد ما توصل الدوق بهذا الاعلام يوم 16 غشت سارع الى تهييء الاسطول بالرغم من كونه كان في طور النقاهة من حمى ثلاثية خبيثة ، وبدأت الاستعدادات في نفس اليوم ، وانتهت في اليوم الرابع ، وانتظرت المراكب الريح المواتية فلم تنصب أشرعتها الا في يوم 21 غشت . وكان أسطول الاغاثة يحتوي على سفينة دانكيرك المسماة سان بيدرو « SAN PEDRO » وسفينة انجليزية كبيرة ، وعشر سفن طويلة ثم انضمت اليه في الطريق سفن حربية أخرى مليئة بالضباط والجنود . ولما وصل الاسطول الى العرائش طلب قائده من حاكم المدينة الاسباني أن يزوده بأخبار المعمورة ، فأجاب بأنه لا علم له تماما بهذا الحصار لانه لم يصل اليه أي رجل من المغاربة المسالمين (81) . وقد أعد قائد الاسطول الترتيبات اللازمة للقتال في حالة ما اذا وجدوا الحصن قد سقط في أيدي المسلمين . وفي يوم الاربعاء 28 غشت على الساعة العاشرة وصل أسطول الاغاثة واقترب الى أن صار بمرأى من الحصن وخيام المسلمين ، لكنه لم يستطيع الدخول الى وادي سبو نظرا للطلقات النارية التي توجهها مدفعية المسلمين المركزة على ضفة النهر . وفي اليوم التالي عين بطريق القرعة مركبان على ظهر كل منهما ضابطان وأربعة جنود للتوجه - بالقوة - الى الحصن ، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وفي يوم الجمعة 30 غشت عاودت سفينتان أخريان الكرة بدون نتيجة ، فقرر رأى قائد الاسطول على أن يقتحم النهر بنفسه تفاديا لاخطار الانتظار والتردد. وفي يوم السبت 31 غشت على الساعة الرابعة صباحا وصل الى الاسطول زورق كبير قادم من الحصن دون أن يصيبه سوء أو يشعر به المسلمون . وكان يحمل رسالة من قائد الحامية المحاصرة يطلب فيها بالحاح كبير من قائد الاسطول أن يدخل الى النهر في أسرع وقت ممكن ، لان الحصن المحاصر من مسافة قريبة جدا معرض للسقوط ، ولان الحاجة ماسة الى الرجال بسبب كثرة المرضى والجرحى . فتقدم قائد الاسطول بسفينته الكبرى تتبعه السفن الحربية الاخرى ، الا السفينة الانجليزية التي تمرد قائدها وهدد بنسف

(81) المغاربة المسالمون أو من يسمونهم MOROS DE PAS عبارة عن مغاربة شبه جواسيس كانوا يؤدون يمين الاخلاص الى ملك اسبانيا، ويستخدمهم النصارى في مفاوضاتهم مع المسلمين

باخرته اذا ما أرغم على الدخول الى النهر ، ووقعت معركة حامية بين المسلمين والبحارة الاسبانيين تبادل الطرفان خلالها طلقات المدافع فى النهر ، ثم وقعت اشتباكات عديدة فى البر ، وتمكن الاسبانيون أخيرا من الدخول الى الحصن وربط حبل الاتصال معه .

وفى يوم الاثنين 3 ستنبر 1647 أخذ المسلمون المدفع الصغير النحاسى ، وتركوا المدفعين الحديدين محطمين ، ورفعوا الحصار عن حصن المعمورة ، بعد أن أضرموا النار فى مصف المدافع ليلا أثناء انسحابهم .

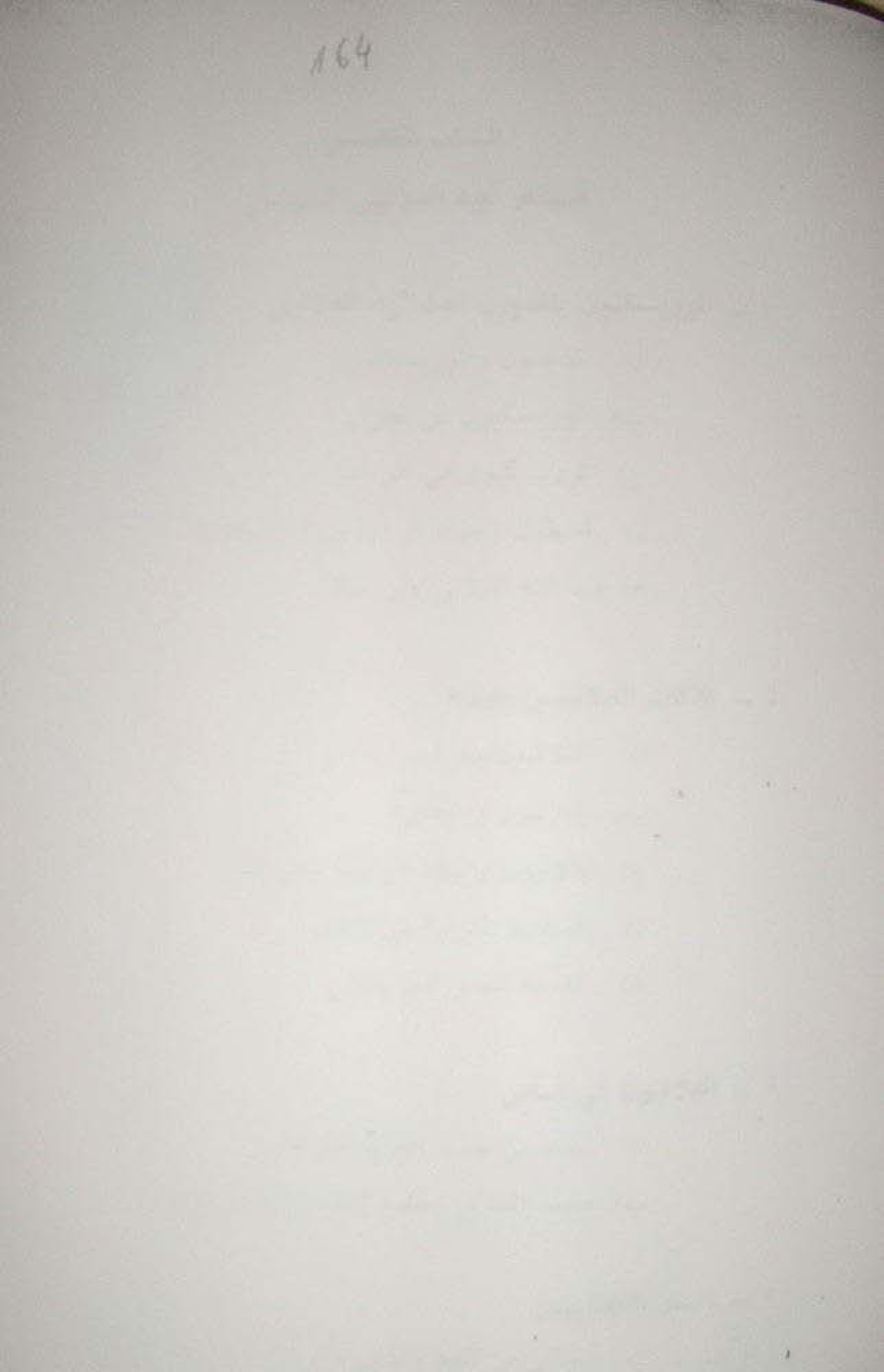
هـ) حملات تأديبية فى بلاد زعير والحياينة

قام محمد الحاج خلال العشرين سنة الاولى من ولايته بغارات عديدة فى مختلف الاقاليم ، حالفه النصر فى غالبها ، واستطاع أن يثبت الامن ويقضى على الثوار واللصوص والعابثين . ومن أشهر حملاته التأديبية قتاله لقبائل زعر بالقرب من وادى الشراط (82) خلال عام 1061/1650 — 1651 فشتت جموعهم وطارد رئيسهم الدقاق ، وجاست جنود الدلاء خلال ديار زعير وتعقبت آثار رؤوس الفتنة فيها الى أن أذعنت القبيلة كلها بالطاعة ، وركنت الى الخضوع والاستكانة واستراح الناس من عبثها مدة طويلة . وفى السنة الموالية قام محمد الحاج بحركة مماثلة فى ضواحى فاس ، قارع فيها قبيلة الحياينة وكسر شوكتها ، وكانت قد رجعت الى سابق عهدها فى السلب والنهب وقطع الطرق وسفك الدماء . وتوجه وفد من علماء فاس الى مدينة الدلاء يرجون من السلطان محمد الحاج أن يكف عنهم القبيلة الباغية ويخلصهم من أذاها . وحملوا معهم سبعا من فتاوى أكابر فقهاء المدينة الادريسية تصرح بوجوب مقاتلة الحياينة الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا فى الارض فسادا (83) .

وسنتحدث فى الباب السادس عن باقى العمليات الحربية التى خاض غمارها الدلائيون فى العقد الاخير من دولتهم ، لان تلك الفترة تمثل عهد التدهور والانحدار نحو النهاية الحتمية للزاوية الدلائية .

(82) يبعد وادى الشراط عن الرباط بنحو 37 كلم جنوبا

(83) انظر نص هذه الفتاوى عند سليمان الحوات فى **البدور الضاوية** ، من ورقة 112/أ الى ورقة 114/أ . كما توجد بالخزانة العامة بالرباط رقم 3270ك نسخة مخطوطة خاصة بهذه الفتاوى . واصحابها هم القاضيان أحمد الازمورى ومحمد بن سودة ، والعلماء محمد ميارة ، وحمدون الابار ، وعبد السلام بن محمد ، وعلى بن محمد المرى ، وعبد القادر الفاسى . ومما جاء فى فتوى القاضى ابن سودة : «وقال مالك أيضا فى اعراب قطعوا الطريق ، جهادهم أحب الى من جهاد الروم» .



الباب الخامس

انتشار نفوذ الدلائيين السياسي

1 ـ الموريسكيون ينضوون تحت لواء الدلائيين

ا) المدجنون والموريسكيون

ب) الموريسكيون في تطوان

ج) الموريسكيون في الرباط

د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية

هـ) عبد الله الدلائي أمير سلا

2 ـ علاقات الدلائيين بأوربا

ا) الدلائيون وفرنسا

ب) الدلائيون وانجلترا

ج) الدلائيون والبلاد الواطئة (هولاندا)

د) السفارة المغربية في لاهاي

هـ) قضية تنصر أمير دلائي

3 ـ الدلائيون في فاس

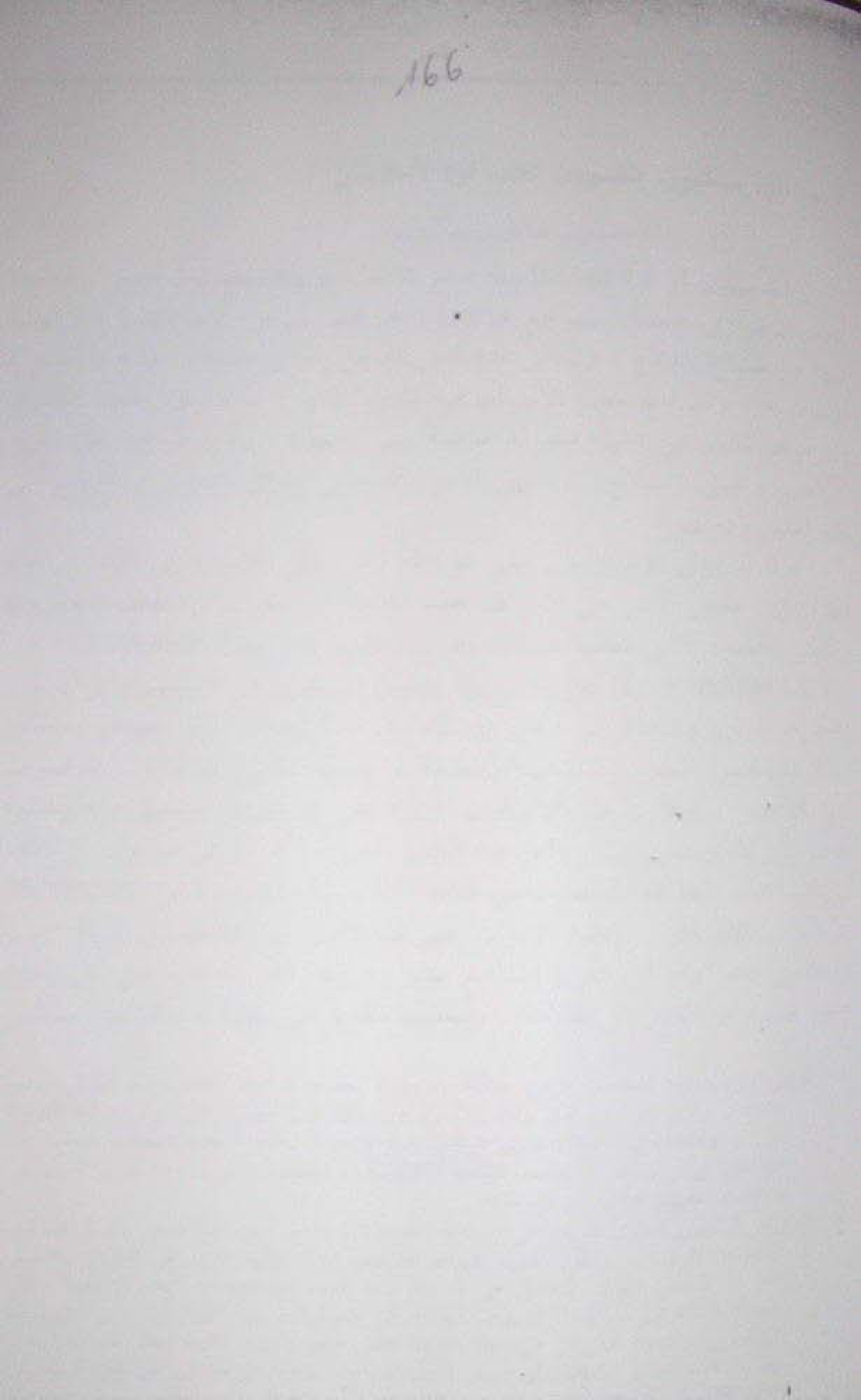
ا) أحمد بن محمد الحاج أمير فاس

ب) محمد الدلائي يخلف أخاه في امارة فاس

4 ـ آثار الدلائيين

ا) المباني في الدلا وفاس

ب) النقود الاشقوبية



1 ـ الموريسكيون ينضوون تحت لواء الدلائيين

ا) المدجنون والموريسكيون

المدجنون أو « MUDIJARES » هم الاندلسيون المسلمون الذين رضوا بحكم النصارى عندما استرجع هؤلاء بلادهم فلم ينزحوا عنها تشبثا بما لهم فيها من ضياع ومتاع . وتكاثر عدد أهل الدجن بتوالى سقوط القلاع والحصون الاسلامية ، وتسامح معهم الاسبان فى بادىء الامر ، ثم ضيقوا عليهم الخناق وألزموهم المقام فى احياء منعزلة خاصة بهم كاليهود ، ومنعوهم من حق شراء الاراضى وحمل السلاح ، وانتهى الامر بالمدجنين بتوالى السنين والاجيال الى فقد لغتهم ودينهم .

ولما استولى الاسبانيون على غرناطة آخر معقل للاسلام فى الاندلس عام 897/1492 هاجر كثير من اشراف هذه المدينة الى المغرب ، وتخلف آخرون واثقين بالعهود التى قطعها الملكان (فرديناند) و (ايزابيلا) « FERDINAND et ISABELLA » (1) على نفسيهما بتامين المسلمين فى أنفسهم وأموالهم ، واحترام دينهم وشعائرهم . غير ان الاسبان ما لبثوا أن نكثوا عهدهم وسلكوا حيال المسلمين المغلوبين سياسة وحشية لم يعرف التاريخ لها مثيلا . فارغموهم على التنصر ، وطاردوهم بالاتهامات الملفقة على يد ديوان التحقيق (2) وقتلوا آلاف الابرياء ومثلوا بهم ، وأحرقوا الكتب العربية أكداسا فى ساحات غرناطة. وعرفت هذه الطائفة المتنصرة من الامة الاندلسية بالموريسكيين MORISCOS أو العرب الاصاغر ، ذاقوا الامرين على يد الاسبانيين المتعصبين طيلة القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر وعوقبوا أشد العقاب على كل بادرة منهم تنبىء عن تذمر أو مقاومة . ويحدثنا المقرى عن نهاية مأساة الموريسكيين

---

1) ارتقى (فرديناند) الخامس عرش مملكة (ارجون) بعد وفاة أبيه الملك يوحنا الثانى سنة 1479 . وكان قد تزوج قبل ذلك بالاميرة (ايزابيلا) التى جلست على عرش مملكة قشتالة على اثر وفاة أخيها الملك (هانرى الرابع) سنة 1474 . وهكذا اتحدت المملكتان الاسبانيتان فى ظل عرش واحد ، وتعاهد الملكان الكاثوليكيان المتعصبان على متابعة حرب المسلمين والقضاء عليهم نهائيا فى اسبانيا .

2) لديوان التحقيق أصول قديمة فى الديانة المسيحية . وضع لاجل التاكد من سلامة العقائد الكنسية الرومانية وتطور مفهوم ديوان التحقيق فغدا يطارد الزيغ فى العقيدة والسحر معا . وتأسس ديوان التحقيق فى قشتالة سنة 1478 بمرسوم من البابا «لمناهضة الكفر ومحاكمة المارقين» وابتدأ الديوان أعماله فى اشبيلية وصب نقمته أولا على اليهود المتنصرين وكانوا كثيرين فى هذه المدينة فقتل منهم وأحرق الوفا خلال عام واحد ، ثم انشئت محاكم التحقيق فى سائر أنحاء اسبانيا ، وبثت عيونها فى كل مكان للتجسس على المدجنين ثم على الموريسكيين ، فكان من أكبر الجرائم التى يعاقب عليها بالتعذيب الوحشى والقتل والحرق ، أن يكون لباس المتهم يوم الجمعة أفضل من لباسه يوم الأحد، أو أن يمتلك كتابا عربيا أو يقرأه أو يتكلم باللغة العربية ..

فى الاندلس بقوله : «.. وقاموا فى بعض الجبال على النصارى مرارا ، ولم يقيض الله لهم تعالى ناصرا ، الى أن كان اخراج النصارى اياهم بهذا العصر القريب أعوام سبعة عشر وألف ، فخرجت ألوف بفاس ، وألوف أخر بتلمسان من وهران ، وجمهورهم خرج بتونس ، فتسلط عليهم الاعراب ومن لايخشى الله تعلى فى الطرقات ونهبوا أموالهم ، وهذا ببلاد تلمسان وفاس ، ونجا القليل من هذه المضرة وأما الذين خرجوا بنواحى تونس فسلم أكثرهم ، وهم لهذا العهد عمروا قراها الخالية وبلادها ، وكذلك بتطوان وسلا وفيجة الجزائر. ولما استخدم سلطان المغرب الاقصى منهم عسكرا جرارا وسكنوا سلا كان منهم من الجهاد فى البحر ما هو مشهور الان ، وحصنوا قلعة سلا (3) وبنوا بها القصور والحمامات والدور . وهم الان بهذا الحال» . (4)

ب) الموريسكيون فى تطوان

تطوان مدينة قديمة أسست قبل الاسلام لتخلف جارتها تمودة الرومانية وقد خربت تطوان القديمة وخلت من السكان فى مستهل القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ثم جدد بناءها فى أواخر هذا القرن نفسه المهاجرون الاندلسيون الذين نزحوا الى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة ، وكانوا قلة لايتجاوزون أربعين أسرة ، وتلاحقت وفود المهاجرين من الفردوس المفقود لتسكن المدينة المجددة فى فترات متقطعة الى أن قضى الملك فيليب الثالث PHILIP III (5) بطرد جميع الموريسكيين من أرض شبه جزيرة ايبيريا عام 1609/1018 (6) فعبروا البحر الى العدوة الافريقية ، واستقر عدد كبير منهم فى تطوان .

وقد توارث آل المنظرى الغرناطيون حكم مدينة تطوان منذ تجديدها واشتغل مهاجرو الاندلس بالجهاد فى البر والبحر والاغارة على البرتغاليين

---

(3) المراد بقلعة سلا قصبة الوداية الحالية

(4) أحمد المقرى ، **نفح الطيب** ، 2:617

(4) تولى فيليب الثالث عرش اسبانيا بعد وفاة والده الملك فيليب الثانى سنة 1598 . وكان فتى ضعيف الرأى يتأثر كأبيه بآراء الرهبان المتعصبين والوزراء المستبدين . وقد أصدر قرار النفى النهائى للموريسكيين فى 15 شتنبر 1609 وأمرهم بالاحتشاد فى الثغور ، والا يأخذوا من متاعهم الا ما يستطيعون حمله على ظهورهم ، لتنقلهم السفن الاسبانية الى عدوة المغرب .

(6) اتفق المؤرخون الاوربيون على أن اقصاء المسلمين عن شبه جزيرة ايبيريا قد تم خلال سنتى 1609 - 1610 وهذا يوافق من التاريخ الهجرى 1018 - 1019 وهو لايختلف عما ذكره المقرى فى النص السابق من أن هذا الحادث قد وقع «أعوام سبعة عشر وألف» لما تشعر به كلمة «أعوام» من التقريب .

الذين كانوا يحتلون مدن سبتة والقصر الصغير وطنجة (7) . وكان قوام جيش المجاهدين التطوانيين فى أوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) اربعمائة من الفرسان وخمسمائة من المشاة ، وخمس عشرة سفينة حربية يهاجمون بها السواحل الاسبانية بمساعدة مراكب القراصنة الجزائريين . ثم تضخم عدد المجاهدين بكثرة المهاجرين المبعدين فى القرن الحادى عشر (السابع عشر) وانتقل حكم مدينة تطوان الى أولاد النقسيس الذين ظلوا على رأس هذه المدينة مدة طويلة (1006 ــ 1083/1597 ــ 1672) (8) وأول من ذكره المؤرخون من أفراد هذه الاسرة هو المقدم (9) أحمد بن عيسى النقسيس الذى انتصر على الاسبانيين انتصارا كبيرا حتى كاد يطردهم من مدينة سبتة أيام أحمد المنصور الذهبى . وبعد انقسام الدولة السعدية الى مملكتى فاس ومراكش ، انضم أولاد النقسيس الى سلطان فاس لقربه منهم ولم يخضعوا للمجاهد العياشى عندما امتد نفوذه على أقاليم مملكة فاس المنقرضة ، فاقتحم عليهم قائده سليمان بن يوسف تطوان عام 1041/1631 وجند نحو ثمانية آلاف رجل من الاندلسيين لمطاردة عبد الله النقسيس الذى فر الى بلاد غمارة أولا ثم التجأ عند الاسبانيين فى سبتة . وظل نفوذ العياشى قائما بتطوان حتى أواخر أيامه . وبعد ذلك «استقلت هذه المدينة بحكم نفسها ، وباشر الحكم فيها مجلس من أهلها الذين كان جلهم فى هذا العهد من مهاجرى الاندلس ، ثم بعد مدة عاد الامر فيها الى أولاد النقسيس» (10) والدلائيون هم الذين أعادوا أولاد النقسيس الى تطوان ونصبوهم عمالا عليها يحكمونها باسمهم . غير أنه نظرا لبعد مدينة تطوان عن عاصمة الدلائيين ، وضعف وسائل المواصلات آنذاك ، ووقوع الاضطرابات فى القبائل من حين لآخر كان لرؤساء تطوان نوع من الاستقلال فى الحكم فكانت صلتهم برؤسائهم الدلائيين تقوى أو تضعف تبعا لاستقرار الاحوال الداخلية أو اضطرابها . لكن لايمكن بحال أن نعتمد على بعض مظاهر التصرف المطلق لاولاد النقسيس لنزعم أن مدينة تطوان كانت مستقلة

(7) احتل البرتغاليون مدينة سبتة عام 818/1415 ــ 1416 بعد حصار دام ست سنوات ، وظلت تحت حكمهم أكثر من قرنين ونصف ، ثم سلموها الى الاسبانيين حوالى عام 1080/1669 ــ 1670 . وملكوا القصر الصغير الذى يسمى أيضا قصر مصمودة وقصر المجاز ، بين سبتة وطنجة، عام 862/1457 ــ 1458 . واحتل البرتغاليون بعد ذلك طنجة عام 869/1464 ــ 1465 وحكموها ما ينيف عن قرنين ، ثم تنازلوا عنها لانجلترا عام 1072/1661 كمهر قدمته كاترين دوبراكانس شقيقة ملك البرتغال لزوجها شارل الثانى ملك انجلترا ، وقد استرد المولى اسماعيل مدينة طنجة من انجلترا عام 1095/1684 .

(8) محمد داود ، **تاريخ تطوان** ، القسم الثانى من المجلد الاول ، ص 174

(9) المقدم لقب خاص برئيس جماعة المجاهدين

(10) محمد داود ، **تاريخ تطوان** ، ج 1 ص 232

لم يشملها نفوذ الدلائيين . والنصوص الصريحة المتقدمة تعد هذه المدينة من جملة مناطق نفوذ محمد الحاج (11) ، والمعاهدة التى أمضاها سلطان الدلاء فى 8 ذى القعدة عام 1067/19 غشت 1657 مع الحكومة الانجليزية تؤكد انه صاحب النفوذ فى تطوان (12) وظلت هذه المدينة وفية للدلائيين حتى بعد قيام الثورات ضدهم فى بلاد الغرب . ولم تستسلم تطوان الى الخضرغيلان الا بعد أن الدحرت أمامه جيوش محمد الحاج فى وقعة «وادى بوحيرة» (13) بالقرب من ساحل مولاى بوسلهام عام 1070/1660 .

ج) الموريسكيون فى الرباط

ان أهم جالية أندلسية قدمت الى المغرب استوطنت الرباط والقصبة (14) وقبل أن يلزم الموريسكيون بالجلاء العام عن شبه جزيرة ايبيريا ، هاجر الى المغرب سكان هورناتشو (15) المعروفون بصدق عقيدتهم الاسلامية وثرائهم الواسع ، فاستقروا بقصبة سلا وحصنوها وبنوا فيها الدور والقصور والحمامات ، ثم كانت الهجرة الاندلسية الكبرى فى مستهل القرن السابع عشر فازدحمت الرباط والقصبة بالموريسكيين ، ودخلوا فى طاعة زيدان بن المنصور ملك مراكش فأمر عليهم القائد فاضل الزعرورى الانصارى . وحدث بعد بضع سنوات من تولية هذا القائد أن رجع المجاهد العياشى الى سلا ناجيا بنفسه من المؤامرة التى دبرها السعديون ضده فى آزمور ، فبعث زيدان الى قائده

---

(11) بعث الى الاستاذ عبد السلام بنسودة – مشكورا – بقصيدة نظمها بعض الشعراء من أهل تطوان حين دخل الامير محمد الحاج الدلائى مدينتهم أيام ولايته ، مطلعها :

بشراك تطوان بشرى ... سمرت عزا وفخرا
ونلت كل المعالى ... وحزت صيتا وذكرا

ومنها :

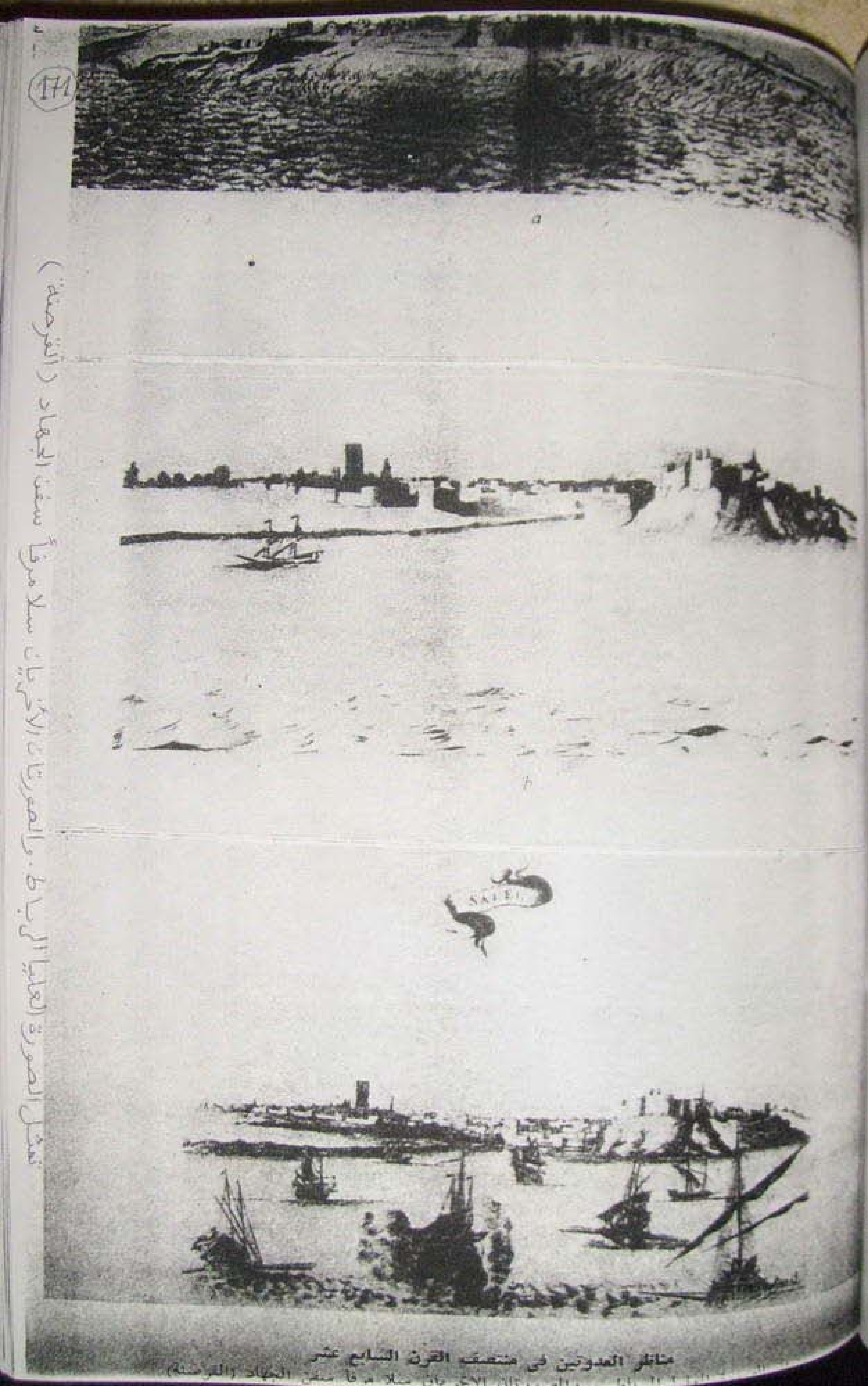
وكيف لا قد أتانا ... رب المراهب خيرا
مولانا سلطان عدل ... قد صار فضله بحرا

(12) دو كاسترى ، **سلسلة وثائق انجلترا** ، 3:588.

(13) وادى بوحريرة يقع بالقرب من المرجة الزرقاء غرب مركز سوق أربعاء الغرب ، لا فى ناحية القصر الكبير كما يظن ذلك بعض الاوربيين

(14) كانت الرباط والقصبة قبل مجىء الاندلسيين اليهما تنسبان معا الى سلا ، فيقال رباط سلا وقصبة سلا . ثم صارت المدن الثلاث تدعى اجمالا مدن سلا . وعند التفصيل يعبر عن سلا الحالية بسلا القديمة ، وعن الرباط بسلا الجديدة ، وبقيت القصبة منسوبة الى سلا الى أن سكنها جيش الودايا أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوى فسميت قصبة الودايا ، كما استرجعت الرباط الاسم الذى أطلقه عليها مؤسسوها الموحدون وهو رباط الفتح .

(15) هورناتشو مدينة فى جنوب غربى اسبانيا بين اشبيلية وماردة ، بعيدة على الاولى بنحو 170 كلم شمالا ، وعن الثانية بنحو 50 كلم جنوبا



مناظر العدوتين في منتصف القرن السابع عشر

تمثل الصورة العليا الرباط، والصورة الأخيرة سلا مرفأ سفن الجهاد (القرصنة)

الزعرورى أن يقبض على العياشى أو يغتاله ، لكن شيوخ الاندلسيين وأعيانهم عارضوا فى تنفيذ هذا الامر ، وتطوعت جماعة منهم لملازمة مجاهد سلا وحمايته من كل اعتداء . (16) ثم صدر أمر ثان الى القائد الزعرورى بتجهيز جيش من الاندلسيين المقيمين فى القصبة وتوجيهه الى درعة لاخماد فتنة قامت هناك ، فوجه منهم أربعمائة مقاتل وطالت غيبتهم بالصحراء الى أن فر أكثرهم ورجعوا الى ديارهم حانقين ، وامتنع الاندلسيون بعد ذلك من الاستجابة للقائد الزعرورى الذى كان يبلغهم أوامر ملك مراكش بالتجنيد والمساهمة فى العمليات العسكرية بالجنوب ، ورأوا أن يتخلصوا منه بوسيلة أو باخرى فوشوا به الى السلطان زيدان ولفقوا ضده اتهامات مثيرة ، فبعث زيدان من قبض على القائد الزعرورى ، وولى على المدينتين مملوكا له يسمى عجيبا ، لكن الموريسكيين لم يلبثوا أن ثاروا على هذا المملوك وقتلوه ، قاطعين بذلك صلتهم ببلاط مراكش وأقاموا عنهم عاملا جعلوه مسؤولا أمام مجلس مختار لمدة محدودة يقع تجديده بطريقة الانتخاب . فتكونت بذلك الجمهورية الموريسكية الاولى بالرباط ، ثم فعل سكان القصبة ما فعله جيرانهم فكونوا جمهورية ثانية مماثلة وذلك حول عام 1040/1630 . وربطت الجمهوريتان فى بادىء الأمر علاقات طيبة مع المجاهد العياشى الذى كان نفوذه يمتد من سلا الى تطوان، واعترفتا بسلطته مع الاحتفاظ باستقلالهما الداخلى ، وساعدتاه فى حركاته الجهادية «بالرماة والبارود والانفاط» (17) ثم فسد الجو بين العياشى والموريسكيين حين امتنعوا عليه فيما كان يريده من توحيد وادماج ، وأبوا الا أن يظلوا متميزى الشخصية . وبحث الموريسكيون عن سند يعتمدون عليه ، وحليف يظاهرهم على خصمهم الرابض أمامهم وراء النهر ، فلم يجدوا غير الملك السعدى صاحب مراكش ، لكنه كان عاجزا عن أن ينجدهم بله أن يرجح كفتهم . فمدوا أيديهم الى الاسبانيين ـ حسب الروايات المستفيضة ـ ووطدوا الصلات مع حامية المعمورة وأمدوها بالطعام والذخيرة فى الوقت الذى كان العياشى وصحبه يرابطون حول هذا الحصن ويضيقون عليه الخناق حتى كاد يسقط فى أيديهم. وقد رأينا ما فعل العياشى بالموريسكيين من الحصار والقتل والتشريد اعتمادا على فتاوى العلماء الى أن تدخل الدلائيون لصالح مهاجرى الاندلس ، فكان فى ذلك نهاية المجاهد العياشى . وعلى اثر ذلك تكونت فى سلا جمهورية ثالثة على غرار الجمهوريتين القائمتين فى الرباط والقصبة . ولم يكن تكوين الجمهوريات على هذا النحو بدعا من النظم فى ذلك العصر خصوصا فى مراكز القرصنة

16) عبد القادر املاق ، **الخبر عن ظهور العياشى** ، ص 10

17) عبد العزيز الزياتى ، **الجواهر المختارة** ، ورقة 125/ب

الفتية . وقد أقر الدلائيون هذا الوضع فى الجمهوريات الصغرى الثلاث بعد أن أسندوا أمر النيابة عنهم فيها جميعا الى قائد سلا الامين سعيد الجنوى (18) وبذلك أصبح له الاشراف على قائد الرباط أبى الطيب بن عبد الرحمان عبدون (19) وقائد القصبة الحاج يوسف السنسياض (20) . ثم ترك سعيد الجنوى أمر قيادة سلا الى عامر بن محمد (21) ليتفرغ هو للاشراف على الشؤون العامة وتنفيذ سياسة الدلائيين فى العدوتين . وسارت الامور فى المدن الثلاث سيرا عاديا بضع سنوات ، غير ان الموريسكيين فى القصبة عاودهم الحنين الى الاستقلال التام ، ورغبوا فى الانفصال عن الدلائيين ، وجددوا صلاتهم بالملك السعدى صاحب مراكش فتصدى لقتالهم محمد الحاج الدلائى . وبعد أن أمر الرباطيين بأن يهاجموهم من البر ، أغرق فى مدخل النهر سفينة لتعزيز حصار القصبة من البحر . ولم تجد النجدات التى قدمها للمحاصرين (بالفتح) أتراك الجزائر وسلطان مراكش، واستسلم الموريسكيون فى النهاية ، فأخرجهم الرئيس محمد الحاج من القصبة ولم يترك فيها الا جنودا مغاربة .

د) أسطول الجهاد أو القرصنة السلاوية

لا أقصد بالقرصنة هنا ما يدل عليه أصلها الاعجمى « Course » من لصوصية بحرية ،-وانما أعنى بالقراصنة السلاويين أولئك المجاهدين الاندلسيين والمغاربة الذين خاضوا بسفنهم عباب البحر للدفاع عن حوزة الوطن ، أو للثار من الاسبانيين الذين ساموا المسلمين فى الاندلس سوء العذاب وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق ، واذا كان تاريخ البحرية فى مصب أبى رقراق يرجع الى القرن السادس (الثانى عشر الميلادى) أيام الملك الموحدى عبد المومن صاحب الاسطول الحربى الجبار ومؤسس دار الصناعة البحرية بضاحية مدينة سلا ، فان القرصنة لم تعرف فى المغرب الا على عهد المرينيين حينما استقر وكر قرصنى فى حلق المعمورة ،فعظم شأنه واستفحل أمره . وكان القائمون عليه اخلاطا من جميع الاعصار ، فيهم من المسيحيين

---

(18) الامين سعيد الجنوى قائد سلا وحاكم العدوتين من طرف الدلائيين . صار خليفة للامير عبد الله الدلائى عام 1061/1651 وظل أمين سره الى أن توفى بسلا فى أوائل ذى الحجة عام 1065/أكتوبر 1655

(19) أسرة عبدون اندلسية كانت فى الرباط ثم انقرضت

(20) السنسياض (بفتح السين الاولى ، وسكون النون والسين الثانية ، وضم الضاد) اسم اسبانى من جملة الاسماء التى احتفظ بها الموريسكيون المهاجرون الى المغرب وقد انقرضت هذه الاسرة الآن

(21) عامر بن محمد من أسرة حركات الشهيرة بسلا حتى اليوم

أكثر من المسلمين ، ثم صارت سلا خاصة المدينة القرصنية الرابعة ـ حسب دو كاستري ـ بعد طرابلس الغرب ، وتونس ، والجزائر» (22) . وقد كون المهاجرون الاندلسيون بالرباط والقصبة فى مستهل القرن السابع عشر أسطولا حربيا قويا أخذوا يغيرون به على مراكب الاعداء فى عرض البحر ، ويهجمون على السواحل الاسبانية ، كما فعل اخوانهم المقيمون فى تطوان . وتطورت هذه القوة البحرية فى عهد العياشى والدلائيين ، وظلت تثير الرعب فى نفوس البحارة المسيحيين طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، الامر الذى حدا الدول الاوربية على أن تخطب ود المغرب وتؤدى له الجزية لضمان سلامة سفنها التجارية التى تمخر عباب الاطلنطيق (23) . وازدهرت مع أسطول الجهاد من جديد صناعة السفن على ضفاف نهر أبى رقراق ، وزودت هولاندا . وهى أعظم دولة بحرية فى ذلك العصر ، هذه المصانع بما تحتاج اليه من المواد . وكان البحارة العاملون فى أسطول الجهاد مزيجا من الموريسكيين والسلاويين وغيرهم من المتحمسين للقتال فى سبيل الله ، أو الطامعين فى الكسب والاثراء . وقد سماهم الاوربيون قراصنة سلا « LES CORSAIRES DE SALE » واشتهروا بهذا اللقب فدعوناهم كذلك ، على أن القرصنة البحرية كانت عامة فى ذلك العصر يقبل عليها المسيحيون والمسلمون دون تستر أو استحياء ، وكأنها نوع من الحرب القائمة باستمرار بين الدول الغير المتهادنة أو المتحالفة. وقد غنم هؤلاء المجاهدون أو (القراصنة السلاويون) فى ظرف عامين فقط أربعين سفينة ، واستولوا فيما بين سنة 1618 وسنة 1626 على ستة آلاف أسير من الافرنج ، وخمسة عشر مليون ليبرة (24) وكان الاسترقاق شائعا آنذاك عند المسلمين والاوربيين على السواء ، فنفقت أسواق النخاسة فى العدوتين وملك المسلمون المسيحيين عبيدا واماء وامتلأت أيدى البحارة بأثمان الاسرى المماليك أو بالاموال التى يحصلون عليها مقابل اطلاق سراحهم وردهم الى ذويهم أو حكوماتهم .

م) عبد الله الدلائى أمير سلا

رأى السلطان محمد الحاج الدلائى بعد أن حملت اليه بيعات المدن والقرى عام 1061/1651 أن يغير سياسته تجاه منطقة الغرب التى تعد أهم ناحية فى مملكته ، والا يكتفى باستنابة أحد الاهالى مهما بلغ حزمه واخلاصه

(22) عبد العزيز بن عبد الله ، **البحرية المغربية والقرصنة** ، مجلة تطوان 1958 ـ 59 العددان 3 ـ 4 ص 68

(23) نفس المصدر ونفس الصفحة

(24) نقل ذلك عن دو كاستري محمد بوجندار فى **مقدمة الفتح** ، ص 54

فاسند أمر المدن الثلاث سلا والرباط ، والقصبة الى ابنه عبد الله الذى تلقبه المصادر الاوربية بأمير سلا أو سيد سلا « LE SEIGNEUR DE SALE » واستقر عبد الله الدلائى فى قصر الامارة بالقصبة ، وقرب اليه الامين سعيد الجنوى وجعله خليفته وأمين سره ، وأخذ يرجع فى مهام الامور الى أعيان العدوتين فلا يقطع أمرا دون مشورتهم . واتخذ القاضى الاديب عبد المالك التاجموعتى (25) كاتبا خاصا له . فكان يحبر الرسائل التى تصدر عن أمير سلا الى مدينة الدلاء وغيرها . بل وحتى المراسلات الموجهة باللغة العربية الى الاعاجم فى أوربا لم يخل بعضها من سجع وجناس ومحسنات بديعية أخرى . وكان ديوان الامير الدلائى يضم الى جانب التجموعتى كتابا آخرين من الموريسكيين يحررون الرسائل والمعاهدات باللغة الاسبانية . وكان مجلس الامير الدلائى فى سلا لايخلو من علماء وأدباء يذاكرهم ويدارسهم على نحو ما درج عليه فى الزاوية الدلائية ، كما كان يساجل اخوانه وأقرانه فى الدلاء وغيرها ، ويعقد المجالس العلمية فى المساجد بحيث لم تنقطع صلته بالعلم والادب بالرغم من أشغاله السياسية والحربية .

ولم تكن مهمة الامير عبد الله الدلائى تقتصر على النيابة عن والده فى تولى شئون مدن أبى رقراق ، وانما كان يقوم الى ذلك بوظيفة وزير الخارجية فى الحكومة الدلائية ، فيستقبل ممثلى الدول الاجنبية ويفاوضهم ويعقد معهم المعاهدات التجارية وغيرها ، ويراسل رؤساء الدول باسم والده ويتلقى خطاباتهم . كما كان كثيرا ما يتولى قيادة الجيوش فى تحركاتها بمختلف الاقاليم الخاضعة لنفوذ الدلائيين . فينوب عنه فى تصريف الامور عندما يتغيب عن سلا خليفته الامين سعيد الجنوى . وهكذا امتاز هذا الامير الدلائى بالعلم والادب والشجاعة والاقدام ، فكان رب السيف والقلم معا . الا انه كان مفرط الرزانة كثير التأنى والتريث ، يدرس الاشياء على مهل ، ويقلب وجوه النظر فى الامور قبل أن يبث فيها . وقد لايبدو له وجه الصواب فى المسألة فيتركها معلقة ، أو ترد عليه قضايا مستعجلة وهو يشتغل بأخرى ، فيؤجلها الى أن يتفرغ لها دون أن يعير جانب الاستعجال أى اهتمام . أما جوابه عن الرسائل فكان بطيئا متثاقلا سواء فى ذلك المراسلات الرسمية والاخوانية . وقد كتب له أبوه فى الايام الاولى من اضطلاعه بمهام الامور فى مدن سلا يستخبره عن الاحوال فلم يرد عليه بشىء . فكتب اليه مرة ثانية يستحثه الجواب ويؤنبه

(25) أبو مروان عبد المالك بن محمد التجموعتى قاضى سجلماسة . أديب شاعر ناثر . ألف كتابين فى الرد على الامام اليوسى . أولهما **ملاك الطب فى جواب أستاذ حلب** يعنى بأستاذ حلب أبا العباس الحلبى دفين فاس ، ولما انتقده اليوسى ألف فيه رسالة ثانية سماها **خلع الاطمار البوسية بدفع الاسطار اليوسية** . توفى عام 1118/1706 — 1707.

على هذا التاخير الذى يقلق بال الوالد ويجعله فريسة الهواجس والاوهام وكذلك فعل عبد الله مع بنى عمه تباطأ عنهم فلاموه وعاتبوه ، ورماه بعضهم بالترفع والتكبر . وكاد هذا التريث الغريب يجر على الامير عبد الله الدلائى شرورا كثيرة فى علاقاته مع ممثلى الدول الاجنبية ، فقد هم مرة قائد الاسطول الهولاندى أن يقنبر العدوتين بعد أن طال انتظاره فى عرض البحر أمام سلا دون أن يتلقى جواب الامير عبد الله عن الوثائق التى حملها اليه من حكومته ، وعد هذا الابطاء اهانة له واستخفافا بشأنه (26) .

وهناك جانب آخر من شخصية الامير عبد الله الدلائى لاينبغى اغفاله ، وهو غيرته الدينية وحميته الاسلامية . فقد كان يزن أعماله بميزان الشرع ولا يتساهل فى أى شىء مهما كان ضئيلا اذا خالف أصلا من أصول الدين . ويكفى للتدليل على ذلك معارضته للمعاهدة التى أبرمها قبيل مجيئه الى مدن سلا رؤساء هذه المدن مع الولايات العامة (هولاندا) لان الفصل الرابع منها نص على مجافاة طائفة من المسلمين وعدم التعامل معهم بالبيع والشراء ، وقطع العلاقات معهم نهائيا فى سبيل حلفاء غرباء لاتكاد مصالحهم تتبدل حتى ينقلبوا خصوما محاربين . وظلت المخابرات جارية بين سلا ولاهاى نحو 7 سنوات لتعديل هذه المعاهدة والرسل تتردد بين البلدين حاملة الاقتراحات المضادة فى الموضوع ، والعلاقات تتوتر حتى تؤذن أحيانا بشر مستطر . ومع ذلك لم تلن قناة الامير عبد الله الدلائى ولم يصادق على الاتفاقية مع هولاندا الا بعد حذف الفصل الرابع وادخال تعديلات أخرى لصالح المسلمين .

2 ـ علاقات الدلائيين باوربا

للمغرب علاقات قديمة مع أوربا يرجع تاريخ توطيدها الى أواخر القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) حينما تردد فى أوربا من أقصاها الى أقصاها صدى الانتصار الباهر الذى أحرز عليه المغرب ضد البرتغال فى معركة وادى المخازن عام 986/1578 . وأدركت الدول الاوربية اذ ذاك أهمية القوة الحربية التى تتوفر عليها هذه البلاد ، فسارعت الى ارسال السفراء والهدايا الى بلاط مراكش للتودد الى الملك السعدى أحمد المنصور الذهبى ، وللعمل على كسب صداقته والتحالف معه . وبعد موت المنصور وانقسام السعديين على أنفسهم بتكوين مملكتى فاس ومراكش ، وقيام الثوار فى كثير من الجهات ، رأت الدول الاوربية أن تساير الواقع للمحافظة على مصالحها وسلامة رعاياها

(26) بقى قائد الاسطول الهولاندى G. DE WILDT فى عرض البحر ينتظر جواب الامير عبد الله الدلائى من 27 يوليوز الى 5 غشت 1658 . انظر دو كاسترى ، **وثائق لم تنشر لتاريخ المغرب** ، سلسلة البلاد الواطئة ، 6 : 392 ـ 416

في المغرب ، فأخذت تفاوض ذوي السلطة والنفوذ في كل منطقة تهمها ، سواء كانوا من السعديين أو غيرهم . حتى اذا آل أمر وسط المغرب وشماله الى الدلائيين مد اليهم الاوربيون أيديهم وعقدوا معهم الصفقات التجارية، وأمضوا المعاهدات السلمية التي تقوم على التعاون والتحالف ، وبعثوا بقناصلهم الى سلا وتطوان .

وقد استفاد الدلائيون كثيرا من احتكاكهم بالاوربيين ، واستغنوا بالاعشار التي فرضوها على البضائع المصدرة الى أوربا والمستوردة منها . وازدهرت في أيامهم المبادلات التجارية ، فكان المغرب يصدر الى الخارج الجلود والصوف ، والشمع ، زيادة على القصدير الذي اكتشف منجمه بالقرب من سلا أيام المجاهد العياشي ، وأعطى امتياز استغلاله الى تجار فرنسيين. ويجلب المغرب في مقابل ذلك من أوربا التبغ والاقمشة وبعض المصنوعات الاخرى . وكان الدلائيون يتملصون من التعهد بالمحافظة على قيمة الضرائب المفروضة على البضائع في الموانيء ، واذا اضطروا الى قبول مثل هذا الشرط تحت الحاح المفاوضين الاجانب ، وأمضوه في الاتفاقيات والمعاهدات ، فانهم لا يلبثون أن يغتنموا أول فرصة سانحة للتحرر من هذا القيد والزيادة في التعريفات الجمركية . ومنذ أن عين الامير عبد الله الدلائي حاكما على مدن سلا (عام 1061/1651) أخذ يتاجر بطريق البحر مع أقطار شمال افريقية ، وبخاصة الجزائر ، ولم تنقطع السفن التجارية صادرة عن سلا أو واردة اليها ، وعلى ظهرها حمولات هامة من البضائع المختلفة التي تدر على الدلائيين أرباحا طائلة وكانت هذه الحركة التجارية ، ومسألة تامين السفن والتجار ، وتعويضهم عن الخسائر التي تصيبهم من أعمال القرصنة ، محور كثير من المفاوضات مع الاجانب وموضوع مراسلات ومعاهدات . على أن هناك ناحية أخرى أفاد منها الدلائيون في اتصالهم بأوربا، وكانت تهمهم أكثر من مسألة المداخيل الوفيرة ، وهي ناحية التزود بالاسلحة والذخيرة الحربية من بندقيات ومدافع ومسحوق البارود . وكانت البلاد الواطئة (هولاندا) في مقدمة الدول الاوربية التي تمد الدلائيين بهذه المواد الهامة ، زيادة على الادوات والقطع اللازمة لسير معامل صنع السفن وترميمها المنتشرة على ضفتي نهر أبي رقراق .

وشملت العلاقات بين الدلائيين والاوربيين فيما شملت الناحية الثقافية وان لم تلمسها الا لمسا خفيفا . فقد كان المستشرق (جاكوب كول JACOB GOOL ou GOLIUS ، أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن يستجلب المخطوطات العربية من المغرب ، لاسيما المتعلقة منها بالتاريخ ، ليترجمها الى اللغة اللاتينية . وكانت حكومة البلاد الواطئة تقتني هذه الكتب لحسابها الخاص

بواسطة قنصلها فى سلا (دافيد دو فريس) « DAVID de VRIES »
وسبق لهذا المستشرق فى المدة التى قضاها بالمغرب مع القنصل الهولاندى (البير رويل) « ALBERT RUYL » أن اقتنى كثيرا من المخطوطات العربية النادرة وحملها معه الى بلاده . وعندما زار السفراء السلاويون مدينة لاهاى (1659/1069) قدمت لهم الحكومة الهولاندية من جملة الهدايا كتبا عن جغرافية البلاد الواطئة ، وأرسلت بواسطتهم الى الامير عبد الله الدلائى كتابا ثمينا فى نفس الموضوع .

واذا كانت لبعض الدول الاوربية مطامع توسعية تهدف اليها من وراء تشجيع الثوار والخارجين على السلطة الشرعية فى المغرب ، فان مساعدة هولاندا للدلائيين كانت لامرين ، أولهما ضمان سلامة أسطولها التجارى فى المحيط الاطلنطيقى والبحر المتوسط ، والثانى الانتقام من اسبانيا عدوة الهولانديين والمغاربة على السواء . وقد ظلت مسألة اتصال الدلائيين بأوربا مجهولة عند المؤرخين المغاربة الى أن كشف عنها القناع الكونت دو كاسترى فى كتابه **مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب** « LE CONTE DE CASTRIES, *LES SOURCES INEDITES DE L'HISTOIRE DU MAROC* »
اعتمدت فى هذا الفصل على ما نشره دو كاسترى من وثائق وما كتبه من مقدمات وتعليقات مقتصرا على ذكر علاقات الدلائيين بثلاث دول أوربية بقدر ما يمكن من الاختصار ، وهى فرنسا وانجلترا والبلاد الواطئة (هولاندا)

أ) الدلائيون وفرنسا

كانت العلاقات متوترة بين المغرب وفرنسا فى مطلع القرن السابع عشر بسبب أعمال القرصنة البحرية وما ترتب عنها من تدهور فى تجارة الفرنسيين بالمغرب وأسر عدد عديد منهم فى البحر بيعوا عبيدا فى سلا . فرأت الحكومة الفرنسية أن تعين (30 نونبر 1629) أحد تجار مرسيليا يسمى أندرى برا ANDRE PRAT قنصلا فى مدينتى سلا وتطوان ليهتم بمشاكل الفرنسيين بالمغرب ويعمل على افتداء الاسرى . غير أن هذا القنصل لم يلتحق بمقر عمله بسبب خلاف نشب بينه وبين حكومته فى قضية التعيين وظل بمرسيليا يتمتع بالحقوق القنصلية ويستخلص الاعشار المفروضة على السفن الصادرة عن ذلك الميناء (27) . وبعد نحو ست سنوات رأى أندرى برا أن يرسل كاسبار دورستان « GASPARD DE RASTIN » لينوب عنه فى مهمته القنصلية بسلا . وفعلا قام دورستان بالامر ، واستطاع أن يحصل خلال عام 1049/1649

(27) كانت وظيفة قنصل فى ذلك العصر تعتبر حقا مكتسبا لصاحبه يتصرف فيه كيف يشاء ، فله أن يباشر العمل بنفسه أو أن ينيب عنه من يراه أهلا للقيام بالمهمة

على اتفاق مع المجاهد العياشي لحماية الفرنسيين من القراصنة السلاويين ، واعطائهم حق الامتياز لاستغلال معدن القصدير الذى اكتشف بالقرب من مدينة سلا . الا أن مشكلة المشاكل بين البلدين فى ذلك التاريخ هى قضية الاسرى التى سبق لفرنسا أن اتفقت مع المجاهدين السلاويين على تحريرهم فى أجل محدد مقابل فداء خاص . لكن لم تف فرنسا بتعهداتها فاضطربت الاحوال وتوقفت التجارة نهائيا بسبب أعمال العنف المرتكبة من الجانبين ورأى القنصل أندرى برا حينئذ أنه أصبح من الضرورى أن يذهب بنفسه الى المغرب ليذلل الصعوبات القائمة ، واصطحب معه ابنه هنرى « HENRI » وقد عرف القنصل كيف يستميل اليه السلطان محمد الحاج الدلائى بما كان يقدم اليه من هدايا ، ونجح فى اقناعه بأن من مصلحة السلاويين أن يضربوا صفحا عما لهم من التزامات قديمة مع فرنسا ، ليربطوا معها علاقات تجارية جديدة . وبعد مفاوضات طويلة مع رؤساء مدن أبى رقراق العاملين باسم السلطان محمد الحاج الدلائى عقد معهم أندرى برا اتفاقية لتوطيد العلاقات التجارية بين فرنسا والمغرب ، ثم أمضى معهم فى السنة التالية اتفاقية ثانية فى نفس الموضوع . وبالرغم من كون القنصل برا عقد هاتين الاتفاقيتين بصفة شخصية دون تفويض رسمى من حكومته فانهما استطاعتا على الاقل أن تعملا على تحسين العلاقات بين البلدين ولو الى حين . وأخيرا رجع أندرى برا الى بلاده متنازلا لولده هنرى عن مهمة القنصلية فى المغرب ، وأقرت الحكومة الفرنسية ذلك وأصدرت مرسوما مؤرخا فى 20 أكتوبر 1648 تعين بمقتضاه هنرى برا « HENRI PRAT » قنصلا فى سلا وتطوان . غير أن هذا القنصل الشاب كان يتسم بالفتور واللامبالاة ، فلم يعمل على تحسين العلاقات بين بلاده والمغرب ، وجرت فى أيامه أحداث عنف متعددة كان من بينها استيلاء القراصنة السلاويين على سفينة فرنسية قادمة من الارض الجديدة « TERRE NEUVE » (28) وعلى ظهرها أربعون من النصارى ، بيعوا جميعا فى سلا بطريق المزاد العلنى ، وأضيفوا الى العدد الوافر من العبيد الفرنسيين الموجودين بهذه المدينة .

وبقى هنرى برا يتولى منصب قنصل فرنسا فى سلا وتطوان الى ما بعد نهاية امارة الدلائيين ، وسلك نفس الخطة التى سار عليها أبوه من قبل ، فرجع الى فرنسا وجعل يرسل نوابا عنه يقومون بأعمال القنصلية ، منهم

---

(28) الارض الجديدة أو TERRE NEUVE هى جزيرة كبرى فى اميركا ، تبلغ مساحتها 110677 كلم وسكانها 361400 . بقيت الارض الجديدة الى سنة 1949 مستعمرة انجليزية، ثم أصبحت من هذا التاريخ مستقلة تكون الولاية العاشرة من ولايات كندا

أنطوان جوليان بارازول« ANTOINE JULIEN PARASOL »وفرانسوا جوليان « FRANÇOIS JULIEN » وهكذا ظل مشكل العلاقات المغربية الفرنسية قائما لم تستطع الحلول الجزئية والموقتة التي أشرنا الى بعضها أن تعمل على حسمه. وسيكون هذا المشكل موضوع مفاوضات وسفارات بين الملكين مولاى اسماعيل ولويس الرابع عشر .

ب) الدلائيـون وانجلتـرا

تمتنت العلاقات بين المغرب وانجلترا أيام الملك أحمد المنصور الذهبي والملكة اليزابيت (29) وشهد مستهل القرن السابـع عشر تعاونا مثمرا بيـن البلدين خصوصا فى الميدان التجارى . ولما قام العياشى بحركة الجهاد ضد الاسبان والبرتغال حاول أن يستعين بالانجليز لطرد المحتلين من شواطـىء المغرب ، ولكن الانجليز كانوا يطمعون فى احتلال مدينتى سبتة وطنجة ويميلون الى الموريسكيين المقيمين فى تطوان والرباط أكثر مما يميلون الـى المجاهـد العياشى . لاعتقادهم أن هؤلاء الموريسكيين الغرباء المطرودين من شبه جزيرة ايبيريا يمكن أن يساعدوهم فى احتلال سبتة وطنجة لمجرد الانتقام من أعدائهم الاسبانيين والبرتغاليين ، بعكس الحال مع المجاهد العياشى الذى كان يعمل لاسترجاع الثغور المحتلة الى حظيرة الوطن . هذا الى ما كان يشاع من تفتح قلوب الموريسكيين للمذهب البروتستانتى. وقد جاء فى تقرير للسفير الانجليزى هاريسون : «.. كثير منهم قد اعترفوا لى بأنهم فى داخليتهم مسيحيو القلوب ، وهم يتظلمون بمرارة من تلك الطردة القاسية . ويعرضون خدماتهم باســم جميعهم اذا كانت هناك أى حالة حرب ضد اسبانيا ، مشتاقين بحرقة الى أن يصبحوا تحت حكم مسيحى مرة أخرى ..» (30)

وفى منتصف القرن لسابع عشر كانت انجلترا فقدت مكانتها القديمـة فى المغرب كدولة صديقة بعد أن ظهرت أطماعها الاستعمارية فى تصرفاتهـا المتوية المتناقضة ، وأغضبت كلا من حلفائها التقليديين الملـوك السعديـين بمراكش ، والدلائيين أصحاب النفوذ فى الثغور الواقعة شمال أم الربيـع يتجلى ذلك فى حادثة السفينة الانجليزية التى كانت متجهة الى جزر كانـارى والقت بها العواصف بالقرب من آسفى . فقد اعتقل محمد الشيـخ الاصغر السعدى ركاب هذه السفينة الانجليز ، وعددهم 27 رجلا انتقاما من حكومتهم

---

(29) انظر فى موضوع العلاقات بين المنصور الذهبى وايليزابيت . عبد العزيـز الفشتالـى ، **مناهل الصفا** . مخطوط الخزانة العامة بالرباط ص 247 وما بعدها

(30) من تقرير للسفير هاريسون الانجليزى فى 8 أكتوبر 1630 ، المترجم فى **تاريـخ تطـوان** القسم الثانى من المجلد الاول ، ص 226

التى كانت تسمح لرعاياها التجار ببيع الاسلحة الى الثوار فى مرسى أكادير. كما أغار القراصنة السلويون خلال هذه الفترة على كثير من السفن الانجليزية واحرقوا احداها عندما كانت راجعة من اسبانيا (ديسمبر 1651) وأسروا عددا وافرا من البحارة الانجليز باعوهم عبيدا فى مدينتهم.

وكان من نتائج متابعة حرب القرصنة وعدم وجود معاهدة أنجليزية لا مع لسعديين ولا مع الدلائيين قطع الصلات بين التجار الانجليز والموانىء المغربية. وأخذت أنجلترا تحاول افتداء أسراها فى المغرب، وتفرض ضرائب جديدة على الصادرات والواردات لهذا الغرض. وقد كلف مجلس الدولة البريطانى بأمر مؤرخ فى 15 ماى 1653 أحد أعضائه (روبير بلاكبورن) « R. BLACKBORNE » أن يعقد اتفاقا مع التاجر (روبير داون)« R. DOWNE » لشراء الاسرى الانجليز من سلا وقام هذا التاجر بالمهمة التى أنيطت به، وكتب من مدينة سلا الى (بلاكبورن) بعد نحو أربعة أشهر يخبره بأنه تمكن من شراء 22 أسيرا أنجليزيا، وبقى تسعة آخرون، منهم سبعة فى ملك الامير عبد الله الدلائى الذى رفض فداءهم بأى ثمن. ولما استعادت انجلترا قوتها الحربية فى البحر، عملت على أن تفرض احترامها على البحارة المسلمين فى شمال افريقية، وقدحطم أميرالبحر الانجليزى (بلاك) « L'AMIRAL BLAKC » خلال سنة 1655 الاسطول التونسى، وأمضى لصالحه معاهدة مع الجزائر، وكان ينوى أن يفرغ بذلك لقراصنة سلا لولا انه اضطر الى العودة الى أنجلترا حينما أعلنت الحرب على اسبانيا فى شهر فبراير 1656. ثم رجع (بلاك) بعد بضعة أشهر الى سلا على رأس أكثر قطع أسطوله، ومعه مساعده (ادوارد مونطاكى) « EDWARD MONTAGU » (31) وطلب (بلاك) بمجرد وصوله الى المرفا من الامير عبد الله الدلائى أن يعين له مفوضين يتخابرون معه فى تهيىء اتفاقية وفى انتظار حضور هؤلاء المفوضين وصلت سفينتان سلويتان، وقبل دخولهما الى المرفا ارتطمتا بالصخور للنجاة من السفن الانجليزية.

وبالرغم من استعداد المفاوضين السلاويين لعقد الاتفاقية، فانهم أبوا أن يطلقوا سراح الاسرى الانجليز دون مقابل. وقد قبل الاميرال (بلاك) أن يعوض مالكى العبيد الانجليز بهدايا من البضائع، دون أن يؤدى لهم الفداء الذى يرى فيه اهانة لبلاده، وبعد نصف شهر من الاتصالات قطعت المفاوضات بسبب رفض الامير عبد الله الدلائى أن يسلم طفلين انجليزين ولدا فى سلا

(31) (ادوارد مونطاكى) (1625 ـ 1672) عينه (كرومويل) مساعدا لامير البحر (بلاك) فى قيادة قسم الاسطول الموجه ضد اسبانيا سنة 1656، بالرغم عن كونه لم يكن قد عمل قط فى البحرية

ورجع الاسطول الانجليزى من حيث أتى تاركا ثلاث قطع حربية لمتابعة حصار العدوتين.

وشهدت السنة التالية 1657 تطورا مرضيا للعلاقات المغربية الانجليزية بسبب السياسة الجديدة التى أخذ ينهجها (كرومويل) فى البحر الابيض المتوسط، فسمى (نثانيل لوك) « NATHANIEL LUKE » قنصلا فى الثغور المغربية يقيم فى تطوان. وهو تاجر انجليزى قضى شطرا مهما من حياته فى الاتجار بهذه المدينة. وأطلق السلاويون سراح الاسرى الانجليز، ثم عقد اللورد الحامى (كرومويل) معاهدة سلم وصداقة مع السلطان محمد الحاج فى 19 غشت 1657، تتخلص كما يلى:

1) يلتزم الطرفان المتعاقدان بتناسى المظالم القديمة، والعيش فى السلم استقبالا. ويمكن لرعاياهما أن يختلفوا الى موانىء القطرين، دون أن يؤدوا من الاعشار الا ما يلزم للسلعة المبيعة فى تلك الموانىء.

2) يسمح للرعايا الانجليز بمزاولة طقوسهم الدينية فى البلاد الخاضعة لنفوذ شيخ الدلاء.

3) يحظر أسر سفن الجانبين.

4) اذا غرقت سفينة يبقى الناجون ممن كانوا على ظهرها أحرارا، وتسلم الامتعة التى يمكن انقاذها الى أصحابها.

5) لايمكن فى المستقبل أن يكون رعايا الدولتين أسرى عند أحد الجانبين وستعطى الحرية للانجليز المقيمين فى تطوان أو غيرها من البلاد التابعة لشيخ الدلاء ليغادروا هذه المنطقة مع ذويهم متى شاؤوا.

6) يعاقب على كل قذف أو اهانة تلحق رعايا الطرفين.

7) يمكن للسفن الحربية لكلتا الدولتين أن تأخذ المؤنة والزاد من مرافىء البلدين.

8) لايمكن لاية حادثة أن تتسبب فى نقض السلم. اللهم الا فى حالة رفض اجراء العدالة. ويمكن للطرفين باتفاق منهما أن يغيرا أو يتمما هذه الفصول.

وقد وقع هذه المعاهدة من الجانب المغربى زيادة على السلطان محمد الحاج الدلائى، الغزوان (كذا) بن بوبكر، وعبد الكريم النقسيس حاكم تطوان، وأحد العدول. (32) وبذلك ساد السلم من جديد وتوطدت عرى الصداقة بين الدلائيين والانجليز.

(32) الكونط دو كاسترى. **مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب**. سلسلة الوثائق الانجليزية. ج 3. ص 588

ج) الدلائيون والبلاد الواطئة (هولاندا)

كانت البلاد الواطئة « PAYS-BAS » تشتمل على هولاندا ، وبلجيكا ، ولوكسمبورغ الحالية ، مع جزء من شمال فرنسا . وتخلصت البلاد الواطئة من الاستعمار الاسباني والمذهب الكاثوليكي سنة 1559 فكونت حكومة فيديرالية متركبة من سبع دويلات ، تحتفظ كل منها باستقلالها الداخلي ، تحت اسم : جمهورية الاقاليم السبعة المتحدة REPUBLIQUE DES SEPT PROVINCES UNIES وتكون من ممثلي الاقاليم مجلس يحمل اسم (الولايات العامة) LES ETATS GENERAUX فكان المؤسسة الوحيدة القائمة بالمهام السياسية للحكومة الفيديرالية ولم يمض وقت طويل حتى صار أسطول البلاد الواطئة سيد البحار ، وكانت السفن الهولاندية (33) – كسفن سائر الدول المعادية لاسبانيا – لاتستطيع أن تعبر مضيق جبل طارق دون أن تتعرض لخطر مزدوج ، فهي ان اقتربت من الساحل المغربي أسرت ، وان جنحت الى الساحل الآخر حطمها الاسبان واخذوا بحارتها للتجديف في سفنهم الكبيرة .

وتعتبر جمهورية الاقاليم المتحدة من الدول الاوربية السباقة الى التحالف مع المغرب أيام أحمد المنصور الذهبي . وكانت هناك عوامل متعددة ساعدت على التقارب بين المغرب وهذه الاقاليم ، منها حقدهما المشترك على اسبانيا ، واقامة جالية من اليهود المطرودين من الاندلس في البلاد الواطئة نظرا لما اشتهرت به من التسامح الديني . فكون أفراد هذه الجالية اليهودية الثرية علاقات تجارية مع اخوانهم المقيمين في المغرب والجزائر ، وربطوا معهم صلات متينة فكانت السفن لذلك تتردد بين الموانىء المغربية والهولاندية بدون انقطاع . واحتفظت البلاد الواطئة بصداقتها بعد موت المنصور مع ابنه زيدان . لكن لما استبد أبو حسون بسوس والجنوب المغربي ، واستقل العياشي ببلاد الغرب ومدن أبي رقراق ، وجدت البلاد الواطئة نفسها مضطرة للتفاهم مع هذين الحاكمين للمحافظة على مصالحها في هذه الاقاليم . ونظرا لقيام جمهوريات صغيرة في مدن سلا والرباط والقصبة (1040 – 1071/1630 – 1660) تحت نظر العياشي ثم الدلائيين ، كانت الولايات العامة تراسل رؤساء هذه المدن وتتفاوض معهم بصفتهم المباشرين للسلطة في هذه الثغور ، وسمت خلال عام 1053/1643 هندرك دوبير « HENDRICK DOPPER » (34) قنصلا ممتازا للبلاد الواطئة

---

(33) يعبر احيانا عن الاقاليم السبعة باسم أهم اقليم فيها وهو هولاندا

(34) هندرك دوبير بورجوازي من سكان امستردام، بقي يشغل منصب قنصل البلاد الواطئة في المغرب الى أن توفي سنة 1651

فى المغرب ، فكان يتردد بين مراكش وسلا ، ويتصل بالملك السعدى ورؤساء العدوتين على السواء .

ولما استحكم أمر الدلائيين وقوى نفوذهم فى الاقاليم التابعة لهم ، لم يعد رؤساء مدن سلا يبيحون لانفسهم الاتصال المباشر مع رؤساء الدول الاجنبية . وقد رد سعيد الجنوى النائب العام عن الدلائيين فى هذه المدن ردا سلبيا على رسالة وجهتها الولايات العامة - كالعادة - الى حكام سلا ، فى موضوع الصلح والمهادنة ، وأشعر حكومة البلاد الواطئة بضرورة مخاطبة السلطان محمد الحاج الدلائى الذى يرجع اليه وحده أمر الحرب والسلم . ومما جاء فى الرسالة : «.. والصلح نعم السبيل لمن سلكها ، والطريق لمن اقتفى سنتها ، وثبوت الصلح على هذه المثابة ، من الامور التى فيها الغرابة ، قل أن يتم فيها المرام(35) أو ينتهى بيننا وبينكم الكلام . كيف وقد تركتم فى الخطاب من تولى أمرنا ، ومن طاعته أوكد الفروض علينا ، مولانا عز الاسلام وجابره ، ومغيثه حيث عز ناصره ، الامام الذى تضاءلت الاغوار والانجاد لصوته ، واستكانت الآفاق لهيبته ووطئته ، واستنار الاسلام بظهوره ، وخمدت نيران الكفر بأضواء نوره ، المقدام الذى حمل على كاهله راية المسلمين ، وساد الاولياء والعلماء والمجاهدين ، صاحب الامر المطاع أبى عبد الله سيدى محمد بن محمد بن أبى بكر نوره الله ، ورزق كلا من المسلمين رضاه ، ولا غرو ان كان الصلح مطلوبكم فاتوه من أبوابه ، وتوصلوا اليه بأسبابه ، واعرفوا لكل ذى فضل فضله ، وخاطبوا كل رئيس بما يناسب قدره ..» (36) وقد أجابت الولايات العامة عن هذه الرسالة بكتاب تستبشر فيه بالاستعدادات الطيبة التى عبر عنها حكام مدن سلا ، وتعتذر عن عدم الكتابة من قبل الى السلطان محمد الحاج . وأرسلت فى نفس الوقت رسالة أخرى الى أمير الدلاء، حملها اليه القنصل الهولاندى فى المغرب (هندريك دوبير) HENDRICK DOPPER وفيها تقدم الولايات العامة الى محمد الحاج لاول مرة هذا القنصل الذى ندبته ليؤكد للامير ما تكنه له من ود وتقدير ، وترجوه أن يطلق سراح الاسرى الهولانديين فى سلا ، ويضمن الحرية والامن لرعاياها من التجار ، وان يتفضل باستقبال القنصل الهولاندى كلما رغب فى المثول بين يديه .

وظلت العلاقات عادية بين الدلائيين والهولانديين باستثناء بعض الاحداث العابرة الناتجة عن أعمال القرصنة البحرية . وكانت المحادثات

---

35) وقع تحريف فى عبارة «قل ان يتم فيه المرام» فى كتاب دو كاستري باستبدال نون «ان» راء فصارت عنده «قل اريتم ..»

36) انظر صورة هذه الرسالة . وبطرتها توقيعات رؤساء سلا والرباط والقصبة فى اللوحة رقم 13

اللوحة رقم 13

...لة من حكام سلا الى دول الاقاليم المتحدة (هولاندا) بتاريخ 18 رجب 1053
... اكتوبر 1643) يطالبون منها ان توجه الخطابات الى اميرهم عبد الله الدلائي

عن مصادر دو كاستري

مستمرة بين الفريقين لعقد معاهدة سلم وصداقة . وفى أوائل عام 1061/1651 قبيل مجئ الامير عبد الله الدلائى الى سلا أرسلت الولايات العامة مفوضين عنها برئاسة الضابط البحرى (جيديون دويلدت) « GEDEON DU WILDT » على رأس أسطول ، وندب حكام مدن سلا من طرفهم الحاج ابراهيم معنين والحاج محمد فنيش ليفاوضا باسمهم وأعطوهما حق التصرف المطلق فى التعاقد مع ضباط أسطول البلاد الواطئة . وبعد محادثات طويلة وقع الطرفان فى 17 صفر 1061/9 فبراير 1651 معاهدة تشتمل على تسعة فصول . مجملها : ان يطلق سراح الاسرى الهولانديين مقابل أداء ثمن الشراء لمالكيهم فى ظرف ثلاثة أشهر ، والا تتسلح أية سفينة سلاوية للقرصنة فى البحر ما لم تقدم ضامنا يتكفل بتعويض الخسائر التى تلحقها برعايا البلاد الواطئة ، وانه سيخلى سبيل الهولانديين الذين قد يوجدون على ظهر سفن محايدة ، والا يسمح لقراصنة الجزائر وتونس وطرابلس أن يبيعوا فى سلا ما يستولون عليه من أسرى الهولانديين وبضائعهم ، والا يزاد فى واجبات الجمرك الحالية ، وان يحمى السلاويون التجار من رعايا البلاد الواطئة ، والا يسمحوا للاتراك وغيرهم بحمل رسائل امتياز فى سلا ، وفى مقابل ذلك لن يعترض الاسطول الهولاندى طريق السفن السلاوية كما ان السلاويين لن يأسروا الاجانب الراكبين على ظهر السفن الهولاندية .

وفى أواخر هذه السنة (1061/1651) عين الامير عبد الله الدلائى حاكما على مدن سلا . ولما اطلع على نص المعاهدة السابقة لم تعجبه فى مجملها ، وانكر منها بالخصوص الفصل الرابع الذى يحرم على المغاربة أن يتعاملوا بالبيع والشراء مع اخوانهم الجزائريين والتونسيين والطرابلسيين ، ارضاء ومؤازرة لحلفاء مسيحيين ، ورفض امضاء هذه المعاهدة . وفى ذلك التاريخ أرسلت الولايات العامة قنصلا جديدا الى سلا هو (دافيد دوفرييس) DAVID DE VRIES (37) الذى استقبل استقبالا حسنا من طرف قائدى سلا والرباط أولا ، ثم حظى بمقابلة الامير عبد الله الدلائى فى القصبة . وكتب الامير سعيد الجنوى على اثر ذلك الى الولايات العامة يخبرها بوصول قنصلها الجديد ، ومصادقة الامير عبد الله الدلائى على معاهدة 9 فبراير 1651 باستثناء الفصل الرابع منها لمخالفته تعاليم الديانة الاسلامية .

وأرسل الامير عبد الله الدلائى بدوره كتابا الى الولايات العامة ردا على الرسالة التى وافته منها جاء فيه : «.. أما بعد حمدا لله الذى لااله الا هو فانه

(37) سبق لدافيد دو فرييس أن شغل منصب قنصل الولايات العامة فى بلاد اخرى قبل ان يعين قنصلا فى سلا سنة 1651 . وظل يباشر عمله فى هذه المدينة الى توفى سنة 1662

ورد علينا كتابكم الوسيم ، وقفنا على شروط الوسم وفصوله (38) وتأملنا منتخب مسائله وأصوله . فليكن فى علمكم انا قبلنا ما فيه واستحسناه ، وسطرنا حقيقة مقتضاه وأثبتناه ، وأعملنا بشرطه وما فى قبضه وبسطه ، وابرمنا عقده ، وأنجزنا وعده وعهده ، وأعلمنا بذلك لاهل بلدنا ، ولاصحاب السفن من قرصاننا ، وقبلنا أموره الخاصة والعامة قبولا تاما ، لكن عندنا ما نذكر فى بعض الشروط ، وسياتيكم مسطرا مع آخر صحبة هذا المكتوب (39) واما خديمكم القنص (كذا) دابيد دبريبيس فانا قد أنزلناه منزلة العز والكرامة ، وفرحنا بقدومه ، اذ لنا معرفة سالفة معه وخلطة قديمة ..» (40)

وبعث الامير عبد الله الدلائى صحبة الكتاب المتقدم اقتراحات مضادة لتعديل معاهدة 9 فبراير 1651 (41) وتشتمل على أربعة فصول يختص أولهما بنقض الشرط الرابع من المعاهدة وابطاله ، وتتعلق الثلاثة الاخرى بتحفظات فى بعض الحالات الاستثنائية التى ينتقض فيها العهد وتصبح سفن الهولانديين وبحارتهم وبضائعهم غنيمة للمسلمين . ولما لم يتلق الامير عبد الله جواب الولايات العامة عن اقتراحاته بعد نحو ثلاثة أشهر رأى أن يتخذ اجراء يفهم منه عدم تقيده بالمعاهدة ما دامت على حالها لم تغير ، فزاد فى الضريبة المفروضة على الصادرات والواردات ، ولم تجد نفعا احتجاجات قناصل الدول المقيمين فى سلا ، وفى مقدمتهم (دو فريبيس) الذ كتب الى الولايات العامة يخبرها بالضرائب الجديدة والمحاولات التى قام بها فى هذا الصدد ، مقترحا فى الاخير على حكومته أن تكتب الى الامير عبد الله والى أبيه السلطان محمد الحاج «الذى لايرغب فى ازعاج التجار ولا فى القضاء على التجارة ، ولن يلبث أن يبطل هذه الضرائب الجديدة» (42) ثم حدث حادث قرصنى جديد زاد فى توتر العلاقات بين سلا والبلاد الواطئة . ذلك ان الاسطول الهولاندى بقيادة الضابط (كورنللى طرومب CONTRE AMIRAL CORNELIS TROMP (43) استولى على سفينة تجارية سلوية كانت قادمة من الجزائر بشحنة مهمة فى ملك أمير

---

38) يشير الى معاهدة 9 فبراير 1651

39) الاشارة الى الاقتراحات المضادة التى بعث بها الامير الدلائى الى الهولانديين

40) De Castries, *Les Sources Inédites*, Pays-Bas, T.V. P. 296.

41) انظر صورة هذه الاقتراحات المضادة فى اللوحة رقم 14

42) De Castries, *Les Sources Inédites*, Pays-Bas, T.V. P. 316.

43) كانت هناك فرقتان من الاسطول الهولاندى تعملان بالقرب من شواطىء المغرب . أولاهما بقيادة الضابط (ديرويتر) DE RUYTER تخفر السفن التجارية الهولاندية المتجهة نحو البحر الابيض المتوسط والثانية بقيادة الضابط (كورنلى طرومب) CORNELIS TROMP وهى مكلفة بحماية السفن التجارية الهولاندية المتجهة نحو موانىء المحيط الاطلنطيقى

بسم الله الرحمن الرحيم سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه

مضمن أمور يسأل الإعلام بها للأمجاد الرؤساء
الأشياخ الكبير أصحاب السلام في المملكة المنيفة

أما الأول فهو أنه تم في المراكب أن يبيع في رسم الوسقة الممنوع كبعض متاع الشروط
ولا بد أن يمنع أن نصارى المسلمين من بلاد الفلمنكية أن جانبها قوارب تونس والجزاير
وغيرهم من عند أنكم مسلمين ثم بإعطيهم مقتم وأن لهم من يديهم وتسبيحهم أخر رقابة
إيعمل أنه ولا يعمله أصله ولا كتب أسماء من يتعرض في بلادنا فعله وإن أراد
الموضع ثم منه هم فلينه ويبنيه. وأما السلع دائما بهم من تأمنيهم ولا يمنعهم
من بيعها في بلاد علاق الأمصار والكلام إنما هو مما الذي فيكون منه
مما سلف. ويعلموا أنهم في [illegible] مورد عليهم من ساير المسلمين يلد منه

والثاني أن لا تكن سفينة والنها صاحبها لا يعلم وغيرهم من
النصارى من أعهد لهم معنا وطرف عنهم بأيديه للإسلام فكل من معه من
سلع وغيرها يكون غنيمة لنا وأصحابه بحضوره في الشعبة وسرسمو
ولا يضيع منهم مطلع منهم بسواد

والثالث أن جمعت سفينة بمعوض الأشياء وتعالف عن النصح بدأتها
من البلاد الفلمنكية جعا اسمهم ثم دارت ناحية الإسلام فإنها تكون غنيمة لأنها
ذلك ونقضت العهد

والرابع أن يمنعوا من النصح بها من البلاد الفلمنكية بعد أن يجعله للمسلم
مسهم حتى وقع القتال فلا عهد لهم على الرجال ولا على الأمتعة
وينظر من الشروط المعمول بها معلم ومن كره أن أطمع أهل الجزاير وغيرهم

اقتراحات مضادة لعبد الله الدلائي تتعلق بالمعاهدة المبرمة
بين البلاد المنخفضة والسلويين . ملاحظ توقيعه على الهامش

عن مصادر دو كاستري

المدينة وحاكمها وغيرهما من الاعيان . وتسمى الوثائق الهولاندية هذه السفينة DE HASEWINDT OU WINDTHONDT والاسمان معا يدلان على السلوقي .
وكانت ملاقاة الاسطول الهولاندى لهذه السفينة قبيل غروب الشمس ، فاعترض طريقها بشكل جعلها لاتجاوز حدود المعمورة ، وفى الصباح بدأ (طرومب) يوجه اليها طلقات مدافعه الى أن استولى عليها واقتادها الى ميناء قادس . وقد أحدث خبر هذه القرصنة التى وقعت على بضعة أميال من سلا اثرا سيئا فى نفوس سكان المدينة ، وفرضت حراسة قوية على منزل القنصل (دوفرييس) حتى لايلتجىء الى المعمورة أو يفر فى البحر . ووقع حجز السفينة الهولاندية (ديتيجر) DE TYGER مع بحارتها بأمر من الامير عبد الله الدلائى وكتب القنصل الى حكومته (20 يوليوز 1654) يخبرها بهياج السلاويين وغضبهم لأمر سفينتهم التجارية ، وبالحالة الخطيرة التى أصبح يعيش فيها هو ومواطنوه الهولانديون .

وحضر قائد الاسطول (طرومب) الى مرفأ سلا استجابة لدعوة القنصل وأرسل الى الامير عبد الله خطابا يبرر فيه الاستيلاء على السفينة التجارية السلوية ويدعوه – ان لم يقتنع – أن يوجه احتجاجا الى الولايات العامة فى (لاهاى) فأجاب الامير عبد الله انه اذا كان طرومب لم يستول على السفينة السلوية بأمر من حكومته ، فلا حاجة له فى اذنها ليرد المركب الى صاحبه . لكن (طرومب) لم ينتظر هذا الجواب ورجع من حيث أتى . فأمر عبد الله الدلائى بأن يسجن الضباط والتجار الهولانديون الموجودون بسلا فى مطمورة. وجاءت الاخبار بعد ذلك الى سلا بأن (طرومب) قد باع السفينة السلوية وكل ما كانت تحتوى عليه من البضائع فى ميناء قادس . فاشتد الحنق على الهولانديين ، وكتب القنصل (دوفرييس) الى القيادة العليا للاسطول فى أمستردام L'AMIRAUTE D'AMSTERDAM (44) يطلعها على الحالة ، ويرجو فيما اذا كان الاستيلاء على السفينة السلوية بطريقة غير مشروعة ، ان تقدم الولايات العامة تعويضا مناسبا للسلاويين . وفعلا توصل القنصل من حكومته برسالة وقرار فى الموضوع باسم حاكم سلا . فغير الحاكم العنوان ، وقرأ الرسالة على عبد الله الدلائى كما لو كانت موجهة اليه . فرضى الامير بالوعود التى وردت فيها وأفرج عن الهولانديين المعتقلين .

ولم تكن مسألة السفينة المأسورة بالقرب من المعمورة هى الحادثة القرصنية الوحيدة التى شهدتها سنة 1654 ، بل جرت فيها حوادث أخر مماثلة،

(44) أمستردام AMSTERDAM هى العاصمة الحالية لهولاندا . كانت مقر القيادة العليا لاسطول الاقاليم المتحدة . بينما كانت (لاهاى) مقر الولايات العامة

فقد أسر الضابط الزيلاندى (فيليب راس) « PHILIP RAS » مركب ابراهيم الرايس السلاوى ، وعلى ظهره 44 من المغاربة ، و 3 من أسرى النصارى ، فأحرق المركب واحتفظ بابراهيم الرايس ، وعزم على بيع البحارة لولا أن تعرض القنصل الهولاندى فى قادس ضد هذا البيع حتى تثبت شرعية أسر السفينة . واستولى الضابط الهولاندى (طونيس بوسط) « LE CAPITAINE THENNIS POST » على سفينة سلوية كبيرة من نوع (كرافيل) CARAVELLE (45) ذات خمس سوار ، وخمسة مدافع كبيرة ، ومدفعين صغيرين ، بقيادة الرئيس الحاج فاضل . وكان على ظهرها مائة من المغاربة ، وثمانية من أسرى النصارى . واقتيدت هذه السفينة الى ميناء قادس ، وبعد التأكد من وجود الجواز القانونى من طرف حاكم سلا وقنصل الولايات العامة بهذه المدينة ، وقع تحرير الاسرى المسيحيين ، وخلى سبيل السفينة وركابها المسلمين .

هذا النشاط الهولاندى الغير المعتاد فى أعمال القرصنة ضد سفن سلا ، كان يستهدف ولاشك الضغط على الامير عبد الله الدلائى ، واشعاره بضرورة مهادنة الولايات العامة والتحالف معها . وقد رأت الولايات العامة أن تجس نبض الامير عبد الله الدلائى فتركت جانبا قائد الاسطول الهولاندى بالمحيط الاطلنطيقى الضابط طرومب الذى خلق لها صعوبات مع السلويين مستعيضة عنه بقائد أسطول البحر المتوسط . وفعلا وصل (ديرويطر) « DE RUYTER » الى مرفأ سلا (أكتوبر 1654) ووجه رسالة الى الامير عبد الله الدلائى يخبره بأنه جاء عندما علم بالصعوبات التى أحدثها استيلاء الضابط (طرومب) على السفينة التجارية السلوية ، ليؤكد للامير أنه اذا كانت هذه السفينة قد أخذت فى الظروف التى يشتكى منها ، فان ذلك يكون على غير رغبة الولايات العامة . ويأسف لكون التعليمات الموجهة اليه تمنعه من مغادرة سفينته ، ولولا ذلك لكانت مقابلة واحدة مع الامير كافية لتطمينه وترضيته ، واعادة توطيد أواصر الصداقة معه . وجاء رد الامير عبد الله الدلائى على هذه الرسالة بعد يومين ، يعتذر عن تأخر الجواب وعدم خروج المبعوثين اللذين عينهما — مع القنصل — للترحيب بمقدم الضابط (ديويتر) نظرا لرداءة أحوال المرفأ . وبعد أن بين له الاجراءات التى اتخذت منذ الاستيلاء على سفينة السلاويين ، ومنها حجز السفينة الهولاندية « TYGER » وايقاف ضابطها وبحارتها ، أخبره بأن عملية

(45) (كارافيل) CARAVELLE نوع من السفن الكبيرة ذات الشهرة العظيمة منذ القرن الخامس عشر . وبهذا النوع من السفن خاض البرتغاليون غمار رحلاتهم الاستكشافية . وقام كريستوف (كولومبوس) بسفرته الاولى فى ثلاث سفن من هذا النوع . وكانت (كرافيل) من أسرع السفن وأحسنها قيادة ، تسع من 50 الى 90 بحارا زيادة على الركاب

الحجز لم تشمل الا هذه السفينة وحدها وكل السفن الهولاندية غيرها حرة في الدخول الى مرفأ سلا والخروج منه ؛ ولا يشك الامير في حسن استعداد الولايات العامة لتسوية الخلاف الحالي ، لانه من جهته يسارع الى ارجاع الحق الى نصابه كلما أشعره القنصل باخطاء ارتكبها السلاويون ضد رعايا البلاد الواطئة . وهكذا لاحت في أفق العلاقات الدلائية الهولاندية بوادر الانفراج واستبشر كلا الفريقين بقرب رجوع المياه الى مجاريها ، غير أن حادثا قرصنيا وقع في الشهر الموالي رجع القهقرى بالعلاقات بين السلاويين والهولانديين ذلك ان القبطان الهولاندي (لين براند) « LE CAPITAINE LYN BRANDT » أسر في منتصف نونبر 1654 ثلاثة من قراصنة سلا . وكان رد فعل السلاويين في هذه المرة عنيفا ، فألقوا قنصل الولايات العامة ومساعديه في مطمورة ، وحجزوا أربع سفن هولاندية كانت بالمرفأ وسجنوا ضباطها وبحارتها جميعا . وبعد أربعة أيام أخرج القنصل دوفرييس من محبسه وقدم للامير عبد الله الدلائي الذي سمح له بالاقامة المحروسة في منزله . وأطلق سراح الضباط والبحارة الهولانديين المعتقلين مقابل ضامنين قدمهم تجار البلاد الواطئة وكتب القنصل دوفرييس الى حكومته يطلعها على الحال المزرية التي يوجد عليها في سلا هو ومواطنوه ، بعد حادثة أسر القراصنة السلاويين ، ويؤكد ان حياته وحياة رفقائه أصبحت في خطر ، وان السلاويين استولوا في عرض البحر على ثلاث سفن ، من بينها السفينة الهولاندية ديدوب « DE DOP » فتقدم بطلب تسريحها . ورفع هذا الطلب الى الامير الدلائي الذي كان متغيبا في ذلك الوقت عن سلا .

وقد اهتمت الولايات العامة جديا بمسألة العلاقات مع سلا ، واتخذت قرارا سريا بتاريخ 2 افريل 1655 حددت فيه شروط المعاهدة ، وأعطت الضابط ديرويتر كامل الصلاحية ليفاوض هو والقنصل دوفرييس الامير عبد الله الدلائي ، سواء على أساس مشروع الولايات العامة . أو على أساس ما قد يتقدم به هذا الامير من اقتراحات . وقررت الولايات العامة أن ترابط فرقة الاسطول العاملة تحت قيادة ديرويتر أمام سلا لمساندة المفاوضين الهولانديين ، ولضرب الحصار على هذه المدينة اذا لم يتوصل الفريقان الى اتفاق . وبعثت الولايات العامة في نفس التاريخ برسالة الى الامير عبد الله الدلائي تطلب منه أن يقدم الترضيات اللازمة الى القنصل دوفرييس ومن معه من رعايا البلاد الواطئة الذين كانوا ضحية أعمال العنف في سلا ، وأن يطلق سراح المعتقلين ، على أن تعمل الولايات العامة من جهتها لتعويض السلاويين الذين يمكن أن تكون قد لحقت بهم أضرار من ناحية البحرية الهولاندية ، وتخبره في النهاية بانها

قررت ارسال مندوب عنها عهدت اليه بتسوية جميع الخلافات السابقة ، والاتفاق مع الامير على الوسائل الكفيلة بتفادى مثل ذلك فى المستقبل .

وتأخر وصول أسطول الولايات العامة الى سلا عدة شهور ، وبقيت السفن الهولاندية محجوزة فى المرفأ . وضباطها وبحارتها فى اقامة محروسة بسلا . وكتب الامير عبد الله الدلائى الى الولايات العامة (15 يونية 1655) يستحثها على ارسال مندوبيها ويستنجزها ما وعدت به من التفاوض لحسم الخلافات وانصاف الرعايا الذين سلبت أموالهم وأمتعتهم (46) وأخيرا تلقى أمير سلا رسالة من قائد الاسطول دىرويتر بعث بها من قادس يعتذر عن تأخر وصوله بسبب تسلح بلاد السويد الذى أرعب الدول المسيحية وبخاصة البلاد الواطئة ، ويقول انه مكلف من قبل الولايات العامة بتسوية الخلافات السابقة وتوطيد عرى الود والتحالف بين الدولتين ، ويرجو أن تاتى المفاوضات المقبلة بنتائج حاسمة ، ويامل ــ فى انتظار ذلك ــ أن يمنح الامير عبد الله الدلائى المعتقلين المسيحيين قسطا أوفر من الحرية .

ولما وصل أسطول القائد دو رويتر الى مرفأ سلا طلب من الامير الدلائى أن يبعث اليه بالمفاوضين السلاويين ، ومعهم القنصل . فبعث اليه الامير بنسخة مترجمة من مطالب السلويين الذين لحقت بهم أضرار من جراء استيلاء الهولانديين على سفينة أحمد الرايس واعتذر عن عدم السماح للقنصل دوفريس بالتوجه الى الاسطول ، لامتناع الديوان من الاذن له بذلك ، ووعد بأنه سيعمل للحصول على هذا الاذن فيما بعد . ثم خرجت من مرفأ سلا سفينة صغيرة تحمل أطعمة وأشربة قدمها الامير الدلائى الى دو رويتر وصحبه لرد هذا الاخير على ذلك بهدية تشتمل على أربعة قناطير من مسحوق البارود. وهكذا ابتدأت المفاوضات فى جو تسوده المجاملة والمهاداة ، ووقع الاتفاق على الطريقة التى ستتبع فى دراسة الحسابات ومراجعة مطالب المتضررين من الطرفين. وأرسل دو رويتر الى اليابسة المختص بالخزانة ديفيانانDE VYANEN والترجمان بنجامن كوهن BENJAMIN KOHEN ليكونا مع القنصل دوفريس الوفد المفاوض باسم الولايات العامة . وكان الوفد السلوى يتالف من عبد الله القصرى القائم مقام سعيد الجنوى وابراهيم الدك ، وعلى القرطبى من أعيان العدوتين . وقد اعترضت المفاوضات صعوبات منذ البداية . اذ لم يقبل السلاويون لوائح تقدير الخسائر المقدمة من طرف أصحاب المراكب الهولاندية، ورأوا فيها مغالاة كثيرة وتشبثوا برأيهم فى عدم مشروعية أسر السفينة

(46) انظر صورة هذه الرسالة وبها توقيع الامير عبد الله الدلائى فى De Castries, *Sources Inédites*, Pays-Bas, 6:135

التجارية السلوية فى حين رفض الهولانديون بعض الحجج المقدمة من قبل التاكين السلويين وأبوا أن يقبلوا غير العقود العدلية . وعقد وفد الولايات العامة جلسات عمل مع الامير عبد الله الدلائى نفسه مدة يومين لتذليل الصعوبات . وبعد مخابرات طويلة وتنازل الهولانديين عن السفينة ويت فالك WITTE WALCK كتعويض للسلاويين عن سفينتهم الضائعة تم فى 22 أكتوبر 1655 التوقيع على اتفاقية مختصرة تشتمل على سبعة فصول . يتضمن الفصل الاول منها أن يطلق الامير عبد الله الدلائى سراح دافيد دوفريس القنصل العام للولايات العامة فى الثغور المغربية وأن يعيد اليه حريته ، وتشتمل الفصول الاخرى على اطلاق سراح أسرى الجانبين ، واسترجاع كل منهما السفن التى وقع الاستيلاء عليها وتعويض الخسائر التى لحقت بكلا الجانبين وقد وقع هذه الاتفاقية مبدئيا ابراهيم الدك وعلى القرطبى ، عن السلويين ، و دو فريبس« DE VRIES » و دو فيانان« DE VYANEN » عن الهولانديين ، ثم صادق عليها الامير عبد الله الدلائى وأشعر الاسطول الهولاندى المرابط فى عرض البحر بذلك بخمس طلقات من مدافع القصبة ووقع دو رويتر من جانبه النسخة الاصلية للاتفاقية على ظهر سفينته قبل أن يتجه الى قادس (47).

وقد أعد الوفدان المتفاوضان فى نفس الوقت مشروع معاهدة سلم وصداقة بين السلويين والولايات العامة تشتمل على 27 بندا قدماه الى الامير عبد الله الدلائى وأرسله دو رويتر الى حكومته بقصد الدراسة وابداء الرأى . غير أن الامير الدلائى أمر بقطع المفاوضات على اثر سفر قائد الاسطول دورويتر الذى كان له التفويض الرسمى من الولايات العامة ، بالرغم مما أبداه هذا الاخير من رغبة ملحة فى أن تتابع المفاوضات فى غيبته بواسطة القنصل ومن معه .

وأرسلت الولايات العامة الى قنصلها بسلا فى 32 ماى 1656 تعليمات تحتوى على عشر نقط ، ليتخذها أساسا فى مفاوضاته المقبلة من أجل ابرام معاهدة سلم مع الامير الدلائـى . وتهدف هذه التعليمات الى أن يستأنف القنصل دو فريبس المفاوضات من جديد مع السلاويين ، مبتدئا من النقطة التى توقفت عندها المفاوضات الاخيرة ، ويعمل بمقتضى التفويض الذى خولته اياه الولايات العامة فى هذا الصدد ، مستوحيا من الاتفاقية المبرمة بين الفريقين فى 9 فبراير 1651 باستثناء التغييرات المنصوص عليها فى هذه التعليمات . وخصصت النقطة السادسة فى التعليمات للكلام عن الفصل الرابع من معاهدة 9 فبراير الذى كان السبب فى معارضة الامير عبد الله الدلائى لهذه المعاهدة

47) De Castries, *Sources Inédites*, Pays-Bas, 6:135

وبقائها معلقة منذ نحو 6 سنوات . وقد أوصت الولايات العامة القنصل بأن يعمل ما فى وسعه للاحتفاظ بهذا الفصل على حاله ، فان لم يستطع تنازل درجات معينة ، فان لم يستطع الحصول على شيء شرط فقط الا يرسل أسارى قراصنة الجزائر من رعايا البلاد الواطئة الى مكان آخر غير سلا ليسلموا الى القنصل مقابل فداء معين بحسب رتب الاسرى (48) .

وكان الضابط دو رويتر « DE WILDT » تلقى أمرا من القيادة العليا للاسطول بأمستردام بالتوجه الى سلا على رأس سفن حربية كبرى لمساندة المفاوضات الجارية هناك ، لكن قبل أن يصل الاسطول الهولاندى الى سلا توصل القنصل دو فرييس مع المفاوضين السلاويين بعد محادثات طويلة الى الاتفاق على مشروع معاهدة سلم وصداقة يتألف من اثنى عشر فصلا ، وقعه جميع المتفاوضين من الطرفين فى 22 مارس 1657 (49) ووجه القنصل الهولاندى نص المشروع الى حكومته للمصادقة عليه . ولما وصل دو رويتر وجد كل شيء تم بسلام ، فكتب الى الامير عبد الله الدلائي يشكره على حسن تصرفه ، ويعرض عليه استعداده للخدمة ، ورجع بعد أسبوع الى قادس مرتاح البال .

ومكث مشروع المعاهدة فى البلاد الواطئة أزيد من سنة ، اذ لم تصادق عليه الدول العامة الا فى 25 ماى 1658 ولم يتوصل عبد الله الدلائي بالنسخة الاصلية ليوقعها الا فى شهر غشت من نفس السنة . ووقعت فى هذه الفترة أحداث كثيرة كادت تعصف من جديد بالعلاقات بين سلا ولاهاى ، ومن أخطرها اعتداء القبطان الهولاندى براكل BRAKEL التابع لاسطول دورويتر يوم فاتح شتنبر 1957 على سفينة سلوية كانت قادمة من الجزائر بحمولة تجارية مهمة بقيادة الرئيس على مرشيك ، فهاجمها براكل بالقرب من مرسى تطوان ، واستولى عليها بعد أن فر الرئيس مرشيك ومن معه من التجار . وقد حرر السلويون لائحة بما ضاع لهم فى هذه السفينة ، وختم الامير الدلائي هذه اللائحة بطابعه قبل أن يوجهها الى الولايات العامة فى ربيع الثانى 1068/يناير 1658 (50) .

ولما طال انتظار عبد الله الدلائي ولم يستلم جواب الولايات العامة على هذه المطالب ، ولا المصادقة على المعاهدة ، رأى أن يلجأ الى العنف ، فأغلق مخرج النهر على المراكب طيلة شهر كامل وأخطر القنصل دو فرييس بأنه سينتصف بنفسه لرعاياه ، ويرد عليهم ما ضاع لهم بعد أن يأخذه من

---

48) De Castries, *Sources Inédites*, Pays-Bas, 6 : 271.
49) » » 6 : 323.
50) » » 6 : 365.

الهولانديين المقيمين فى سلا . وكتب القنصل الى حكومته بجلية الامر ، طالبا منها أن تعجل بالمصادقة على المعاهدة ، وبتعويض الخسائر التى لحقت بالسلويين . وبناء على ذلك اتخذت الولايات العامة فى 25 ماى 1958 قرارا يقتضى تكليف ضابط بحرى بالتوجه على رأس فرقة من الاسطول الى مرفأ سلا لتبادل وثائق المعاهدة المصادق عليها مع الامير عبد الله الدلائى ، وللعمل معه على تسوية المشاكل القائمة ولاسيما ما يتعلق منها بسفينة الرئيس على مرشيك ، واطلاعه على ان الضابط رويتر لم يعثر فى السفينة السلوية المأخوذة فى خليج تطوان لا على النقود ولا على البضائع المثبتة فى اللائحة ، وانه سار فى هذه الحادثة على مقتضى المعاهدة ، فحرر أحد سكان سلا الذى عثر عليه فى السفينة المأسورة . أما المغربى الاعمى (51) الذى كان كذلك على ظهر السفينة فسيقدم اقتراح بتعويضه ان لم يعثر عليه . ولا تقبل الدول العامة بحال أن يعوض الامير بنفسه رعاياه على حساب أشخاص وأموال رعايا البلاد الواطئة . وكان الضابط الذى كلف بمهمة الاتصال بالامير عبد الله الدلائى هو ديرويتر ، الا انه فضل أن ينيب عنه الضابط دويلدت « DE WILDT » الذى وصل الى مرفأ سلا فى 27 يوليوز 1658 على رأس فرقة من الاسطول الحربى . وكتب دويلت بمجرد وصوله الى أمير سلا ينبئه بأنه يحمل مصادقة الولايات العامة على المعاهدة ، ويطلب أن يحضر الى سفينته مفوضون سلويون لتبادل الوثائق . وأسرع الامير عبد الله الدلائى كعادته بتقديم القرى الى ضيفه ، وكان من جملة ما حملته السفينة الصغيرة الى الاسطول الهولاندى المرابط خارج المرفأ أربعون من الغنم . فرد الضابط الهولاندى دو ويلت عن ذلك برسالة شكر وامتنان معتذرا بعدم توفره على أشياء ثمينة يمكن أن يبعث بها الى الامير الكريم ، لكنه لما كان يعلم ان الامير جندى كبير مولع بالاسلحة الجيدة قدم اليه هدية متواضعة تشتمل على ستة براميل صغيرة من مسحوق البارود الخاص بالمدافع وبندقية جيدة طويلة . وبعد ذلك خرج القنصل دو فريس صحبة الترجمان كوهن للسلام على الضابط والترحيب به ، والمخابرة معه فى المسائل المعلقة وبخاصة قضية سفينة الرئيس على مرشيك لمعرفة موقف الولايات العامة منها . وأجاب (دوويلدت) بأن حكومته لم تعثر فى السفينة الماسورة بالقرب من تطوان على الاموال والسلع التى ورد ذكرها فى اللائحة التى بعث بها الامير الدلائى ، وبذلك فانه

(51) لاندرى من أين عرف الهولانديون أن هذا المغربى الذى لم يعثر عليه كان أعمى وفى رواية أخرى فهم انه كان أسود . والذى ورد فى نص لائحة السلويين الرسمية هو : «مملوك الحاج ابراهيم الخياط خديم المقام العلى بيع بجبل الطر – يعنى جبل طارق – » ولهذا المملوك علاقة بقضية اختلاق تنصر أمير دلائى على ما سيأتى فى الفصل التالى

لايمكن الا أن تكون تلك الاشياء قد اختلست من طرف بحارة لاذوا بالفرار . وتمت المصادقة على المعاهدة من طرف الامير عبد الله الدلائى بعد لأى ، (ذى القعدة 1068 / غشت 1658) ولم تنته المفاوضات فى شان السفن والبضائع الضائعة . وسيكون ذلك احدى المهمات التى يضطلع بها السفراء السلويون فى (لاهاى) .

د) السفارة المغربية فى (لاهاى) (1069/1659)

هناك دواع كثيرة دفعت بالامير عبد الله الدلائى الى ايفاد سفراء الى البلاد الواطئة ، فبالرغم عن امضاء معاهدة السلم والصداقة مع هذه البلاد بقيت مسائل كثيرة معلقة تنتظر الحل ، كالسفن الماسورة والبضائع الضائعة . والى ذلك كان السلطان محمد الحاج قد أصيب فى احدى عينيه بمرض السادة، أو ما نسميه (بالجلالة أو العمى الازرق) CATARACTE ورغب فى استجلاب طبيب للعيون من هولاندا يعالجه (52) .

وتألف وفد هذه السفارة من ثلاث شخصيات بارزة فى العدوتين ، هم ابراهيم معنينو من سلا ، وابراهيم الدك ومحمد بنيالوز من الرباط والقصبة ، مع حاشية مؤلفة من رجال ونساء واصطحب الوفد معه هدية الى الولايات العامة احتوت على فرسين عربيين أصيلين وشبل ولبوء ونعامة (53). ووصل السفراء الى امستردام فى أوائل شهر شوال 1069 / يوليوز 1659 وأدخلوا الى لاهاى من طرف الامين هيسلت« L'INTENDANT HESSELT » الذى خف لاستقبالهم فى المحطة الواقعة خارج المدينة ، وأقاموا فى النزل الخاص بالسفراء فوق العادة ، وعينت لهم الحكومة الهولاندية مترجما خاصا يرافقهم ، هو

---

52) ذكر اخبار هذه السفارة الكونت دو كاسترى فى سلسلة **وثائق البلاد الواطئة** ، ج 6 ، من ص 350 الى اخر الجزء . وبالاضافة الى الوثائق الرسمية التى تحتوى على معلومات كثيرة فى الموضوع ، أورد دو كاسترى فى نفس الجزء مقتطفات من كتاب صدر فى امستردام سنة 1668 ـ أى بعد ثمانى سنوات من قدوم السفراء المغاربة الى البلاد الواطئة ـ للطبيب الهولاندى أوليفيى دابير OLIVIER DOPPER تحدث فيه عما شاهده وعرفه عن هذه السفارة . وقد اعتمدت فى هذا الفصل على الوثائق والمقتطفات معا

53) مات الشبل فى البحر ، كما ماتت النعامة بعد وصولها الى امستردام لكثرة ما ازدردت من كل ما قدم اليها ، خصوصا المسامير التى كان الاطفال الهولانديون يلقون بها اليها ، ظانين أن هذا الطائر العجيب يمكنه أن يهضم الحديد كما يهضم الخبز . وقد وجد فى بطنها عندما فتح اكثر من 80 مسمارا

جاكوبيس كوليس « JACOBUS GOLIUS » (54) أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن (55) . وفي اليوم السابع من شهر يوليوز زارهم الوكيل دو هايد L'AGENT DE HAYDE في النزل الذي يقيمون فيه ، واصطحبهم في عربتين تجر كلا منهما أربعة خيول الى مقر مجلس الولايات العامة حيث وقع استقبالهم حسب المراسيم المتبعة في مثل هذه المناسبة .

وبعد أن دخل السفراء الى القاعة ، وجلسوا على أرائك وثيرة قدموا لأعضاء الولايات العامة تحيات الامير عبد الله الدلائي ، ثم عرضوا اقتراحاتهم مشفوعة بعبارات الود والمجاملة المستعملة في مثل هذا المقام ، وذلك حسب رسالة اعتمادهم المؤرخة في فاتح رمضان 1069/23 مايه 1659 (56) واثر ذلك تكلم رئيس المجلس فرحب بمقدم السفراء المغاربة ، وهنأهم بسلامة الوصول، ثم رجعوا في نفس الموكب الى مقر اقامتهم .

وقد طال مقام السفراء المغاربة في البلاد الواطئة أزيد من خمسة أشهر قضوا جلها في المفاوضات مع اللجنة السباعية التي عينتها الولايات العامة ، باعتبار نائب عن كل اقليم من الاقاليم المتحدة . وقدم السفراء المغاربة في 8 غشت 1659 مذكرة مطولة يقترحون فيها تعديل معاهدة السلم والصداقة المبرمة بين البلدين سنة 1657 باضافة خمسة بنود جديدة اليها ، ويقدمون مطالب تتعلق بحوادث القرصنة السابقة ، وحلولا للمشاكل القائمة ، معززين دعاويهم بحجج عدلية ووثائق تؤيد مطالبهم . ثم قدم السفراء الى الولايات العامة مذكرة ثانية في 23 شتنبر 1659 تنازلوا فيها عن الفصلين الاخيرين اللذين رفضهما المفاوضون الهولانديون ، وقبلوا بعض المقترحات المقدمة لتعديل معاهدة 1657 . وأثاروا من جديد نقط الخلاف مبينين وجهة نظرهم في تسويتها . واتخذت الولايات العامة قرارا نظرت فيه بعين الاعتبار الى كثير من مطالب السفراء ، وسوت بصفة نهائية بعض القضايا المترتبة عن

---

(54) الأستاذ جاكوبيس كوليس هو رائد الاستشراق في هولاندا . وقد ولد في لاهاي سنة1596 من أسرة عريقة في الارستوقراطية ، ودرس في ليدن ، وبرز في اللغات والاداب . وتعلم اللغة العربية على الاستاذ طوماس اربنيس THOMAS ERPENIUS الذي كان صاحب كرسي اللغةالعربية فيجامعة ليدن، ثمجاء كوليس الىالمغرب مع سفير الولايات العامة البير رويل ALBERT RUYL خلال سنتي 1622 ـ 1623 رغبة منه في اتقان اللغة العربية . وحمل معه من المغرب كثيرا من الكتب النادرة سواء في التاريخ أو غيره ، وقام بزيارات عديدة لبلاد الشرق العربي ثم أسند اليه كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن بعد وفاة أستاذه طوماس اربنيس سنة 1624 . وكانت الولايات العامة تعتمد على الاستاذ كوليس في ترجمة الوثائق التي تتوصل بها من المغرب الى أن توفي في 28 شتنبر 1667

(55) ليدن LEYDEN مدينة جامعية في هولاندا ، سكانها 92700 . وفيها مطبعة بريل الشهيرة والمكتبة الغنية بالمطبوعات والمخطوطات العربية النادرة

(56) انظر صورة هذه الرسالة في اللوحة رقم 16

اللوحـة رقم 15



السفارة المغربية في لاهـاي عام 1069 هـ (1659 م)

وتتركب من ابراهيم الدك وابراهيم معنين ومحمد بنيالوز

المبعوثين من طرف عبد الله الدلائي

عن مصادر دو كاستري

حوادث القرصنة وكتبت الى الامير عبد الله الدلائى تعرب له عن اغتباطها بزيارة سفرائه ، وتثنى على حكمتهم ولباقتهم .

وقد تم فى 22 أكتوبر 1659 تحضير مشروع تعديل المعاهدة ويتلخص فى ست نقط :

1) تثبيت معاهدة 22 مارس 1657 .

2) حماية رعايا البلاد الواطئة من أى عمل عدائى قد ينالهم من القراصنة السلاويين .

3) اتخاذ الجانبين موقفا وديا عند اللقاء .

4) تحديد الاجراءات التى يجب على ضباط البحرية الهولاندية اتخاذها عند زيارة السفن السلاوية فى عرض البحر .

5) الزام قناصل البلاد الواطئة المقيمين فى الموانىء الاسبانية بحجز كل سفينة سلاوية يقتادها الضباط الهولانديون ، وردها الى أصحابها .

6) تبادل المصادقة على هذه الوثيقة فى غضون ستة أشهر .

وقد وقع السفراء الثلاثة هذه الوثيقة ، كما وقعوا المذكرتين السابقتين وكل الوثائق والرسائل المقدمة الى الولايات العامة . وكان الناطق باسمهم طيلة المدة التى قضوها فى لاهاى هو ابراهيم الدك الذى «سجل مذكرات على الورق ، ولم يكن يمل من الحديث عن العجائب التى شاهدها فى هذه البلاد . وقد أجريت على السفراء نفقات باهظة على حساب الدولة ، ومع ذلك فانهم كانوا يعملون دائما على اختصار الوقت ليمكنهم الرجوع فى أقرب وقت ممكن الى بلادهم ..» (57)

والى جانب هذه المفاوضات السياسية اشتغل السفراء بمسألة الطبيب، وأمضوا عقدة مع طبيب العيون اسحاق ساسبوط « L'OCULISTE ISHAAC SASBOUT » ليتوجه الى الدلاء من أجل معالجة السلطان محمد الحاج. ولكن هذا الطبيب تراجع فى التزامه ، وأبدى كثيرا من التعنت والتذلل والاعتذار بمرض زوجته ، فاستبدله السفراء بطبيب آخر أكثر منه كفاءة وخبرة، يسمى جوهن دونكارت « JOHAN DONKART » وهو جراح ماهر أجرى عليه اختبار على حول العلاج الذى يطلب منه القيام به ، وذلك أمام أكبر جراح فى البلد وبحضور أمهر طبيب للعيون . وقد باشر جوهن بمهارة فائقة عملية استئصال السادة لشيخ هولاندى مريض قبل أن يتوجه الى المغرب .

(57) الطبيب الهولاندى أوليفيى دابير ، الكونط دو كاسترى ، مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب ، سلسلة البلاد الواطئة 604:6

Exhibitum 20 Julii 1659

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبيه وآله وسلم كثيرا

من عبد الله [illegible] محمد [illegible] أمير المؤمنين [illegible] أمير المؤمنين [illegible] أمير المؤمنين [illegible]

[illegible] الحمد [illegible]

أيده الله بعزيز نصره وأمضى [illegible] نفاذ أمره ونهيه وخلد [illegible] الكلام [illegible] المتمكن [illegible]

الأحباء [illegible] الكبراء [illegible] كتبنا [illegible] على

الله [illegible] أراءهم ومقاصدهم وألهمهم مصالحهم [illegible] الاعتقاد والاستمرار

[illegible] ولله الحمد [illegible] جميل الود [illegible]

لكم [illegible] عليه فلو [illegible] من حفظ العهود وجميل [illegible] العبر

مع ما تأكد بيننا وبينكم من العقود الوثيقة والعهود [illegible] وحقنا

كما يليق [illegible] ومقاصد [illegible]

[illegible] الفضل [illegible] الفاضلة [illegible]

[illegible] لا نعتقد في [illegible] من [illegible] والتعلق [illegible] بما

[illegible] إلينا [illegible] العهود [illegible]

[illegible] على الجانبين [illegible] في جانبنا [illegible]

[illegible] مقاصد وخلاصه [illegible]

[illegible] ونحن نعتقد [illegible]

[illegible] لا ينبغي [illegible] العهود وإبقاء الود [illegible]

ذكر ردنا المركب الذي كنتم تتمونه عن وصائله ومكندرته منه قبل يوم الكتب وهو اليوم الاول
من شهر الله المعظم رمضان تسعة وستين والف بل بلغ بنسيمه وتحققنا ابصارا [?]
استم كل الذي فيه الصوح انتد وخصوصا القضية التي اخوننا خواتكم عن تكون [?]
شهر الله ذي الحجة الحرام يحقق ابلاغ سنة تسع وستين والف واما قضية الفرنصيص وقول [?]
ونعد وشاهدتم حالها وبعض الخبر كل العيان وانتم تحمدون الله حين لم تعاينوا ما
بيننا وبينكم من المهادنة والمسالمة والكور الذي اشترط منه ذكر بالاعتصام بأسباب الاتصال
زوال الاتحاد وهذا الحال المذكور ولو مرتد عليهم لتمردوا معهم وتشعلوا [?] جميل
المعقود التي بيننا وبينكم وحفظها والحاجة [?] لبعض [?] يصبح لكم
الحابنا وبجاداتهم كفيلة ببعثهم [?] جمعوا البكم [?] ان شاء الله [?]
وهذا الغرض ومحبوب منكم فيه تحقيق رجائنا وانتم اهل لذلك ونحو ما وجهنا
بالحابنا الى بلادكم مع [?] الاسلام فقد [?] من المصالحات والاعتناء بامورنا
بلدكم اختصصناكم بهذه المزية التي ما [?] عادتكم لبلدنا ما لم نعوب منكم ان نعهد
اوبة الحابنا واخراجهم وتصفية [?] لكم امنتم في معاملتنا [?] ويحفظ الله
وكل ما يعرض لكم من الاغراض والمآرب فعرفونا به ننجز لكم قضاءه وبلاغكم بعد
ان شاء الله والسلام [?] وفي معل رمضان المعظم سنة تسع وستين والف عرفنا الله خيره
امر بكتبه [?] العلية [?] حاطها الله واسبغ

م م ح

الرسالة التى وجهها عبد الله الدلائي الى دول البلاد المنخفضة مع سفرائه عام 1069هـ (1659 م) ويبدو فى أعلاها طابع هذا الأخير

عن مصادر دو كاستري

وأخيرا خصصت الولايات العامة مقابلة لوداع السفراء المغاربة، وقررت أن تقدم لهم هدايا فتعطى كل سفير سلسلة ذهبية ، وميدالية ، وكتابا فى وصف البلاد الواطئة المتحدة ، وتحملهم هدية للامير عبد الله الدلائى ، هى عبارة عن كتاب مماثل بغلاف أكثر زخرفة وتنميقا . ورجت الولايات العامة أن يعترف هؤلاء السفراء بحسن الاستقبال الذى حظوا به فى البلاد الواطئة ، ويعملوا فى بلادهم على تسهيل قضايا الرعايا الهولانديين . ولما علمت الولايات العامة فى 25 أكتوبر بنبأ خروج السفراء من لاهاى ، المقرر يوم 27 من نفس الشهر ، أمرت الوكيل ديهايد بتشييعهم عند مغادرتهم العاصمة ، وكلفت الامين هيسلت بمرافقتهم الى ليدن . ثم أرسلت مبعوثا عنها فى 31 أكتوبر الى امستردام ليقدم الهدايا المذكورة الى السفراء المغاربة الذين كانوا يتأهبون لمغادرة البلاد الواطئة . ولكن سفرهم تأخر الى ما بعد 2 دجنبر 1659 . ولما وصل السفراء الى شواطىء المغرب وجدوا الثورة قائمة ضد الدلائيين فى العدوتين وبلاد الغرب ، واضطروا الى النزول فى تطوان «المدينة الوحيدة التى ظلت وفية للدلائيين» (58) .

د) قضية تنصر أمير دلائى

شغلت قصة تنصر أمير دلائى بال الاوربيين مدة طويلة ، وتبودلت فى شأنها عشرات الرسائل بين الشخصيات والهيئات الكاثوليكية فى ايطاليا واسبانيا وفرنسا . وظهر أثر ذلك فى الادب الاوربى فألفت مسرحيات فى هذا الموضوع مثلت فى مدارس اليسوعيين بألمانيا وبولونيا وغيرهما . وهذه القصة ان دلت على شىء فانما تدل على مدى بعد صيت الدلائيين وانتشار سمعتهم فى الاوساط الاوربية . ويبدو أثر الاختلاق والتلفيق واضحا فى أخبار هذا الامير الدلائى المزعوم . وسأذكر باختصار هذه القصة كما أوردها الكونت دو كاسترى (59) ما دامت المصادر العربية لم تعرفها ولم تتحدث عنها بشىء :

فى سنة 1651 أعلن فى جزيرة مالطة (60) عن ركوب حجاج مغاربة فى سفن انجليزية ، وخروجهم من ميناء تونس قاصدين مكة المكرمة . وفى الحين

(58) من رسالة وجهها السفراء المغاربة الى الولايات العامة فى 20 يوليوز 1660 . دو كاسترى ، سلسلة **وثائق البلاد الواطئة** ، 620:6 .

(59) دو كاسترى ، وثائق فرنسا ، السلسلة الاولى ، 203:1 وما بعدها

(60) مالطة احدى جزر البحر المتوسط تقع غربى تونس ، وقد سلمها ملك اسبانيا شارل كان CHARLES QUINT (1500 – 1558) الى فرسان جزيرة رودس سنة 1530 لمقاومة الاتراك فى البحر ثم صارت مالطة مستعمرة انجليزية منذ مستهل القرن التاسع عشر واحرزت على الاستقلال سنة 1962 ضمن دول الكومنويلث

ابحرت من الجزيرة سفن شراعية كبيرة للتجذيف GALERES بقيادة الضابط البحرى بلطزار ديماندولص BALTHAZAR DE-MENDOLS وهو راهب كاثوليكى يشتغل بالقرصنة فى البحر الابيض المتوسط ضد المسلمين . واعترض بلطزار طريق السفينة الانجليزية وأسر كل من كان على ظهرها من الحجاج، واقتادهم الى مالطة حيث أودعهم سجن الميناء BAGNE الذى يدخل اليه المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة (61) وكان من بين هؤلاء الاسرى شخص ممتاز يعمل على اخفاء حقيقته ، حتى لايقع التغالى فى ثمن فدائه . وقد استطاع هذا الاسير أن يحصل من باى تونس على أربعين ألفا من نقود ايكوس ECUS (62) المحددة لتحريره هو وزملائه . وعندما أخذ هذا الشخص الممتاز يتأهب للسفر الى تونس يوم 11 يونيه 1656 حدثت صعاب غريبة منعته من ركوب البحر ، واضطر للمبيت عند الرئيس ديماندولص « DEMENDOLS » الذى كان يوليه كثيرا من العطف . وفى الليل حدثت المعجزة ! ورأى فى منامه حلما عجيبا دعاه الى الردة، وأعلن فى صباح الغد رغبته فى التنصر . ولما مثل بين يدى الرئيس الاكبر بول ديلاسكارى LE GRAND MAITRE PAUL DE LASCARIS CASTELLAR عرف بنفسه ، وقال انه أمير مغربى اسمه محمد من أبناء سلطان الدلاء . فعلم الديانة المسيحية فى بيت اليسوعيين بواسطة ترجمان يسمى جان بارى « JEAN-PARIS » وعمد فى مهرجان كبير يوم 31 يوليوز 1656 وأخذ اسم الضابط الذى أسره وصار يسمى «بالطازار لوايولا مانديز» « R.P. BALTHAZAR LOYOLA MENDEZ » وتطور أمر هذا المتنصر ورسخت قدمه فى الكاثوليكية حتى أصبح راهبا كبيرا وداعية للديانة المسيحية ، وانتدبته هيئة المبشرين لنشر الدعوة النصرانية فى بلاد الهند ، وتقرر أن يبحر من لشبونة فى بلاد البرتغال ويعرج فى طريقه على مدينة الجديدة لنشر الدعاية المسيحية فى أوساط المغاربة قبل التحاقه بالهند . وهنا تتكرر معجزة تعذر ركوب البحر

(61) كانت مثل هذه السجون معروفة فى المراكز القرصنية، وتسمى فى المغرب بالمطامير أو الاهراء وقد ذكر المؤرخ محمد بن على الدكالى فى **كتابه عن الرباطات** انه وقف فى الدار البيضاء على هرى عظيم مشرف على المرسى قرب ضريح سيدى بليوط ، وقد نقشت بحيطانه وأقواسه الحجرية ورؤوس سواريه أسطر بالخط البرتغالى تتضمن أسماء ستين من الأسرى اختطفهم قرصان سلوى لاسباب مجهولة من ميناء لشبونة بالبرتغال فى دولة السلطان محمد بن عبد الله العلوى ، وأودعهم هذا السجن المؤبد . وزاد المؤرخ الدكالى ان الفرنسيين نقلوا أنقاض هذا الهرى الى الثكنة العسكرية خارج الدار البيضاء، وأعادوا بناء الهرى على الصورة التى كان عليها من قبل

(62) ايكو ECUS عملة فضية قديمة ، أول من ضربها الملك الفرنسى سان لوى (1215-1297) وهى تساوى ثلاث ليبرات « LIVRES » فى أقل حالات صرفها، وهناك أيضا نوع آخر منها يساوى ست ليبرات


Continuo non acquievi carni et
sanguini
ad Galat.
SANCT
IESV
CHRIST
EVANG
LIVM

وهم ومن الشلالية التي ترجمها لبعضها بقلم ابي عبد الله من تاريخ الموالحلة بين الغرب ومن بقلة

ت وكان اسمه البعض تسوى النسيم

منه ان محمد بن محمد بن محمد الحاج الدلائي الذي ... بفاس وولي العصر [illegible]

رجلا جا ما بين بما نعته رشيد وحضر من اشم شمة النصارى ورهبها و ... الحلال الا ... يسوى

من بلاد الحنانية عابرا الى المغرب ... سنة 1067 [illegible]

سورة نصرى راهب بلباس الرهبنة ونسوة ... عمامته الذي كان يعتم بها ... حال

تمامه ودار اسم محمد كريم بشيهون [illegible] (معنى انما لا رعدة لوجوده) وذكر المؤرخ

... الملتوي بالحبانية ... انه شريف دلائي ... مع ان الدلائيين ... من ... ما

بين ... وكلو ستر ... اوراق المعاصرة المنشورة بين العلم ... شكل ... جواسكم

بتاريخ السلوية التي ... الحاج ابراهيم معنين والحاج ابراهيم ... كان ... يسمى

بما طلع للملوين ... من ... مملوك الحاج ابراهيم الخياط ... العلم

... بانه ... كان ... ولا انه ... هذا المحرك ... انه ... كلاوي

... ونبرزه من الاسلام ... كلاء ... وتملكه ... ولما عاد الى

... انه ... الاسلام ... المستولى على ... ربا

... على بلية الدلائيين ... المشتوح ... النصارى و ... ولا نتصور ان

بني عمر الدلائيين ... بسبع ... النفوع عليه من ... الشيوخ ... انقطع

المعارف والعلوم ان ... تسلم ... الصدر

فالمرء ... الاعيان ... هذه هي صورة ... و ... الرجل

... ورجال ... الحاكم ... التاريخ

... عن ... ولا ... هذا ... محمد بن علي الدكالي

... الجمعة ... شوال الابرك عام ...

صفحة بخط المؤرخ محمد بن علي الدكالي السلاوي
يرد فيها على ادعاء تنصر أحد الدلائيين

على الراهب بلطازار لوايولا !! ويرجع من لشبونة ليسلك فى سفره طريق البر ، ولكنه لم يكد يصل الى مدريد حتى توفى بالطاعون فى 15 شتنبر 1667. ذلك هو مجمل الحياة المسيحية المعروفة للراهب بلطازار لوايولا ، أما أصله وحياته السابقة فى الاسلام فليست الا مجرد رواية وتخمين - باعتراف المصادر الاوربية نفسها - ولم تسفر الابحاث التى أجريت فى مالطة وروما وفلورنسا ومدريد وغيرها من المدن التى دخلها هذا الراهب عن أى برهان يثبت صحة نسبه الدلائى ، أو حقيقة حاله فيما قبل الاسر . وقد عاد الاوربيون الى افتراض انه حفيد للسلطان محمد الحاج بعد أن كانوا يقولون انه ابنه مباشرة . وزعموا أن هذا المتنصر كان ابنا لمحمد بن محمد الحاج الذى خلف اخاه أحمد فى امارة فاس من عام 1064 الى 1654/1070 - 1660 . وادعوا ان المتنصر تولى امارة فاس مدة بعد وفاة والده فى انتظار أن يصير سلطان المغرب فى يوم من الايام .. وكل هذه الافتراضات باطلة اذ كان الامير محمد بن محمد الحاج مايزال حيا فى سنة 1651 التى أخذ فيها هذا الاسير المتنصر ، بل ان محمد بن محمد الحاج لم يتول امارة فاس الا بعد ثلاث سنوات من تاريخ الاسر ، وامتدت حياته الى سنة 1660 . هذا بالاضافة الى أن أسرة الدلائيين فى ذلك العصر كانت من الشهرة والنباهة بحيث لايخفى فرد منها على المؤرخين والنسابة المغاربة. وقد عاصر الدلائيين خصوم ومنافسون كثيرون من السعديين والعلويين وشيعتهم ، ما كانوا ليسكتوا عن التشهير بهم لو كان أمر التنصر حقيقة واقعة . ونحن نعلم أن خصوم الدلائيين عيروهم بأصلهم البربرى ، وقبحوا عليهم اطعامهم الضيوف ، وتصدرهم المجالس وارتقاءهم المنابر بعد الضعة والخمول ، فكيف كانوا يغضون الطرف عن سبة التمسح والمروق من الدين لو كانت !

ويرى المؤرخ السلوى محمد بن على الدكالى (63) أن هذا المتنصر ليس الا علجا من مماليك الدلائيين ، ادعى عندما أسر انه أمير دلائى لتحصل له الحظوة عند النصارى ، أو لينجو من العقاب الصارم الذى كان يتعرض له كل مسيحى ثبت عليه انه اعتنق الاسلام . ويعتقد المؤرخ السلوى ان هذا المتنصر هو مملوك الحاج ابراهيم الخياط خديم الامير عبد الله الدلائى الذى أسره الهولانديون فى سفينة الرئيس على مرشيك وباعوه فى جبل طارق . وهذا لايصح لما عرفنا من أن أخذ سفينة الرئيس مرشيك كان يوم فاتح شتنبر 1957، فى حين كان أسر المتنصر قبل ذلك بست سنوات ، أى خلال سنة 1651 . على أن حوادث الاسر كانت متعددة ، والاسرى من المماليك وغيرهم كثيرون ، ولا

(63) انظر صورة الصفحة التى يرد فيها المؤرخ السلوى على قضية تنصر أمير دلائى فى اللوحة رقم 18

بعد أن يكون على أى حال هذا المتنصر من قدماء العلوج المسيحيين الذين سبق أن ملكهم بعض المسلمين من الدلائيين أو غيرهم ، كما يظهر ذلك من ملامح الراهب بلطازار لوايولا مانديز (64) .

3 ـ الدلائيون فى فاس

لما استولى محمد الحاج على مدينة فاس (عام 1051 ـ 1641) عقب مقتل المجاهد العياشى ، ولى عليها القائد أبا بكر التاملى ، واسند القضاء الشرعى الى أحمد الازمورى (65) والفتيا الى محمد بن سودة (66) . وكانت فاس اذ ذاك تشتمل على ثلاث مدن متميزة : المدينة الجديدة البيضاء أو فاس الجديد ، وعدوة الاندلس وعدوة القرويين أو فاس القديم . وكان يتولى أمر كل من العدوتين رئيس من أعيانها . وقد توارث آل اللريني الاندلوسيون رئاسة عدوة الاندلس بفاس ، وأول من ولاه الدلائيون أو أقروه فى هذا المنصب من أفراد هذه الاسرة هو عبد الكريم الليريني . ولم تتزعم أسرة معينة ـ على ما يظهر ـ عدوة القرويين ، والحاكم الذى تولى أمرها على عهد الدلائيين هو ابن الصغير. وكانت مقاليد المدن الثلاث بيد المتولى على فاس الجديد دار الامارة ومعقد الديوان ، ويعتبر قائدا العدوتين مساعدين له يزورانه فى قصره كل صباح، ويتشاوران معه فى مهمات الامور قبل الرجوع الى مقر عملهما لمباشرة الاعمال العادية وتنفيذ الخطة المتفق عليها .

وهكذا كان أبو بكر التاملى القائد المسؤول عن مدن فاس فى السنوات العشر الاولى من امارة الدلائيين (1051 ـ 1660/1641 ـ 1650) وهو وان استقر فى فاس الجديد ، فانه لم يسكن قصر الامارة الذى تركه الدلائيون لابناء الشرفاء السعديين احتراما منهم لآل البيت النبوى الكريم . ولم يغادر السعديون هذا القصر الا على يد السلطان الرشيد بن الشريف (67) وعرفت

---

(64) أنظر صورة الراهب بلطازار فى اللوحة رقم 15

(65) القاضى أحمد بن محمد بن على الازمورى ، الشيخ ، النحوى الفقيه كان أعجوبة الدنيا فى الحفظ والفهم كثير الاستشهاد فى التدريس . توفى فى جمادى الثانية 1057/يوليوز1647 انظر ترجمته فى : محمد الكتانى ، **سلوة الانفاس** ، ج 2 ، ص 70

(66) الفقيه محمد بن محمد بن أبى القاسم ابن سودة ، استاذ الزاوية الدلائية ، تقدمت ترجمته فى الباب الثالث . وقد ولاه الدلائيون بعد ذلك القضاء فى فاس عام 1057/1647

(67) أبو القاسم الزيانى ، **رسالة البلدين** ، ص 479 . وورد فى **كناشة اليحمدى** وزير السلطان اسماعيل (ج 2، ورقة 176/ب) ان بنات الشرفاء السعديين خرجن من قصر الامارة بفاس الجديد عام 1066 . وهكذا تتفق الروايتان على بقاء السعديين فى قصر الامارة فى معظم السنوات التى كانت فاس فيها تابعة للدلائيين ، وان كان اليحمدى قد حدد لخروج الشريفات تاريخا متقدما قليلا عما ذكره الزيانى .

فاس في هذه الفترة عهدا سعيدا امتاز بالطمانينة والاستقرار ، لكن هذا الصفاء لم يلبث أن تكدر بسبب الخلاف الذى نشب بين القائد التاملى ورئيسى المدوتين وتطور الخلاف الى نزاع مسلح ، فقامت الحرب على قدم وساق بين المدينتين الفاسيتين الجديدة والقديمة ، وقطع القائد التاملى النهر عن المدينة القديمة وحرم خصومه من الماء وضيق عليهم الخناق ، فاستنجد أهل فاس القديم بمحمد بن الشريف صاحب سجلماسة الذى لبى دعوتهم مسرعا ، وقبض على القائد التاملى وزج به فى السجن . غير أن محمد الحاج الدلائى ما كاد يعلم بجلية الامر حتى زحف الى فاس فى جيش قوى من البربر ، والتقى بمحمد الشريف فى المكان الذى يسمى (ظهر الرمكة) بضاحية فاس ، ولم يثبت ابن الشريف فى المعركة الا يوما أو بعض يوم ثم رجع الى سجلماسة ؛ فتحصن الفاسيون الذين كانوا معه فى مدينتهم القديمة ، وضرب عليهم القائد أبو بكر التاملى الحصار مدة طويلة ، هلك أثناءها عبد الكريم الليرينى رئيس عدوة الاندلس وغيره من أعيان البلد ، وأخيرا استسلمت المدينة ورجعت الى طاعة الدلائيين .

أ) أحمد بن محمد الحاج الدلائى أمير فاس

رأى السلطان محمد الحاج - بعد القضاء على الفتنة التى قامت فى فاس - أن يولى على هذه المدينة ابنه الثانى أحمد . فأقامه نائبا عنه فى مدن فاس الثلاث وما يليها من البلاد . واستقر الامير أحمد الدلائى فى المدينة البيضاء (فاس الجديد) ، واشتغل فى أول عهده بتصفية الجو وتتبع رؤوس الفتنة الذين كانوا قد لجؤوا الى ضريح المولى ادريس ، واحتموا ببعض الشرفاء الجوطيين . وكان ضريح الشيخ محمد بن عباد (68) داخل باب الفتوح قد تهدم ولم يبق منه الا الجدار الشرقى ، فجدد الامير أحمد الدلائى بناءه ، وجعل على القبر سقيفا . واعطى كاتبه محمد (المدعو حم) الطاهرى حق التصرف فيما يحمل لهذا الضريح من الهدايا والصدقات ، وكتب له بذلك ظهيرا بقى بيده وبيد عقبه .

ولم يكن الامير أحمد الدلائى رجل حرب وكفاح ، ولم تتوفر له صفات البطولة التى كان يتحلى بها أبوه وأخوه عبد الله . فكثر بسبب ذلك عيث القبائل المجاورة لفاس وفسادهم ، ولا سيما قبيلة الحياينة التى طغت ورجعت الى سالف عهدها فى السلب والنهب . ولما لم يجد أهل فاس غناء فى أميرهم

(68) الشيخ محمد بن عباد النفزى الرندى تلميذ الشيخ أحمد بن عاشر السلاوى ، هو امام القرويين وخطيبها ، ومؤلف الشرح المشهور لحكم ابن عطاء الله ، وغيره من الكتب فى مختلف الفنون . كانت وفاته عام 1390/792 . انظر ترجمته مسهبة ، واخبار تجديد ضريحه فى : محمد بن جعفر الكتانى ، **سلوة الانفاس** ، ج 2 ص 133/142

أحمد ، توجهت جماعة منهم الى والده فى الدلاء تحمل اليه الفتاوى القاضية بمشروعية قتال الاعراب المحاربين ، وترجو منه أن يحمى فاسا من المعتدين عليها . فكان ذلك سببا فى الحملة التأديبية الكبرى التى قادها محمد الحاج بنفسه ضد قبيلة الحياينة كما سبق . ولم يطل مقام الامير أحمد لدلائى فى فاس الا ثلاث سنين وبضعة أشهر ، اذ توفى فى ربيع الاول 1064/1651 .

ب) محمد الدلائى يخلف أخاه فى امارة فاس

يمتاز الامير محمد بن محمد الحاج الدلائى بالعلم والادب وحسن الخلق ، وقد «خلف أخاه أحمد فى امارة فاس وما والاها من أعمال المغرب ، وسار مع الناس بسيرة حميدة ، وأمور سديدة» (69) ولم تجد علينا المصادر بأكثر من ذلك فيما يخص الاعمال التى قام بها هذا الامير فى مدينة فاس ، اللهم الا ما كان من تجديده ضريح ابن عباد الذى بناه أخوه أحمد ، وذلك «بعد أن احترق بشمعة ، ومات كثير من الناس ممن كانوا يطفئون النار» (70) وهذه البناية هى الاثر الوحيد الذى بقى حتى اليوم مما شيده الدلائيون فى فاس . ونحن لانستطيع بهذه المعلومات الضحلة أن نأخذ فكرة واضحة عن الامير محمد الدلائى ، لكن يمكن أن نعتقد بأن حظه من الفروسية والنجدة والحنكة السياسية لم يكن بأوفر من حظ أخيه أحمد . اذ لم يستطع خلال السنوات الست التى قضاها فى عمالة فاس أن يفرض احترام السلطة الدلائية فى المدينة ولا فى خارجها ، وقام ثوار فى الاقاليم الشمالية التى كانت تابعة له دون أن يحرك ساكنا أو يحاول معارضتهم والضرب على أيديهم .

وكان للدلائيين علاقة مصاهرة بأسرة الشرفاء القادريين (71) فأعطوهم حق التصرف فى فتوحات (72) ضريح أبى الحسن بن حرزهم (73) الامر الذى

---

(69) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 240/ب

(70) أبو عبد الله الضعيف ، **تاريخ الضعيف** ، ورقة 12/ب . وقد ذكر خبر احتراق ضريح ابن عباد وتجديده أيضا محمد بن الطيب القادرى فى **نشر المثانى الكبير** ، ورقة 112/ ب

(71) عرفنا فى الباب الثالث أن أحمد بن عبد القادر القادرى تلميذ الزاوية الدلائية تزوج بنت الشاذلى أخ السلطان محمد الحاج . وتزوج بعد ذلك أخوه علال بن عبد القادر القادرى — جد محمد بن الطيب القادرى صاحب كتاب نشر المثانى — بنت أحمد بن صالح الليريني الذى تولى قيادة فاس من قبل الدلائيين

(72) المراد بالفتوحات الهدايا التى تقدم لضريح الولى من مال وشمع وزيت وماشية الخ

(73) أبو الحسن بن حرزهم (بكسر الحاء وسكون الراء ، بعدها زاى مكسورة) حرف اسمه الى (حرازم) . عالم كبير ، وصوفى شهير ، ولد ونشأ فى فاس ، وتتلمذ على القاضى أبى بكر بن العربى ، والشيخ أبى يعزى . توفى فى شعبان 559/يوليوز 1164 . وابنه محمد هو المعروف اليوم بسيدى حرازم ، فى الحمة ذات المياه المعدنية الشهيرة بضاحية فاس

أثار حنق بعض الاسر الفاسية فأخذت تكيد للدلائيين وتعمل على التخلص منهم . ولم يكن هؤلاء وحدهم خصوما للنظام القائم ، وانما كان يشاطرهم هذا الرأى كل الذين أصيبوا بسوء فى حوادث قمع الثورة الاخيرة ، وهم كثيرون . وداخل هؤلاء الخصوم رئيس احدى الفرق العسكرية الدلائية المرابطة فى فاس، وهو القائد أبو عبد الله الدريدى ، وربط معه رئيس عدوة الاندلس أحمد بن صالح الليرينى علاقات المصاهرة ، وتم التآمر على اغتيال الامير محمد الدلائى بالسم (ربيع الثانى 1070/1659) . وقد حمل جثمان الامير محمد الى الدلاء ودفن فى الزاوية القديمة . واستخلف السلطان محمد الحاج على فاس حفيده أحمد بن عبد الله (74) وكان ما يزال حدثا صغيرا ، فرجع بعد قليل الى الدلاء، ومعه كل ما كان فى قصر عمه بفاس الجديد من العيال والحشم والعبيد . واستقدم السلطان محمد الحاج الى الدلاء جماعة من أعيان فاس تزيد على مائة رجل فوبخهم على غدرهم بولده محمد ، وزج بهم فى السجن أياما ، «ثم بعثهم لفاس الجديد مكبلين فذبحوا جميعا» (75) ومهدت هذه المذبحة السبيل أمام القائد الدريدى الذى أعلن نفسه حاكما على فاس الجديد ، وآزره فى ذلك صهره لليرينى فى عدوة الاندلس ، وابن الصغير رئيس عدوة القرويين ، وقطعت فاس بذلك صلتها بالدلائيين . وسنرى فى الباب التالى التطورات التى طرأت على العلاقات بين الدلاء وفاس ، ونهاية هؤلاء الرؤساء الثلاثة .

4 ـ آثار الدلائيين

أ) المبانى فى الدلا وفاس

شيد الدلائيون كثيرا من المبانى سواء فى العهد الاول الذى انحصر اهتمامهم فيه بالناحيتين الصوفية والعلمية ، أو فى عهدهم السياسى الاخير . وكان من أبرز مآثرهم العمرانية الاولى الزاوية الدلائية القديمة التى أسس مسجدها الشيخ أبو بكر الدلائى حول عام 974/1566 ثم بنى فيها المدرس والدور والاسواق حتى صارت قرية آهلة بالسكان ومركزا علميا ممتازا . وبنى الشيخ أبو بكر أيضا بالقرب من الزاوية الدلائية جسرين على نهر أم الربيع يسمى أحدهما قنطرة (أمسدل) ـ بتشديد الدال المفتوحة ـ والآخر قنطرة (مزض الفان) أى مطحنة الخنازير . ولما أفضى الامر الى محمد الحاج الدلائى

(74) أحمد الدلائى هذا هو الذى سيتزعم ثورة البربر أيام السلطان اسماعيل

(75) أبو عبد الله الضعيف ، **تاريخ الضعيف** ، ورقة 1/8 . انظر تفاصيل محنة أعيان فاس فى: سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 205

أنس في سفح الاطلس المتوسط عام 1048/1638 مدينته العظيمة التي جعلها على منال مدينة فاس بأسوارها الفخمة المسننة ، ومياهها المتدفقة في جميع المنازل بواسطة أنابيب تحت الارض ؛ وشيد في وسطها القصر والديوان . فكانت عاصمة الامارة الدلائية زهاء ثلث قرن . ثم بنى محمد الحاج بالقرب من مدينته ثلاثة جسور على روافد نهر أم لربيع يظن أنها هي قنطرة (آسيف نابت زمور) وقنطرة (خلاطة) — بتشديد اللام — وقنطرة تاحيزونت اى العرجاء . وكلها «في غير الطريق الرئيسية بين مراكش وفاس بل هي في طريق ثانوية تخرج بالمنتجعين من الاراضي الجبلية للازاغرة فلذلك لا تعرف الا عند الاهالي ..» (76) وسنرى في الباب التالي السلطان الرشيد بن الشريف يسلط معاول الهدم على الزاويتين الدلائيتين ليتركهما قاعا صفصفا الا آثارا يسيرة استطاعت أن تنالب نوائب الدهر . وكان لمحمد الحاج الدلائي كثير من الآثر العمرانية في مدينة فاس أخنى الزمن كذلك على أكثرها حتى لم يعد الآن معروفا منها — فيما أعلم — الا ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح ، وهو اليوم غير مسقوف لم يبق منه الا الباب والسور الخارجي (77) . «وبنى (محمد الحاج) السقاية التي بفاس الجديد قرب باب السبع ، وبنى المقبرة التي بها مولاى عبد الله مدفون ، وبنى المدرسة التي هنالك ، والقبة التي على سيدى عبد الرحمن الشريف بباب عجيسة. ودار الضيوف التي على نهر وادي الجواهر.» (78)

ب) النقود الاشقوبية

اذا كنا لانعرف أصلا لكلمة (أشقوب) التي تنسب ليها النقود الاشقوبية ولا ندرى ان كانت محرفة عن الشقوب التي هي — لغة — كل مهواة بين جبلين أو صدع في كهوف الجبال ، فاننا لانستطيع كذلك أن نجزم بأن الدلائيين هم الذين ضربوا هذه السكة لعدم العثور على نص صريح في الموضوع . على أن القرائن التاريخية تؤيد أن هذه النقود دلائية ، فقد ظهرت الاشقوبية عام 1068/57 — 1658 ووقع التعامل بها في المغرب ولا سيما في فاس التي كانت تحت نفوذ الدلائيين ، وظلت منذ هذا التاريخ السكة الرسمية في البلاد الى أن حلت محلها النقود التي ضربها السلطان الرشيد بن الشريف عام1080/69 — 1670 .

---

(76) أحمد بن قاسم المنصوري، **تاريخ زيان** ، فصل «القناطير والآثار على نهر ام الربيع» مخطوط المؤلف غير مرقم

(77) انظر اللوحة رقم

(78) عبد الودود التازى ، **نزهة الاخيار المرضيين** ، ورقة 1/4. وفيما يخص (دار الضيوف) التي على نهر وادى الجواهر ارجع الى ص 25 من هذا الكتاب

اللوحة رقم 19



ضريح ابن عباد داخل باب الفتوح بفاس
من بناء الامير محمد الدلائي

تصوير المؤلف

وكانت النقود الاشقوبية هذه مربعة الشكل ، مصنوعة من فضة مخلوطة بنحاس . ووزن الدرهم الاشقوبى عشرون حبة وأربعة أسباع الحبة من حبوب الشعير المعمول بها فى الوزن (79) أى أقل من نصف الدرهم الشرعى الذى [يك]ون خمسين وخمسى حبة . والاوقية الاشقوبية ثمانون فلسا من النحاس ، والدرهم ثلاث موزونات وثلث ، فى كل موزونة أربعة وعشرون فلسا . ثم صارت الموزونة تعدل ضعف ذلك أى ثمانية وأربعين فلسا أشقوبيا «الى أن ظهرت الرشيدية سنة ثمانين فطرحت السكـــك كلها ولم يبـق معاملة الا بالرشيدية ، وصارت (الاشقوبية) تجوز فى أربعة وعشرين فلسا عند ضرب الفلوس المستديرة فى جمادى الثانية سنة احدى وثمانين وألف ..» (80)

(79) عبد الرحمن الفاسى ، **الاقنوم** ، خاتمة فى الاوزان والمكاييل

(80) عبد الرحمن الفاسى ، **شرح العمل الفاسى** ، لدى قول الناظم :

والحكم فى المطلق من مقدار ... بسكة فاسية اشتهار

الباب السادس

نهاية الزاوية الدلائية

1 - بدء انتقاض الاطراف على الدلائيين

ا) ثورة الخضر غيلان فى الشمال

ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس

ج) قضية البلديين فى فاس

2 - الثورة ضد الدلائيين فى سلا والرباط

ا) عوامل الثورة

ب) حصار عبد الله الدلائى فى القصبة

ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟

3 - القضاء على الزاوية الدلائية - تخريبها

ا) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوى

ب) استيلاء الرشيد على فاس

ج) معركة (بطن الرمان) - تخريب الزاوية الدلائية

1 - بدء انتقاض الاطراف على الدلائيين

ا) ثورة الخضر غيلان فى الشمال

الخضرغيلان مغربى من بنى جرفط القبيلة العربية التى تسكن بين العرائش وتطوان ، وليس هو من الموريسكيين المهاجرين من الاندلس كما يدعيه بعض الاوربيين . كان غيلان من أكبر مساعدى المجاهد العياشى والمقدم على الغزاة فى بلاد الهبط ، ثم اعتصم بجبال الريف بعد موت رئيسه العياشى، وظل يراقب الدلائيين ويتربص بهم الدوائر ، الى أن واتته الفرصة خلال عام 1063/1652 - 1653 فانقض على مدينة القصر الكبير واستولى عليها ، وقتل بها على بن أحمد الذى اغتال المجاهد العياشى . وأخذ الخضر غيلان يوسع دائرة نفوذه شيئا فشيئا ، ويغير على المدن والقبائل الخاضعة للدلائيين ، ويصول ويجول فى المنطقة الواقعة بين القصر الكبير وفاس . ولما وقفت قبيلة شراكة فى وجهه ، وكانت من أقوى القبائل فى شمال فاس وأشدها شوكة ، حاربها الى أن فل حدتها ، وأوقع بها هزيمة منكرة ، وانتهب حلتها وخيامها ، «فدخلوا فاسا مسلوبين منتصف جمادى الاولى عام 1070» (1) وقد انتشر نفوذ غيلان فى مناطق الشمال ، خصوصا عند قبائل الهبط التى كان يرأسها فى حركات الجهاد أيام الرئيس محمد العياشى وانضم اليه جماعة من الفاسيين الناقمين على الوضع القائم فى مدينتهم ، واجتمع عليه أعراب الخلط وغمارة وسائر القبائل التى كانت ترغب فى التخلص من سيطرة الدلائيين ، أو تسعى فى الانتقام منهم على ما ألحقوا من أذى بمجاهدى الغرب ورئيسهم العياشى .

أقلقت أخبار الثورة فى الشمال بال السلطان محمد الحاج الدلائى، فاخذ يتهيأ لملاقاة خصمه غيلان فى معركة حاسمة . ولم يكد ينتهى شهر الصيام من عام 1070/يونيه 1660 حتى خرج محمد الحاج من مدينة الدلاء على رأس جيش جرار من البربر ، قوامه 80.000 رجل ، وتقدم يغذ السير الى أن وصل الى مولاى بوسلهام فى بلاد الغرب . وهناك على ضفة وادى بوحريرة أحد روافد المرجة الزرقاء ، وجد الخضر غيلان ينتظره ، وقد اعصوصبت عليه قبائل الغرب من أنصار المجاهد العياشى القدماء ، ودارت بين الفريقين معركة رهيبة، لم تغن فيها وفرة جموع الدلائيين عنهم شيئا ، فولوا الادبار ، ولاذوا بالفرار. وقد مرت فلولهم المهزومة ببلاد الغرب وتامسنا تحمل الى الناس البرهان الواضح على الانتكاسة الخطيرة التى أصابت امارة الدلاء ، والضعف الفاضح

(1) محمد بن الطيب القادرى ، **نشر المثانى الكبير** ، ورقة 112/1

الذى نزل بها ، فازدرتها العيون ، وزالت هيبتها من القلوب . وكانت افادة الخضر غيلان من هذه المعركة الفاصلة مزدوجة ، فبالاضافة الى الاسلاب التى امتلأت بها أيدى أتباعه وأنصاره ، تألق نجمه من جديد ، وانتشر ذكره فى أوساط القبائل . واستطاع أن يستبد بشمال المغرب كله فى ظرف وجيز ، ولم تمتنع عليه الا مدينة تطوان ، فقاومه حاكمها المقدم عبد الكريم النقسيس الذى ظل وفيا للدلائيين الى ءاخر حياته . ولم يستطع غيلان أن يبسط نفوذه على تطوان الا بعد أن أيس حاكمها الجديد أحمد بن عيسى النقسيس الحفيد (2) من وصول نجدات الدلائيين اليه . وانبرم الصلح بين الطرفين عام 1072/1661 ـ 1662 على أن يظل أحمد النقسيس حاكما لتطوان ويقدم لغيلان عددا معينا من الجنود يساعدونه فى حركاته الجهادية .

ورأى الخضر غيلان أن يعزز موقفه ، ويضمن المكاسب التى حصل فى الشمال ، بالتحالف مع المسيحيين الذين كانوا يحتلون الثغور المغربية المحيطة به ، فاتفق مع الحاكم الاسبانى لمدينة سبتة (المركيز ديلوص اركوص) « MARQUISE DE LOS ARCOS » وعقد معه فى أوائل سنة 1661 اتفاقية يقدم غيلان بمقتضاها الى حاكم سبتة 10.000 من الجنود المشاة ، و 2000 من الفرسان على أن يدافع عنه المركيز ضد جميع خصومه (3) . وظل غيلان فى نفس الوقت يحافظ على علاقاته الطيبة مع انجلترا ، وأبى أن يعارض فى نزول الانجليز بطنجة عندما قدمت الاميرة البرتغالية (كاترين) هذه المدينة مهرا لزوجها شارل الثانى ملك انجلترا ، ولم يتدخل غيلان فى ذلك بالرغم من الحاح الاسبانيين ـ مراعاة لمصلحتهم الخاصة طبعا ـ وحثهم اياه على أن يحول دون تنفيذ هذا المشروع بصفة مباشرة (4) .

وقد توطدت أواصر الصداقة بعد ذلك بين غيلان والانجليز ، فساعدوه فى حربه ضد الدلائيين ، فى نفس الوقت الذى كان الاسطول الانجليزى يتصل بالامير الدلائى المحاصر فى القصبة ، ويقدم له المؤنة والذخيرة أملا فى أن يسلم اليه هذا الحصن . ولم تكن أطماع الانجليز فى الاستيلاء على قصبة سلا وليدة

---

2) هناك مقدمان من حكام تطوان يسمى كل منهما أحمد بن عيسى النقسيس . اولهما أحمد الجد الذى كان يحارب النصارى فى سبتة أيام السلطان أحمد المنصور الذهبى . وكانت وفاته عام 1031/1622 . والثانى هو أحمد بن عيسى النقسيس حفيد أحمد الاول ، وقد تولى حكم تطوان عام 1071/1660 ـ 1661 . وظل بها الى أن قبض عليه السلطان الرشيد ابن الشريف العلوى عام 1078/1667 . انظر تفاصيل اخبار هذين المقدمين عند محمد داوود ، **تاريخ تطوان** ، القسم الثانى من المجلد الاول ، ص 236 وما بعدها

3) الكونت دو كاسترى ، **مصادر لم تنشر لتاريخ المغرب** ، سلسلة فرنسا الثانية ، 1:24

4) نفس المصدر ، ص 23

هذا التاريخ فحسب ، وانما حاولوا أن يستولـــوا عليها لاول مرة من يد الموريسكيين المحاصرين من طرف المجاهد العياشي . وكاد الاميرال (بلاك « L'AMIRAL BLAKE » قائد الاسطول الانجليزى أن يستلم القصبة من أيديهم لولا أن تأخر ورود التعليمات اللازمة من حكومته ، بسبب الاضطرابات الداخلية القائمة اذذاك فى انجلترا . وبعد أن تمكن الانجليز من مدينة طنجة ابرموا مع غيلان سنة 1664 معاهدة ود وتحالف سعيا وراء تحقيق مطامعهم فى الاستحواذ على قصبة سلا التى كانت قد دخلت تحت نفوذه ، ثم بعد سنتين عززوا هذه المعاهدة بأخرى توطد أواصر الصداقة والتعاون بين الطرفين . وهكذا أصبح المجاهد الثائر الخضر غيلان شخصا وديعا مسالما لخصومه السابقين ، بل حليفا للاجانب الذين يحتلون بلاده ، يوقع معهم معاهدات الود والتعاون ، رغبة منه فى تثبيت نفوذه ، ومساندته للتغلب على منافسيه من بنى قومه . وكانت نهاية غيلان ـ عفا الله عنه ـ القتل على يد السلطان اسماعيل العلوى عام 1673/1084 .

ب) زوال نفوذ الدلائيين من فاس

ظلت فاس خاضعة للدلائيين نحو عشرين سنة (1051ـ1070 1641ـ1660) تحت امرة القائد أبى بكر التاملى ، ثم الاميرين الدلائيين أحمد ومحمد كما سبق . وبعد ذلك خالفت فاس الدلائيين ؛ واجتازت الثورة الفاسية خلال السنوات الست التالية ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى (من عام 1070 الى عام 1073 / 1660 ـ 1663) وفيها انفصلت فاس عن الدلائيين ، تحت تأثير ثورة الخضر غيلان بالشمال . وقد التحقت طائفة من الفرسان الفاسيين بمدينة القصر الكبير لمساندة ثورة غيلان بينما أخذت طائفة أخرى تعمل للقيام بانقلاب داخلى فى فاس . وجاءت المذبحة الرهيبة عقب وفاة الامير محمد الدلائى ، فأحدثت ألما كبيرا واستياء عميقا فى نفوس الاسر المنكوبة فى رجالها وأبنائها وأقاربها ، وفى نفوس السكان عموما ، حتى أن الامير الصغير أحمد بن عبد الله الدلائى الذى عينه جده السلطان محمد الحاج نائبا عنه فى فاس ، رأى أن الظروف لم تعد مواتية لاقامته فى هذه المدينة التى أصبحت تتأجج حقدا على أسرته ، فكر راجعا الى الدلاء .

وهكذا انفسح المجال أمام القائد أبى عبد الله الدريدى (5) ليتزعم أمر فاس الجديد ، ويعمل باتفاق مع رئيسى العدوتين فى المدينة القديمة على

(5) ابو عبد الله الدريدى كان رئيس جماعة من اخواته دريد من العرب الهلالية فى ديوان السعديين الى أن دخلت فاس فى طاعة الدلائيين ، فانخرط الدريدى وقومه فى جندهم وظلوا يرابطون فى هذه المدينة مع حاميتها الى أن ثاروا على الدلائيين عام 1660/1070

الاستقلال بالامر فى هذه المنطقة ، وقطع كل علاقة لهم بالدلائيين . ولم تمض سنتان على هذا الانفصال حتى قام الدلائيون بمحاولة استرجاع العاصمة الادريسية ، وقاد الامير عبد الله الدلائى جيشا قويا زحف بـه الـى فـاس (رمضان 1072/ماى 1662) وحاصرها عشرة أيام دون أن تفتح له أبوابها ، أو يجرؤ قوادها على مبارزته وقتاله . ولم يجد عبد الله بدا من الرجوع على عقبه بعد أن أهلك حرث الفاسيين ، وأفسد زرعهم خارج المدينة .

المرحلة الثانية (1073 ـ 1663/1074 ـ 1664)

عادت فاس فى هذه الفترة تلقائيا الى طاعة الدلائيين . اذ لم يكـن للدريدى ومن معه من الرؤساء المستبدين من الكفاءة السياسية والحربية ما يؤهلهم للذود عن المدينة وأهلها ، ولرد عادية المغيرين عليها . خصوصا فـى تلك الفترة التى كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى المغرب بصفة عامة ، ولاسيما فى المناطق التى أخذ ظل الدلائيين يتقلص منها . وكثر عيث قبيلة الحياينـة وفسادها ، وضاق الفاسيون ذرعا ببغيهـا ، فخرجت جماعة منهم الى الـدلاء تعتذر للسلطان محمد الحاج عما بدر منهم من عناد وعصيان ، وترجوه أن يعيد الامن والطمانينة الى مدينتهم التى أصبحت تعيش فى جو من الخوف والاضطراب. وفعلا خرج السلطان محمد الحاج الى قرية آزرو (صفر 1074/شتنبر 1663) وضرب خيامه فيها حيث مكث نحو شهر ينظر فى شؤون الرعيـة ، ويتخـذ الاجراءات الكفيلة بتامين السبل وحفظ النظام فى الاقاليم التابعة له . وجاءته وفود القبائل ، «وخرج شرفاء فاس وعلماؤها ، وخطيبها وأعيانها ، بقصـد التهنئة له والتسليم عليه ، والاستعفاء من اذية جنـوده . فأكرمهم وجـزى وفادتهم ، ورجعوا الى فاس مكرومين (كذا) مسرورين . وأقام هنالك فى اصلاح أحوال الرعية وتمهيد البلاد الى الشتاء ، ورجع الى الدلاء . وكان رجوعه أول ربيع الاول ، فانحط القمح والاسعار بسبب اقامتـه هناك ، وأمنت النـاس والطرق من القطع والنهب والقتل ..» (6)

وقد ولى السلطان محمد الحاج على عدوة فاس الاندلس أحمد بن صالح المليرينى ، وابن الصغير على عدوة فاس القرويين ، وأسند القضاء الى الفقيه أبى عبد الله المرى التلمسانى .

(6) محمد القادرى ، **نشر المثانى الكبير** ، ورقة 119/1

ج) قضية البلديين فى فاس (7)

البلديون أو المهاجريون (كذا) هم اليهود الذين أسلموا فى فاس بعد الفتنة الكبرى التى استبيحت فيها دماؤهم وأموالهم بهذه المدينة عام 1275/674 – 1276 . وقد كف السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى (657 – 1259/685 – 1286) أيدى الناس عن البلديين وأسكنهم المدينة البيضاء (فاس الجديد) التى كان أسسها فى تلك السنة واتخذها دار ملكه . واندمج البلديون فى حياة المسلمين واشتغلوا بحرفهم ، وعمروا أسواق المدينة . لكن ظهر منهم الغش والخيانة فى البيع والشراء فمنعوا من تعمير الاسواق فى فاس وظلوا منبوذين هكذا طيلة أيام السعديين .

وقد شغلت مسألة البلديين الفاسيين علماء المغرب دهرا طويلا ، وبلغ عدد الفتاوى التى أقرت منعهم من مزاولة التجارة فى أسواق المسلمين اثنين وخمسين ، بينما أفتى علماء آخرون بعدم مشروعية حرمان هذه الطائفة من المسلمين من الكسب والاتجار – مهما كان أصلها – لان الاسلام يجب ما قبله. وألف الشيخ محمد بن أحمد ميارة (8) كتابا سماه : **نصيحة المغترين ، وكفاية المفطرين ، بالتفرقة بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين ، ولا خبر به الصادق الامين ، ولا ثبت عن الخلفاء المهتدين** . «جمع فيه فتاوى من قال بالاباحة ، وأسقط فتاوى من قال بالمنع ، وهو الاكثر عددا وعدالة وعدة ، ثم اتبع تلك الاجوبة بما ظهر له بحسب رأيه من الاخذ والقياس . وذلك الاخذ أكثره خطأ ، والقياس غير محكم» (9) .

وفى هذه الفترة التى نؤرخها (1073 – 1074) قام البلديون بمحاولة الرجوع الى الاتجار فى أسواق فاس ، وشكوا أمرهم الى القاضى أبى عبد الله المرى وقدموا له فتاوى الفقهاء الذين يبيحون مشاركتهم سائر المسلمين بالبيع والشراء ، وأعطوه هدية له وأخرى للسلطان محمد الحاج الدلائى ، وطلبوا من القاضى أن يستأذن لهم السلطان على أن يجعلوا لهما خراجا سنويا مقابل

---

(7) الف ابو القاسم الزيانى كتابا سماه **قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلديين بفاس** . ذكر فيه تاريخ اليهود فى فاس منذ أسسها المولى ادريس الثانى ، وسيرة من أسلم منهم الى عصره . ويحيط باسم مؤلف هذه القصة غموض . اذ نجد بعض النسخ غفلا من اسم المؤلف ، بينما ينسبها البعض لاحد الفاسيين . ويرى الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى أن مما يشكك فى نسبتها للزيانى كونه بربريا ينكر ما يراه العرب لانفسهم من فضل على غيرهم ، وتقريظه لكتاب فى الانتصار للبلديين اذ لو كانت فكرته ضدهم ما قرظه

(8) الشيخ محمد ميارة أستاذ الزاوية الدلائية وصاحب الشرح المشهور على المرشد المعين تقدمت ترجمته فى الباب الثالث . وقد تحامل عليه الزيانى فى قصة المهاجرين وقال عنه ان أصله يهودى

(9) ابو القاسم الزيانى ، **قصة المهاجرين** ، ص 481

ذلك . «فبعث بالهدية والموافقة الى الدلاء غير أن محمد الحاج كان يعلم تاريخ الفتاوى فى القضية خصوصا من والده الذى كان مقيما مدة بفاس يقرأ على القصار ، لانه ثبت عليهم الغش مرارا . فكتب محمد الحاج الى المرى يخبره بالمنع ، وكتب لقائده أحمد بن صالح بتفصيل القضية ، وأمره الا يترك المرى يفعل ما أراد هو والمهاجريون . فجمع القائد أحمد بن صالح أعيان فاس وقرأ عليهم كتاب الامير فساروا الى المرى ووبخوه ومنعوه من القضاء أياما ، ولولا خوفهم من محمد الحاج لقتلوه ونهبوا داره ، لاجل ما كان بين الفريقين من البغضاء القديمة» (10) .

المرحلة الثانية (1074 ـ 1076/1664 ـ 1666)

لم تكد ترجع وفود الفاسيين من آزرو ويرد خبر ارتحال السلطان محمد الحاج الى مدينة الدلاء ، حتى ظهرت نعرة الانفصال من جديد عند القائد الدريدى والى فاس الجديد . غير أن سكان المدينة الادريسية لم يوافقوه على ذلك ، وظلوا على وفائهم للدلائيين سواء منهم أهل عدوة فاس الاندلس أو عدوة فاس القرويين . وكان الذى يتولى أمر معارضة الدريدى والوقوف فى وجهه هو صهره رئيس الاندلسيين أحمد بن صالح الليرينى . وقد كون القائد الدريدى عصابة من المقاتلة للقيام بأعمال اللصوصية والنهب فأخذ يغير على قبائل بسيط سايس وقراها ومداشرها ، ويصل الى زرهون ومكناسة الزيتون «ويأتى بأمتعتهم وأموالهم ومواشيهم الى فاس الجديد ويبيعها . وكثر القطع والنهب والقتل بسبب ذلك ، وانقطع السفر فى الطرق . ويخرج أهل فاس العليا (11) الى لقائه بالطبول والغوائط (12) وكثر النكير عليه بفاس الادريسية من الاشراف والفقهاء وأعيان الناس» (13) .

انقطعت الصلات بين مدينتى فاس القديمة والجديدة ، وتطور الخلاف بينهما الى القتال ، وجرت خطوب هلك فيها عدد كبير من الناس . ورأى السلطان محمد الحاج الدلائى أن يردع الدريدى الثائر ، فجهز كتيبة قوية من فرسان قبيلة مجاط أرسلها الى بلاد سايس ، فترصدت للدريدى وعصابته حتى اذا خرجوا من فاس وابتعدوا عنها هجم عليهم المجاطيون وحكموا السيوف فى رقابهم ولاذ أفراد العصابة بالفرار وتبعهم فرسان مجاط يطاردونهم الى أبواب فاس ، وبقوا يحاصرونهم فى المدينة الجديدة أياما . وشكر القائد

(10) أبو القاسم الزيانى ، **قصة المهاجرين** ، ص 480
(11) المراد بفاس العليا (فاس الجديد)
(12) (الغوائط) فى اللغة الدارجة المغربية هى نوع من المزامير القصبية والمفرد (غيطة)
(13) محمد القادرى ، **نشر المثانى الكبير** ، ورقة 119/ب

المجاطى أهل فاس الادريسية على وفائهم وعدم انسياقهم مع العصاة ، وظل على اتصال بهم طيلة مدة الحصار الى أن رجع الى الدلاء . وبقى أهل فاس القديمة على ولائهم للدلائيين الى قيام الدولة العلوية كما سنرى فى فصل آت .

2 ـ الثورة ضد الدلائيين فى سلا والرباط

ا) عوامل الثورة

لم تكن هناك خلافات ـ على ما يظهر ـ بين الامير عبد لله الدلائى وبين رئيسى العدوتين وسكانهما ، بل بالعكس كانت الثقة متبادلة بين الامير ومساعديه ، فهو ينيبهم عنه فى المفاوضات مع الاجانب ويدافع عن مصالحهم لدى الدول الاوربية ، ولم يكن عبد الله الدلائى يرهق كاهل المواطنين بالاتاوات والمغارم لاستغنائه بالضرائب المفروضة على الصادرات والواردات فى الميناء ، ولا يؤديها فى الغالب الا التجار والبحارة الاجانب . هذا بالاضافة الى العمل التجارى الضخم مع أقطار شمال افريقية الذى يشترك فيه كل من الامير الدلائى وأعيان العدوتين ورؤساء السفن . فما هى ياترى الاسباب التى دعت الى الانقلاب فى سلا والرباط ؟ وكيف تم تنظيم الثورة والامير الدلائى حاضر يراقب الامور عن كثب ؟ للاجابة عن هاذين السؤالين ينبغى أن نرجع الى الوراء قليلا لنتذكر الحالة التى أدت الى تدخل الدلائيين فى شئون العدوتين خلال عامى 50 ـ 1051/40 ـ 1641 . فعندما كان المجاهد العياشى يحاصر الموريسكيين فى القصبة جمع محمد الحاج الدلائى من حوله رؤساء قبائل الغرب الذين كانوا ينافسون العياشى ، ووقع اغراء الاعراب للتقاعس عن نصرة المجاهد واغتياله . وتم للدلائيين ما أرادوا من السيطرة على بلاد الغرب كلها ، ولكن هذا الانتصار لم يكن فى الحقيقة الا عابرا ، كما لم يكن خضوع القبائل الا ظاهرا اذ كان حب العياشى وتقديره متمكنا من نفوس مساعديه وأنصاره ، فلم يستسلم قط عبد الله العياشى ولا الخضر غيلان ، وظلا يناصبان الدلائيين العداء جهارا ، ويناوشانهم فى كل مناسبة . هذا الى ما كان من وحشة الموريسكيين ونفرتهم من الامير عبد الله الدلائى بعد أن حاصرهم فى القصبة وطردهم منها وانتزع من أيديهم السلط الحقيقية غير تارك لديوانهم الا مسائل ثانوية تافهة . فقد كان هناك اذن خصوم للدلائيين من الاعراب والموريسكيين أغراهم انتصار الخضر غيلان فى الشمال فجمعوا شتاتهم ونظموا الانقلاب فى جو من التكتم التام . ولم تتحدث المصادر العربية عن هذه الثورة التى قامت فى العدوتين الا عرضا وباشارات خاطفة ، ولم نتعرف على بعض التفاصيل الا بواسطة المراسلات التى وجهها قناصل الدول الاجنبية المقيمون فى سلا آنذاك

الى حكوماتهم ، ولاسيما القنصل الهولاندى دافيد دوفربيس الذى عاش تلك الاحداث ، وعبر نهر أبى رقراق تحت وابل الطلقات النارية للثوار (14) .

ب) حصار عبد الله الدلائى فى القصبة

فى يوم هادىء من أيام شهر جمادى الاولى عام 1070/فبراير 1660 بينما كانت الحالة تسير سيرها العادى فى العدوتين ، والبحارة يشتغلون فى المرفأ ليخرجوا الى عرض البحر سفينة محملة بالسلع فى ملك أمير سلا وأعيان التجار لتتجه الى الجزائر ، وفى نفس الوقت الذى كان الامير الدلائى يستقبل القناصل فى قصره المطل على نهر أبى رقراق ، اذا بالمدافع تقصف قصفا مزعجا متواليا. والبنادق العديدة تطلق نيرانها دفعة واحدة ايذانا بنشوب الثورة . وكانت القبائل العربية المجاورة لسلا والرباط على موعد مع هذه الاشارة ، فأعلنت العصيان على الفور ، وحملت السلاح ضد الدلائيين. وقام الرباطيون بمحاصرة الامير عبد الله فى القصبة بينما أخرج السلاويون مدافع العياشى الضخمة ونصبوها على ضفة النهر وبدؤوا يطلقون النار على القصبة . ولم تتمكن مدافع الرباطيين من اصابة حامية الحصن لانخفاض أرضهم فكوموا التراب الى أن جعلوه عاليا كالابراج ، وبدؤوا يصلون القصبة بنيران مدافعهم . وكان مع الامير عبد الله الدلائى داخل الحصن ألفان من جنود البربر ، ردوا بالمثل على هذا الهجوم المفاجىء ، وصوبوا مدافعهم شمال النهر وجنوبه وقاوموا فى نفس الوقت السلاويين والرباطيين . ولم تتضرر مدينة سلا لبعدها عن مرمى مدافع القصبة ، بينما هلك كثير من الرباطيين بالقنابر التى كانت تقذف بها مدافع الدلائيين وسط الشوارع والساحات . وبلغت أخبار الانقلاب الى السلطان محمد الحاج الدلائى فجيش الجيوش وقصد سلا لكنه وجد الخضر غيلان قد سبقه الى الميدان ، ومن حوله أعراب الغرب ، وكانت الدائرة على محمد الحاج ، وبقى ابنه عبد الله محاصرا فى القصبة ثمانية عشر شهرا أظهر خلالها بطولة نادرة وجلدا كبيرا .

ج) هل حاول الدلائيون تسليم القصبة الى دولة أوربية ؟

تقول بعض الروايات الاوربية ، ان عبد الله الدلائى لما طال عليه الحصار فى القصبة ، وأيقن أن أباه لن ينجده ، لجأ الى الاوربيين ليمدوه بالميرة والذخيرة ويساعدوه على فك الحصار . وتتضارب هذه الروايات ، فيزعم بعضها أن عبد الله الدلائى طلب المعونة من حاكم سبتة الاسبانى المركيز ديلوص اركوص

(14) انظر نص الرسالتين التى بعث بهما دوفربيس الى الولايات العامة حول ثورة العدوتين فى : دو كاسترى ، **مصادر لم تنشر** ، سلسلة البلاد الواطئة ، 6:613 _ 616

واقترح عليه أن يسلم قصبة سلا الى ملك اسبانيا فليب الرابع ، مقابل أن يحمل فقط، الى الجهة التى يريد النزول فيها من شواطىء المغرب لكن اسبانيا التى كانت مرتبطة بحلف صداقة مع الخضر غيلان ، أخبرته بهذا الاقتراح ، فأشار عليها برفضه لما كان يعلم من حرج موقف خصمه (15) وتقول رواية أخرى أن عبد الله الدلائى أرسل الى حاكم طنجة الانجليزى الكونت ديطيفيو « Le Conte de TEVIOT, Gouverneur à Tanger » يطلب منه الزاد والمعونة وكان هذا الحاكم يخشى غيلان ويعرف رغبته فى الاستيلاء على مدينة طنجة ؛ لذلك رحب بمبعوثى الامير عبد الله الدلائى ، وبعث اليه بسفينة محملة بالطعام والذخيرة الحربية . فمكنت هذه الاغاثة القصبة من أن تتحمل الحصار مدة طويلة . ثم جاء أسطول انجليزى بمدد آخر الى القصبة ، فاقترح الامير عبد الله الدلائى على قائد هذا الاسطول أن يسلم اليه قصبة سلا مقابل ألف قنطار من مسحوق البارود ، وألف بندقية (16) . على أن التعليمات السرية التى وردت على حاكم طنجة الكونت ديطيفيو من حكومته فى 21 دجنبر 1663 (جمادى الاولى 1074) لم تشر الى هذا العرض المزعوم ، وانما طلبت منه أن يمتلك قصبة سلا حالة ما اذا طلب منه الدلائى ذلك مقابل شروط معقولة ، وان يبالغ المجهود حتى لايقع هذا الحصن فى يد الخضر غيلان (17) ؛ ويبدو أن كلتا الروايتين لا أساس لهما من الصحة ، أما الاولى التى تقول بمد الامير عبد الله الدلائى يده الى الاسبانيين فان ذلك مناف للعداوة الصريحة القائمة بين الطرفين باستمرار . وما زلنا نذكر جهاد هذا الامير ضد الاسبانيين فى المعمورة ، ومحالفته للدول الاوربية المعادية لاسبانيا ، كهولاندا ، وانجلترا ، وفرنسا ، ولم يثبت أنه هادن الاسبانيين أو عاملهم بالتجارة أو غيرها فكيف يتصور أن يلجأ الامير الدلائى الى عدوه اللدود فى أحرج الظروف يرجو منه العون والنصرة ؟! وفيما يتعلق بالمساعدة الانجليزية ، يبدو من المعقول جدا أن يتوجه الامير الدلائى الى هذه الدولة التى تربطه بها معاهدة 19 غشت 1657 ولا سيما وقد كانت طنجة أقرب المراكز التى يمكن أن يستنجد بها . لكن مسألة تسليم القصبة الى الانجليز مقابل كمية من الذخيرة الحربية تنقصها الحجة والبرهان . ولا يمكن الاعتماد على ما جاء فى التعليمات السابقة التى وردت على الكونت ديطيفيو ، لانها انما تتحدث عن احتمال تقدم الدلائى باقتراح تسليم القصبة الى انجلترا لا عن وقوع ذلك بالفعل . هذا بالاضافة

15) « De Castries, *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, Pays Bas, T.V.P. XXVII. »
16) « Mission Scientifique du Maroc, *Villes et tribus*, (Rabat et sa Région) T.I. P. 84 »
17) « Archives Marocaines, T. XVIII, P. 29. »

الى أن الامير عبد الله الدلائى كان قد خرج من القصبة قبل ورود هذه التعليمات بنحو عامين ونصف اذ استطاع أن يفلت من الحصار المضروب عليه فى شهر شوال 1071/يونيه 1661 ويغادر الحصن خلسة الى تامسنا على ظهر سفينة انجليزية (18) بعد أن أسند القيادة الى أحمد الجنوى الذى تابع مقاومة الحصار الى فصل الربيع من عام 1074/1664 . وكان الرئيس غيلان قد مل هذا الحصار الطويل ، فأرسل أخاه الطاهر فى ثلاثمائة فارس ليوقع اتفاقا مع رؤساء مدن أبى رقراق الثلاث كى يقتسموا بالسوية جميع المداخيل «وفى 3 ماى 1664 قطعت القصبة كل علاقة مع الزاوية الدلائية ودخلت فى حماية غيلان وقد أقر أحمد الجنوى فى منصبه ثم سمموه فمات» (19) .

وهكذا ترك الدلائيون مكرهين مدن أبى رقراق بعد أن ظلوا فيها نحو ربع قرن ، كانوا فيه أصحاب الحكم المطلق والسلطان الذى لايحد ، ونعموا بكثير من الثراء والجاه ، ورهبتهم الدول الاجنبية وخطبت ودهم عن طريق المعاهدات ، ولقوا نفس المصير المحزن الذى لقيه العياشى على يديهم ، فذاقوا ألم الحصار أعواما ، وتركوا فى الميدان ألوف القتلى واكتفوا من الغنية بالاياب.

3 ـ القضاء على الزاوية الدلائية ـ تخريبها

ا) ظهور السلطان الرشيد بن الشريف العلوى

كان للشريف بن على جد الملوك العلويين الحاليين منزلة رفيعة ، وحظوة كبيرة عند السجلماسيين ، وكان له أولاد عديدون ، أكبرهم المولى محمد الذى تزعم بلاد تافيلالت ودرعة منذ منتصف القرن الحادى عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) بعد أن طرد منها أبا حسون السملالى ، وجرت بينه وبين الدلائيين من أجل تحديد مناطق النفوذ وقائع حربية عديدة سبقت الاشارة اليها . ولما توفى الشريف بن على (رمضان 1069/يونيه 1659) خرج ابنه الرشيد من تافيلالت فارا من أخيه السلطان محمد بن الشريف ، لمنافسة كانت بينهما . وظل الرشيد يتنقل فى جبال الاطلس الكبير والمتوسط الى أن وصل الى الزاوية الدلائية ، وأقام بها أياما . وتقول بعض الاساطير أن احد الدلائيين أخبر الرشيد بأنهم عرفوا من بعض الاخباريين (20) أن اخلاء زاويتهم سيكون على يد سلطان يسمى الرشيد ، وطلب منه أن يغادر الدلاء عاجلا مخافة أن يصيبه

---

18) دوكستري . مصادر لم تنشر . سلسلة البلاد الواطئة ، ج 5 ص 27

19) نفس المصدر والجزء ، ص 28 . واحمد الجنوى هذا لعله من أبناء الامين سعيد الجنوى الحاكم السابق لمدن سلا وخليفة الامير عبد الله الدلائى

20) يراد بالاخباريين الكهان الذين يطلعون على احداث المستقبل وينبئون بالغيب



أقرب مثال لصورة السلطان الرشيد بن الشريف العلوى

الذى من رؤسائهم بسبب ذلك . ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى حل فيها الرشيد بن الشريف بالزاوية الدلائية ، فقد سبق له أن أقام بها مدة يدرس العلم أيام الطلب (21) وزارها مرة أخرى مع اخوته عندما سجن أبو حسون السملالى أباهم الشريف بن على فى سوس ، وكانوا يرغبون فى وساطة الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى لاطلاق سراح والدهم الاسير .

خرج الرشيد بن الشريف من الزاوية الدلائية ، وسار الى فاس وتازا ، وانتهى به المطاف الى حصن اليهودى الثرى ابن مشعل فى أرض بنى يزناسن شمال غربى وجدة ، «فقتله وأخذ أمواله وذخائره وفرقها فيمن تبعه وانضاف اليه . فتقوى بذلك عضده وتوافر جمعه وتناقل الركبان حديثه» (22) وسارع السلطان محمد بن الشريف الى ملاقاة أخيه الرشيد حين بلغه اجتماع قبائل المغرب الشرقى عليه ، وكان اللقاء بين لاخوين فى بسيط انجاد (23) غربى وجدة ، ولم تكد تنشب المعركة حتى خر السلطان محمد بن الشريف صريعا (محرم 1075/غشت 1664) وانضم جنده الى أخيه الرشيد ، فتقوى أمره وتقدم الى تازا فملكها بعد حروب عصبية ، وصفا له المغرب الشرقى كله ، وبايعه أهله على السمع والطاعة . ثم قصد سجلماسة ، وكان قد تزعم أمرها ابن أخيه محمد الصغير ، فحاصرها سبعة أشهر الى أن فتحها وانبسط نفوذه على شرق المغرب وجنوبه .

ب) استيلاء الرشيد على فاس

لما علم الفاسيون بنبأ ظهور الرشيد بن الشريف وانتشار نفوذه ، عقدوا حلفا مع جيرانهم الحياينة والبهاليل وغيرهم من القبائل العربية ، ليقفوا فى وجهه ويمتنعوا عليه ، «وأمر رؤساء فاس عامتها بشراء الخيل والعدة والاكثار منها ، ووظفوا على كل دار مكحلة (بندقية) ومن لم توجد عنده مكحلة منهم يعاقب . فاشتروا من ذلك فوق الكفاية ..» (24) وحاول الفاسيون أن يغزوا السلطان الرشيد فى تازا ويبادروه بالحرب قبل أن يتوجه اليهم ، لكنهم

---

(21) عبد الودود التازى ، **نزهة الاخيار المرضيين** ، ورقة 7/ب

(22) محمد الصغير الافرانى ، **نزهة الحادى** ، ج 1 ، 301 – 302

(23) ذكر محمد الحجوى فى رحلته الخطية ، ص 78 بسيط انجاد فقال «هو سهل منسح بين الجبل الشمالى اعنى جبل بنى يزناسن ، والجبل الجنوبى وهو من جبل دزن اعنى جبل بنى بوزكوا والزكارة وبنى يعلى وابتداؤه غربا من قصبة عيون سيدى ملوك الى وجدة شرقا . وسكان هذا السهل عرب الشجع والمهايا وأهل انجاد أولاد أحمد بن ابراهيم والكل عرب رحالة أصحاب الخيام»

(24) أحمد الناصرى ، **الاستقصا** ، ج 7 ص 33

ما كادوا يقابلون محلته حتى انهزموا من غير قتال وطاردهم جند السلطان الى قنطرة نهر سبو خارج مدينة فاس . وقد قضى الرشيد عام 1665/1076 — 1666 كله فى حصار فاس وقتالها دون جدوى ولم يستطع الدخول اليها الا بعد أن عقد اتفاقا سريا مع بعض أعيانها الذين مهدوا له السبيل ، وضللوا خصومه وأبعدوهم عن المدينة ، فى أخبار طويلة (25) هذا مجملها :

كان للرشيد وزيران يعتمد عليهما ، هما أخوه الحران ، وابن أخيه أحمد ابن محرز ، وقد نصحاه بأن يتخذ واسطة يكون بينه وبين أهل فاس ، ودلاه على أحمد بن الشيخ عبد الرحمان الفاسى صاحب الزاوية التى بحى القلقليين لما كان له من الوجاهة عند قومه . فأرسل اليه الرشيد بعض خاصته سرا ووعده ومناه . فقبل أحمد الفاسى أن يقوم بالدعوة للعلويين ، واتفق مع طائفة من أعيان المدينة الادريسية على التخلص من أحمد بن صالح اللريني حاكم المدينة من قبل الدلائيين . وبذلك اتجه السلطان الرشيد لحصار فاس الجديد واستطاع بمساعدة بعض السكان أن يصعد على السور من جهة الملاح ويدخل الى المدينة ويقبض على رئيسها أبى عبد الله الدريدى . واتفق ابن صالح مع أهل فاس القديم على أن يسير هو الى السلطان محمد الحاج الدلائى ليأتى بجيش من البربر يساعدهم على مدافعة خصمهم ، وخرج الحاكم الليرينى ليلا فى عشرة من الفرسان من باب الفتوح واتجه نحو خولان (26) فى طريق صفرو ليلتحق منها بمدينة الدلاء . غير أن الرشيد الذى أشعر بذلك اعترض طريقه فى ألفى فارس وقبض عليه فى منتصف الليل ، ثم أصبح على أبواب المدينة القديمة يعلن للفاسيين أسره للحاكم ويطلب منهم أن يبايعوه على أن يحسن معاملتهم ، ويصفح عن اساءتهم . فلم يجد الفاسيون بدا من الاستسلام والخروج الى السلطان الرشيد ، فبايعوه وقدموا له مراسم الولاء والطاعة . وبعد ذلك قتل ابن صالح شر قتلة فى جماعة من أتباعه وأصحابه ، وانتهبت أموالهم وأمتعتهم ، وبيعت عقاراتهم وضمت الى بيت المال ، بعد أن شهد نحو 20 من العلماء باستغراق ذممهم . وكافأ السلطان الرشيد داعيته أحمد الفاسى بأن صرف اليه فتوحات أبى الحسن بن حرزهم بعد أن انتزعها من يد القادريين وكان للدلائيين بالقرب من فاس مركزان هامان ، أحدهما مدينة صفرو التى يجاورها برابرة آيت يوسى ، والثانى مدينة مكناس التى يرابض على أبوابها برابرة آيت ولال . وقد هجم السلطان الرشيد أكثر من مرة على صفرو دون جدوى ، وأمكنه أخيرا أن يستولى على مكناسة الزيتون وينتصر على الولاليين .

(25) ذكر هذه الاخبار مفصلة عبد السلام بن الخياط القادى فى **التحفة القادرية** ، 150:2 ومابعدها
(26) بلاد خولان هى التى فيها حمة سيدى حرازم بضاحية فاس

د) معركة (بطن الرمان) – تخريب الزاوية الدلائية

في الوقت الذى توالت فيه انتصارات السلطان الرشيد بن الشريف العلوى كان أمر محمد الحاج الدلائى فى ادبار ، فقد بلغ من الكبر عتيا وأصاب مرض السادة احدى عينيه وفقد أبناءه ما عدا عبد الله ، ولم يكن اخوته وبنو عمه أبطال حرب وكفاح ، وانما كانوا رجال علم ودين ، فضعفت القيادة الحربية للدلائيين وان بقيت قبائل الاطلس الباسلة وفية لهم . وماذا يا ترى يستطيع رجل بلغ الثمانين من عمره أو قاربها أن يعمل فى الميدان ؟ وماذا يمكنه أن يصنع فى ترتيب الجيوش وتجهيزها وقيادتها ؟ الحقيقة ان كل شيء كان خلال عام 1078/1668 ينذر بقرب حلول الكارثة بالزاوية الدلائية . فبعد أن انتزع الخضر غيلان المناطق الشمالية وبلاد الغرب من يد الدلائيين ، جاء السلطان الرشيد واستولى على المغرب الشرقى ومدينتى فاس ومكناس . وعبثا حاول محمد الحاج أن يقاوم هذا التيار الجارف ، فخرج على رأس جنده من البربر وقصد خصمه الرشيد فى سهول سايس ، والتقى الجمعان على ضفة نهر بومزورة أحد روافد وادى فاس «فتقاتلا قتالا خفيفا نحو ثلاثة أيام ثم رجع محمد الحاج الى الدلاء» (27) .

تجلى للسلطان الرشيد فى هذه المناوشات ضعف الدلائيين وعجزهم ، فتوجه اليهم فى جموع كبيرة ، ولم يعترض طريقه أحد حتى أشرف على الزاوية الدلائية ولم يعد يفصل بينه وبينها الا نحو 25 كلم . فوجد الدلائيين مجمعين على حربه فى سهل (بطن الرمان) (28) بقيادة أحد أبناء محمد الحاج (29) . ودارت المعركة الفاصلة بين الدلائيين والعلويين فى الايام الاولى من عام

---

(27) محمد القادرى ، **نشر المثانى الكبير** ، ورقة 124/ب

(28) يكتنف الزاوية الدلائية موضعان يحمل كل منهما اسم الرمان . ففى شمال الزاوية الدلائية بطريق خنيفرة يقع السهل الذى تسميه قبائل زيان (بور مان) وهو الذى نرجح انالمعركة دارت فيه ، لوقوعه على الطريق الطبيعية التى يمكن أن يسلكها الرشيد من فاس الى الزاوية الدلائية . ويوجد بجنوب مدينة الدلاء فى طريق قصبة تادلة مكان يسمى (بطن الرمان) تقوم فيه اليوم قرية زاوية الشيخ . ويبعد أن يكون جيش العلويين قد سلك طريق الغرب التى تبلغ مسافتها ضعف مسافة الطريق الاولى . لاسيما وان بلاد الغرب وتامسنا وتادلا لم تكن قد دخلت بعد فى طاعة السلطان الرشيد ولا يمكن أن نفترض اختلاط الاسمين على بعض المؤرخين لان الامام اليوسى وهو البربرى الذى لاتخفى عليه مواقع بيئته ولا تلتبس عليه أسماؤها قد عبر فى **المحاضرات** عن ميدان المعركة ببطن الرمان ، وعنه نقل ذلك سائر المؤرخين . فلم يبق الا أن نفترض أن (بورمان) كان يسمى «اذاك» ببطن الرمان ، او أن اليوسى تصرف قليلا وأدخل كلمة (بورمان) فى قالب عربى

(29) لم يبق حيا من أبناء محمد الحاج فى هذا التاريخ الا عبد الله . بينما تعبر جل المصادر عن قائد معركة بطن الرمان بانه أحد أبناء محمد الحاج . الا أبا القاسم الزيانى فانه قال فى **الترجمان** ، (ص 373) «فلقى محلة أهل الدلاء مع ولد محمد الحاج» وهو عبد الله

1079/1668 ولم يصمد البربر الا قليلا ثم تراجعوا مهزومين ، فتبعهم الرشيد الى ان نزل على أبواب مدينة الدلاء . ويصف لنا أبو على اليوسى عن مشاهدة هذه الفترة العصيبة من حياة الزاوية الدلائية المحتضرة ويذكر حال السلطان محمد الحاج بقوله : «..فدخلنا عليه وكان لم يحضر المعركة لعجزه من كبر سنه ، فاذا بالفل يدخلون ، فدخل عليه أولاده (30) واخوته ، وأظهروا جزعا شديدا وضيقا عظيما ، فلما رأى منهم ذلك قال لهم : ما هذا ؟ ان قال لكم حسبكم فحسبكم ، يعنى الله تعالى . وهذا كلام عجيب ، واليه يساق الحديث. والمعنى ان قال الله تعلى لكم حسبكم من الدنيا فكفوا راضين مسلمين» (31)

ثم خرج محمد الحاج لملاقاة السلطان الرشيد وسأله عما يريد فأجابه الرشيد بأنه يريد الملك . فقال محمد الحاج : (هو الان فى محله) وبايعه ودفع له بعض المال . وقد مكث الرشيد فى الدلاء شهرا ونصف شهر (8 محرم ـ 22 صفر 1079/17 يونيه ـ 30 يوليوز 1668) واستولى على ما كان فى عاصمة الدلائيين من مال وذخيرة وخيل وسلاح ، وأخذ ما فى الخزائن من الكتب والوثائق ، وما فى الحظائر من الماشية والدواب ، ولم يترك للدلائيين الا ما لا غنى لهم عنه وأمرهم بالرحيل الى فاس ثم أعمل المعاول والفؤوس فى مبانى المدينة ، وهدم ما استطاع أن يهدمه منها وتركها خرابا موحشة . ثم صعد الى الزاوية الدلائية القديمة وفعل بها ما فعل بالزاوية الحديثة وكانت مبانيها أقل متانة وصلابة فهدمها كلها وطمس معالمها ، وتركها قاعا صفصفا كأن لم تغن بالامس ، ولم يترك منها الا القبتين المشيدتين على ضريح الشيخ أبى بكر الدلائى وابنه محمد فى جوف المسجد .

(30) لم يبق لمحمد الحاج من الاولاد فى هذا التاريخ الا عبد الله . ولعل اليوسى يقصد بالاولاد ما يشمل الاحفاد أيضا

(31) الحسن اليوسى ، **المحاضرات** ، ص 86 ـ 87

الباب السابع

أثر الدلائيين فى خارج زاويتهم

1 - خروج الدلائيين الى فاس

ا) تغريب الدلائيين الى تلمسان

ب) ثورة أحمد الدلائى على السلطان اسماعيل

2 - العلماء الدلائيون فى فاس ومكناس

ا) محمد المسناوى الدلائى شيخ الجماعة بفاس

ب) تلاميذ الدلائيين فى فاس

3 - الكتب التى ألفها الدلائيون

ا) جدول مؤلفات الدلائيين

ب) جدول الكتب التى ألفت فى الدلائيين

4 - بقايا البيت الدلائى

ا) مساكن قبيلة مجاط اليوم

ب) أحفاد الدلائيين فى فاس والدار البيضاء والرباط

1 ـ خروج الدلائيين الى فاس *

لما استولى السلطان الرشيد على الزاوية الدلائية، أخرج منها جميع من كان فيها من السكان وأجلاهم عنها، فرجع العلماء والطلبة والتجار الى مساقط رؤوسهم، وتفرقوا فى جبال الاطلس وعلى ضفاف ملوية، أو فى بلاد تادلا وضواحى مراكش. وتوجه الدلائيون، ومعهم الامام اليوسى، بأمر من السلطان الرشيد الى فاس، ولم يحدد لهم مكانا معينا يقيمون فيه بهذه المدينة، فسكنوا حيث أمكنهم السكن، واختلطوا بعامة الناس، وكان لهم كثير من الاصدقاء والاصهار من بين البيوتات الكبيرة في فاس، مثل القادريين والطاهريين وغيرهم. وقد أقرهم السلطان الرشيد فى منازلهم التى اختاروها بعد رجوعه من مراكش، ثم بدا له فى شهر رمضان من نفس السنة (1679) أن يخرج طائفة من الدلائيين الى ضريح أبى الحسن بن حرزهم (حرازم) بظاهر فاس، حيث بقوا هنالك الى آخر السنة، فعفا عنهم وسمح لهم بالدخول الى المدينة (1) ماعدا محمد الحاج وبنيه فانه أمرهم بمغادرة المغرب والالتحاق ببلاد الجزائر.

ا) تغريب الدلائيين الى تلمسان

خرج محمد الحاج وعشيرته الاقربون الى تلمسان فى مستهل عام 1080/1669 ونزلوا بحرم العباد الذى فيه ضريح الشيخ أبى مدين الغوث. وهناك أسطورة تقول ان محمد الحاج اغتم كثيرا عندما وجد نفسه خاملا مهملا لم يعبأ به أحد من التلمسانيين، كأنه لم يكن الى زمن قريب سلطانا نافذ الامر عزيز الجانب، فقال لبعض ذويه: «كنت وجدت فى بعض كتب الحدثان أنى أدخل تلمسان، فظننت أنى أدخلها دخول الملوك، فدخلتها كما ترون!»(2) وكانت مدينة تلمسان خاضعة اذذاك للاتراك العثمانيين الذين تربطهم بالدلائيين أواصر الود والصداقة. وقد رأينا فى الباب السادس بعض جوانب

* يشتمل هذا الباب على استطرادات موجزة خارجة عن نطاق عصر الزاوية الدلائية، لكنها ضرورية للالمام بالتطورات الطارئة على أبناء هذه الزاوية حتى عصرنا الحاضر

(1) ذكر أحمد الناصرى فى **الاستقصا**، 39:7 أن السلطان الرشيد بعد اخراج الدلائيين الى ضريح الشيخ ابن حرزهم «فعفا عن الجميع وردهم الى بلادهم الا ...» وهذا سبق قلم لانه لم يسمح لأحد من الدلائيين بالرجوع الى بلاده» خصوصا أيام الرشيد. وربما وقع اللبس بقضية آل زاوية آيت عياش، فهم الذين غربهم الرشيد الى فاس. ثم أذن لهم المولى اسماعيل بالرجوع الى ديارهم على اثر توليه الملك. على أن محمد القادرى نص فى **نشر المثانى الكبير**، ورقة 127/ب على أن الرشيد سامح الدلائيين فى «أخر العام «وردهم الى فاس جميعا»

(2) أحمد الناصرى، **الاستقصا**، 37:7

التقارب الدلائي التركي ، ولاسيما في ميدان التبادل التجارى ، والتعاون في الجهاد البحرى ضد المسيحيين . فكان ميناء سلا مفتوحا باستمرار في وجه قراصنة الجزائر العاملين في المحيط الاطلنطي ، يأخذون منه المئونة والذخيرة، ويحملون اليه غنائمهم للبيع ، أو يلجؤون اليه من عواصف المحيط الهوج أو من غارات الاعداء ومطاردتهم . كما كانت موانىء الجزائر كثيرا ما تستقبل السفن التجارية للامير عبد الله الدلائي ، ومراكب المجاهدين السلويين والتطوانيين . وزاد في التقارب بين الدلائيين وأتراك الجزائر ، اتفاقهم في خصومة العلويين ومناصبتهم العداء . فمنذ طلوع محمد بن الشريف من تافيلالت الى المغرب الشرقي في أواسط القرن الحادى عشر الهجرى ، وهجومه على تلمسان وتوغله في بلاد الجزائر ، والعثمانيون يعانون ضروب المحن وصنوف المتاعب من جراء تمرد الجزائريين عليهم ، بما أذكاه فيهم السلطان العلوى من روح الثورة والمقاومة . فكان الاتراك يتميزون غيظا على محمد بن الشريف ولا يستطيعون محاربته لايغاله في الصحراء ، ثم جاء الرشيد بن الشريف فركز نفوذه أولا في بني يزناسن وبسيط أنكاد ووجدة ، وتضايق العثمانيون من اجتماع قبائل الحدود عليه والتفافها حوله ، وسيمتد الخلاف بين العثمانيين والعلويين الى أيام السلطان اسماعيل ليتطور الى معارك طاحنة .

هكذا يبدو أن الظروف كانت مواتية بعض الشيء للدلائيين في منفاهم بتلمسان ولو أنهم فارقوا الاهل والوطن ، وتركوا النفوذ والصولة ، وتجردوا من الثروة والجاه فانهم وجدوا في ولاة الامر بالجزائر أصدقاء يواسونهم ويعترفون بمجدهم التليد . لكن سوء الطالع وعثر الجد لاحقا الدلائيين حتى في بلاد الغربة ، فعاملهم التلمسانيون بما يعاملون به حكامهم الاتراك من النفرة والجفاء ، وعدوهم خصوما عملا بقاعدة (صديق العدو عدو) . وطالما تعرض الدلائيون في السنوات الخمس التي قضوها بتلمسان الى تهجمات السكان وايذائهم ، فبالاضافة الى أنواع المضايقات والاهانات ، لم يتورع التلمسانيون عن سلب كل ما وصلت اليه أيديهم من مال الدلائيين ومتاعهم ، بل وقتل من تمكنوا من سفك دمه منهم . وقد توفي محمد الحاج الدلائي بعد سنتين من مجيئه الى تلمسان (4 محرم 1082/14 ماى 1671) فدفنه ولده عبد الله في العباد بالقرب من ضريح الامام السنوسي ، ثم توجه الى الحجاز لاداء فريضة الحج ، وبقي في بلاد الشرق العربي نحو عامين ولعله كان يبحث خلالهما عن مكان ملائم يمكن أن ينتقل اليه باهله ، في مصر أو غيرها من الاقطار الاسلامية . ولا عبرة بما يدعيه بعض المؤرخين الاوربيين من خروج

عبد الله الدلائي بأهله وذخائر أسرته الى مصر عند استيلاء السلطان الرشيد على الزاوية الدلائية واقامته هنالك الى أن أدركته الوفاة ، فان ذلك محض افتراض تنقصه الحجة والبرهان ، ويجافيه الرأى والمنطق ، بل تناهضه الوثائق الصحيحة ، واجماع المؤرخين المغاربة . فقد عرفنا فى الباب السابق أن السلطان الرشيد العلوى حينما تصدى لحرب الدلائيين لم يمهلهم ولو فترة قصيرة ، فبعد أن تغلب عليهم فى بطن الرومان طاردهم الى مدينة الدلاء ، وأخرجهم منها على التو الى فاس بعد أن استولى على جميع ذخائرهم ، من مال وسلاح وماشية وغير ذلك . فكيف ياترى يمكن لعبد الله الدلائى أن يخترق الحصار ، بعد الانهزام والانكسار ، أو يفلت بالذخائر من أيدى جند الرشيد الذين كانوا يتطلعون الى الاستحواذ على ما للدلائيين من سلاح وكراع ! اللهم الا أن نفترض وقوع ذلك قبل مجىء الرشيد ؛ وهذا يعنى أن الدلائيين كانوا قد بلغوا درجة الانهيار واليأس ، الامر الذى يتنافى وخروجهم فى تجمع عظيم لملاقاة خصمهم على مسافة 25 كلم من الزاوية . وما كان أحراهم ــ لو صح هذا الافتراض ــ أن يخرجوا جميعا وفى مقدمتهم الشيخ الهرم محمد الحاج ، اذ لايعقل أن يفر بطل الاسرة الشاب عبد الله تاركا وراءه أباه العاجز وحريمه عرضة لهجوم الخصوم .

على أن جميع المؤرخين المغاربة الذين تعرضوا لذكر أخبار الدلائيين لم يشيروا الى هذا الفرار المزعوم . بل على العكس من ذلك نرى من اهتم منهم بتفاصيل هذا الحادث التاريخى ينص على أن عبد الله الدلائى كان لايزال فى الزاوية الدلائية عند استيلاء الرشيد عليها «وخرج فيمن خرج من الزاوية مع والده عند تخريبها وسار معه الى تلمسان» (3) .

وهناك وثيقة تاريخية هامة تؤيد وجود عيال عبد الله الدلائى فى تلمسان خلال عام 1085/1674 ، وتنص على أنه رجع فى هذه السنة من المشرق الى عاصمة الجزائر حيث بقى ينتظر اخماد الثورة القائمة فى تلمسان ليلتحق بأهله فى هذه المدينة . ورد ذلك فى الرسالة التى بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائى الى السلطان اسماعيل بن الشريف معتذرا عن تخلفه بتلمسان ، بعد أن رجع أهله الى فاس : «..الاعلام لسيدنا بعذرى عن التخلف . فليعلم مولانا السلطان نصره الله أن موجبه مامعى من عيال أبى فكرهت أن أفتات عليه وهو غائب ، فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر . ولما خرج برسم الوصول الى

(3) سليمان الحوات ، البدور الضاوية ، ورقة 205/1

العباد حرم القطب الغوث أبى مدين نفع الله به ، وجد هذه الفتنة بين يديه
تتأخر حتى يسكن هرجها ، ويخمد وهجها ..» (4)

وكانت الفتنة التى تحدث عنها أحمد الدلائى عظيمة فى تلمسان ، كما
كان اخمادها والقضاء عليها من طرف الاتراك أعظم وأشد . وقد سلم الدلائيون
منها اذ عاد أكثرهم الى فاس قبيل نشوب الثورة باذن من السلطان اسماعيل
(جمادى الاولى 1085/شتنبر 1674) وأوصى عبد الله الدلائى فى الجزائر
قائد الحملة التأديبية التركية التى توجهت الى تلمسان ، وطلب منه أن يجنب
جنوده مساكن أهله فى حرم العباد . وجاء عبد الله الدلائى فعلا الى تلمسان
بعد سكون الهيعة ، ومكث فيها الى أن توفى أواخر عام 1086/1676 ودفن
بجوار والده محمد الحاج بالعباد ، ورثاه ابنه أحمد بقصيدة بليغة مؤثرة
تشتمل على 52 بيتا ، جاء فى مطلعها :

ألا هل فتى مثلى كئيب أراسله   وأشكو له قلبا دهته بلابله
يطارحنى أحزانه وهمومه   يسائلنى عن محنتى وأسائله (5)

ب) ثورة أحمد الدلائى على السلطان اسماعيل

أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائى شخصية فذة تمثل آخر أبطال
الدلاء وفرسانها الشجعان . بدت كفاءات الحربية فى وقت مبكر من عمره ، وولاه
جده محمد الحاج أمر فاس ، وهو ما يزال حدثا فى مقتبل العمر كما سبق ،
وزعم بعض الرواة أنه هو الذى قاد الدلائيين فى معركة بطن الرمان ، وسبق
أهله الى تلمسان فمهد لهم السبيل وهيأ المقام . وليست الغرابة فى شخصية
أحمد الدلائى آتية من بطولته المبكرة ، وتفوقه فى التدبير والحرب ، أو من
علمه الجم وأدبه الرفيع ، فقد سبقه الى هذه لميادين أبوه وجده وكثير من بنى
عمه . وانما الغرابة فى أن أحمد الدلائى كان فى نفس الوقت بطلا مغوارا وعالما
كبيرا وأديبا ممتازا ، لا أغالى اذا قلت انه أشجع الدلائيين وأشعرهم على
الاطلاق . والمرء قد يمتاز فى احدى الناحيتين الادبية أو العسكرية ، وقد
يشارك فيهما معا ويكون عاديا فى الامرين ، أو يتغلب عليه أحد الاتجاهين على
حساب الآخر . أما أن يبرز تبريزا تاما فى الميدانين ، ويجمع عن جدارة بين
الحسنيين ، فذلك ما لايجود به الدهر الا نادرا ولا نجده الا عند أبى فراس
الحمدانى وأحمد الدلائى . وأديبنا البطل المغربى جدير بأن تتناول آثاره

(4) أنظر نص الرسالة فى ملحق رقم 10
(5) أنظر نص القصيدة عند سليمان الحوات . **البدور الضاوية** ، ورقة 206/ب – 207/أ

بالدرس والتحليل أقلام الباحثين ، وسيجدون فى (تلمسانياته) ما يضاهى (الروميات) .

وقد تخلف أحمد الدلائى فى تلمسان ، ولم يعد مع الدلائيين الذين دخلوا الى فاس متعللا بالقيام على شؤون عيال أبيه عبد الله المتغيب فى الشرق . ولما كثرت الاقاويل فى شأنه وبدأت الشائعات تتحدث عن الثورة ، خاف أحمد على أهله المقيمين فى فاس أن يلحقهم أذى بسبب ذلك ، فكتب الى السلطان اسماعيل يطريه ويطمئنه ، ويبين له الاعذار التى عاقته عن الالتحاق بالمغرب . وقد أكدت الاحداث أن أحمد الدلائى لم يكن صادقا فى اعتذاره ولم يقصد من الرسالة التى وجهها الى السلطان سوى كسب الوقت اللازم لتدبير شؤون الثورة وتنظيمها بمساعدة أتراك الجزائر . واتخذ أحمد الدلائى من خروج السلطان اسماعيل من العاصمة واشتغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز (6) فى مراكش فرصة لاشعال نار الثورة ، فدخل الى المغرب فى أوائل عام 1088/1677 وقصد الدلاء ؛ وهناك التف حوله برابرة الاطلس المتوسط وملكوا بلاد تادلا بعد أن هزموا المخازنية ومن معهم من الاعراب المناصرين للعلويين . ولما علم السلطان اسماعيل بخبر الثورة بعث بجيش يتألف من ثلاثة آلاف فارس تحت امرة القائد يخلف ، لكن أحمد الدلائى سرعان ما قضى على هذا القائد وكثير من جنده ونهب محلته وخيله. ثم بعث السلطان بفرقة أخرى من الجند لقيت نفس المصير . «وشن البربر الغارات بعد ذلك على من جاورهم من القبائل الى سايس ، ووقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر ، مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير ، ولجؤوا الى مدينة مكناس ، وحدث الخوف بأحوازها» (7) وقد اختفى الدلائيون وأنصارهم فى فاس محتمين بحرم المولى ادريس وسيدى أحمد الشاوى ، وبعث الامام اليوسى الى أحمد الدلائى يلومه ويستعطفه ، بقطعة شعرية جاء فيها :

أبا العباس كنت المرتجى فى تلاف فى تجاف وارتجاف
وكنت أخال أن الود كأس شربناه على الانصاف صاف ..

ورأى السلطان اسماعيل أن الامر جد لاتنفع معه الكتائب والسرايا ، فأخذ يستعد لمنازلة خصمه العنيد بنفسه ، وأرسل الى جميع الاقاليم يطلب

---

(6) أحمد بن محرز بن الشريف كان وزيرا لعمه السلطان الرشيد ، وبايعه المراكشيون والسوسيون بعد وفاة الرشيد ، ثم دخلت فاس وكثير من قبائل الغرب فى طاعته . وجرت بينه وبين عمه السلطان اسماعيل معارك كثيرة ، واخيرا حاصره السلطان فى مراكش نحو سنتين ونصف الى أن قتل غدرا فى منتصف عام 1088/1677 . وحمله عبيده وأنصاره الى تارودانت حيث دفن

(7) أنظر تفاصيل أخبار ابن محرز فى : عبد السلام القادرى، **التحفة القادرية**، ص332 ومابعدها سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 215/ب

المساعدة بالجند والسلاح وخرج الرماة من فاس وغيرها بعد أن استعدوا استعدادا كبيرا ، والتحقوا بالسلطان في مراكش . ودام تجهيز هذه الحملة العظيمة نحو ستة أشهر ، ثم زحف السلطان اسماعيل الى البربر في 5 صفر 30/1089 مارس 1678 . ولم يكد يقطع وادي العبيد حتى وجد جيش أحمد الدلائي في انتظاره «فكانت الحرب بينهما سجالا ، وأظهر كل فريق قوته وما هو له مريد ووقعت حروب بين الفريقين لم يسمع بمثلها في المغرب ، ولا خبر بها من ورخ (كذا) من أمره كل أمر عجيب ..» (8) وانتصر أخيرا السلطان اسماعيل بعد أن سقط في ميدان القتال عدد كثير من الجانبين ، ومات من رماة فاس أربعمائة ، وبلغ مجموع القتلى من البربر ثلاثة آلاف . أمر السلطان اسماعيل أن تقطع رؤوس سبعمائة منهم ، وبعث بها الى فاس مع قائد هذه المدينة عبد الله بن حمدون الروسي . وكان يوما مشهودا في العاصمة الادريسية كومت فيه رؤوس الثوار ، وأطلقت المدافع ، وزينت الاسواق ، وفرح الناس بانتهاء الفتنة . أما أحمد الدلائي فانه التجأ الى جبال آيت يسري الوعرة في الاطلس المتوسط ، «وبقي بين ظهرانيهم ، وكلمتهم بيده ، وأمره نافذ فيهم نحوا من عام وخمسة أشهر وأيام» (9) الى أن توفي يوم الخميس 21 محرم 23/1091 فبراير 1680 . وتتضارب الروايات في سبب موته ، فيزعم البعض أنه أصيب بالوباء الذي كان منتشرا في تلك الايام بينما يقول آخرون انه اغتيل بأمر من السلطان اسماعيل ، دس له السم ابن بركة كبير آيت يمور وابن راحة كبير آيت مقداد في جبال هسكورة .

2 – العلماء الدلائيون في فاس ومكناس

ما كاد العلماء الدلائيون يستقر بهم المقام في فاس ، بعد اخلاء زاويتهم ، حتى حنوا الى المنابر من جديد وأخذوا يشتغلون بالتدريس كما كانوا يفعلون في الدلاء ، وانتشروا في مساجد المدينة الادريسية ومدارسها يعقدون المجالس العلمية ، ويفيدون الطلبة الذين أقبلوا عليهم اقبالا عظيما . وكان عدد العلماء الدلائيين الذين تصدروا للتدريس في بادىء الامر يربو على عشرة ، فيهم المحدثون والفقهاء واللغويون والنحاة والادباء ، وفيهم المشاركون في كثير من هذه الفنون كمحمد المرابط الدلائي ، ومحمد الشاذلي الدلائي ، والحسن

(8) احمد بن الحاج ، **الدرر المنتخب المستحسن** ، ج 6 ، ورقة 1/43
(9) سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 1/216

اليسي (15) . واشتغل بتدريس الادب وقواعد اللغة في فاس من العلماء الدلائيين أحمد بن المسناوي ، ومحمد بن أبي عمر ، وأحمد بن الشاذلي ومحمد ابن عبد الله بن محمد الحاج وكلهم من أحفاد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي . كما توجهت طائفة أخرى من أعلام الدلائيين الى مكناسة الزيتون واستوطنوها طيلة حياتهم ، منهم الشيخ عبد السلام بن الشاذلي الذي تولى الامامة والخطابة بجامعها الاعظم وانتصب للتدريس والافتاء فيها ، وتخرج على يده جماعة من علماء العاصمة الاسماعيلية لم يفصح المؤرخون عن أسمائهم ، الى أن توفي بالطاعون عام 1090/1679 فخلفه في الامامة والخطابة بجامع مكناس الاعظم أخوه الطيب بن الشاذلي ، وكان مثله عالما كبيرا وزاهدا عابدا ، اشتغل كذلك بالتدريس والافتاء في النوازل الفقهية . وكان المعتمد في هذا الميدان الى أن أدركته الوفاة عام 1107/1695 .

وقد عانى العلماء الدلائيون في فاس ألم الغربة أولا ، ووقع التضييق عليهم في الحرم التي لجؤوا اليها طيلة عهد ثورة أحمد الدلائي ، لكن ذلك كان آخر محنة أصابتهم في فاس ذاقوا بعدها حلاوة العيشة الحرة التي لا قيود فيها ولا حصار وانسجموا مع الفاسيين . وهذا لايعني أن العلماء الدلائيين قد انحطت قيمتهم العلمية أو هيض جناحهم ، بل كان لهم مزيد من الحظوة والشفوف منذ الايام الاولى التي وطئت أقدامهم أرض فاس حتى ان السلطان الرشيد كان يوليهم كثيرا من الاجلال والتقدير ويحضر بنفسه المجالس العلمية التي كان يعقدها الحسن اليوسي في القرويين ، ويجالس في قصره اليوسي ومحمد المرابط الدلائي ويتحدث اليهما في غير كلفة ولا احتراس . وما زلنا نذكر دخول اليوسي يوما وهو مريض على السلطان الرشيد الذي ضحك من تناول اليوسي شراب الريحان ، ونصحه بأخذ سويق الشعير الذي هو دواء أبناء البادية . وأنشد السلطان الرشيد يوما معرضا بمحمد المرابط الدلائي الحاضر في المجلس هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

فقال المرابط : «يا أمير المومنين ان من حسن حظ المرء أن يكون خصمه عاقلا» فاستحسن الرشيد والحاضرون بداهته وحسن اجابته .

---

15) عدت الامام اليوسي في جملة الدلائيين – وان لم يكن منهم – لارتباط مصيره بمصيرهم وطول مقامه في الزاوية الدلائية تلميذا وأستاذا ، وتزوجه وانجابه الاولاد فيها ، وللقرابة البربرية الصنهاجية التي تربط بين اليوسيين والمجاطيين ، حتى أن السلطان الرشيد عامله – من بين سائر العلماء الغرباء في الدلاء – بما عامل به الدلائيين أنفسهم ورحله معهم الى فاس

وقد سلك السلطان اسماعيل مع العلماء الدلائيين نفس الخطة التي سلكها معهم أخوه الرشيد من قبل ، فأحاطهم بمظاهر الاجلال والاحترام ، وولى منهم الشيخ محمد المرابط الخطابة بالمدرسة المتوكلية (11) وهي أهم المدارس بفاس . ثم أسند هذا المنصب الديني الهام بعد وفاة المرابط الى أخيه محمد الشاذلي الذي بقي يخطب ويدرس في المدرسة العنانية أعواما عديدة ، وخلفه فيها بعد موته محمد بن عبد الرحمن الدلائي الذي عده المؤرخون آخر خطباء المغرب ، لانه بالاضافة الى غزارة علمه وجمال خلقته وأناقة بزته ، كان «صيتا نصيحا جهوري الصوت حلوه . وله تأليف في الخطب لم يؤلف مثله ، وجميع الخطباء عيال عليه» (12) . ثم نقل السلطان اسماعيل محمد بن عبد الرحمن الدلائي للخطابة في مسجد الشرفاء الذي هو ضريح المولى ادريس الثاني ، فكان الناس يقصدون هذا المسجد من كل أنحاء المدينة ويزدحمون للانصات الى هذا الخطيب المفوه . وتأثر المؤرخ محمد بن الطيب القادري في صغره باحدى هذه الخطب ، وقال في ترجمة ابن عبد الرحمن الدلائي : «.. ولم أدرك القراءة عليه ، لكن رأيته مرة واحدة في صغري يخطب على منبر جامع الشرفاء ، وصوته يسمع في نواحي المسجد ، اذ كان صيتا جدا » (13) .

وقد تطور مركز الدلائيين في فاس بسرعة ، ولم يعد أعلامهم يضاهون العلماء الفاسيين فحسب ، بل بذوهم وغبروا في وجوههم ، «واحتلوا الصدارة من الارستوقراطية الدينية والفكرية في فاس» (14) اذ تكونت طبقة جديدة من العلماء الدلائيين ولدوا في فاس ونشئوا بها ، فكانت صلتهم بالمدينة أقوى وأمتن من صلة آبائهم ، وسلمت عقولهم من التفكير في الغربة ، وأفقدتهم من الحنين الى الزاوية المتهدمة ، الا ذكريات عابرة غير ذات أثر . وتم بذلك انصهار الدلائيين وامتزاجهم التام بالفاسيين . ومن أشهر هذه الطبقة من الدلائيين محمد بن أحمد بن الشاذلي الذي كان اماما في اللغة والادب ، مبرزا في العروض والقوافي منفردا بهذا الفن في فاس ، وعنه أخذه كل من تعاطى الاوزان الشعرية في العاصمة العلمية في عصره . وقد بدأ شرح رائية الامام اليوسي في رثاء الزاوية الدلائية لكنه توفي قبل اتمامه ، عام 1137/1724 – 1725 . فأكمله ابن عمه القاضي محمد البكري الدلائي الذي كان اماما خطيبا في ضريح المولى ادريس ، مدرسا بجامع القرويين ، متوليا القضاء والفتيا في

---

11) المدرسة المتوكلية هي المدرسة العنانية المشهورة بحي الطالعة بفاس
12) سليمان الحوات . **البدور الضاوية** ، ورقة 248/ب
13) محمد بن الطيب القادري . **نشر المثاني** ، 2: 217
14) LEVI PROVENÇAL, *LES HISTORIENS DES CHORFAS*, p. 300.

فاس ، وألف فى النوازل الفقهية وفى الادب ، وكانت وفاته عام 1174/1761.
ثم تولى قضاء فاس من بعده ابنه أحمد البكرى ، وكان مثله فقيها أديبا «يعنى بايام العرب وأشعارها وحكمها وأمثالها ، ويحفظ من ذلك قدرا كثيرا ، مع معرفة بالتاريخ والحساب ..» (15) واستدعاه السلطان محمد بن عبد الله ليعلم ابنه عبد السلام فى تارودانت ، وسماه قاضيا فى هذه المدينة ، فاشتغل بالتدريس والخطابة فى مسجدها الاعظم ، واستفاد منه كثير من طلبة الاصقاع السوسية الى أن توفى هناك عام 1198/1784 .

واتصلت حلقات العلماء الدلائيين فى فاس الى النصف الاخير من القرن الماضى . ونجد الشيخ محمد المكى الدلائى الذي عاش الى عام 1241/1825 ـ 1826 يعتبر امام المعقول والمنقول فى فاس . صحب الشيخ أحمد التجانى وأخذ عنه الطريقة ولازمه طيلة حياته الى أن بلغ على يده درجة عالية من الصفاء الروحى . وقد كتب السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله (1206 ـ 1238/ 1792 ـ 1822) ظهيرا بتوقير هذا العالم الدلائى ، بعث به الى كاتبه فى فاس أحمد الرفاعى ، والى القاضى العباس بن سودة يقول لهما : «.. فنامر كما أن تقر (كذا) الفقيه العلامة سيدى المكى الدلائى فى مسجده الكائن بحومة زقاق الرواح على حاله من الامامة والتدريس لحفضه (كذا) لكتاب الله العزيز واعتناءه (كذا) بمجالس الدرس وعلى ما بيده من ظهائر أسلافنا الكرام وغيرهم المتضمنة لتوقيرهم واحترامهم فعلينا الاقتداء بمن مضى والاخذ بماخذهم كما تلقوا ذلك بالقبول والرضى وعلى هذا يكون عملكما والله يعينكما والسلام . وفى ثالث صفر الخير عام احدى (كذا) وعشرين ومائتين والف» (16) وقد الف فى ترجمة الشيخ محمد المكى الدلائى ابنه محمد كتابا سماه : **بغية الرائى بالتعريف بالشيخ أبى عبد الله سيدى المكى الدلائى** . وسنتحدث بشىء من التفصيل عن أهم شخصية دلائية برزت فى فاس ، وهى شخصية الامام محمد المسناوى الذى انتهت اليه رئاسة العلماء فى فاس دون منازع ، وأصبحت له السيادة المطلقة فى التدريس والافتاء والتاليف .

محمد المسناوى الدلائى شيخ الجماعة بفاس

أبو عبد الله محمد المسناوى بن أحمد بن محمد المسناوى بن الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى . ولد فى الدلاء عام 1072/ 61 ـ 1662 وجاء به والده الى فاس بعد تخريب الزاوية الدلائية وهو ابن سبع سنين فدرس على علماء

(15) سليمان الحوات . **البدور الضاوية** ، ورقة 246/1
(16) محمد بن المكى الدلائى ، **بغية الرائى** ، ورقة 4/ب

أسرته وغيرهم من القادريين والفاسيين . كما أخذ عن الامامين الحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي ، وبقي ينهل من معين العلم ويعل الى ان تخرج عالما كبيرا ».. وقد أعطى ملكة التدريس والفتيا ، وسلم له أعيان عصره مرتبتها العليا ، وانفرد برئاسة العلم في وقته وعصره . كان المرجع في معضلات المشاكل سواء من طرف السلطان المولى اسماعيل أو من طرف علماء الوقت» (17).

وامتاز محمد المسناوي زيادة على علمه الواسع بجمال الخلقة وحسن السمت وكثرة الوقار . فكان لباسه بالغ الحد في النظافة والاناقة ، وكلامه غاية في اللطف والنبل ، ومجلسه محاطا بالهيبة والسكون ، لايجرؤ أحد أن يعبث أو يلهو في حضرته ، ويحضر دروسه العالية علماء المدينة وطلبتها على السواء ،.. واذا أخذ في تقرير مسألة ياتي على وجوه احتمالاتها ، ولا يدع شيئا مما يقع في نفوس الحاضرين من مؤولاتها ، مما يقتضيه بحث المعقول والمنقول ، مع وجود التحرير التام ..» (18) واشتغل محمد المسناوي بتدريس جميع العلوم المعروفة في عصره واهتم في مقتبل عمره بالفقه ، والبلاغة ، والمنطق ، والادب ، والتاريخ ، وكان يواظب على اقراء **تلخيص المفتاح** للخطيب القزويني **بالشرح الصغير** لسعد الدين التفتازاني ، و **مختصر الشيخ السنوسي** في المنطق . ثم انقطع آخر حياته **لتفسير القرءان الكريم** ، وقراءة **صحيح الامام البخاري** . وتكاثر عدد تلاميذ الامام المسناوي في فاس ، وغصت رحاب القرويين بالآخذين عنه وتتلمذ له كل من كان يتعاطى العلم بالطلب أو التدريس وأصبح شيخ الجماعة باتفاق . وقد قال عنه بروفنسال بحق : «ان أكثر كتاب التراجم في القرن الثامن عشر يعدون من تلاميذه» (19) . ولم يقتصر نشاط الامام المسناوي على التدريس فحسب ، وانما اشتغل في نفس الوقت بالتاليف ، وتمتاز كتابة هذا الامام بالدقة في التعبير مع السلاسة والوضوح. وقد خلف تراثا فكريا هاما يدل على عقل جبار ، وذكاء وقاد ، وتحرر في التفكير غريب في ذلك العصر . وما بالك بفقيه مالكي يعتبر شيخ الجماعة بفاس والاستاذ الاول في القرويين، يجرؤ على نقد المذهب ومخالفة ماتواضع عليه فقهاء المالكية من سدل اليدين في الصلاة ، ويؤلف كتاب **نصرة القبض والرد على من انكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض** . على أن قوة ادراك الامام المسناوي وسعة أفقه العلمي انما تظهران بجلاء في كتابين صغيرين من مؤلفاته تعرض

(17) محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني** . 2:204

(18) نفس المصدر ونفس الصحيفة

19) E. LEVI-PROVENÇAL, *LES HISTORIENS DES CHORFAS*, P. 301.

فيهما لمبحثين فقهيين هامين ، هما الذمة ، والتوكيل . وقد سمى الاول منهما **صرف الهمة الى تحقيق معنى الذمة** ، وركبه على سابقة ، ومقصدين ، ولاحقة . تكلم فى السابقة عن معنى الذمة لغة وشرعا ، وفى المقصد الاول عن تعريفى ابن عبد السلام وابن عرفة للذمة ، ولخص فى المقصد الثانى ما للشباب القرافى ، وابن الشاط فى الموضوع وبحث معهما فى بعض الامور ، وذكر أربع مسائل : 1) تعريف الذمة اعتمادا على ما للقرافى وابن الشاط ، 2) شروط الذمة . 3) الفرق بين الذمة وأهلية المعاملة والتصرف . 4) البحث فى أن الذمة وأهلية المعاملة هل هما من خطاب الوضع أو من خطاب التكليف . وجعل اللاحقة فى مسايرة السؤال المرفوع اليه فى الموضوع . أما الكتاب الثانى فهو **تقييد كاشف عن أحكام الاستنابة فى الوظائف** . جعله فى ثلاثة مباحث . المبحث الاول فى التوطئة للمقصود بالذات ببيان ما تصح فيه النيابة ويجوز التوكيل وما لايصح فيه ذلك ولا يجوز . ويشتمل على سابقة فى معنى النيابة والاستنابة والوكالة . ومطلب فى حكم ذلك ومحله ، وما يتعلق به ويساويه من أجله ، ولاحقة فيما يلتحق بما سبق وينبنى عليه ، من بيان ما يصح نقل ثوابه الى الغير وما لايصح نقله اليه . المبحث الثانى فى المقصود بالذات من حكم الاستنابة فى الوظائف التى عليها مرتب معلوم . وينقسم ـ كالاول ـ الى طالعة : فى الارزاق والاجارات والاوقاف ، وما بينها من ائتلاف واختلاف . ومقصد فى حكم الانابة فى الوظائف التى يؤدى عنها أجر ، ولمن يكون أجرها حينئذ هل للمستنيب أو للنائب . وتابعة : فى الكلام على ما تبع ذلك من الثواب الآجل ، وحكم فائدة أيام العطلة العاجل . وذكر فى المبحث الثالث أو الخاتمة كلام فقهاء المذاهب الاخرى غير المالكية فى موضوع الاستنابة ليتسع مجال نظر القارىء ويطلع على الخلاف العالى وأسراره .

وقد كاد الامام المسناوى يتعرض لمحنة شديدة على يد السلطان اسماعيل، لولا أن تدخل بعض رجال البلاط لصالحه وأثبتوا براءته . ذلك أن الامير محمد العالم ابن السلطان اسماعيل كان من أخص تلاميذ الامام المسناوى وأقربهم اليه . ولما ثار محمد العالم فى مراكش بقى يراسل أستاذه المسناوى واغتنم بعض منافسى الشيخ هذه الفرصة فاوغروا صدر السلطان عليه ، واتهموه باطلاعه على خطة الامير الثورية وممالأته اياه على ذلك . غير أن أنصار الامام المسناوى أكدوا للسلطان أنه كان ينهى تلميذه محمد العالم عن الثورة ، وانشدوا له قوله :

مهلا فان لكل شيء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال
والبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس ظاهرة السنا في الحال
فاذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو بدو تعزز وجمال (20)

فاستحسن السلطان ذلك وتحقق من براءة الشيخ. وعاش الامام المسناوى خمسا وستين سنة مقبلا على العلم، وعلى العلم وحده. كان ينتقل من التدريس بالقرويين أو المدرسة العنانية الى البحث في المشاكل الفقهية وتدوينها في الكتب، أو الى ارشاد الناس الذين يستفتونه في الاحكام والمعاملات. وقد جمعت فتاوى المسناوى في مجلد ضخم ظل المرجع الهام لرجال القضاء والفتيا حتى اليوم. ولم تنحصر شهرة هذا الامام داخل أسوار فاس، بل انتشرت في المغرب كله، وقصده العلماء من سائر النواحي يأخذون عنه ويستجيزونه، فأجاز عددا كبيرا منهم (21) ولما أحس المسناوى بدنو أجله نظم قصيدة يضرع فيها الى البارى عز وجل وأوصى أن يشيع بها الى قبره، ومنها:

يا رب عطفا على مسيء أتى به القوم للمقابر
نجاء فردا بغير زاد وخلف الاهل والعشائر

وقد جرى عمل الناس في فاس بعد ذلك بقراءة هذه القصيدة عند تشييع الموتى. وتوفي الشيخ المسناوى يوم 16 شوال 1136/1724 فكان موته مأتما للمدينة كلها، وشيعه جميع السكان في محفل رهيب الى مدفنه في قبة سيدى العابدى خارج باب الفتوح، وكسروا النعش الذى حمل عليه، وأخذ كل واحد قطعة صغيرة من الخشب تبركا بالامام المسناوى الصالح. ورثاه ابن عمه محمد البكرى بقصيدة مطلعها:

أبى القلب أن يسلو ودمعى تحدرا فكفكفته أبغى بذلك تسترا (22)

---

(20) محمد اكنسوس، **الجيش العرمرم**، ورقة 66/أ. وهذه الابيات من قصيدة تتكون من 53 بيتا، مطلعها:
أهدى السلام معنبر الاذيال ومشيعا باليمن والاقبال
كان الامام المسناوى بعث بها الى تلميذه الامير محمد العالم بسوس في جملة المراسلات الادبية بينهما

(21) أنظر بعض اجازات المسناوى لعلماء عصره في: سليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 186/ب وما بعدها

(22) ارجع في ترجمة محمد المسناوى الى: محمد القادرى، **نشر المثاني**، 2:204 – 208، ومحمد الكتاني، **سلوة الانفاس**، 3:44 وما بعدها، وسليمان الحوات، **البدور الضاوية**، ورقة 182 وما بعدها، والى اليازغى، **حدائق الازهار**، الابيات 136 – 148، والى الفضيل، **الدرر البهية**، 2:342، والى:
LEVI PROVENÇAL, *LES HISTORIENS DES CHORFAS*, pp. 301-302.

ب) تلاميذ الدلائيين فى فاس

يصعب على المرء أن يحدد عدد التلاميذ الذين تخرجوا على يد الدلائيين في فاس ، لاسيما وقد تعاقب عدد وافر من علماء هذه الاسرة على التدريس في العاصمة العلمية زهاء قرنين ، وكاد يكون جميع العلماء الذين عاصروا الامام المسناوى الدلائى من تلاميذه . غير أنه ينبغى أن أشير اشارة خاطفة الى طائفة قليلة من الاعلام الذين كان للدلائيين فضل تكوينهم وتثقيفهم ، وساقتصر على ذكر بعض تلاميذ ثلاثة من العلماء الدلائيين الاولين : محمد الشاذلى ، ومحمد المرابط ، ومحمد المسناوى .

أما محمد الشاذلى فمن أشهر الآخذين عنهم فى فاس المؤرخان الكبيران الاخوان القادريان عبد السلام والعربى . ويعتبر عبد السلام القادرى (1110/1698) (23) من أشهر المؤلفين فى تراجم العلماء والشرفاء والصالحين ، ومن تآليفه العديدة كتاب ترجم فيه لوالد شيخه الشاذلى الدلائى وجده سماه **نزهة الفكر فى مناقب الشيخين سيدى محمد ووالده سيدى أبى بكر** . وكان العربى بن الطيب القادرى (1106/1695) نسابة ثقة كأخيه مشاركا فى كثير من العلوم الدينية كالحديث والفقه ، ومن تآليفه **كتاب فى وفيات أولاد الشيخ عبد القادر الجيلانى** . كما أخذ عن الشاذلى الدلائى أيضا أبو العلاء ادريس المنجرة – الكبير – (1137/24 – 1725) امام القراء فى فاس وشيخ الجماعة بالمغرب صاحب الفهرست المسماة **عذب الموارد فى رفع الاسانيد** ، التى ترجم فيها لشيوخه فى المغرب والمشرق .

وممن تتلمذ لمحمد المرابط الدلائى فى فاس محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى (1134/21 – 1722) مؤلف **المنح البادية فى الاسانيد العالية**، وفيه يقول عن المرابط : «شيخنا الامام النحوى الخطيب أبو الرضى محمد بن الفقيه الصالح أبى الاحسان محمد بن الولى الشهير أبى بكر .. المرابط ، سمعت منه أوائل الكتب الستة ، وسيرة ابن سيد الناس ، وأجازنى فيما له وكتب لى ذلك بخطه ..» (24)

وأبو العباس أحمد بن على الوجارى (1141/28 – 1729) الامام اللغوى الكبير الذى كادت تكون كل دراساته على الشيخ المرابط، ثم انتصب للتدريس فى فاس مدة طويلة وتخرج على يده أكثر علماء البلد . ولم يؤلف الوجارى كتبا فى حياته ، وانما ترك تقاييد كثيرة جمع ما يتعلق منها بالنحو فى مجلد ضخم .

(23) الارقام المكتوبة بين قوسين فى هذا الفصل ترمز الى سنى الوفاة
(24) محمد بن عبد الرحمن الفاسى ، **المنح البادية** ، ص 6

وأخذ عن الامام محمد المسناوى الدلائى فى فاس خلق كثير ، فى مقدمتهم المؤرخ الشهير محمد الصغير الافرانى المراكشى (1140/27 – 1728) صاحب الابادى البيضاء على التاريخ المغربى ، ومؤلف أشهر الكتب وأوثقها فى تاريخ الدولتين السعدية والعلوية ، مثل **نزهة الحادى فى أخبار ملوك القرن الحادى**، و **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادى عشر** ، وفيهما يذكر شيخه المسناوى وينقل عنه . وأبو عبد الله محمد العلمى الحوات (1160/1747) قاضى شفشاون ومؤلف كتاب **تحفة المعاصر فى بعض صالحى تلامذة أبى عبد الله محمد بن ناصر** ، وهو والد أبى الربيع سليمان الحوات صاحب **البدور الضاوية فى أخبار السادات أهل الزاوية الدلائية** . ويروى سليمان الحوات فى هذا الكتاب كثيرا من أخبار الدلائيين عن والده رواية مشافهة مستمدة من الدلائيين أنفسهم أو يقتبس من كتاب تحفة المعاصر . كما تتلمذ للمسناوى أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغسانى (1146/33 – 1734) الاديب المنشىء المترسل البارع صاحب التآليف الكثيرة ، ومنها **رسالة فى التعريف بالشيخ المسناوى** . ومحمد بن الطيب العلمى (1134/21 – 1722) الاديب الكبير الذى فتن أهل فاس بشعره وألف كتاب **الانيس المطرب فيمن لقيهم مؤلفه من أدباء المغرب** ، وفيه يذكر شيخه المسناوى الذى كان ينافح عنه فى مساجلات أدبية ، ويرد على انتقادات بعض الادباء لقصائد العلمى (25) . وأبو عبد الله محمد بن الحسن الكندوز (1148/35 – 1736) امام اللغة والنحو فى عصره ، وأستاذ محمد بن الطيب القادرى صاحب كتاب **نشر المثانى** . ويعتبر أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقى (1170/56 – 1757) من ألمع تلاميذ المسناوى ، تربطه بالشيخ زيادة على العلم رابطة الدم . وقد برز الشرقى فى علوم اللغة تبريزا تاما وأخذها عنه علماء المغرب والمشرق ، وألف فى اللغة كتبا عظيمة ، مثل **المسفر عن خبايا المزهر** الذى شرح فيه كتاب السيوطى فى علوم اللغة ، و **الحاشية الكبرى على قاموس الفيروزبادى** فى أربعة مجلدات ضخمة ، ومنها استمد تلميذه الشيخ مرتضى فى كتابه **تاج العروس بشرح القاموس** .

ومن أشهر المحدثين والفقهاء الذين تلمذوا للامام المسناوى محمد بن عبد الرحمن ابن زكرى (1144/31 – 1732) العالم الثرى صاحب **شرح البخارى** ، و **القصيدة الهمزية** التى عارض بها همزية الامام البوصيرى الشهيرة ، و **شرحها فى مجلدين** . ومحمد بن عبد السلام بنانى (1163/49 – 1750) العالم المتصوف الرحالة صاحب **شرح الاكتفا** للكلاعى فى ستة مجلدات ، و **شرح الزقاقية** فى الاحكام الفقهية و **شرح الحزب الكبير للشاذلى** . ومحمد بن قاسم

(25) محمد العلمى . **الانيس المطرب** . ص 302 – 305

جسوس (1182/68 ـ 1769) المحدث الكبير الذى طال عمره وكثر تلاميذ حتى عد شيخ الجماعة فى فاس . ومن تآليفه **شرح مختصر خليل** فى تسعة مجلدات. ومحمد بن حمدون بنانى (1140/27 ـ 1728) فقيه فاس وعالمها الكبير الذى كان اليه المرجع فى الفتيا وتحقيق الوثائق ، وأبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسى (1156/43 ـ 1744) الحافظ الكبير والفقيه الذى كاد يبلغ درجة الاجتهاد ، وهو مؤلف كتاب **الذهب الابريز فى مناقب سيدى عبد العزيز الدباغ** ـ . وكذلك كان الامير محمد العالم بن السلطان اسماعيل من أخص تلاميذ الامام المسناوى وأقرب الناس اليه ، لازم دروسه مدة طويلة الى أن تخرج على يده عالما مشاركا فى اللغة وقواعدها ، والفقه والاصول ، وأديبا ماهرا يجيد الشعر والترسل . وظل الامير محمد العالم على اتصال دائم بأستاذه المسناوى حتى بعد نزوحه الى تارودانت (26). وقد مدح هذا الامير أستاذه المسناوى بقصيدة بعث بها اليه من مراكش أيام قيامه بالثورة فى هذه المدينة ، فأجابه المسناوى عنها بقصيدة أخرى مطلعها :

أنسيم الرياض بالاسحار هاجك اليوم أم شجي الاوتار

3 ـ الكتب التى ألفها الدلائيون

اهتم الدلائيون بالتاليف منذ بروزهم فى الميدان العلمى . وأول من دون منهم كتابا هو الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى الذى جمع أربعين حديثا نبويا على نحو ما فعل الامام النووى وغيره من المحدثين ، وأضاف الى كل حديث قصة تناسب موضوعه من قصص الوعاظ والزهاد . ثم ألف أبناء الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى وأحفاده كتبا كثيرة فى الحديث والسيرة النبوية ، والفقه ، والاصول ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والادب ، والانساب وغير ذلك من المواضيع المختلفة . وقد وصلت الينا ـ لحسن الحظ ـ جل مؤلفات الدلائيين ، ولم يعد الدهر الا على أقلها . غير أن بعضها ما يزال مبعثرا، كالدواوين الشعرية التى توجد منها نتف هنا وهناك ، والتى لو جمعت ودرست على الوجه اللائق لكونت مادة أدبية طريفة ومشرفة للمغرب فى نفس الوقت . وقد كانت كتب الدلائيين تحدث دويا عظيما فى الاوساط العلمية ، يردد صداه المغرب كله ، وحتى المشرق أحيانا ، كما حدث عندما ألف محمد

(26) كانت نهاية الامير محمد العالم محزنة ، اذ ثار على والده السلطان اسماعيل واستولى على مراكش عندما كان نائبا عنه فى اقليم سوس ، ثم تغلب عليه أخوه زيدان وحمله مقيدا الى والده بمكناس . وقيل أن يصل الى العاصمة بعث السلطان اسماعيل من قطع يد محمد ورجله من خلاف فى وادى بهت ـ بين الخميسات ومكناس ـ وحمل محمد العالم فى حالة مزرية الى مكناس فلم يدخلها حتى مات عام 1116/4 ـ 1705

المرابط الدلائي كتاب **نتائج التحصيل في شرح التسهيل**، في أربعة مجلدات. فقد سارت بذكره الركبان، وطلبه علماء المشرق، وبيعت بعض نسخه في مصر بأثمان باهظة، وقرظه من علماء الازهر الامامان أحمد شهاب وعبد القادر ابن الجلال المحلى.

وقد أثبت هنا ـ في جدول ـ ما وقفت عليه من أسماء مؤلفات الدلائيين، وبينت المكتبات العامة أو الخاصة التي توجد فيها، الا كتبا قليلة لم أعرف شيئا عن المكان الذي توجد فيه وضعت أمامها علامة استفهام (؟) على أمل العثور عليها في الخزانة الملكية أو في غيرها من مكتبات الخاصة، وأردفت ذلك بجدول آخر ذكرت فيه الكتب التي ألفت في الدلائيين، دون أن أثبت فيه ما ألفه الدلائيون أنفسهم في ذويهم، مكتفيا بايراد ذلك في الجدول الاول.

أ) جدول مؤلفات الدلائيين

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
	الحديث والسيرة		
1	**اربعون حديثا**	محمد بن أبى بكر الدلائى	مخطوطة خ. ع. 1295 ج *
2	**الزهر الندى فى الخلق المحمدى**	محمد بن عبد الرحمن الدلائى	مخطوطة خ. ع. 157 د
3	**زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من سيرة سيد الخلائق ومايستتبع ذلك من النكت والدقائق**	» »	مخطوطة خ. ع. 306 ك
4	**فخر الثرى بسيد الورى**	» » »	؟
5	**شرح الشفا** للقاضى عياض	الشرقى بن أبىبكر الدلائى	؟
6	**شرح ثان للشفا**	أبو عمر بن محمد الدلائى	؟
7	**شرح ثالث للشفا**	محمد بن عبدالرحمن الدلائى	؟
	الفقه والاصول		
8	**تاليف فى النوازل الفقهية**	محمد البكرى الدلائى	؟
9	**تقييد كاشف عن أحكام الاستنابة فى الوظائف**	محمد المسناوى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 579 ج و 1995 د
10	**المعارج المرتقاة الى معانى الورقات**	محمد المرابط الدلائى	مخطوطة خ. ع. 276 ك
11	**نصرة القبض ، والرد على من أنكر مشروعيته فى صلاتى النفل والفرض**	محمد المسناوى الدلائى	طبع فى تطوان
12	**نوازل المسناوى**	» »	طبع على الحجر بفاس عام 1345 هـ فى 298 صفحة
13	**تاليف فى الاصول**	الشرقى بن أبىبكر الدلائى	؟
14	**صرف الهمة الى تحقيق معنى الذمة**	محمد المسناوى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 579 ج
15	**شرح مختصر ابن الحاجب**	أحمد الحارثى الدلائى	؟
	اللغة وقواعدها		
16	**حاشية على المطول** للتفتازانى فى البلاغة	الشرقى بن ابىبكر الدلائى	؟
17	**نتائج التحصيل فى شرح التسهيل** 4 مجلدات	محمد المرابط الدلائى	فى خ. ع؟ وفى مكتبة خاصة بسوس **

* خ.ع ترمز الى الخزانة العامة بالرباط – قسم الوثائق

** ذكر المؤرخ بوجندار فى **مقدمة الفتح** (ص 150) أن شرح التسهيل هذا موجود فى مكتبة الجامع الاعظم بالرباط – وهى تابعة للخزانة العامة – كما أخبرنى الاستاذ الحسن البونعمانى انه وقف على هذا الشرح بخط الامام ابى العباس الصوابى فى رباط ماسة بسوس

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
18	فتح اللطيف على البسط والتعريف فى علم التصريف	محمد المرابط الدلائى	طبع على الحجر بفاس عام 1310
19	شرح رائية اليوسى فى رثاء الزاوية الدلائية	محمد والبكرى الدلائيان	مخطوطة خ. ع. 248 ك
20	شرح الفية ابن مالك فى مجلدين	محمد المرابط الدلائى	؟

الادب

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
21	البركة البكرية فى الخطب الوعظية	محمد المرابط الدلائى	توجد أوائلها فى مكتبة ابن غازى بمكناس
22	تاليف فى الادب	محمد البكرى الدلائى	؟
23	تاليف فى الخطب	محمد بن عبدالرحمن الدلائى	؟
24	تحريك الساكن وتهييج الشوق الكامن الى زيارة طيبة ومن بها ساكن رحلة حجازية نظمية	« « «	؟
25	الدرة الدرية فى محاسن الشعر وغرائب العربية	محمد المرابط الدلائى	؟
26	ديوان شعر	« «	مكتبة خاصة بطنجة
27	ديوان شعر	محمد بن محمد المرابط	«
28	زهرة الوسائل فى المدح والرسائل	«	مخطوطة خ. ع. 3179 ك
29	كراسة من ديوان	أحمد الحارثى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 3312 ك
30	فتح الانوار فى بيان ما يعين على مدح النبى المختار وهو كتاب فى الموسيقى والامداح النبوية	محمد بن العربى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 2678 ك و 74 ك

الانساب

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
31	بغية الرائى فى التعريف بالشيخ ابى عبد الله محمد المكى الدلائى	محمد بن محمد المكى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 2996 ك
32	تحفة القاصد الناوى فى التعريف بالشيخ عبد السلام المسناوى	بعض أقارب المسناوى الدلائى	مكتبة ابن غازى بمكناس
33	ترجمة الشيخ محمد الحراق	محمد بن العربى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 960 د
34	التعريف بالاشراف الادارسة الجوطيين	محمد المسناوى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 537 د و 1632 د
35	التعريف بالشيخ أبى العباس اليمنى	« « «	مخطوطة خ. ع. 471 د و 1914 د
36	تقيد مشتمل على فروع بنى عمران	« « «	مخطوطة خ. ع. 1632 ك
37	تقيد فى الاشراف الذين لهم شهرة بفاس	« « «	مخطوطة خ. ع. 487 د
38	جهد المقل القاصر فى نصرة الشيخ عبد القادر	« « «	مخطوطة خ. ع. 579 ج

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
39	**جواهر السماط فى مناقب عبد الله الخياط**	محمد المسناوى الدلائى	الخزانة الاحمدية بفاس
40	**درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان** *	محمد بن عبد الرحمن الدلائى	مخطوطات خ. ع. 498 و522 د و1450 و1234 ك
41	**نتيجة التحقيق فى بعض أهل الشرف الوثيق**	محمد المسناوى الدلائى	طبع على الحجر بفاس

مواضيع مختلفة

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
42	**تقاييد جيدة فى فنون مختلفة**	محمد المسناوى الدلائى	كانت عند مؤلف **السلوة**
43	**جواب على ما يقع فى زمان المسغبة من كثرة السؤال**	محمد الدلائى	مخطوطة خ. ع. 1081 د
44	**منتهى سؤلى وأشواقى فى مسامرة الشريف العراقى**	محمد البكرى الدلائى	؟
45	**الفهرست**	محمد بن أبى بكر الدلائى	يوجد طرف منها بمكتبة الأستاذ محمد ابراهيم الكتانى
46	**فوائد فى التصوف**	محمد المسناوى الدلائى	مخطوطة خ. ع. 984 د
47	**شرح نظم المراصد** ، لأبى حامد العربى الفاسى	محمد المسناوى الدلائى	؟
48	**كناشة علمية**	" "	الخزانة الفاسية

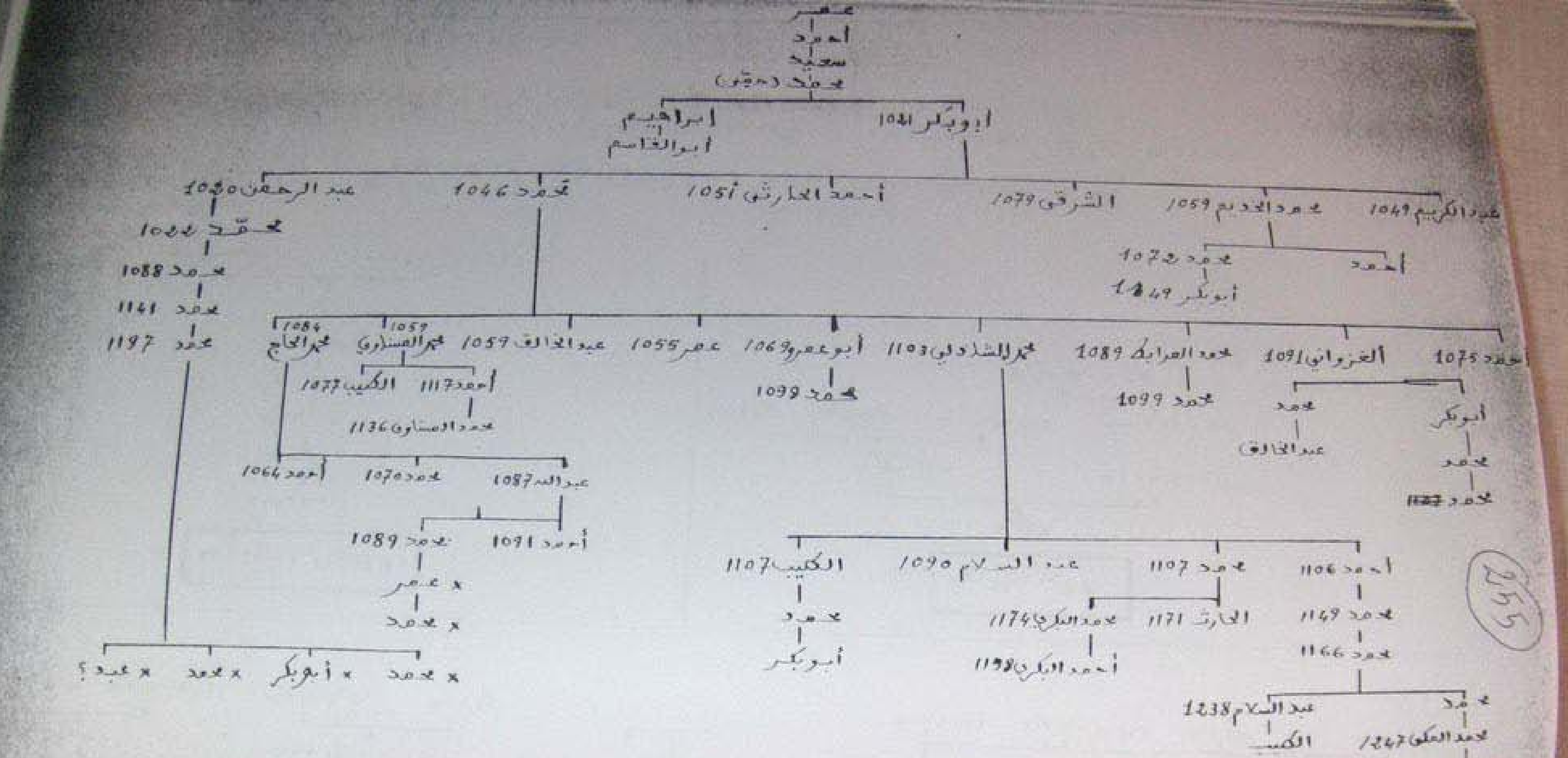
* درة التيجان ، رجز فى نحو 500 بيت ذكر فيه محمد بن عبد الرحمن الدلائى شرفاء المغرب وقد شرحه محمد بن أحمد القاسى شرحا مفيدا فى مجلد وسط . وورد نقيب الشرفاء الادارسة الجوطيين عبد الرحمن بن عبد القادر الجوطى على ابن عبد الرحمن الدلائى وشيخه عبد السلام القادرى صاحب كتاب **الدر السنى** ، لانهما رفعا نسب الاسرة الغالبية الى جوطة ، وذلك فى أرجوزة من 105 بيت مطلعها :

سلام داخل حمى النبى عليك يا محمد البكرى

وانتصر للدلائى مؤرخان كبيران هما محمد بن الطيب القادرى الذى نظم أرجوزة تشتمل على 663 بيتا سماها **الصوارم الفتكية** ، ونظم أبو القاسم الزيانى **ارجوزة** أخرى من 99 بيتا مطلعها : حمدا لمن أنزل فى الذكر الحكيم أكرمكم أتقاكم لله العظيم

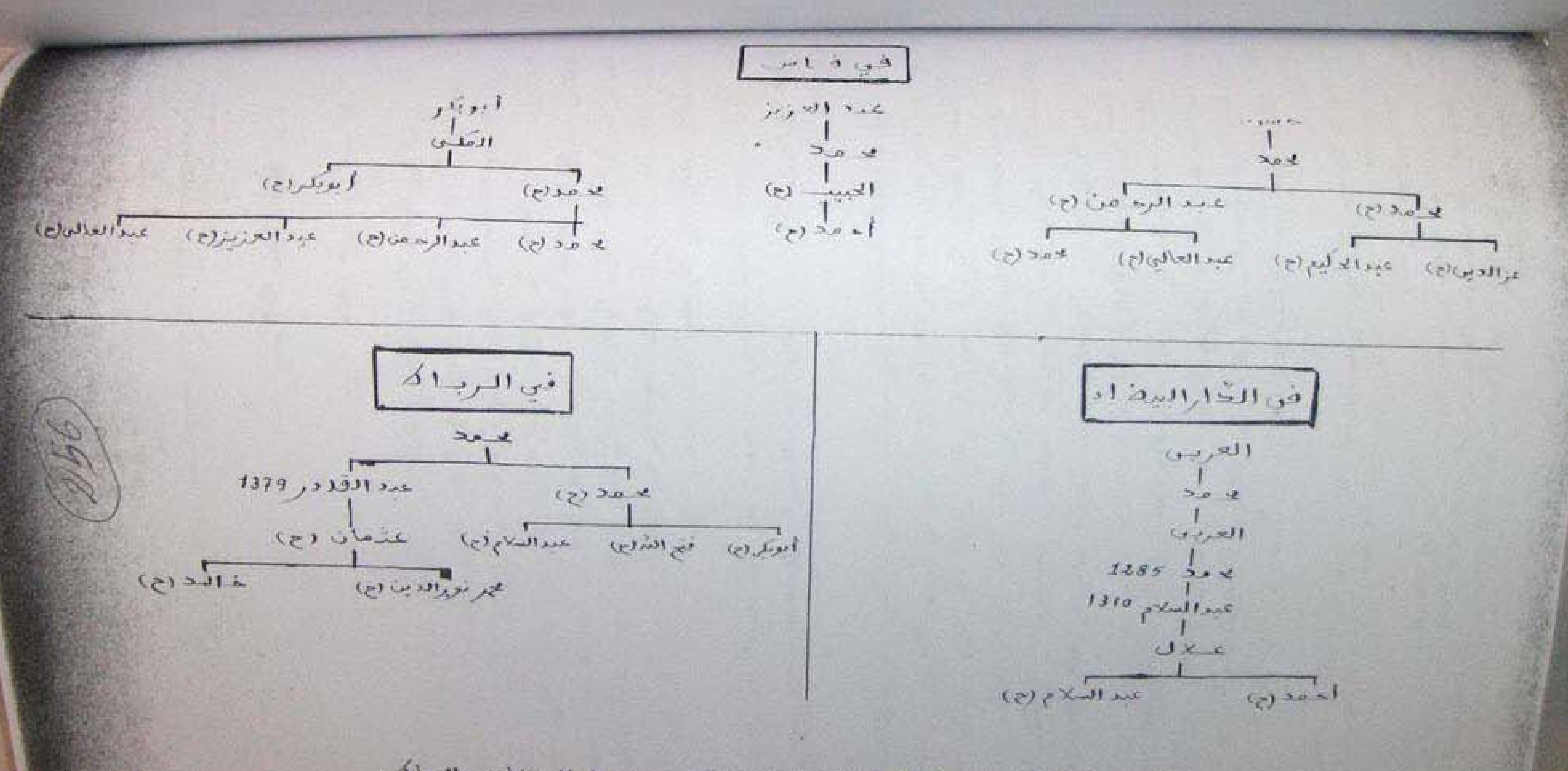
ب) جدول الكتب التى ألفت فى الدلائيين

	اسم الكتاب	المؤلف	مكان الكتاب
1	**البدور الضاوية فى التعريف بالسادات اهل الزاوية الدلائية**	سليمان الحوات	مخطوطات خ. ع. 261 د و 1454 د و 2941 ك
2	**اختصار البدور الضاوية**	أحمد البوعزاوى	؟
3	**اختصار ثان للبدور الضاوية**	محمد ابراهيم الكتانى	خزانة المؤلف
4	**اختصار ثالث للبدور الضاوية**	العابد الفاسى	الخزانة الفاسية
5	**تاليف فى اسانيد الشيخ محمد ابن ابى بكر الدلائى**	الحافظ أحمد الفاسى	؟
6	**تاليف فى ترجمة محمد المسناوى الدلائى**	محمد حمزة العياشى	فى سجل الخزانة الحمزاوية
7	**تاليف اخر فى ترجمة محمد المسناوى الدلائى**	أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغسانى	نقله برمته سليمان الحوات فى البدور الضاوية 261 د ورقة 184/ب ومابعدها
8	**حدائق الازهار الندية فى التعريف باهل الزاوية الدلائية البكرية**	محمد بن أبى بكر اليازغى	مخطوط خ. ع. 261 د
9	**ديوان يشتمل على قصائد فى مدح الشيخ محمد بن ابى بكر الدلائى**	مجهول	مخطوط خ. ع. 3312 ك
10	**نزهة الاخيار المرضيين فى مناقب العلماء الدلائيين البكريين**	عبد الودود بن عمر التازى	مخطوط خ. ع. 1264 ك
11	**نزهة الفكر فى مناقب الشيخين سيدى محمد ووالده سيدى ابى بكر**	عبد السلام بن الطيب القادرى	الخزانة الفاسية
12	**القصيدة الرائية فى رثاء الزاوية الدلائية**	الحسن اليوسى	مخطوطة خ. ع. 163 د
13	**شرح درة التيجان**	محمد بن أحمد الفاسى	مخطوطة خ. ع. 1432 ك
14	**شرح رائية اليوسى فى رثاء الزاوية الدلائية — فى ستة أسفار ضخام**	محمد بن المهدى ابن سودة	خزانة أبناء المؤلف فى فاس



جدول تسلسل الأسرة الدلائية إلى منتصف القرن الماضي (مع ذكر سني الوفاة) نقلا عن كتاب مؤرخي الشرفاء لبروفنصال

وقد أضفت إلى الجدول ستة أسماء أوردها القادري في نزهة الأخبار وعليها هذه العلامة x



بقايا الأسرة الدلائية في فاس، والدار البيضاء، والرباط.

لم أقف على وثائق توصلهم بسلسلة الدلائيين القدماء. وقد وضعت (ح) بإزاء أسماء الأحياء منهم.

4 ـ بقايا البيت الدلائى

أ) مساكن قبيلة مجاط اليوم

عرفنا فى الباب الاول أن أصل الدلائيين من مجاط ، وهى قبيلة بربرية من صنهاجة (27) التى كانت تسكن فى القديم أقاصى الصحراء المغربية حيث لايزال بعضهم هنالك حتى اليوم يكتبون بالحروف البربرية القديمة. واستوطن المجاطيون الذين طلعوا الى المغرب قديما ملوية العليا ثم انتشروا فى جبال الاطلس ، وعمرت طائفة منهم ـ مع أربع قبائل أخرى ـ مدينة محمد الحاج الدلائى فى أواسط القرن الهجرى الحادى عشر . وبعد انتهاء الامارة الدلائية وفشل الثورات البربرية تفرق المجاطيون فى البلاد . وتوجد اليوم فى المغرب ثلاث قبائل يطلق على كل منها اسم مجاط : (28)

أولا ـ مجاط ناحية مكناس ، ويقيمون على بعد نحو 10 كلم من هذه المدينة فى طريق الحاجب . ومن أشهر عشائرهم بنو محمد ، وبنو يحيى ، وشرفاء بوفكران .

ثانيا ـ مجاط ناحية مراكش . وتشتمل على فرقتين : مجاط التحتية ، وتقع مساكنهم على بعد نحو 30 كلم من مراكش فى طريق الصويرة . وتكتنف مجاطا التحتية قبائل الودايا شمالا وشرقا ، وقبيلة أحمر غربا ، وآيت يمور جنوبا . وأما مجاط الفوقية فيسكنون فى نجود الدير على ضفاف نهر (آسيف المال) جنوبى مساكن اخوانهم التحتيين ، ويبعدون عن مراكش بنحو 70 كلم فى طريق أمزميز . وتجاور مجاط الفوقية قبائل مزوضة وكدميوة ، وهى تابعة من الناحية الادارية لدائرة ايمينتانوت .

ثالثا ـ مجاط سوس . وهى أهم هذه القبائل الثلاث ، تسكن غير بعيدة عن تازروالت حيث زاوية الشيخ الشهير أحمد بن موسى السملالى . وتكتنفها شمالا قبيلة ايدا وسملال وجنوبا افران (بالاطلس الصغير) وشرقا آيت عبد الله ، وغربا آيت رخا . وتتبع اداريا دائرة بوزكارن . وينفق المجاطيون

---

(27) يقال ان كلمة (سنيكال) هى تحريف لصنهاجة . فهل هذا يعنى أن السنيكاليين هم مغاربة صنهاجيون اسودت بشرتهم بتأثير الطقس الحار الذى يعيشون فيه وبامتزاجهم مع جيرانهم السودانيين ؟

(28) عرض الاستاذ عبد الوهاب بن منصور فى هامش كتاب **العز والصولة** ، (154:1) لقبائل مجاط فذكر أن هناك اليوم بالمغرب أربع قبائل مجاطية ، جاعلا واحدة منها بحوز مراكش وأخرى بحوز شوشاوة ، كما عد زاوية سيدى احمد بن موسى من جملة عشائر المجاطيين القاطنين بحوز شوشاوة !

السوسيون على زاوية الشيخ أحمد بن موسى التى يعتبرونها مدرستهم الخاصة ، فيصرفون من زكواتهم على من بها من الطلبة والمحتاجين حتى اليوم لذلك يحيط السوسيون جميعهم قبيلة مجاط بكثير من التقدير والاجلال ، ويعتقدون أن حقول المجاطيين لاتمحل حتى فى السنين المجدبة .

ب) أحفاد الدلائيين فى فاس والدار البيضاء والرباط

كانت أسرة الدلائيين كبيرة فى فاس ، وتشعبت فروعها خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر (18 ــ 19م) حتى غدت كالدوحة العظيمة ، ثم بدأ عدد أفراد هذه الاسرة يقل الى أن لم يبق منهم فى مستهل قرننا الحاضر بفاس الا بضعة رجال «أهل مروءة ودين غير انهم لاعلم عندهم وانما يحترفون بحرفة معاشية من تسفير كتب ونحو ذلك..» (29)

واليوم تعيش فى فاس خمس اسر دلائية ليس لها من اتصال بالدلائيين القدماء الا (الحيازة) والانتساب اليهم بالتواتر على الالسنة ، حتى ان بعض الناس لما رغب فى امتلاك مقبرة الدلائيين الشهيرة بالكغادين فى زنقة باب الحمراء قرب وادى الزيتون داخل باب الفتوح بفاس (30) استغل ضعف هؤلاء الدلائيين المادى والمعنوى فاشتراها منهم ــ عن طريق الاحتيال والاكراه حسب زعمهم ــ وأشهد عليهم البيع الواحد تلو الآخر . ومهما يكن من أمر فان تملك مقبرة للمسلمين خصوصا مقبرة تضم أجداث علماء أعلام ، وتحويلها الى موقف للسيارات ثم الى ما لانعلم ، منكر يجب تغييره ، وبهتان لاينبغى السكوت عنه.

وكان بعض الدلائيين قد انتقل فى أواسط القرن الماضى الى السكنى برباط الفتح . ونشأ منهم فى هذه المدينة أديب صوفى هو محمد بن العربى الدلائى . كان يلازم دروس الشيخ أحمد دنية ويحضر مجالسه الحديثية والفقهية ، ويشتغل فى نفس الوقت بالتجارة فى سوق العطارين . وقد مدح محمد بن العربى الدلائى شيخه دنية حينما ختم صحيح البخارى بقصيدة مطلعها :

بدا فى سماء المجد والسعد طالع ... وأسفر عن وجه السعادة ساطع

(29) ادريس الفضيلى : **الدرر البهية** . 345:2

(30) سبق للاستاذ عبد السلام بنسودة أن استنكر ذلك فى أحد الاعداد الاولى لجريدة «الرأى العام» التى كانت تصدر بالدار البيضاء . ولمعرفة أسماء بعض العلماء الدلائيين الذين دفنوا فى مقبرة الكغادين وتراجمهم يمكن الرجوع الى **سلوة الانفاس** ، ج 2 ، من صحيفة 89 الى صحيفة 100

اللوحة رقم 21



زاوية محمد بن العربى الدلائى فى الدار البيضاء

ـ الزاوية الحراقية ـ

من تصوير المؤلف

ثم مدحه لما ختم مختصر الشيخ خليل بقصيدة أخرى مطلعها :

خليلى حدثنى حديث أحبتى — فذكرهم أنس لاهل المحبة (31)

وصحب محمد بن العربى الدلائى بعد ذلك الشيخين الصوفيين الشهيرين العربى الدرقاوى ومحمد الحراق ، وسلك على يدهما طريق القوم الى أن بلغ درجة المشيخة . وأسس فى الرباط الطريقة الحراقية وعنه أخذها كثير من الناس ، منهم العالم أحمد بن عاشر الحداد الذى شيد أركان هذه الطريقة فى الرباط من بعده . ولمحمد بن العربى الدلائى أزجال كثيرة فى طريقة شيخه محمد الحراق ، وأناشيد صوفية حسنة ، وشعر كثير أغلبه فى مدح الرسول عليه السلام . وقد ألف محمد بن العربى الدلائى كتابين ، أحدهما فى مدح الرسول الكريم بطريقة السماع أو الالحان الموسيقية ، سماه **فتح الانوار فى بيان ما يعين على مدح النبى المختار** ، ذكر فيه أن أركان (السماع) ثلاثة لابد لكل منشد من معرفتها وهى الشعر المتغنى به ، والطبع المترنم بلحنه، والوزن المفروغ ذلك الترنم فى قالبه . ثم أتى بعد ذلك بالبحور الشعرية وتفاعيلها مختصرة ، والطبوع الموسيقية مجملة ثم مفصلة . والكتاب الثانى الذى ألفه محمد بن العربى الدلائى فى **ترجمة الشيخ محمد الحراق** ، ذكر فيه نسب الشيخ ومشاركته فى العلوم ولاسيما علم الباطن ، وعرض لرسائله الى اخوانه ومريديه ، وخصص فى الاخير بابا لقصائد الحراق وتوشيحاته ومقطعاته مرتبة على البحور ، مبتدئا بالطويل :

أتطلب ليلى وهى فيك تجلت — وتحسبها غيرا وغيرك ليست ..

ثم انتقل الشيخ محمد بن العربى الدلائى الى مدينة الدار البيضاء حيث أسس زاويته المشهورة فى البقعة التى كانت وهبت للشيخ الحراق ، غير بعيدة من المسجد العتيق بطريق دار المخزن فى المدينة القديمة ، وأخذ يلقن فيها الاوراد ويعمر حلق الذكر بالسماع على الطريقة الحراقية . وكانت الدار البيضاء فى ذلك الوقت (أواخر القرن 13 هـ/19 م) خالية قفرة ليس فيها الا المسجد العتيق المجاور لدار المخزن اذا أقيمت فيه صلاة الجمعة لايجتمع الحد الادنى الذى لاتصح هذه الصلاة الا به وهو اثنا عشر رجلا . وتزوج الشيخ محمد بن العربى الدلائى فى الدار البيضاء ، وظل يحن الى مسقط رأسه الرباط ، ويتردد عليه من حين لآخر الى أن توفى فى 15 شوال 1285/1869 ودفن بركن الصحن الاول عن يمين المستقبل داخل زاويته فى الدار البيضاء .

(31) انظر نص القصيدتين وترجمة ابن العربى الدلائى فى: محمد دنية، **النسمات الندية** ص 86-90

وخلفه ابنه الصالح عبد السلام الدلائى ، وكان مثله عالما ورعا يتجنب الظهور ويميل الى الانعزال عن الناس . سلك سبيل والده فى التصوف والانقطاع الى العبادة والذكر وتربية المريدين الى أن توفى عام 1310/92 - 1893 ودفن بجوار والده فى زاويتهم . وما يزال حتى اليوم بعض أقرباء محمد بن العربى الدلائى يعيشون فى الدار البيضاء والرباط ، وليس بأيديهم من الوثائق ما يوصل عمود نسبهم بالدلائيين القدماء .

هكذا تفرقت قبيلة مجاط العظيمة أيدى سبأ ، وقل أفراد البيت الدلائى المجيد بعد كثرة ، وافتقروا بعد غنى ، وارتحل عنهم العلم بعد طول اقامة ، ولله عاقبة الامور .

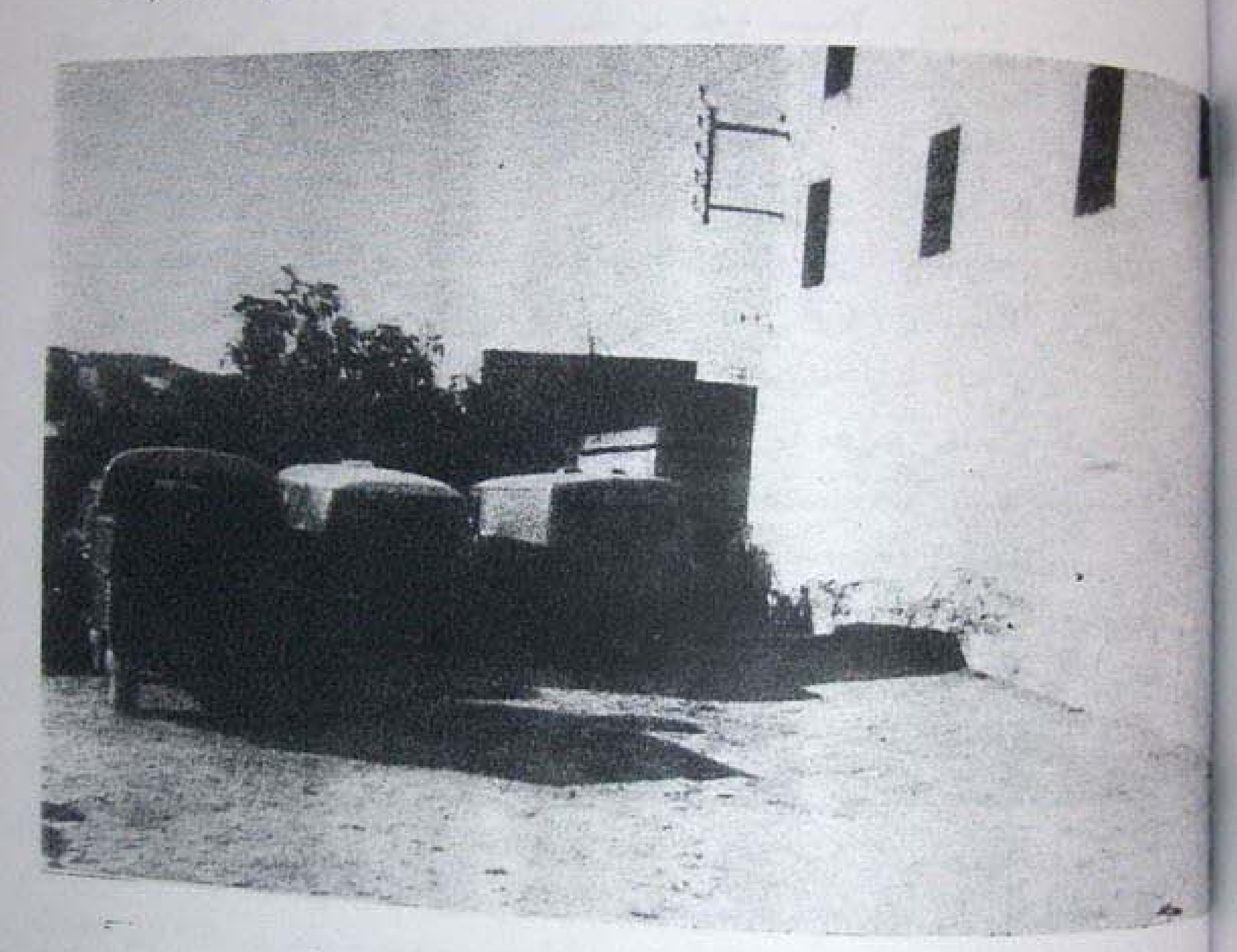
اللوحة رقم 22



السيد محمد بن محمد بن حسن الدلائي

ـ تاجر في فاس ـ

اللوحة رقم 23



مقبرة العلماء الدلائيين الشهيرة بزنقة باب الحمراء بفاس

– تحولت الى موقف للسيارات !! –

من تصوير المؤلف

الخاتمة

لقد تعاقبت على الزاوية الدلائية أطوار الحياة الطبيعية ، من نشوء وترعرع وارتقاء ، ثم تقهقر وفناء ، فى أمد قريب لم يجاوز قرنا واحدا ، وهو عمر قصير بالنسبة للمؤسسات الدينية والعلمية التى يفرض فيها أن تخلد خلود الدين والعلم . لاسيما وقد تم تأسيس الزاوية الدلائية فى موقع جبلى هام بعيد عن العاصمتين المغربيتين فاس ومراكش ، على يد شيخ أصيل فى هذه البيئة تتوافر لديه كل المؤهلات التى تضمن التفاف الناس حوله ، فلم يختلف اثنان فى صلاح الشيخ أبى بكر الدلائى ، ولم يعرف عنه قومه المجاطيون وجيرانهم الزيانيون والتادليون الا النسك والعبادة منذ حداثة سنه، والزهد فى الدنيا والاعراض عن زخرفها الزائل على ما آتاه الله من بسطة فى الرزق . ولم يمت هذا الشيخ حتى كانت الزاوية الدلائية قد سارت بذكرها الركبان ، واشتهر أمرها فى المغرب كله ، وقصدها الناس من جميع الجهات ، ومن بينهم علماء كبار استطابوا المقام فيها شهورا وأعواما ، وازدهرت بهم المجالس العلمية ازدهار حلقات الاذكار بالمريدين . وخلف محمد بن أبى بكر أباه على رأس الزاوية الدلائية ، وكان عالما كبيرا له خمسة من الاخوة بضاعتهم العلمية غير مزجاة ، تصدروا للتدريس جميعا فنفقت سوق العلم فى الدلاء ، وتكاثر فيها الطلبة الذين أووا الى مدارس كبيرة بلغت حجراتها ألفا وأربعمائة، واتسعت المكتبة العلمية الدلائية التى كانت تستنسخ لها الكتب النادرة فى المشرق والمغرب الى أن بلغ عدد الكتب فيها عشرة آلاف مجلد . ويكفى الزاوية الدلائية فخرا أن يعد من تلاميذها الامام الحسن اليوسى صاحب المحاضرات والقانون ، وأحمد المقرى صاحب نفح الطيب ، ومحمد العربى الفاسى مؤلف مرآة المحاسن ، وأضرابهم من فطاحل العلماء ، وأن تنجب من أبنائها عشرات الاعلام فى مختلف ميادين المعرفة ، مثل محمد بن أبى بكر الدلائى شيخ الحفاظ بالمغرب ، وابنه محمد المرابط امام اللغة والنحو فى عصره ، وأحمد ابن عبد الله الدلائى أشعر قومه وأعلمهم بالآداب .

وشاء القدر أن يتولى أمر الزاوية الدلائية فى منتصف القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) رجل طموح من هذه الاسرة المجيدة ، بهره بريق الجاه والسلطان وأعماه حب الرياسة ، فانغمر فى ميدان السياسة. وكانت له مؤهلات كثيرة للنجاح ، من عصبية صنهاجية قوية ونفوذ روحى كبير وثروة طائلة ، الى رجاحة عقل وحسن تدبير وبطولة نادرة . وملك السلطان محمد الحاج الدلائى أهم البلاد ، وامتد نفوذه فشمل وسط المغرب وشماله وغربه ، ودخلت فى طاعته سلا ، والرباط ، ومكناس ، وفاس ،

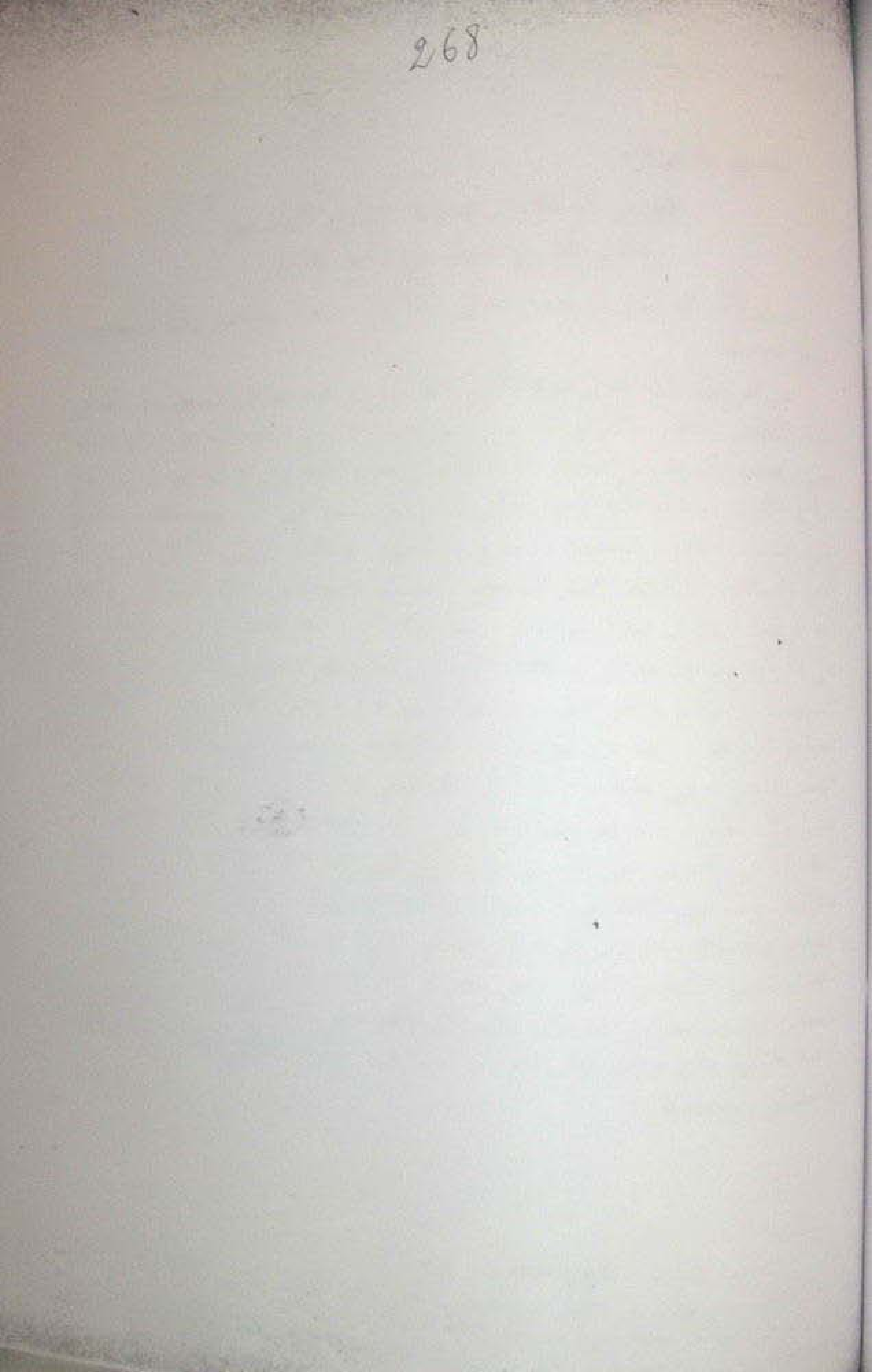
وتازا ، وتطوان ، وأسس بالسفح الغربي للاطلس المتوسط مدينته العظيمة التي ورثت عن زاوية الدلاء الاولى اسمها وعلمها ونفوذها الروحي . وقد انضوى تحت لواء الدلائيين المجاهدون البحريون أو القراصنة السلويون ، واقام عبد الله الدلائي في قصبة سلا نائبا عن أبيه السلطان محمد الحاج في حكم مدن أبي رقراق وما يليها من بلاد الغرب ، وفي الاتصال بممثلي الدول الاوربية الكبرى التي كان لها قناصل قارون في سلا وتطوان يمثلونها لدى الامير الدلائي ، ويفاوضونه في موضوع العلاقات التجارية ، والمشاكل الناتجة عن القرصنة البحرية وخاصة مسألة الاسرى وفداءهم . وكان لاسطول الجهاد المغربي وزنه الراجح أيام الدلائيين ، يرهبه الاوربيون أكثر من رهبتهم الاسطول التركي في الجزائر ، ويسعون بجد في مهادنة الدلائيين والتحالف معهم ، رغبة منهم في المحافظة على سلامة أساطيلهم التجارية التي كانت تمخر عباب البحرين الاطلنطيقي والمتوسط . وأمضى عبد الله الدلائي عدة معاهدات مع هذه الدول ، ساعدت على نشاط الحركة التجارية في الموانىء المغربية ، واستغنت الخزينة الدلائية بالضرائب الجمركية المفروضة على الصادرات والواردات ، وتزود الجيش الدلائي بالعتاد الحربي الحديث المجلوب من أوربا . ووجه الدلائيون سفراءهم الى هولاندا ، فكانوا محل تقدير واعجاب ، واستطاعوا أن يحلوا كثيرا من المشاكل العويصة التي ظلت معلقة بين البلدين طوال سنين عديدة .

لكن بالرغم من تمكن سلطة محمد الحاج وانتشار نفوذه لم يستطع أو لم يجرؤ على أن يوحد المغرب كله تحت سلطته ، واكتفى بنوع من التعايش السلمي مع بقايا السعديين في مراكش ، ومع العلويين في تافيلالت ودرعة ، وأبي حسون السملالي في سوس . وبذلك أصبح لايعدو أن يكون مجرد حاكم مقاطعة – وان اشتملت على أهم أقاليم البلاد – وغدا سلطانه غير شرعي بالرغم من المبيعات التي حملها اليه علماء المدن والقبائل وأعيانها وفي مقدمتهم أهل فاس ، اذ لم يكن من الطبيعي ولا من الممكن أن يظل المغرب مقسما الى مناطق نفوذ تحت سيطرة أربعة من السلاطين بلغ التنافر بينهم منتهاه ، بل كان هذا النوع من حكم ملوك الطوائف مظهرا من مظاهر الضعف والانحلال في البلاد ، ومرضا خطيرا أصاب الامة ان لم تشف منه أدى بها الى الهلاك . وكان لابد أن يتغلب أحد المتزعمين الاربعة على منافسيه لتخلص له البلاد كلها ، او أن ياتي زعيم جديد قوي ينتزع السلطة من أيديهم جميعا . والحقيقة أنه كانت للدلائيين في السنين الاولى لامارتهم قوة حربية كبيرة تمكنهم من القضاء على منافسيهم في يسر ، وقد حاربوا فعلا السعديين والعلويين والحقوا بهم

هزائم نكراء ، لم يكن من الصعب معها الاجهاز عليهم والتخلص منهم نهائيا لولا نسبهم الشريف .

وكان ظهور السلطان الرشيد العلوى فى المغرب الشرقى واستيلاؤه على فاس ومكناس بداية النهاية بالنسبة للزاوية الدلائية . وفى الايام الاولى من عام 1079/1668 غادر الدلائيون زاويتهم الى فاس ، والحسرة تملأ أفئدتهم ، والدموع تترقرق من مآقيهم ، تاركين وراءهم الدور والقصور ، والمال والسلاح، والعز والجاه . وأعمل السلطان الرشيد معاول الهدم فى الزاويتين الدلائيتين، القديمة والحديثة ، فخربهما وطمس ما استطاع أن يطمس من معالمهما ، وتركهما خاويتين على عروشهما تعشش فيهما البوم وتنعق الغربان باكية سوء طالع الدلائيين وعثر جدهم . ثم بعد النكبة والغربة أدرك العلماء الدلائيون منزلة رفيعة فى العاصمة الادريسية ، وزاحموا علماءها على منابر التدريس والخطابة فى المساجد والمدارس الى أن أصبحوا يحتلون الصدارة فى هذا الميدان . وتولى كثير من الفقهاء الدلائيين خطة القضاء والافتاء فى فاس ومكناس وتارودانت ، ودرس علماؤهم فى هذه المدن وفى غيرها كمراكش ، وتتلمذ لهم كثير من الناس من جميع الطبقات ، حتى الامراء العلويون مثل محمد العالم بن السلطان اسماعيل ، وعبد السلام بن السلطان محمد بن عبد الله . وخلف الدلائيون تراثا علميا هاما يتمثل فى عشرات الكتب التى ألفوها فى مختلف الفنون ، وفى آثارهم الادبية الرائعة المبعثرة فى ثنايا الكتب والكراسات والمجاميع فى المكتبات العامة ودور الخاصة ، والتى لو جمعت ودرست على الوجه اللائق لكونت دواوين أدبية ممتعة .

وصفوة القول أن الزاوية الدلائية أدت رسالتها الاولى على أحسن وجه ، وظلت نبعا فياضا يكرع منه رجال العلم والدين طيلة قرن كامل . ولم ينجح الدلائيون فى ميدان السياسة لان البيئة الروحية التى كونتهم لم تعدهم ليكونوا ملوكا ذوى بطش وسلطان فحاولوا أن (يصوفوا) السياسة وقنعوا بالرقعة التى انبسط نفوذهم عليها تاركين حوز مراكش للشرفاء السعديين وما وراء جبل العياشى للشرفاء العلويين ، ولم يحاربوا أبا حسون السملالى لانه من سلالة الصالحين ، ثم ملكوا فاسا فلم يسكنوا قصر الامارة حتى لايزعجوا الشريفات السعديات . وظل الدلائيون هكذا حائرين بين المادة والروح والدين والدنيا الى أن جاء السلطان الرشيد بن الشريف العلوى الذى قبض على الامر بيد من حديد ووحد المغرب كله تحت سلطته ، فرد الى الدلائيين رشدهم وحملهم الى فاس ليتابعوا أداء رسالتهم العلمية والدينية كما أداها آباؤهم الاولون .



ملحق رقم (1)

ظهير السلطان محمد الشيخ السعدى بتعظيم الشيخ سعيد بن أحمد الدلائى *

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

عن أمر عبد الله تعالى مولانا أمير المومنين ، المجاهد فى سبيل رب العالمين المؤيد المنصور بالله ، القائم بأمره ، الشريف الحسنى أدام الله عزه وأيد ملكه آمين ، محمد الشيخ بن محمد ، انا جددنا بحول الله وقوته لحامل أمرنا العلى المبارك الكريم اسماه الله وخلد مآثره ، وهو ولينا فى الله سبحانه ، الذى نعظم قدره ، ونلتزم تبجيله وايثاره ، السيد الافضل الولى الاكمل ، المبارك الخير الصالح ، الاستاذ المعلم الناصح ، سيدى سعيد بن أحمد الدلائى ، وصل الله كرامته ، ووالى بمنه سعادته ، تجديدا تاما ، له خاصا ولاخوانه عاما ، على ما بأيديهم من ظهائر أسلافنا الكرام ، وغيرهم رحمهم الله ، المتضمنة لشرفهم وتوقيرهم واحترامهم ، ومحاشاتهم من سائر كلائفنا (1) ووظائفنا المعهودة لغيرهم ، بعد أن تصفحناها فالفيناها مؤسسة المبنى ، ومستقيمة اللفظ والمعنى ، فى غاية ما يكون من التحقيق والتعظيم والرضى ، من غير تغيير ولا تبديل ، ولا تحريف وتحويل . وتركناهم على ما كانوا عليه من التصرف فى بلادهم المعروفة من غير اعتراض لهم فيها ولا نزاع من أهل دائرتنا . ولنعلمهم كافة عبدا وحرا ، وقائدا ووزيرا ، بأننا ألبسناهم لباس التوقير والاجلال والاحترام ، وتوجناهم بتاج العز والاكرام ، فلا سبيل لمخلوق عليهم كائنا من كان . ومن حاد عن أمرنا هذا أو خالفه فلا يلومن الا نفسه . وعليهم بطريق المسكنة (2) والوقوف على ما تعود منفعه ومصلحته لدارنا العلية بالله ولابد والسلام . وكتب فى سادس محرم الحرام عام ثلاثة وخمسين وتسعمائة .

---

* سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 7/أ

(1) الكلائف جمع محرف عن الكلف ، والمفرد : كلفة . وهى ما كان يفرضه الملوك على رعاياهم من اتاوة أو خدمة خاصة ، ويقال للكلفة أيضا نائبة

(2) المراد بطريق المسكنة طريق التصوف وتسمى أيضا طريق الفقر لان المتصوفين الصادقين ينصرفون عن الدنيا ويزهدون فيها

ملحق رقم (2)

قصيدة الاستاذ أحمد بن قاسم المنصورى بمناسبة زيارة أطلال الزاوية الدلائية *

طالما تشوفت لزيارة رجال الدلاء بمقرهم الاول بالدلاء ، الى أن اقترح على الصديق الحميم الاديب النشيط سيدى محمد حجى المفتش بوزارة التربية الوطنية أن أرافقه لزيارة الزاويتين الدلائيتين ، الاولى التى كانت ينبوع رجالاتهم ومقر عرفانهم فى أول مستقرهم بتلك البلاد الزيانية من فخذ آيت اسحاق وحيث مدفن علمائهم وعظمائهم، والثانية التى صارت دار علم وصلاح ومملكة بعد ، وهذه جاءت يسار الطريق الرئيسية من مراكش لفاس على نحو 65 كلم من قصبة تادلا . وتعرف الآن بزاوية آيت اسحاق . أما الزاوية الاصلية الاولى الآنفة الذكر ، فقد جاءت شرقى هذه بنحو 12 كلم فى شعاب جبال الاطلس الزيانى ، يسلك الذاهب اليها فى شقة بمشقة من ثنايا وشعاب ، وتلال وعقاب ، تذكرك فيما أنشده الامام ابن حجر عند زيارته لقبر الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى حيث يقول :

قطعنا فى زيارته عقابا ... وما بعد العقاب سوى النعيم

ويسر الله هذه الزيارة عشية يوم الاربعاء 25 حجة 1381 هـ 30 ماى 1962 م وعندما وقفنا على تلك الآثار وهاتيك الديار التى كانت طافحة بالمعارف زاخرة بالصلاح والدين والكرم ثم ما ءالت اليه من اطلال خربة ، وبلاقع ينعق الغراب وينعب فيها البوم ، هاج القريحة ذلك المشهد الغريب والمنظر الرهيب. ومن جهة أخرى أعادت لى تلك الزيارة ذكرى أيام الصبا والشباب التى مرت لى ببلاد زيان وأطلسها الفيحان ، وهذا ما تترجم بعضه هذه القصيدة :

ذكرت الصبا وعهده بمرابع ... مضت بين هاتيك الربوع الروائع
عشية مرت بى النجائب خلسة ... خلال ثنايا شاهقات الطوالع
ثنايا (بكرض الخير) 1 تسمى وأسده 2 ... ثنايا «زيان» 3 لاالنقا 4 والاجارع 5

---

* نشرت هذه القصيدة فى جريدة **الميثاق** ، لسان رابطة علماء المغرب ، العدد 12 من السنة الاولى بتاريخ فاتح ربيع الاول 1382/2 غشت 1962. ص 4 تحت عنوان : على أطلال الزاوية الدلائية

1) كرض الخير : عقبة يصعدها الذاهب لزيارة هذه الاضرحة ، ومعنى كرض بالعربية عقبة ، أى عقبة الخير والمراد بالخير رجال تلك الزاوية

2) والمراد باسده الشعبة التى جاءت شرقى هذه الاضرحة المسماة (اقا ازم) بالبربرية أيضا ومعناها بالعربية شعبة الاسد

3) زيان هى القبيلة المشهورة وفيها جاءت الزاويتان فى فخذ آيت اسحاق

4) النقا : رملة مستوية

5) والاجارع : رملة مستوية لاتنبت

فعادت بى الذكرى لايامها الالى مضت ، وليال ، ما ترى برواجع
زمان شبابى (6) ينثنى بمرابع سقتها غواد (7) بالغيوث الهوامع
مرابع كان الجود يهمى (8) حيالها بمغنى الدلاء يا لها من مرابع
وينهمر العرفان من جدرانها انهمار رباها من غزير الينابع
وينصب رقراق المحابر دفقة كما انصب رقراق المياه الدوافع
من أودية أم الربيع يمدها شبوكة9 واسرو10 لانضوب الوقائع11
وكم رتعت فى خصب عرفانها ذوو النوايا الحسان فى حسان المراتع
بها فتية بالدين كان هيامها وبالعلم شيب مثل كهل ويافع
عرانين (12) فى أنسابها من برابر لصنهاجة أولى السيوف الشعاشع (13)
اعزاء فى أحسابها ، ان يهب بها غيوث لدى النكبا ليوث الوقائع
وفى ليلها تعشو (14) المحارب هجدا قياما قعودا جافيات المضاجع
ولما أتيت اليوم شوقا أحجها وفى حجتى حجى جميل الطبائع
وقد خلد التاريخ ذكرى رجالها رجال يراع أو رماح شوارع (15)
وقلت اذا ما فاتنى من زمانها لقاء ففى تلك القباب السواطع
بها قد ثوى المجد الرفيع يساوق (16) العلا والمعالى وهى جد روائع
يفوح شذاها من أبى بكر الرضى (17) وقطب رحى ذا البيت دون مضارع
محمد (18) من قد طبق الافق جوده بعلم ومال ، فهو جم الصنائع

---

6) كانت نشاة الشاعر بزيان بمدينة خنيفرة ، ولد بمكناس ولكن جاء به والده الى المعسكر الذى كان يراسه بخنيفرة قبل سابع الولادة ، وما برحها حتى هاجمهم الفرنسيون فى حملة الاحتلال

7) الغوادى جمع غادية السحاب التى ينشا صباحا أو مطرة الغداة

8) يهمى يسيل لايثنيه شىء

9) شبوكة : واد ينحدر من جبال شرقى مدينة خنيفرة وهو احد روافد أم الربيع

10) اسرو : واد ينحدر من شرقى خنيفرة ، فى حين يهبط ام الربيع من جبال غربى خنيفرة . ويصب واد شبوكة فى اسرو ويذهبان بضعة كلمترات فيصبان فى أم الربيع . وتجرى هذه فتمر ازاء الزاوية بكلمترات

11) الوقائع : جمع وقيعة نقرة فى الجبل يستنقع منها

12) العرنين : السيد الشريف

13) الشعاشع : الطوال

14) تعشو : تقصد ليلا

15) الرماح الشوارع : المسددة

16) يساوق : يفاخر

17) ابو بكر هو قطب هذه الاسرة علما وصلاحا ودنيا ، ولد سنة 943 وتوفى سنة 1021

18) محمد فتحا هو النجل الابر الذى ملأ الدنيا علما وعملا وفيضا ونوالا وصلاحا ولد حوال سنة 967 وتوفى سنة 1046

ربي برور الصالحين بوالد   فجوزى ، ثم كان خير مضاجع

سقتهم غواد رائحات تسوقها   هوادى (19) العشايا أو هبوب المطالع

فلماذا رأيت ؟ اذ أتيت لروضها   رأيت الليالى قد رمت بفواجع

رمتها فهدت من شوامخ ركنها   وعزة هاتيك القصور اللوامع

تبدل ذاك الفائق الحسن نضرة   باطلال بوم تنعبن وبلاقع

وعاد رحيق شربها رنقا (20) فما   يلذ مذاقا أو يسوغ لجارع

فشابت نواصى الزائرين بلوعة   وغصت بدمع من مآق مشايع (21)

الا أيا الملتاع منها تحسبا   رويدك ، ذاك الدهر رب الفواجع

عزاء ، فما ينفك بالقوم غادرا   فلا تعتبن فالعتب ليس بنافع

وسلم ، قضاء الله حتم ونافذ   فكن بقضاه خير راض وطائع

---

(19) هوادى الليل : أوائله

(20) رنقا : كدرا

(21) مشايع : موافق ومساعد

ملحق رقم (3)

احدى القصائد التى كان يلقيها شاعر الزاوية الدلائية أحمد الدغوغى في مواسم عيد المولد النبوى الشريف بين يدى الشيخ محمد بن أبى بكر يمدحه فى آخرها بالكرم واحياء الشريعة واتباع السنة *

رحلوا وقاطن شوقهم لم يرحل ... وسروا بلبى بين تلك الارحل
فألفت من جسدى الذبول لفقدهم ... أسفا ومن خلدى ذهول البلبل (1)
فعلى الطلول تزايد الزفرات من ... حرقى على عبرات دمعى الهمل (2)
يا ربع أين ظباء حيك والمها ... وجآذر بهم جييدك كم حلى (3)
يا ربع ويحك أين من بنقائهم ... يزهو نقاك كأنه لم يعطل (4)
أجرى الضوامر مدلجين حداتهم ... متحملى الاثقال أى تحمل
ألفوا السهاد من الرقاد وحالفوا ... قطع الوهاد بكل حرف هوجل (5)
وسرت بهم تجتاب كل مضلة ... عيس لها شرف يفوق ويعتلى (6)
وغدت بهم تختال كل مفازة ... من ركبهم حظيت برفعة منزل
لم لا وقصدهم الذى فضلت به ... أعلام مكة كل مغنى أفضل
وبطيب طيبة حيث حل تعطرت ... كل العوالم وهو أكرم مرسل
الهاشمى الابطحى محمد ... هادى الانام وسيلة المتوسل
خير الاوائل والاواخر من له ... نطق الجماد رضى بأفصح مقول
وكذا اليه الجذع حن وأن من ... شوق لوطأته بمحضر محفل
ومن الزلال العذب عل محافظا ... من بين أنمله جرى بمسلسل
وشكا البعير اليه فرط عنائه ... وشكا الغزال اليه خيفة موجل
والضب أفصح معلنا بثنائه ... والذئب سلم جهرة بتذلل

---

* سليمان الحوات . **البدور الضاوية** . ورقة 44/ب وما بعدها

1) فى النسخ المخطوطة (الدهول البلبل) وهو لايستقيم من ناحية القواعد النحوية لذلك افترضت أن يكون الاصل (ذهول البلبل) . ولعل الشاعر يرى فى تغريد البلبل ما يراه غيره فى سجع الحمام من تعبير عن الحزن وأثر للذهول

2) تزايد : مضارع حذفت احدى تاءيه . والهمل - بضم الهاء وتشديد الميم المفتوحة - جمع هامل ، من هملت العين اذا فاضت دموعها

3) المها : مفرده مهاة وهى البقرة الوحشية . والجوذر - بضم الجيم وضم الذال وفتحها - ولدها . ويضرب بهما المثل فى حسن العيون

4) النقاء : مصدر نقى أى نظف وطهر . والنقا من الرمل : القطعة تنقاد محدودبة . وهو يريد هنا مطلق المكان

5) الحرف : الناقة الضامرة أو العظيمة . والهوجل من النوق : السريعة فى سيرها

6) مضلة - بفتح الميم وبفتح الضاد وكسرها - ارض يضل فيها السائر . والعيس : كرام الابل أو البيض التى يخالط بياضها سواد خفيف . ويقال للجمل أعيس وللناقة عيساء

وارى انشقاق البدر أوضح آية ... لذوى الشقاق لو اهتدوا بتأمل
وبكفه صم الحصا لاخى الحصا ... ة مسبحا أبدى العجاب لو اجتلى
ومن الدليل على علاه سموه ... ليلا على أعلى العلا شرفا على (7)
أم الملائكة الكرام معظما ... والمرسلين وساد كل مبجل
ما زال يصحبه السعود صعوده ... والله يزلفه بكل تفضل (8)
حتى دنا من قاب قوسى الاصطفا ... ء بمنزل عنه الوجود بمعزل
لولاه ما حصل الوجود لواجد ... لولاه سبل رشادنا لم تعقل
لولاه ما عرف الاله ولم يدن ... بتبتل لله حلف تبتل
ماذا يحاول من ثنائك حادث ... بعد الثناء من القديم الاول
بك أقسم الجبار جل جلاله ... وعليك صلى فى الكتاب المنزل
يا مصطفى الرحمن أنت حبيبه ... ها أنت أنجح مأمل لمؤمل
ها أنت أمنع من يلاذ به حمى ... ها أنت فى الدارين أكرم موئل
كن لى بحقك منقذا مما دهى ... من آجل متوقع ومعجل
وادم لوارث، سرك السر الذى ... أورثته أبدا يزيد وخول
يحيى شرائعك، الزكية حافظ ... السنن السنية ذو العطاء الاجزل
نعم الامام سميك العلم الذى ... يسمو السماء سناؤه بك اذ حلى
وعليك من صلوات ربك دائما ... أهمى سحائبها السوامى الهطل (9)
تنهل ديمتها على ربع به ... كملت سعادة جيلنا لا تأتل

(7) (على) فى آخر البيت مضارعه يعلى ، كفرح يفرح ، بمعنى ارتفع وسما . والاشارة هنا الى قضية المعراج وصعود الرسول الى سدرة المنتهى

(8) السعود مفعول به ثان مقدم للفعل يصحب - الرباعى - والفاعل هو صعوده

(9) ضمير (سحائبها) يعود على السماء وهى مفهومة من السياق غير مذكورة . والسوامى جمع سامية . والهطل - بضم الهاء وتشديد الطاء المفتوحة - جمع هاطل اى نازل متتابع والسوامى والهطل وصفان للسحائب

ملحق رقم (4)

(ا) حزب الفلاح لمحمد بن سليمان الجزولي *

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا ، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق . جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله (ثلاثا) ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب (ثلاثا) أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا) باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) سبحان ربى العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ثلاثا) أستغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو بديع السماوات والارض وما بينهما من جميع جرمى وظلمى وما جنيته على نفسى وأتوب اليه (ثلاثا) لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسعا) لا اله الا الله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثبتنا يا رب بقولها ، وانفعنا يا رب بفضلها ، واجعلنا من أخيار أهلها ، واحشرنا فى زمرة قومها (ثلاثا) آمين آمين آمين رب العالميـــــن .

(ب) الصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش العلمى :

اللهم صل على من منه انشقت الاسرار ، وانفلقت الانوار ، وفيه ارتقت الحقائق ، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شىء الا وهو به منوط ، اذ لولا الواسطة لذهب - كما قيل - الموسوط ، صلاة تليق بك منك اليه كما هو أهله . اللهم انه سرك الجامع الدال عليك ، وحجابك الاعظم القائم لك بين يديك . اللهم ألحقنى بنسبه ، وحققنى بحسبه ، وعرفنى اياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل ، وأكرع بها من موارد الفضل ، واحملنى على سبيله الى حضرتك ، حملا محفوفا بنصرتك ، واقذف بى على الباطل فأدمغه ، وزج بى فى بحار الاحدية ، وانشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا

---

* العربى الفاسى ، **مرآة المحاسن** ، ص 54 وما بعدها
لم اعلق على نصوص هذا الملحق لاشتمالها على آيات قرآنية وأحاديث واشارات صوفية يصعب تحليلها فى هامش صغير مكتفيا بتصحيح النص تاركا الشرح للتفاسير والكتب المؤلفة فى الموضوع كشرح ابن زكرى للصلاة المشيشية وهو مطبوع

أجد ولا أحس الا بها ، واجعل الحجاب الاعظم حياة روحي ، وروحه سر حقيقتي وحقيقته جامع عوالمي ، بتحقيق الحق الاول ، يا أول يا آخر ، يا ظاهر يا باطن، اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء عليه السلام ، وانصرني بك لك، وأيدني بك لك ، واجمع بيني وبينك ، وحل بيني وبين غيرك . الله، الله، الله (ان الذى فرض عليك القرءان لرادك الى معاد) . (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا) .

(ج) **المسبعات العشر :**

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم باسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (سبعا) ـ بتكرير البسملة ، وأما التعوذ ففى الاولى فقط ـ سورة الناس (سبعا) . سورة الفلق (سبعا) . سورة الاخلاص (سبعا) . ثم سورة الكافرون (سبعا) . ـ بالبسملة فى الجميع مكررة مع كل واحدة ـ آية الكرسي (سبعا) . سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (سبعا) . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (سبعا) . اللهم اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الاحياء منهم والاموات (سبعا) . اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدنيا والآخرة ما أنت أهله ، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن أهله ، انك غفور رحيم ، جواد كريم ، رؤوف رحيم (سبعا) .

(د) **المعشرات التسع :**

أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله (عشرا) . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (مرة واحدة) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (عشرا) . باسم الله الرحمن الرحيم (عشرا) . اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وسلم (عشرا) . أستغفر الله ان الله غفور رحيم (عشرا) . لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (عشرا) . لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (عشرا) . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (عشرا) . الحمد لله رب العالمين (عشرا) . الشكر لله رب العالمين (مرة واحدة) . حسبنا الله ونعم الوكيل (سبعين مرة) .

ملحق رقم (5)

لشاعر الزاوية الدلائية أحمد الدغوغي فى احدى ختمات الشيخ محمد ابن أبى بكر الدلائى لصحيح الامام البخارى *

بخارى من تأرجها الهباء ... بخار دون مخبره الكباء (1)
وليس المسك والكافور الا ... شذا هو من تضوعها شفاء
أمنكر فضلها أحسدت أرضا ... تقر لها وتحسدها السماء
تنبه ويك ان الى بخارى ... لجامع جامع صح انتماء (2)
أمير المؤمنين أولى انتقاد ... به حسن انتقاء واتقاء (3)
كأن كتابه والكتب منه ... تمد سميه والاولياء (4)
فمنه به سميا بل سريا ... تمد الاولياء بما تشاء
ونفس وجوده لما ادلهمت ... دياجي النازلات هو الضياء
وقاء علاك من بالارض طرا ... فأنت من الشقاء لهم وقاء
مميت الجهل محيى العلم نصحا ... كما أحيا مميت القحط ماء
فمن عن حجه أقصته منا ... مآثمه وأقعده القضاء
فمكة حجنا ومنى منانا ... وكعبتنا وزمزمنا الدلاء
وان لطيبة الغرا لطيبا ... يعطر منه ناديك الهواء
على انا بجاهك وهو باب ... مفاتحه لبغيتنا الرجاء
نؤمل أن نبلغ لا حرمنا ... هنا وهناك يغتنم الدعاء

* سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 63/ب

(1) الكباء – بكسر الكاف – عود البخور . والهباء : الغبار . ولعل معنى البيت أن جو مدينة بخارى التى هى مسقط رأس امام المحدثين أبى عبدالله البخارى اطيب رائحة من عود البخور

(2) يسمى كتاب البخارى فى الحديث **جامع الصحيح** . لذلك عبر الدغوغى عن الامام البخارى بأنه (جامع جامع)

(3) يلقب البخارى بامير المومنين فى الحديث . ويشير بالانتقاد الى ما قام به البخارى من نقد رجال الاسناد بتعديلهم وتجريحهم لتمييز الاحاديث الصحيحة من غيرها

(4) الضمير فى (كتابه) و (سميه) يعود على البخارى . والمعنى أن سائر كتب الحديث تستفيد وتستمد من صحيح البخارى ، كما أن سائر الأولياء والصالحين يستفيدون ويستمدون من سمى البخارى أى مثيله فى الاسم ، وهو يقصد محمد بن أبى بكر الدلائى

ملحق رقم (6)

اجازة الامام محمد بن قاسم القصار لمحمد بن أبى بكر الدلائى *

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

يقول كاتبه محمد بن قاسم بن محمد بن على القصار القيسى الغرناطى أصلا وأبا ، القصار لقبا ، عفا الله عنه وعمن دعى (كذا) له . كان من نعم الله على لقاء الفقيه المتفنن الصالح مربى طلبة العلم والدين ، الكثير الاحسان للضعفاء والمساكين ، حاج بيت الله الحرام سيدى محمد بن ولى الله باتفاق ، الشهير ذكره فى الآفاق ، سيدى أبى بكر بن محمد أبقاه الله فخرا للاسلام ، ونفعا للفقراء والايتام ، آمين . فطلب من محبه اجازة فقلت له :

أجزت لكم مروينا مطلقا وما   لنا سائلا أن تتحفوا بدعاء

وسمع من لفظى صحيح البخارى رضى الله عنه وأجزت له جميعه ، والموطأ وبقية الستة ، ومسند أحمد وسائر مصنفات الحديث الشريف ، وما فى الاوراق قبله (1) وجميع ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير (2) والزين العراقى (3) وابن حجر (4) والشيخ زكريا (5) وسيدى يحيى السراج (6)

---

* سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** . ورقة 30/أ و ب . وقد نقلها من خط الامام القصار

(1) يشير بذلك الى فهرسته الجامعة لاسانيده اذ هى التى كانت الاجازة عقبها . وفى قسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط مخطوطة (رقم 71 ج) تشتمل على فهرست الامام القصار

(2) على بن الزبير السجلماسى الحافظ المشارك . أخذ عنه الامام القصار ثم تتلمذ له مباشرة الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى . توفى ابن الزبير فى فاس عام 25/1035 – 1626

(3) أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى ، المعروف بالعراقى الكبير من أكبر حفاظ الاسلام ، ومسندى الحجاز ومصر والشام . وهو شيخ الحافظ ابن حجر ، توفى بمصر عام 3/806 – 1404

(4) الحافظ ابن حجر حجة الاسلام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ابن حجر العسقلانى ، مؤلف كتاب **فتح البارى بشرح صحيح البخارى** ، و **الاصابة فى تمييز الصحابة** توفى بمصر عام 1448/852

(5) الشيخ زكريا الانصارى قاضى القضاة بالديار المصرية ومسندها ، شيخ الاسلام صاحب التآليف العديدة . وقد طال عمره وأخذ عنه كثيرون . توفى عام 19/925 – 1520

(6) يحيى بن أحمد النفزى المعروف بالسراج حافظ فاس والمغرب الذى انتهت اليه رياسة الحديث وروايته . له فهرست جامعة لاشياخه . توفى عام 2/805 – 1403

والنيسابورى (7) وابن غازى (8) ومشيخة ابن النجار (9) وأجزت له جميع مروياتى بأنواعها ، وجميع مالى . وكتب محمد المذكور أول ربيع الثانى عام اثنى عشر وألف (10) مسلما على من يقف عليه وسائلا دعاءه . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما .

---

7) هناك محدثون كثيرون ينسبون الى نيسابور أولهم الامام مسلم صاحب **الجامع الصحيح** وقد أورد منهم كحالة فى **معجم المؤلفين** عشرات لم استطع تمييز المذكور منهم فى سلسلة الامام القصار

8) ابو عبد الله محمد بن غازى العثمانى المكناسى ، نزيل فاس وشيخ الجماعة بها ، الف فى مختلف العلوم ، وله فهرست جامعة لاشياخه توفى بفاس عام 2/805 – 1403

9) الحافظ محمد بن محمود البغدادى المعروف بابن النجار احد الحفاظ الكبار ، له عدة تاليف لم اقف على تاريخ وفاته

10) كانت وفاة الامام القصار فى نفس العام 1604/1012 ، وبذلك تكون هذه الاجازة قد كتبت قبل موته ببضعة أشهر فقط

ملحق رقم (7)

اجازة الشيخ محمد المرابط الدلائي للحسن اليوسي *

أما بعد حمد الله مؤهل أهل اصطفائه للاقتداء بسيد البشر، ومنهل خاصة أوليائه مناهل السنن والاثر ، الميسر لهم من طرق الاجازة مدارجها ، ومن أعالي الاسانيد معارجها ، حتى اجتلوا من سماء معارفها أقمارها ، ومن أدواح عوارفها أثمارها ، ووقفوا بعرفات العرفان ، فتدفقت لهم جداول الاحسان . والصلاة والسلام على سيدنا محمد واسطة عقد النبيئين ، وصفوة خلاصة الصديقين ، وعلى أهل بيته الاطهار ، وحماة دينه الانصار . وبعد فان اتصال الاسانيد غاية يتجارى لاجتيازها ذوو النباهة من فضلاء الامصار ، ويتبارى في الامتياز بشرفها الكبراء في عامة الاعصار ، حتى لقد ركبوا في طلابها التنائف (1) ، واقتحموا في ابتغائها المخاوف ، ورفضوا الاوطار والاوطان ، وهجروا المعاهد والاخوان . وكيف وهي العروة التي مدار العرى عليها ، والمأثرة التي مرجع المآثر اليها، وقد سلك ذلك السنن الصدر الرئيس، فارس الاملاء والتدريس ، شيخ الجماعة بالديار البكرية ، والحضرة الدلائية ، ذو التدقيق المعهود ، أبو الحسن بن مسعود . صاحب النباهة الشامخة ، والنزاهة الباذخة ، والجلالة العليا ، والهمة التي نيطت بالثريا ، المتمسك من الرواية بأسبابها ، ومن الدراية بأهدابها ، من ألقت اليه المعارف زمامها ، وجمعت السيادة ما وراءها من المجد وأمامها ، يرغب الى أن أجيزه ، وأشايع تبريزه . فأجبت مراده ، وبادرت اسعاده ، فأجزته اجازة تامة ، مطلقة عامة ، في كل ما يصح لي وعني روايته ، يرفع في أندية الاجازة بنده ورايته ، من كل مقرو ومسموع ، ومفرد ومجموع ، ومنشور ومنظوم ، ومأثور ومفهوم ، على الخصوص والعموم ، على نهج الرواية المعلوم ، مما أحاطت به فهرسة الامام ابن غازي بروايتنا اياها عن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد العربي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي ، عن أبي عبد الله القصار عن أبي النعيم رضوان ابن عبد الله (2) عن أبي محمد عبد الرحمن بن علي الشهير بسقين (3) عن

---

* فهرست اليوسي ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ، رقم 1234 ك ، ورقة 67

(1) التنائف جمع تنوفة وهي البرية التي لا ماء فيها ولا أنيس

(2) ابو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي ، المحدث المكثر الراوية ، رحالة أهل زمانه ، توفي بفاس عام 991 هـ — 1583 م

(3) ابو محمد عبد الرحمان بن علي المعروف بسقين ، الفقيه المحدث الراوية ، رحل الى الشرق وأخذ فيه عن جماعة من المحدثين ، توفي عام 956/49 — 1550

مؤلفها أبى عبد الله بن غازى . وفهرسة أبى العباس المنجوز (4) والامام المنتورى (5) وابن الزبير ، وحدثته بذلك عن مولانا المحدث الزاهد العارف بالله عبد الهادى بن عبد الله الحسنى (6) ، عن والده الامام (7) وعن القصار وأبى العباس المعروف بابا السودانى (8) وأبى العباس أحمد بن محمد الشهير بابن القاضى وغيرهم من مشايخه ، واجازة الشيخين أبى محمد عبد الهادى ، وأبى عبد الله العربى اياى ، وهما عامتان فى كل ما يحملانه أو يقولانه أو ينقلانه ، وأجزت له أن يروى ذلك عنى ، وأذنت له فيه اذنا تاما تلقاه لفظا وكتابة منى على شرطه المعتبر ، عند أئمة الاثر . قال ذلك وكتبه بيده متلفظا بالاجازة أواخر شهر الله الحرام مفتتح عام تسعة وسبعين بموحدة قبل العين، وألف ، محمد بن محمد بن أبى بكر الدلائى عفا الله عنه بمنه آمين .

---

4) أبو العباس أحمد بن على المنجور المكناسى الاصل ، الفاسى المولد والنشأة والوفاة . كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ مشاركا فى جميع الفنون الاخرى من معقول ومنقول له تآليف عديدة و**فهرست** جامعة . توفى عام 995/86 – 1587

5) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسى المعروف بالمنتورى (بكسر الميم) من أشهر الحفاظ المحدثين . توفى عام 834/30 – 1431

6) أبو محمد عبد الهادى بن الامام عبد الله بن على بن طاهر الحسنى السجلماسى . كان من أهل العلم والدين ، وهو مؤلف كتاب **فلك السعادة ، الدائر فى فضل الجهاد والشهادة** توفى بالحرم الشريف عام 1056/46 – 1647

7) الامام عبد الله بن على بن طاهر الحسنى السجلماسى ، كان له باع كبير فى العلم والعمل والدين واتباع السنة . توفى عام 1044/34 – 1635 ببلاد مدغرة من أعمال سجلماسة

8) أبو العباس أحمد بن أحمد المدعو بابا السودانى الصنهاجى ، ألف نحو 40 تأليفا ، منها **كفاية المحتاج** ، وفيه ترجم لنفسه . ابتلى فى بلاده لما احتلها جيش المنصور الذهبى ، وسيق أسيرا فى القيد الى مراكش ، ثم أطلق سراحه مع قومه . وقد تتلمذ له كثير من علماء المغرب قبل أن يرجع الى السودان حيث توفى عام 1036/26 – 1627

ملحق رقم (8)

رسالة بعث بها أحمد المقرى من القاهرة الى شيخه محمد بن أبى بكر الدلائى حينما مر محمد الحاج بمصر لدى رجوعه من الحج عام 1041/1631 *

خليلى ان جئت الدلا وجرى ذكرى ... لدى حضرة الشيخ الرضى ابن أبى بكر
نتيجة سر الاولياء محمد ... معرف كليات فضل بلا نكر
فأخبره أنى لم أحل عن وداده ... ولم يوهن البين الملم قوى صبرى
ولا ما أقاسى فى اتقاء غوائل ... يكيد بها ظلما ذوو الضغن والمكر
أناس نسوا حد الزمان وفتكه ... بمن راح من راح الغواية فى سكر
فسل سيدى حسن الخلاص لحائر ... وختما بحسنى كى ينير به فكرى

يا مفردا علما اهتدى الجمع السالم بلألائه ، وتثنت فى رياض ولائه غصون آلائه ، وروى مسدد رأيه عن جابر سعيه عن علائه ، وما يسنده فى مجالس املائه . أهدى اليك يا بركة الزمان ، وبقية الناس بهذا الاوان ، التى حار فيه من يروم الامان ، وغلقت فيه الرهان (1) ، ولم يثق لولا وجودك بضمان ، من ارتاب فى حال غريمه ومان ، تحية تنافح خلالك ، وتصافح - أبقى الله جلالك - ظلالك ، وتؤدى بعض حقك الذى راق مرأى اجتلائه . وأنهى الى معاهدك الشريفة ، ومشاهدك المربعة الوريفة ، على بعد الديار ، وجرى بعض الاغراض على الاختيار ، أن العبد المخلص على ما تعهد ، من الود الذى به القلب يشهد .

سلوا عن محبة الرجال قلوبكم ... فتلك شهود لم تكن تقبل الرشى

وقد مهد فى ديار الغربة فرشا ، وسلم لاحكام الاقدار ، فى هذه الدار ، الكثيرة الاكدار ، ولم يسلك منهج من عاند الدهر وقصد به تحرشا . والدهر ذو ألوان ، ولبعض أفعاله على غيرها عوان ، فى امراره واحلاله . فأما الشوق الى سيدى وولبى فلا يستوفى وصفه القلم واللسان ، وحدث عن مسند أحمد (2) بما شئت من طرق هى مع غرابتها حسان . وأما الحال ، فى الحل والترحال ، فقد لبست من الصبر أحسن بزة ، كبر ورقة حالة وفراق أحبة أعزة ، محن لو أن أقلها يرمى به جبل لهزه . اللهم غفرا ، وشكرا لا كفرا . حج الفقير مرارا خمسا ، وأضحى فى بعض مجاورا وأمسى ، واستجلى من طيبة المشرفة على ساكنها الصلاة والسلام فى سبع مرار بدرا وشمسا ، وجاور هنالك ، ودرس

* مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 471 ك . ص 47 – 53

(1) غلق الرهن فى يد المرتهن (من باب فرح) : صار ملكا له بسبب عجز الراهن عن افتكاكه

(2) يورى المقرى هنا بكتاب المسند للامام أحمد بن حنبل، وهو يقصد نفسه واشتياقه الى الشيخ الدلاء

وصنف وأضاء فكره الحالك ، ونطق لسانه فى الحضرة النبوية ، بالمطالب الدنيوية والاخروية همسا ، ومما من الله به عليه أنه ألف بالحضرة **فتح المتعال ، فى مدح النعال** و **أزهار الكمامة ، فى أخبار العمامة** وكل منهما مجلد كبير ، فاح منه عنبر وعبير ، وحاز ان شاء الله الشرفين ، بالتصنيف فى هذين الطرفين ، الذين أحاطا بالذات الطاهرة ، وكان تصنيف كتاب العمامة تجاه الرأس الشريف لمناسبة باهرة ، وكان قصد العبد أن يرسل بهما الى سيده قبل هذا التاريخ فقدر الله أن بعض كبراء الدولة أخذهما ، ولم يبق والله عندى الا الاصل فقط . وكانت اقامة ابن سيدى (3) فى مصر قليلة ، لم يمكن فى مدتها كتبهما . ولعل الله ييسر فى ذلك بعد . وقد ختمت كتاب العمامة برجز اشتمل على زبدته وقد وجهته اليكم صحبة هذا المكتوب ، وهو مكتوب بالمدينة المشرقة على صاحبها الصلاة والسلام ، ثم زرت بيت المقدس ثلاث مرات ، ومواطن الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان بالشام كرات ، ثم عدت فى هذا الوقت الى مصر بقصد الرحلة بالعيال الى الشام ، والله المسؤل فى تيسير الامر ، ورفع الاصر (4) . وما ذكرت بعض هذا الا على وجه التحدث بنعم الله ذى الامتنان ، لا على وجه التفاخر الذى ينبغى للموفق أن يصرف الى غيره العنان ، نعم بقلبى ياسيدى سلمكم الله حسرة جلت ، وحيرة حلت ، خلفته فى كربة فى بلاد غربة وتخلت ، وهى أمر البنت التى بفاس ، وقد ضاقت وحق لها من أجلها الانفاس ، اذ لم يمكن اليها الوصول ، وتعسر مجيئها الى على وجه محكم الوصول . والقصد من بركات سيدى شمولها بالنظر ، والاعانة على تزويجها بلائق ممن حضر ، وهذا غاية المقدور ، بل ومنتهى المرام ونفثه مصدور ، وكم حسرات فى نفوس كرام . وقد أرسلت اليها مع النجل الاجل سيدى محمد شكر الله سعيه ، وأدام صونه ورعيه ، سبعة وثلاثين ريالا كبيرة ، جهد مقل تراكمت عليه لولا تثبيت الله أمور مبيرة (5) ، والقصد ارسالها اليه بفور بلوغه فى السلامة ، واذا أبرم القدر شيئا فلا عتاب ولا ملامة ، وقد أرسلت الى الاصهار والفقيهين سيدى عبد الواحد (بن) عاشر وسيدى محمد بن سودة ببيع الكتب على طريقة الاذاعة والاظهار والنداء عليها فى محل الرغبات ، ومظان الطلبات ، ودفع ثمنها فى مؤن هذه البنت ، التى بوجودكم عليها أمنت . واما أمها فقد كنت ملكتها أمرها (6) قبل فلم ترض ، والآن وقد غلب الظن أنى لا أقدر على القيام بما لها من فرض ، اذ قدومى متعسر ، والعكس غير متيسر ، ولا يليق تأخير العصر الى

---

3) الاشارة الى محمد الحاج ابن الشيخ محمد بن أبى بكر الدلائى

4) الاصر : الثقل والذنب

5) المبيرة : المهلكة ، من البوار . والفعل أبار بمعنى أهلك

6) تمليك المرأة أمر نفسها عبارة عن أن يجعل الزوج حق الطلاق بين يدى زوجته لتفك العصمة الزوجية ان شاءت

الاصفرار ، ولا الهروب من مواقف الابطال والفرار ، ولا ضرر ولا ضرار ، والحزم عدم الاغترار ، فلها طلقة مملكة ان شاءت ، وقد صدرت منهم فعلة احزنت ، وفلتة ساءت ، وهي بيع بعض الكتب التـي تعبت في تحصيلها وجعلت تصحيحها نتيجة العمر ، ومن جملتها ابن غازي والعيني على الالفية وغيرهما مما لايجهل فضله حتى الغمر ، وأخبرني بعض الجوراريين والتواتيين بحضرة النجل أنها عنده بتوات (7) ، وذكر لي علامات في هذا الكتاب بخطي والدهر بردها غير موات ، فهل يعدل الكتب شئ ، وما بعد الرشد الا الغي ، واذا كانت نفائس الكتب تباع خلسة ، فبيعها بالملا العام أنفى للدلسة ، وما أظهرت مثل هذا لسيدي الا لعلمي أنه الثقة الوائق الالوف ، بل سيدي واحد العصر المعدود بالالوف ، ولا يفتى ومالك بالمدينة ، اللهم احفظ مقام سيدي ودينه . فليكن ما سطرته على شريف علمه ، وان أسأت فليحفني برداء حلمه ، فلا عطر بعد عروس ، والمشاهدة قد ينوب عنها ما في سطور الطروس ، وقد أوصيتهم أن يكتبوا ما بقي من الكتب في زمام ، ويرسلوه لسيدي لعله يختار منها ما يراه وهو الامام ، الذي به التمام .

.. والواصل لسيدي العقيدة التي من الله بنظمها وهي **اضاءة الدجنة بعقائد أهل السنة** وقد كتب من هذه العقيدة بالحرمين واليمن ومصر والشام أكثر من ألفي نسخة كتبت خطي على أكثرها ودرستها بمكة وبيت المقدس ودمشق ومصر والاسكندرية ورشيد وغزة ، ولله المنة ، والعزم على شرحها الآن متوفر . وأما **قصيدة العمامة** ، الموجهة مع هذه فهي خاتمة أزهار الكمامة، وأرسلتها مع ما فيها من الاصلاح تبركا بكونها كتبت بحضرته صلى الله عليه وسلم في تلك الاوراق غير الورقة الاولى فانها كتبت بمصر بدلا من التي بالمدينة لعذر اقتضى ذلك . والقصدر استمطار الدعاء ، من تلكم الحضرة – علم الله – لا التبجح بذلك على وجه الرياء ، والاعمال بالنيات ، ولم نر من سيدي مكتوبا مع النجل العزيز ولا ندري ما سبب ذلك .

اذا كان المحب قليل سعد فما حسناته الا ذنوب

وكل ما يفعل المحبوب محبوب ، أستغفر الله فسيدي أجل من أن يعاتب ، وما الفرق بين العبد في الشهادة والمكاتب، وقد أكثرت على سيدي فليسمح ويصفح والسلام معاد على حضرة مقامه ورحمة الله وبركاته . وكتب عن عجل أواخر شهر ربيع النبوي سنة واحد وأربعين بعد الألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

(7) توات اقليم بالصحراء الشرقية المغربية كان الفرنسيون قد اقتطعوه أيام الحماية والحقوه بالجزائر

ملحق رقم (9)

أبو حامد محمد العربى الفاسى يمدح شيخه محمد بن أبى بكر الدلائى *

أدار بذات السدر فى الجانب الشرقى ... سقاك الحيا مادام صوب الحيا يسقى
وانى لمن عينى عليك سحائب ... تسح اذا شحت بها أعين الودق (1)
وقفت على الرسم المحيل فشاقنى ... فأبكى واستدعى العهاد واستسقى (2)
فما برحت مزن الغمام حوافلا ... لحمل من الربعى فى ربعها تلقى
تساجلنى أنى لها دون حامل ... ولى حامل الذكرى لاهلى والشوق
وتذكرنى ، لو كنت أنساهم ، الصبا ... تهب بمسراها (ومؤتلق) البرق (3)
وساجعة تفتن فى نغماتها ... على الفنن اللدن الوريق من الورق
وأحسبها مثلى اذا قلت قد بكت ... وأين بكاها من بكائى على لفق (4)
فما أذرت الدمع السفوح وشملها ... جميع وفرخاها لديها على لمق (5)
ولى مقلة تهمى كأن شؤونها ... شآبيب قدفاضت من الواكف الشرقى (6)
ودون أفيراخى تنائف نيفت ... على العشر للسارى من أفق الى أفق (7)
وشمل على حكم الشتات مبدد ... وقلب على تلك التفاريق فى فرق (8)
وعندى أفيراخ هنا ، وسواهم ... هناك ، وكم فلق لقلبى وكم فرق (9)
فعندهم شق وآخرها هنا ... وما أن يكاد الشق يبلغ بالشق
تناءت بنا الاقطار حتى كأننا ... حروف بأقطار البيوت من الوفق

---

* سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 170 – 171

1) الودق : المطر . وسح : نزل وهطل . عكس شح بمعنى انحبس

2) الرسم المحيل : آثار الديار القديمة التى أتت عليها أحوال وأعوام

3) فى النسخ المخطوطة (مؤتلى) ويظهر أنها محرفة عن مؤتلق

4) اللفق – بكسر اللام وسكون الفاء – الجزء والشقة من شقتى الملاءة . يقال للرجلين لايفترقان هما لفقان . واللفق الذى افتقده الشاعر وبكاه هو أبناؤه كما توضحه الابيات التالية

5) أذرت العين الدمع : صبته . واللمق مصدر لمق اليه – من باب نصر – اذا نظر اليه

6) الشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . والواكف : السحاب . وآخر كلمة فى هذا البيت فى النسخ المخطوطة (الشرق) ولعلها محرفة عن الشرقى

7) التنائف مفردها تنوفة وهى القفر التى لا ماء فيها ولا أنيس

8) الفرق – بفتح فسكون – الانشقاق والتصدع

9) اللفق والفرق – بكسر فسكون – الجزء والقسم من الشئ . يقول الشاعر ان قلبه ممزق كثيرا ، بعضه مع أبنائه هنا ، وبعضه مع غيرهم هناك ..

وانسني ضرب من الفال أنها / لجمع، وهل جميع يحاول بالفرق (10)
ولم يبق مني الشوق الا حشاشة / وللشوق ما يفنى وللشوق ما يبقى
وهان على ما لقيت ولم يهن / على الذى لاقى الاحبة من ضيق
يعز على أن يروع سربهم / وأن يشربوا بعد الصفاء من الرنق (11)
واني بأحوال الزمان لعارف / فآونة يحلي وآونة يعقي
ولست على أبنائه الدهر عاتبا / وان وكسوا حظي وان غمضوا حقي
واني أنا الطاوي على اليأس كشحه / اذا بان لي أن الرجاء من الحمق
وأهجر نفسي ان يمل بي وصلها / على ظما مني الى المورد الطرق
ولا أنثني ان صمم العزم جانحا / الى وطن أو ساكن فيه أو علق
وان سرت عن من لي عليه ولادة / كفاني فيه مالك الخلق والرزق
اذا لم تكن بالغرب أرض تقلني / بعزة نفس كانت الارض بالشرق
وما قيد النفس الشرود سوى الذى / أجار وأجرى سيبه دائم الدفق
نفس عن نفسي وأنس غربتي / وفرج لي كربي وحل عرى خنق
وسن لي الآمال حتى حسبتها / تزف الى مسرعات على طرق
فيجمع لي الشمل الشتيت ويلام الفتيت ويلقى الله برا بما يلقى
وناهيك بالشيخ الامام محمد / امام الهدى الهادى الانام الى الحق
بحيث توافى الحلم والعلم والندى / وحيث تساوى القول والفعل في الصدق
مقلد أعناق الرجال قلائدا / من العرف تقليد الحمائم بالطوق
اليه طوى عرض البلاد مشرد / نجا بدماء مستجيرا من البوق (12)
اليك اليك آبي العار حامي الـ / ـذمار مجير الجار من كل مايشقى
فأنتم بنو الشيخ أبي بكر الذى / حمى وسما بالمجد والدين والخلق
وما كان ذاك الشيخ يسلم جاره / ولو لامه الاملاك مع سائر الخلق
وقد كان حقا عنده نصر جاره / وأنتم لعمري وارثو ذلك الحق
بقيتم وذاك الارث فيكم مؤبد / ولله سر فيكم دائما يلقى

---

(10) الاشارة في هذا البيت والذى قبله الى اصطلاحات علم الوفق وسر الاسماء . فالشاعر يشبه نفسه وأهله بالحروف الموزعة على مربعات جدول الوفق ، غير أنه يتفاءل بأن يجمع مع ذويه كما تجمع حروف الجدول . ثم يتساءل كيف يمكن جمع الشمل وهو يمعن في الابتعاد والافتراق

(11) الرنق - بفتح فسكون - الماء الكدر

(12) البوق : مصدر باق القوم عليه - من باب نصر - اذا اجتمعوا فقتلوه ظلما . ويشير الشاعر في هذا البيت الى فراره من الشيخ المامون السعدى الذى سلم مدينة العرائش الى الاسبانيين وارغم العلماء على أن يفتوه بمشروعية تصرفه الطائش . ارجع في هذا الموضوع الى صحيفتى 113 - 114 من هذا الكتاب

ملحق رقم (10)

رسالة بعث بها أحمد بن عبد الله الدلائى الى السلطان اسماعيل يعتذر عن تخلفه بتلمسان *

باسم من يضع الملك حيث يشا ، فاختار له على علم قريشا . يتفيأ (تحت) ظلال الدوحة النبوية ، ويتنسم عرف أزهار عوارفها المصطفوية ، ويترقى الى حيث النجوم الشوائك ، والمعالى أرائك . من تحمر من هيبة جلاله الانفاس ، على خدود الاطراس ، ويتشرف بلثم يمين طالما ازدحمت على تقبيلها الاملاك ، وانجابت لحسن صنيعها عن بنى الآمال الاحلاك . أبقاها الله آخذة بيد من زل به الزمان ، ولحل ربقة كل عان . ولتقبيل أفواه واعطاء نائل وامساك هندى وحبس عنان ، وشيد لراقمه فى كنف الدولة الهاشمية كنفا(1) واستوهب له منها عفوا لايعقب ندامة ولا خوفا . دولة مولانا الذى ملك البواطن بحسن بشره وعفوه ، والظواهر بشدة بأسه وسطوه ، محيى الدولة ، ودريئة (2) الابطال عند الجولة ، قاهر الملوك ، وواسطة عقد السلوك ، من دانت لهيبته فتاكة الاقطار ، وترنمت لمآثره حداة القطار ، ظل الله على بريئته الظليل ، أبو الفتوحات مولانا اسماعيل . لازالت رياح العز تنشر خوافق ألويته وراياته ، والنصر يتلو فى مآزق الحروب محكم آياته . وليت شعرى بم أحيى ذلك المقام النبوى ، والجناب العلوى ، وأى عبارة أرتضيها للافصاح عن قدره ، أو تقوم بمواهب حقه وبره ، وغاية جهدى يستغرقه عفو فضائله ، ولو كنت سحبان وائل ، ويخجله أسير فواضله ، حتى أكون فى الفهاهة كباقل . ان قلت تحية كسرى فى السنا وتبع (3) ، جف القلم استحياء من سلوك هذا

---

* سليمان الحوات ، **البدور الضاوية** ، ورقة 114/أ وأحمد بن الحاج ، **الدر المنتخب المستحسن** ج 6 ، ورقة 34/ب . وكان السلطان اسماعيل بن الشريف قد كتب الى الدلائيين المبعدين فى تلمسان عام 1085/1674 يأذن لهم بالرجوع الى المغرب . فالتحقوا مسرعين بفاس ماعدا أحمد هذا فانه ظل بتلمسان ، اذ كان يدبر امر الثورة مع اتراك الجزائر . ولما الح عليه قومه فى الدخول الى المغرب حسما للشائعات التى تضر بهم كتب هذه الرسالة الى السلطان معتذرا وطالبا منه كتابا بالعفو يبعث به الى والده عبد الله فى الجزائـــر

1) يعنى الكاتب نفسه بقوله «لراقمه» . وكنف الدولة : حرزها وظلها . وكنف الثانية – بفتح الكاف وسكون النون – الحفظ والصون

2) الدريئة : آلة كالترس يتقى بها المحاربون الطعن والضرب . ويصف الكاتب السلطان اسماعيل بالشجاعة والاقدام حتى كأنه ترس يدرأ عن أبطاله مهالك الحروب

3) يشير الكاتب هنا الى أعلام ضرب بها المثل قديما . فسحبان وائل عرف بالفصاحة فى الجاهلية والاسلام حتى قيل انه أخطب العرب . وباقل بن عمرو الايادى اشتهر فى الجاهلية بالعى والفهاهة أى العجز عن الكلام . وكسرى انو شروان اعظم ملوك فارس عرفه العرب عن طريق أمرائهم فى الحيرة وضربوا المثل بجلاله ورفعة شأنه . وتبع واحد التبابعة ، وهم ملوك اليمن القدماء المعروفون بحضارتهم وشدة بأسهم

الهيج . وأولى ما يحيى به ذلك المقام الذى اتخذ الافلاك مهادا ، والنجوم وسادا، بالتحية التى أضاء الشرع نبراسها ، وأدار على أمته كاسها ، وأغفل الله عنها الامم وأجناسها ، وخبأها لهذه الامة المحمدية تكرمة لها فلم تستنشق أمة غيرها وردها ولا آسها. سلام على سيدنا ورحمة الله تعالى وبركاته ، ورضوانه الاعم وتحياته . من عبد له يخر على طرف بساطه لاثما ، ويقضى من حقوق الخدمة فرضا لازما . أحمد بن عبد الله . أوجبها الى الحضرة الكريمة التى يتلقى فيها الصادر الوارد بالبشائر ، ويسلو فيها الغريب الخائف بحسن ملاطفتها عن الاهل والعشائر ، الاعلام لسيدنا بعذرى عن التخلف . فليعلم مولانا السلطان نصره الله أن موجبه ما معى من عيال أبى فكرهت أن أفتات(4) عليه فى عياله وهو غائب ، فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر . ولما خرج برسم الوصول الى العباد حرم القطب الغوث أبى مدين نفع الله به وجد هذه الفتنة بين يديه (5) ، فتأخر حتى يسكن هرجها ، ويخمد وهجها . ولا يصغى مولانا نصره الله الى أقوال الوشاة فينا ان بلغه غير هذا ولا يقبله ، فان الله سبحانه وتعالى لم يقبل فى مولانا أقوالهم ، ولا وافق شهواتهم وأغراضهم . ولو وافق أغراضُ البعض فى البعض ، ما أدى نفل ولا فرض . ولا يضيق علينا مولانا من عفوه ما وسع أهل المغرب . فقد مددنا الى سيدنا أكف الضراعة ، مستشفعين اليه بجده صاحب الشفاعة ، يمن علينا بعفو يزيل ايحاشنا ، ويسكن جاشنا ، أبعثه الى والدى فان أحب فذلك هو المطلوب، والامل المرغوب. والا ركبت الى سيدى عزما يحكى الرياح فى الهبوب ، فقد طالت فى انتظاره الغربة ، ونالتنى من ذلك كل كربة . والله سبحانه المسؤول ، أن يبلغنى ما أرجوه بكم من كل مطلوب ومسول ، فأنا عبدكم المتشرف بخدمتكم والنبات الذى أنبت تحت رباب سحابكم (6).

ووالله ما فارقتكم على قلى لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته .

---

4) افتات عليه : أستبد بالرأى دونه

5) يشير الكاتب الى احدى الثورات التى قام بها التلمسانيون فقضى عليها الاتراك بعنف شديد . ولم يصب الدلائيين المقيمين فى حرم العباد بتلمسان شر هذه الفتنة لان عبد الله الدلائى الذى كان اذ ذاك فى عاصمة الجزائر أوصى قائد الحملة التركية المتوجهة الى تلمسان ان يجنب جنوده مساكن الدلائيين

6) الرباب - بفتح الراء - السحاب الابيض

مصادر الرسالة

اورد فى الثبتين التاليين أهم المصادر العربية والافرنجية التى رجعت اليها ، وهى مرتبة على أسماء المؤلفين بحسب حروف الهجاء (الترتيب المغربى) مع ذكر سنة وفاة المؤلفين الاقدمين .

١ – المصادر العربيـــة

ابن ابراهيم (1378/1959) عباس المراكشى .

1 – **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** ، 5 أجزاء (فاس 1356/1937) .

ابن أبى زرع (حوالى 719/1319) أبو العباس أحمد .

2 – **الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** جزآن (الرباط 1355/1936) .

ابن بطوطة (777/1376) محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى .

3 – **تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار** ، (الطبعة الاولى بمطبعة وادى النيل فى القاهرة عام 1287) .

ابن الحاج (1235/1819) أحمد بن محمد بن حمدون السلمى .

4 – **الدر المنتخب المستحسن فى مآثر مولانا الحسن** ، (مخطوط مكتبة الشيخ خير الدين الزركلى بالرباط) .

ابن حزم (456/1063) أبو محمد على بن سعيد الاندلسى .

5 – **جمهرة أنساب العرب** ، (تحقيق ليفى بروفنسال – مصر 1948) .

ابن خلدون (808/1406) عبد الرحمن .

6 – **كتاب العبر** – القسم الاخير المتعلق بالدول الاسلامية بالمغرب ، جزآن (نشره البارون دوسلان فى الجزائر 1263/1847) .

ابن زيدان (1365/1946) عبد الرحمن العلوى .

7 – **اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** ، 5 أجزاء (الرباط 1347/1929) .

8 – **المنزع اللطيف فى التلميح لمفاخر مولاى اسماعيل بن الشريف** ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط 595 ج .

9 – **العز والصولة فى معالم نظم الدولة** ، (المطبعة الملكية بالرباط 1381/1961) .

ابن الزيات (627/29 – 1230) يوسف التادلى .

10 – **التشوف الى رجال التصوف** (نشره أدولف فور بالرباط سنة 1958) .

ابن مرزوق (782/1380) الخطيب محمد (الاكبر) التلمسانى .

11 - **المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا ابى الحسن** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 111 ق) .

ابن علي (1364/1945) محمد الدكالى السلاوى .

12 - **الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين المهدى لمولانا عبد العزيز** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 42 د) .

13 - **كتاب فى الرباطات** ، (مخطوط مكتبة ابن غازى بمكناس) .

14 - **كناشة علمية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 91 ج) .

15 - **مجموع فيه أخبار الدلائيين** ، (ميكرو فيلم الخزانة العامة بالرباط 36) .

ابن عسكر (986/1578) محمد بن على السريفى الشفشاونى .

16 - **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ، (المطبعة الحجرية بفاس - بدون تاريخ) .

ابن القاضى (1025/1616) أبو العباس أحمد بن محمد المكناسى .

17 - **جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس** (المطبعة الحجرية بفاس) .

18 - **درة الحجال فى غرة أسماء الرجال** ، جزآن ، (نشرهما ب . س . علوش بالرباط سنة 1934) .

19 - **لقط الفرائد من حقائق الفوائد** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 270 ك) .

ابن سودة (معاصر) عبد السلام المرى .

20 - **دليل مؤرخ المغرب الاقصى** ، (تطوان 1369/1950) .

اكنسوس (1294/1877) محمد بن أحمد المراكشى .

21 - **الجيش العرمرم الخماسى فى دولة أولاد مولانا على السجلماسى**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 965 د) وهى النسخة التى اعتمدتها . وقد طبع على الحجر بفاس عام 1336 ﻫ .

أملاق (كان حيا أواخر القرن 13 ﻫ/19م) عبدالقاهر بن محمد بن أحمد بن الحسن

22 - **الخبر عن ظهور الفقيه العياشى بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 91 د) .

البنانى (1234/18 - 1819) أحمد بن عبد السلام .

23 - **تحلية الآذان والمسامع بنصرة الشيخ أبى زكريا العلامة الجامع** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 650 ك) .

البستانى (1301/1883) المعلم بطرس .

24 - **دائرة المعارف للبستانى** ، 11 مجلدا ، (بيروت 1293/1876) .

بوجندار (1345/1926) أبو عبد الله محمد الرباطى

25 ـ **الاغتباط بتراجم أعلام الرباط** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1287 د) .

26 ـ **مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح** ، (مطبعة الجريدة الرسمية بالرباط 1345 هـ) .

التازى (1247/31 ـ 1832) أبو محمد عبد الودود بن عمر .

27 ـ **نزهة الاخيار المرضيين فى مناقب العلماء الدلائيين البكريين** (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1264 ك) .

جنون (معاصر) أبو محمد عبد الله الطنجى .

28 ـ **النبوغ المغربى فى الادب العربى** ، 3 أجزاء ، الطبعة الثانية (بيروت 1961) .

29 ـ **خل وبقل** ، (المطبعة المهدية بتطوان ، بدون تاريخ) .

الحافى (كان حيا عام 1160/1747) أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن السلاوى .

30 ـ **الفهرست** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 4121 ك) .

الحجوى (1376/1956) محمد بن الحسن الثعالبى .

31 ـ **الرحلة** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 123 ح) .

32 ـ **الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى** ، 4 أجزاء ، (الرباط ـ فاس 1345) .

الحجوى (معاصر) محمد المهدى

33 ـ **حياة الوزان الفاسى وآثاره** ، (الرباط 1354/1935) .

الحوات (بعد عام 1233/1817) أبو الربيع سليمان بن محمد العلمى الشفشاونى .

34 ـ **البدور الضاوية فى التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 261 د) .

35 ـ **ثمرة أنسى فى التعريف بنفسى** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1264 ك) .

داود (معاصر) أبو عبد الله محمد التطوانى .

36 ـ **تاريخ تطوان** ، (تطوان 1379/1959) .

الدلائى (1046/1636) محمد بن أبى بكر .

37 ـ **الفهرست** ، (مخطوط مكتبة الاستاذ محمد ابراهيم الكتانى بالرباط) .

دينية (1358/1939) أبو عبد الله محمد بن على الرباطى .

38 ـ **النسمات الندية من نشر ترجمة أحمد دنية** ، (الرباط 1355 هـ)

الزركلى (معاصر) الشيخ خير الدين .

39 ـ **الاعلام** ، قاموس تراجم . 10 أجزاء ، (الطبعة الثانية بدون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع)

الزياتى (1055/45 — 1646) عبد العزيز بن الحسن المهدى .

40 — **الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 66 ج) .

الزيانى (1249/1833) أبو القاسم .

41 — **البستان الظريف فى دولة أولاد مولاى الشريف** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1577 د) .

42 — **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 658 د) .

43 — **الترجمانة الكبرى التى جمعت أخبار العالم برا وبحرا** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 659 د) .

44 — **قصة المهاجرين المعروفين اليوم بالبلديين بفاس** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 270 ك) .

الكتانى (1323/5 — 1906) جعفر بن ادريس .

45 — **الرياض الربانية فى الشعبة الكتانية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 497 ك) .

الكتانى (1345/26 — 1927) محمد بن جعفر

46 — **سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس** ، ثلاثة أجزاء ، (المطبعة الحجرية بفاس 1316 ﻫ) .

الكتانى (1382/1962) عبد الحى

47 — **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، جزآن ، (فاس 1346) .

الكتانى (1350/1931) عبد الكبير بن هاشم .

48 — **روض الانفاس العالية فى بعض الزوايا الفاسية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 6412 ك) .

مؤلف مجهول

49 — **تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرتية** ، (نشره جورج كولان فى الرباط 1353/1934) .

مؤلف مجهول

50 — **التعريف بأحمد الششترى** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1419 د) .

المحبى (1111/1699 — 1700) أبو عبد الله محمد .

51 — **خلاصة الاثر فى أعيان القرن الحادى عشر** ، (مصر 1284) .

المنصورى (1384/1964) أحمد بن قاسم .

52 — **تاريخ زيان** ، مخطوط خزانة المؤلف بوادى زم .

المنونى (معاصر) محمد بن عبد الهادى المكناسى .

53 ــ **ركب الحاج المغربى** ، (تطوان 1953) .

293

المقرى (1041/1632) أحمد بن محمد التلمسانى .

54 ــ **أزهار الرياض فى أخبار عياض** ، 3 أجزاء ، (مصر 1358/1939)

55 ــ **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب** ، أربعة أجزاء ، (المطبعة الازهرية بمصر 1302 هـ) .

المشرفى (1313/1895) العربى بن على المعسكرى .

56 ــ **الحسام المشرفى لقطع لسان الشاب الجعرفى الناطق بخرافات الجعسوس سيىء الظن الكنسوس** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2276 ك) .

ميارة (1072/61 ــ 1662) محمد بن أحمد .

57 ــ **اختصار الدر الثمين والمورد المعين فى شرح المرشد المعين** ، (مصر 1348) .

الناصرى (1315/1897) أحمد بن خالد السلاوى .

58 ــ **الاستقصا لاخبار المغرب الاقصى** ، 9 أجزاء (الدار البيضاء 1954).

59 ــ **طلعة المشترى فى النسب الجعفرى** ، جزآن ، (المطبعة الحجرية بفاس) .

الناصرى (1128/1716) أحمد بن محمد بناصر الدرعى .

60 ــ **الرحلة الناصرية** ، جزآن (المطبعة الحجرية بفاس 1320 هـ) .

الناصرى (كان حيا عام 1158/1745) محمد المكى بن موسى الدرعى .

61 ــ **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة** ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط 265 ك) .

الصومعى (من رجال القرن العاشر) عبد الرحمن .

62 ــ **التشوف الصغير** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1103 د)

الضعيف (كان حيا عام 1236/1820) أبو عبد الله محمد الرباطى .

63 ــ **تاريخ الدولة السعيدة** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 758 د).

العكارى (1159/1746) على بن محمد ــ الحفيد ــ الرباطى .

64 ــ **مناقب الشيخ سيدى على العكارى أو البدور الضاوية فى ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 88 د) .

العلمي (1135/22 – 1723) محمد بن الطيب .

65 – **الانيس المطرب فيمن لقيه مؤلفه من ادباء المغرب** ، (المطبعة الحجرية بفاس 1315) .

علوش (معاصر) ى. س. وعبد الله الرجراجي

66 – **فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط** ، جزآن ، (الرباط 1958) .

عمار (معاصر) علي سالم .

67 – **أبو الحسن الشاذلي** ، جزآن ، (مصر 1952) .

عنان (معاصر) محمد عبد الله .

68 – **نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين** ، (مطبعة مصر – بدون تاريخ) .

العياشي (من رجال القرن 12هـ/18م) أبو محمد عبد الله بن عمر .

69 – **الاحيا والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش** ، (مصور الخزانة العامة بالرباط 1433 د) .

العياشي (1090/79 – 1680) أبو سالم الرحالة .

70 – **الرحلة العياشية أو ماء الموائد** ، جزآن ، (المطبعة الحجرية بفاس 1316) .

الفاسي (1052/1642) أبو حامد محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن .

71 – **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن** ، (المطبعة الحجرية بفاس 1324/1906) .

الفاسي (1179/65 – 1766) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر .

72 – **المورد الهني بأخبار مولاي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني**، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1234 ك) .

73 – **شرح درة التيجان** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1432 ك) .

الفاسي (1134/21 – 1722) محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر .

74 – **المنح البادية في الاسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1249 ك) .

الفاسي (1109/97 – 1698) محمد المهدي .

75 – **تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 76 ج) .

76 – **ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الاتباع** ، (المطبعة الحجرية بفاس 1313 هـ) .

الفاسي (1096/1685) عبد الرحمن بن عبد القادر .

77 – **ابتهاج القلوب بخبر الشيخ ابى المحاسن وشيخه المجذوب** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 326 ك) .

78 – **الاقنوم فى مبادىء العلوم** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 15ك) .

79 – **تحفة الاكابر بمناقب الشيخ عبد القادر** – الفاسي – (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2330 ك) .

80 – **شرح العمل الفاسي** ، مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 821 .

الفضيلي (1316/98 – 1899) ادريس بن أحمد العلوى .

81 – **الدرر البهية والجواهر النبوية** ، جزآن ، (المطبعة الحجرية بفاس

الفشتالي (1032/1623) عبد العزيز .

82 – **مناهل الصفا فى تاريخ دولة الشرفا** ، ميكرو فيلم الخزانة العامة بالرباط رقم 779 .

القادري (1187/1773) محمد بن الطيب .

83 – **نشر المثاني لاهل القرن الحادى عشر والثانى** ، جزآن ، (المطبعة الحجرية بفاس 1310/1892) .

84 – **نشر المثانى الكبير** ، جزآن ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2253 ك) .

القادري (1206/91 – 1792) عبد السلام بن عبد الله الخياط .

85 – **التحفة القادرية** ، فى مناقب عبد الله الشريف الوزاني ورجال الشاذلية عموما . جزآن ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2321 ك) .

86 – **تقاييد تاريخية** ، (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط 248) .

السوسي (1383/1963) محمد المختار .

87 – **المعسول** ، 20 جزءا ، (الدار البيضاء 1380/1960) .

88 – **خلال جزولة** ، جزآن ، (المطبعة المهدية بتطوان بدون تاريخ) .

الشنتنواني (معاصر) أحمد ومن معه .

89 – **دائرة المعارف الاسلامية** ، (مصر 1352/1933) .

الولالي (1128/1715) أحمد بن يعقوب .

90 – **مباحث الانوار فى أخبار الاخيار** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 2305 ك) .

اليازغي (1238/22 – 1823) محمد بن أبى بكر .

91 – **حدائق الازهار الندية فى التعريف باهل الزاوية الدلائية البكرية** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 261 د) .

اليحمدى (1132/19 ـ 1720) محمد بن أحمد بن الحسن .

92 ـ **واسطة العقدين فى ترتيب الكناشتين** ، جزآن ضخمان جدا كانا مجزأين من قبل فى 10 أجزاء ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 330 ك) .

اليفرني (1140/27 ـ 1728) محمد الصغير المراكشى .

93 ـ **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف** ، (المطبعة الملكية بالرباط 1382/1962) .

94 ـ **نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى** ، جزآن ، (طبعة أنجى 1888) .

95 ـ **صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادى عشر** ، (المطبعة الحجرية بفاس) .

اليوسى (1102/1690) أبو على الحسن بن مسعود .

96 ـ **المحاضرات** ، (المطبعة الحجرية بفاس 1317 هـ) .

97 ـ **الفهرست** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1234 ك) .

98 ـ **تآليف فى العكاكزة** ، (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 1224 ك).

---

99 ـ **مجلة البينة** ، الرباط ، السنة الاولى ، 1963 .

100 ـ **مجلة تطوان** ، تطوان ، السنوات 58 ـ 59 ـ 1963 .

ب ـ المصادر الاجنبية



— Archives berbères et bulletin de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines, *Hesperis,* (Paris, 1925 et suiv.).

— CH. ANDRE JULIEN,

Histoire de l'Afrique du Nord de la conquête aabe à 1830, (Paris, 1952).

— E. LEVI-PROVENÇAL,

Les historiens des Chorfa (Paris 1922).

— GEORGES DRAGUE,

Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, (Paris 1951).

— HENRI TERRASSE,

Histoire du Maroc, T. II, (Casablanca, 1951).

— JACQUES BERQUE,

Al Youssi, problèmes de la culture marocaine au XVIIe siècle, (Paris 1958)

— JEAN-LEON L'AFRICAIN,

Description de l'Afrique, Nouvelle édition traduite de l'Italien, par A. Epaular, 2 volumes, (Paris 1956).

— Le comte HENRY DE CASTRIES,

Les sources inédites de l'histoire du Maroc - de 1530 à 1845, (Paris 1905 et suite) Angleterre, France et Pays-Bas.

— M. HENRY LAVOIX,

Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale, (Paris Imprimerie Nationale, MDCC Cl).

— Mission Scientifique du Maroc,

Archives marocaines, (Paris, 1904 et suiv.) T. XXVIII.

— Mission Scientifique du Maroc

Villes et tribus du Maroc, (Paris 1918 et suiv.), Rabat et sa région T. I.

— M. TH. HOUTSMA et co-auteurs,

Encyclopédie de l'Islam, (Paris, 1913 - 1942).

— ROGER COINDREAU,

Les corsaires de Salé (Paris 1948).

فهرس اللوحات المصورة

جـدول الخطـأ والصـواب

فى الكتاب بضعة أخطاء مطبعية لاتخفى على القارىء منها :

صحيفة	سطر	بدلا من	اقـرا
50	16	صحبة	صحبه
	26	المتجر	المتبحر
52	11	الاخذ مته	الاخذ عنه
	13	المعرفة	المعروفة
37	20	الرطيقة	الطريقة
	21	الصلحة	الصالحة
	22 ـ 29	بتامكورت	بتامكروت
73	8	وبقيت	وبقية
88	12	محاسين	محاسن
89	6	اعتدله	اعتدلت
100	26	47	147
114	27	0120	1020
123	8	العقى	العقلى
127	12	بتاليه	بتاليف
144	21	ييتغلب	يتغلب
145	10	القها	القاها
	21	الكتانى	السكتانى
146	28	وتخاذهم	وتخاذلهم
151	16	جمع	جمع
153	8	ـ 1638	ـ 1638 ـ
160	7	نجد	نجدة
168	25	(4	(5
176	31	الطب	الطلب
188	17	الذ	الذى
208	23	15	17
211	28	وتره	ثورة
212	30	رقم	رقم 19.
222	9	الثانية	الثالثة.
238	16	كفات	كفاءته
272	3	فلماذا	فماذا
274	15	يحيى	محيى
281	1	المنجوز	المنجور
282	22	عران	عنوان
		واحلاله	واحلاته
283	21	نفته	نفثة
	24	الياه	اليها
286	7	كشه	كشحه .



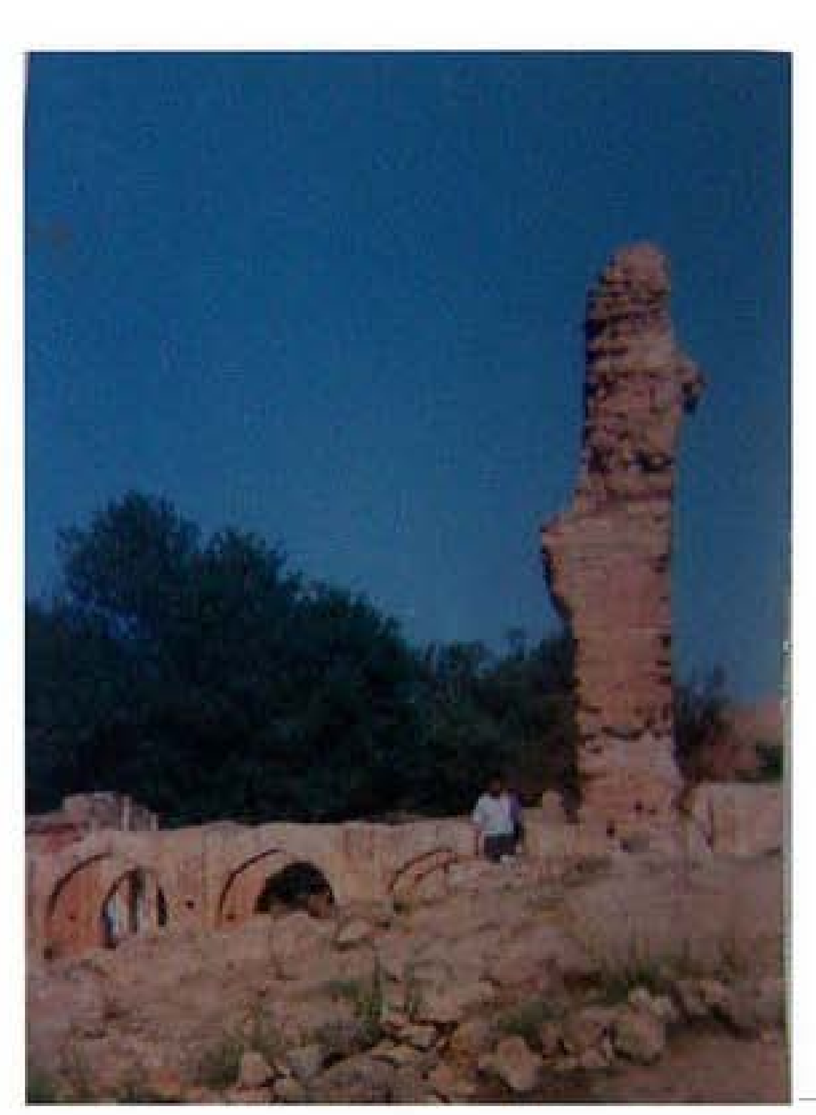
1991



1990



1990



1991



1991